

السنة السادسة (6) - العدد الحادي عشر (11) / ربيع الثاني 1439 هـ - ديسمبر 2017

تقرؤون في هذا العدد:

✓ الدراسات السابقة في البحث العلمي

د. بلال بوترة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)

✓ دور تطوير التدريب في مدارس تعليم السياقة في ضمان السلامة المرورية

أ. عبد الكريم رحالي (جامعة الجزائر - 2 - الجزائر)

✓ مفهوم صعوبات التعلم كمشكلة أكاديمية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي

د. نوال بناي (جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة - الجزائر)

✓ دور التربية الإعلامية في مواجهة سلبيات الإعلام على الطفل

أ. ربيحة نبار (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)

✓ فن الإقناع في المقال الصحفي: مقارنة تحليلية للمقال الافتتاحي

د. محمد بركان (جامعة وهران - 1 - أحمد بن بلة - الجزائر)

✓ محلّ الحكم وأثره على صفة الحكم واختلاف الفقهاء

د. مريم عمار عطية (جامعة الملك خالد أبها - المملكة العربية السعودية)

✓ الرواية الشفوية وموقعها من التاريخ المحلي

د. موسى بن موسى (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)

جامعة الشهيد حمّـة لخضر بالوادي
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية



مجلة الباحث

في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

دورية أكاديمية فصلية محكمة تُعنى بالدراسات والبحوث في العلوم الإنسانية والاجتماعية

السنة السادسة (6) - العدد الحادي عشر (11) / ربيع الثاني 1439هـ - ديسمبر 2017

توجه جميع المراسلات الى:
رئيس تحرير مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية- جامعة الوادي، طريق الشط 39000- الوادي/ الجزائر
Tél/fax: 032210731 /B.P 789
 Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

ISSN 2170-0370

ادارة المجلة

المدير الشرفي

أ.د/ عمر فرحاتي
مدير جامعة الشهيد حمّـة لخضر بالوادي

مدير المجلة

أ.د/ عبد الرحمان تركي
عميد كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

رئيس التحرير

د/ رضوان شافو

اعضاء هيئة التحرير

د/ سلاف مشري

د/ معاذ عمراني

أ/ اسمهان جبالي

تصميم واخراج

د.رضوان شافو

بريد المجلة الإلكتروني

elbaheth@univ-eloued.dz

* ما ينشر في المجلة يعبر عن رأي كاتبة ولا يعبر عن رأي المجلة.
* يخضع ترتيب الموضوعات بالمجلة لاعتبارات فنية لا ترتبط برتبة الباحث ولا بمكانته العلمية.

الهيئة العلمية الاستشارية

من داخل الجزائر

أ.د/ الطاهر سعدالله	(جامعة الوادي)	د/ جمال بلفردى	(جامعة الوادي)
أ.د/ اسماعيل العيس	(جامعة الوادي)	د/ السعيد شالقة	(جامعة الوادي)
أ.د/ قمعون عاشوري	(جامعة الوادي)	د/ شوقي ممادي	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي آجقو	(جامعة بسكرة)	د/ لامية بويبيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ مبخوت بودواية	(جامعة تلمسان)	د/ فوزي لوحيدي	(جامعة الوادي)
أ.د/ الشايب قدادرة	(جامعة قالمة)	د/ سلاف مشري	(جامعة الوادي)
أ.د/ محمد رشيد بوغزالة	(جامعة الوادي)	د/ لزهو ظيف	(جامعة الوادي)
د.عبد القادر مهاوات	(جامعة الوادي)	د/ عبد الفتاح السعيدى	(جامعة الوادي)
أ.د/ علي عنابزيرة	(جامعة الوادي)	د/ الطاهر بالنوي	(جامعة الوادي)
د/ رشيد خضير	(جامعة الوادي)	د/ موسى بن موسى	(جامعة الوادي)
د/ عبد الفتاح ابي ميلود	(جامعة ورقلة)	د/ رضوان شافو	(جامعة الوادي)
د/ محمد السعيد عقيب	(جامعة الوادي)	د/ م.عبد الرؤوف ثامر	(جامعة الوادي)
د/ محمد رشدي جراية	(جامعة الوادي)		

من خارج الجزائر

أ.د/ عبد الكريم الماجري	(جامعة منوبة - تونس)
أ.د. نجيب بن خيرة	(جامعة الشارقة - الامارات)
د/ محمد الامين ولد آن	(جامعة حايل - السعودية)
د/عمر زعل السعودي	(الجامعة الاردنية - الاردن)
د/عبد الواحد عبد السلام شعيب	(جامعة طرابلس - ليبيا)
د/ ساعد ساعد	(جامعة الملك خالد - السعودية)



شروط و قواعد النشر بمجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية

- أن يكون الباحث حاصلًا على درجة الماجستير على الأقل، أو مسجلًا في الدكتوراه، ويُرفق مشروع مقاله ببيان سيرته الذاتية.
- ألا يكون المقال تلخيصًا لمذكرة أو أطروحة جامعية.
- أن تتضمن مقدمة البحث طبيعة الموضوع وأهميته وأهدافه وأشكالته ومناهج البحث المعتمدة والفرضيات والدراسات السابقة
- يُرَوِّد المؤلف مقاله بملخصين أولهما بلغة المقال والثاني بلغة أجنبية، وألا يتجاوز الملخص 100 كلمة، ويُروِّد كذلك بخمسة كلمات مفتاحية
- أن لا يقل عدد صفحات البحث عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة مكتوبة بخط Traditional Arabic مقاس 16 وتباعده 1 سم.
- يكون التمهيش وفقًا لأسلوب يسمى بالـ APA Style أي مباشرة بعد الاقتباس أو الاستشهاد أو الاحالة يكتب بين قوسين: (اسم شهرة صاحب النص والحرف الاول من الاسم الثاني، سنة النشر، رقم الصفحة)، مثال: (شافور، 2015: 35)
- توضع الشروحات والتعليقات في آخر المقال قبل قائمة المصاح والمراجع، ويشار إليها في المتن (انظر التعليق رقم؟)
- توثيق المصادر والمراجع في نهاية البحث وترتب ترتيبًا إيجديًا وفقًا لأسلوب APA Style على الشكل التالي:
- ✓ **الكتاب:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر). عنوان الكتاب (ط. ثم رقم الطبعة إن وجد). مكان النشر: الناشر. مثال: غنابزية، علي. (2015). الشيخ محمد بن عمر العدواني: حياته ومآثره (ط. 1). الوادي: مطبعة الرمال.
- ✓ **مقالة من مجلة أو دورية:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر، اليوم إن وجد ثم الشهر إن وجد). عنوان المقالة. عنوان المجلة مع وضع خط تحته، رقم المجلد إن وجد (رقم العدد)، رقم صفحة البداية-رقم صفحة النهاية. مثال: هويدي، عبد الباسط. (جوان 2015). الدور الاجتماعي للمدرسة الجزائرية ومكانة الطفل المهام الاجتماعية: الصعوبات والعوائق. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (5)، 109-114.
- ✓ **مقالة من جريدة يومية:** الاسم الأخير، الاسم الأول. (سنة النشر، اليوم الشهر). عنوان المقالة. اسم الصحيفة مع وضع خط تحته، رقم العدد، ص. رقم صفحة البداية-رقم صفحة النهاية. مثال: شافور، رضوان. (4، 2013 جوان). بسالة الجيش الجزائري في الحروب العربية الإسرائيلية لازالت ترعب إسرائيل. الجديد اليومي، 482، ص 2-3.
- ✓ **مقالة منشورة على الانترنت:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (سنة نشر المقالة، اليوم الشهر). عنوان المقالة مع وضع خط تحته. أسترجمت في تاريخ اليوم الشهر، السنة من الموقع الإلكتروني: <http://www>.
- مثال: صادق، قيس. (2001، 25 أبريل). عنف أو لا عنف: مفاهيم ومواقف حول ظاهرة العنف ضد المرأة. أسترجمت في تاريخ 30 سبتمبر، 2002 من <http://www.amanjordan.org/sadeq.htm>
- ✓ **بحث في أعمال ملتقى أو مؤتمر:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (تاريخ الانعقاد). عنوان البحث أو المقالة مع وضع خط تحته. قُدِّم إلى اسم الندوة أو المؤتمر، مكان الانعقاد
- مثال: عاشوري، قمعون. (2014، 17-18 ماي). علاقة تدوين التاريخ المحلي بالتراث الشفوي. بحث مقدم في الملتقى السابع حول التراث الثقافي، مديرية الثقافة لولاية الوادي، الجزائر.
- ✓ **رسائل الماجستير أو الدكتوراه:** الاسم الأخير للمؤلف، الاسم الأول. (سنة النشر). عنوان الرسالة مع وضع خط تحته. نوعها، اسم الجامعة، مكان النشر
- مثال: بن موسى، موسى. (2006). الحركة الإصلاحية بوادي سوف: نشأتها وتطورها 1900-1939. رسالة ماجستير، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر.
- تخضع جميع المشاريع المقترحة لفحص علمي دقيق سري من قبل هيئة خبراء استشارية وقرارها غير قابل للنقض، ولا يمكن إجراء أي خطوة لنشر المقال قبل صدور قرار إيجابي.
- يتحمل مؤلف المقال مسؤولية إجراء كافة التعديلات المطلوبة من هيئة الخبراء أو من فريق التحرير لنشر المقال.
- ترسل جميع البحوث والدراسات إلى العنوان الإلكتروني للمجلة: Courriel : elbaheth@univ-eloued.dz

كلمة المد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه اجمعين ،ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، اللهم أخرجنا من ظلمات الوهم، وأكرمنا بنور الفهم ، وافتح علينا بمعرفة العلم، اما بعد:

هاهي مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية في عددها الحادي عشر (11) تواصل مسيرتها العلمية، وقد جاء هذا العدد متزامنا مع حصول المجلة على معامل التأثير العربي لعام 2017 قدره 0.51، ويعتبر هذا المعامل تنويجا للاحترافية العلمية التي تتميز بها مجلتنا، وترقيةً لجامعة الشهيد حمه لخضر، التي عرفت في السنوات الاخيرة تطورا علميا وبيداغوجيا لم تشهده من قبل، وهذا بفضل جهود طاقمها الاداري والعلمي برئاسة البرفسور عمر فرحاتي .

واني من هذا المنبر العلمي ونيابة عن زملائي في رئاسة التحرير واللجنة العلمية الاستشارية للمجلة اقدم كل التقدير والاحترام والافتخار بما يقدمه الرئيس الشرفي للمجلة ومدير جامعة الوادي من جهود في سبيل تطوير وترقية البحث العلمي.

رئيس التحرير د.رضوان شافو



قائمة المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
❖ كلمة العدد	06
❖ الدراسات السابقة في البحث العلمي.....	09
د. بلال بوترة (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)	
❖ دور تطوير التدريب في مدارس تعليم السياقة في ضمان السلامة المرورية.....	17
أ. عبد الكريم رحالي (جامعة الجزائر-2- الجزائر)	
❖ إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة كما تدركها طالبات الجامعة و علاقتها بالأمن النفسي.....	34
د. برغوتي توفيق، أ. بونوفة نهي (جامعة باتنة-1- الجزائر)	
❖ بعض المشاكل والفخاخ في العلاقة العلاجية.....	48
د. مراد يعقوب (جامعة غرداية - الجزائر)	
❖ مفهوم صعوبات التعلم كمشكلة أكاديمية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي.....	62
د. نوال بناي (جامعة الجيلالي بونعامة بخميس مليانة- الجزائر)	
❖ دور التربية الإعلامية في مواجهة سلبيات الإعلام على الطفل.....	77
أ. ريحة نبار (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي)،	
❖ التربية القيمية على استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال من منظور "البراديجم القيمي".....	89
د. احمد عبدلي، أ. جلييلة ساسي (جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية-قسنطينة - الجزائر)	
❖ منتديات الدردشة الالكترونية ودورها في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري :دراسة في دوافع الاستخدام و الإشباع المتحققة لمنتدى فايسبوك (FACEBOOK).....	99
د. رضوان بلخيري، أ. سارة جابري (جامعة العربي التبسي - تبسة - الجزائر)	
❖ فن الإقناع في المقال الصحفي: مقارنة تحليلية للمقال الافتتاحي.....	115
د. محمد بركان (جامعة وهران 1-احمد بن بلة - الجزائر)	
❖ إستخدامات أساتذة علوم الإعلام والاتصال لشبكات التواصل الاجتماعي بجامعات وهران، مستغانم، أدرار.....	131
د. احمد مولاي (الجامعة الإفريقية بأدرار-الجزائر)	

- ❖ جون روجرز سيرل و السؤال المركزي في الفكر الفلسفي المعاصر..... 152
✍ د. آسيا واعر (الظاهر جامعة باجي مختار بعنابة - الجزائر)
- ❖ محلّ الحكم وأثره على صفة الحكم واختلاف الفقهاء..... 164
✍ د. مريم عمار عطية (جامعة الملك خالد أبها - المملكة العربية السعودية)
- ❖ جذور مبدأ الاستقلال لدى النخبة الوطنية التونسية في جامع الزيتونة ما بين 1881 - 1920م..... 178
✍ أ. د. علي غنابزية، أ. هاشم كوثر (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)
- ❖ الازدهار الاقتصادي لبلاد الشام في العصر الأموي 40 هـ - 132 هـ..... 194
✍ أ. بشرة بن دراجي (جامعة باتنة-1 - الجزائر)
- ❖ المرسوم المشيخي 22 أبريل 1863 في الجزائر و المواقف المختلفة منه..... 207
✍ د. نورالدين ايلال (جامعة البليدة- العفرون - الجزائر)
- ❖ الرواية الشفوية وموقعها من التاريخ المحلي..... 220
✍ د. موسى بن موسى (جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر)
- ❖ مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا..... 232
✍ د. عثمان منادي (جامعة سوق اهراس - الجزائر)
- ❖ اثر المدرسة الاهلية الفرنسية على المجتمع الجزائري اواخر القرن التاسع عشر..... 253
✍ أ. عزة الحسين (جامعة محمد لمين دباغين - سطيف 2- الجزائر)
- ❖ الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة تبسة 1930-1954..... 269
✍ أ. نصيرة براهمي (جامعة خميس مليانة - الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2017/05/07 - تاريخ التحكيم: 2017 /09/42 - تاريخ النشر: 2017/12/30

الدراسات السابقة في البحث العلمي

د. بلال بوترة

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر

ملخص

يحاول هذا المقال التطرق إلى مفهوم الدراسات السابقة في البحث العلمي وأهمية هذه الدراسات في توجيه مسار البحث إلى الوجهة المطلوبة، كما يسلط الضوء على الاستراتيجيات التي تمكن الباحث من الحصول على الدراسات السابقة التي توطر بحثه، ويقدم هذا المقال جملة من التوجيهات المنهجية التي من شأنها مساعدة الباحث في توفير التراث النظري لموضوعه في حال انعدامه أو ندرته.

الكلمات المفتاحية: الدراسات السابقة. البحث العلمي. التراث النظري

Abstract

This article will discuss the concept of previous studies in scientific research and the importance of previous studies in directing the search path to the desired destination, Also highlights the strategies that enable the researcher to obtain previous studies that frame his research, As we will try through this article to provide a set of methodological guidance that will help the researcher to provide the theoretical heritage to its subject in the case of absence or lack thereof.

Keywords: previous studies, scientific research, theoretical heritage

تمهيد:

تعتبر مرحلة الاطلاع على الدراسات السابقة في البحث العلمي مرحلة مهمة جدا تمكن الباحث من الاطلاع على التراث المنشور عن الموضوع الذي ينوي دراسته، هذه المرحلة لها من المكاسب ما يجعل التركيز على عليها مطلبا مهما لنجاح البحث وانجازه، حيث تمكن الباحث من وضع أفكاره في سياقها وتحيطه علما كيف تناولت البحوث السابقة موضوعه وكيف فكر في الآخرون وكيف كتبوا عنه، ومن ثم تمكنه هذه الدراسات من بلورة وتنظيم أفكاره للانطلاق في بحثه بالشكل المطلوب والأفضل لمعالجة ذلك الموضوع المدروس.

1. تعريف الدراسات السابقة:

الدراسات السابقة هي كل الدراسات المتصلة بالموضوع، مما تم نشرها بأي شكل من الأشكال بشرط أن تكون مساهمة ذات قيمة علمية، وقد يكون النشر بالطباعة أو بواسطة المحاضرات أو الأحاديث المذاعة صوتا

فقط، أو صوتا وصورة، أو تم تقديمها لمؤسسة علمية للحصول على درجة علمية أو على مقابل مادي أو مجرد الرغبة في المساهمة العلمية. (سعيد إسماعيل صيني، 1994، ص 155)

وتعتبر هذه الدراسات أحد أهم مفردات البحث التي تهدف إلى إبراز الفجوات البحثية المعرفية وما يمكن أن يساهم فيه البحث الحالي.

2. لماذا الدراسات السابقة في البحث الاجتماعي؟

إن حرص الباحث على البحث والتنقيب عن الدراسات السابقة له مبرراته العلمية التي تخدم بشكل مباشر البحث المراد إنجازه في أي مجال من المجالات العلمية، حيث تساعد هذه الخطوة الباحث على حصر انتقادي للدراسات التي أجريت حول موضوع بحثه الحالي، وتعكس هذه الخطوة أيضا أن الباحث فاهم متمكن من موضوعه ومحيط بمختلف جوانبه وأبعاده المتشعبة وكذا تحديد الفجوات البحثية والمعرفية في التراث النظري المتحصل عليه ومن ثم تسليط الضوء على هذه الفجوات البحثية ودراساتها في البحث الحالي.

3. أهمية مرحلة استطلاع الدراسات السابقة:

المعرفة العلمية هي معرفة تراكمية لا يمكنها أن تتقدم وتتطور ما لم يتم البناء الجديد انطلاقا من البناء السابق له، ومن هذا المنطلق فإن مرحلة استطلاع التراث النظري والمعرفي السابق حول موضوع البحث يعتبر من الخطوات المهمة التي يقع عاتقها على الباحث الجاد وهي دون شك خطوة مهمة في نجاح بحثه لأهمية هذا التراث النظري في فهم موضوع بحثه وهوما سنفصل فيه في الأسطر القادمة.

تعتبر هذه المرحلة (استطلاع الدراسات السابقة) هامة مرتين (عقيل حسين عقيل، د س، ص 34 35):

الأولى: قبل أن يحدد الباحث موضوع بحثه، أي أثناء الحيرة التي تمتلكه حين يقرر دراسة موضوع معين، فكلما كان الاستطلاع واعيا بالقراءة النقدية، وتفسير النتائج والمعلومات المتوصل إليها من قبل سابقه من خلال شكه العلمي والسعي للبحث عن الحقيقة، كلما استطاع الباحث أن يحدد معالم حدود بحثه بدقة واتضحت معالمه.

الثانية: على الباحث الانتباه إلى جملة الهفوات والاختلالات التي وقع فيها سابقه عند تحديد موضوع بحثه، وذلك بغية تفاديها سواء كان ذلك أثناء تجميع المعلومات، أو أثناء تحليلها وتفسيرها واستخلاص النتائج منها، فالاطلاع العام على التراث النظري السابق حول موضوع البحث له أهمية بالغة في استكمال مختلف جوانب البحث الحالي.

ونؤكد في هذا السياق على اعتبارات مهمة في هذه المرحلة الاستطلاعية للتراث النظري حول موضوع البحث نذكرها فيما يلي:

● **شمولية المراجعة:** عند استطلاع التراث النظري حول موضوع ما، على الباحث أن يقوم بمراجعة شمولية لكل ما هو متوفر من معلومات ودراسات عن الموضوع، سواء كان ذلك منشورا أو غير منشور، حيث يتطلب هذا الإجراء وقتا مطولا، خصوصا إذا كان الموضوع المدروس لم يتم التطرق له بكثرة أو أنه حديث الظهور، فالباحث يختار الدراسات السابقة اعتمادا على كونها تمثل البحوث المحورية والأساسية في المجال، والاهتمام يكون منصبا في اقناع القارئ بأن الأبحاث التي تم اختيارها تعتبر ذات أهمية مباشرة ودقيقة بالموضوع المدروس وأن بقية البحوث التي تم ابعادها ليست ذات أهمية مباشرة في الموضوع المدروس (فيصل أحمد عبد الفتاح، 2011، ص 08)

● **تنظيم المراجعة:** هناك العديد من الإجراءات التي يمكن اتباعها لتنظيم هذه الخطوة، فيمكن الاعتماد على الشكل التاريخي، هنا تكون المراجعة فيه منظمة وتقوم على اتباع التسلسل الزمني خصوصا إن كان الاعتماد في دراسة الموضوع (الظاهرة) على مقدار التقدم أو النمو أو التطور في الظاهرة عبر الزمن (فيصل أحمد عبد الفتاح، 2011، ص 09).

ويشير الدكتور سعيد إسماعيل صيني إلى بعض الاعتبارات المهمة عند استطلاع واختيار الدراسات السابقة نذكرها فيما يلي (سعيد إسماعيل صيني، 1994، ص ص 159 . 160):

1. على الباحث أن يقتصر في اختياره للدراسات السابقة (خصوصا في حال توفرها) على الدراسات البارزة ذات العلاقة المباشرة بالموضوع، غير أن معيار البروز نسبي يترك لتقدير الباحث نفسه أو اللجنة التي ستناقش العمل، فقد يتمثل معيار البروز في كون الدراسة أفردت الموضوع بعمل مستقل، أو أفردت له فصلا أو مبحثا مستقلا أو مطلبا، أما الفقرات والاشارات غير البارزة التي وردت في هذه الدراسات السابقة والتي ليست لها صلة وثيقة بالموضوع المدروس فيمكن للباحث أن يضمها في صلب بحثه، وتظهر هذه الفقرات المتناثرة - عادة - في شكل اقتباسات مباشرة أو يستشهد بها الباحث على استنتاجاته أو يؤلف منها خيوط بحثه.

2. في حال غزارة الدراسات والمعلومات ذات الصلة بالموضوع من الدرجة الأولى من حيث الصلة بمشكلة البحث، فإن الباحث يقتصر عليها عن استعراض الدراسات والمعلومات، ويستغني في مقابل ذلك على الدراسات والمعلومات من الدرجة الثانية من حيث الصلة بمشكلة البحث، ويمكن للباحث أن يدرج ما استبعده من هذه الدراسات ذات الدرجة الثانية ضمن المادة العلمية في بناء بحثه.

3. الاقتصار على نتائج الدراسات السابقة وتجاهل الأدلة والبراهين التي يذكرها الباحثين السابقين، خصوصا إذا كان المبرر للبحث المقترح هو وجود جوانب من المشكلة لا تزال في حاجة إلى الحل أو التأكد أو الإضافة، أما تلك الأدلة أو البراهين فيمكن ذكرها والاعتماد عليها في صلب البحث.
4. استراتيجية البحث عن الدراسات السابقة: يؤكد جميع علماء المنهجية على أن للدراسات السابقة أهمية كبيرة في نجاح البحث وتحديد وضبط أبرز معالمه ومن ثم فهم الظاهرة المدروسة وهو ما سنشير إليه في الأسطر القادمة من هذه المقالة، لذا لا بد من الحديث عن الاستراتيجيات المناسبة للبحث عن هذه الدراسات بمختلف أشكالها، وفي الغالب فإن الباحثين سيكونون صنفين:

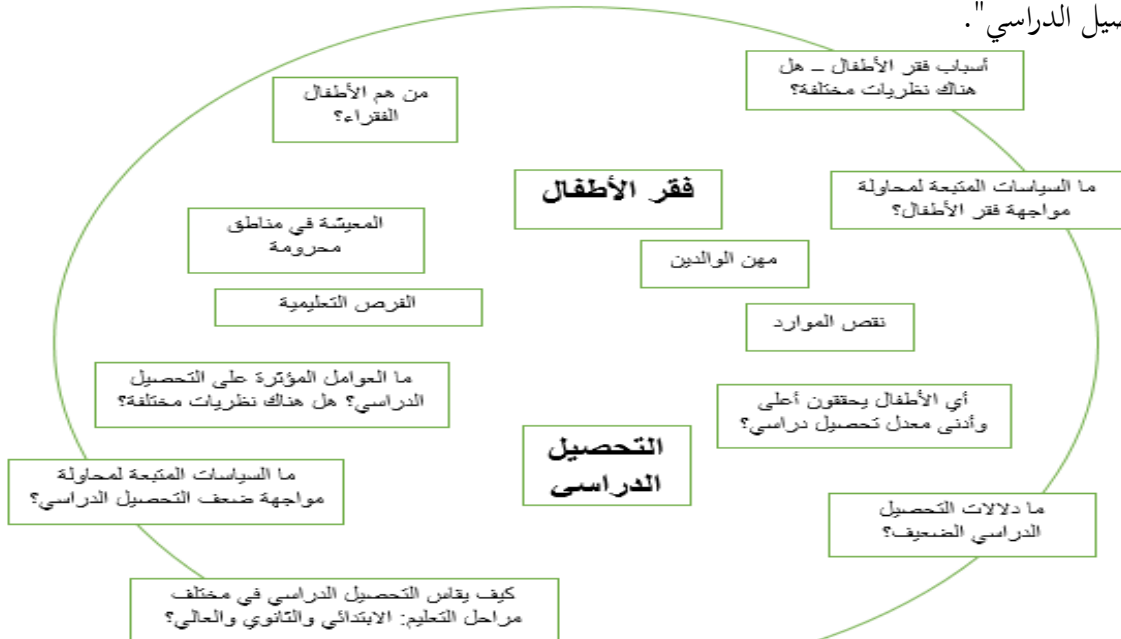
■ الأول: يجدون وفرة كبيرة للدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع يكون الباحث في حيرة من أمره أيها يختار في دراسته.

■ الثاني: يقع في مشكلة ندرة الدراسات السابقة ذات الصلة بالموضوع

في كلا الحالتين على الباحث أن يكون حريصا جدا على اختيار الدراسات ذات الصلة المباشرة والأقرب لموضوع البحث ويستبعد غيرها، حيث يقترح كل من بوب ماتيز و ليز روس استراتيجية لتحقيق هذه الغاية من خلال رسم شكل تخطيطي عنكبوتي لمختلف عناصر الموضوع المدروس التي سيغطيها البحث، فلو كان موضوع الدراسة مثلا " العلاقة بين فقر الطفولة و التحصيل الدراسي".

في هذه الدراسة يجب على الباحث أن يراجع بدقة بعض الدراسات السابقة المتعلقة بفقر الأطفال والتحصيل الدراسي كل على حدا مبدئيا، وربما هذا الإجراء يحتاجه غالبا الباحث الذي يجد ندرة في إيجاد الدراسات السابقة لبحثه، ومن خلال الشكل الموالي سيتضح هذا الشرح:

يتضح من خلال الشكل الآتي أن الموضوعات المتواجدة على حافة الدائرة هي ذات صلة بالموضوع وستزود الباحث بالخلفية العامة لاستعراض التراث، بينما تمثل الموضوعات القريبة من مركز الدائرة عناصر موضوع البحث التي يتعين على الباحث التركيز عليها عندما يشرع في تأمل العلاقة بين عنصري البحث " فقر الطفولة" و " التحصيل الدراسي".



المصدر: بوب ماتيويز. ليز روس. الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. ترجمة: محمد الجوهري. المركز القومي للترجمة. ط1. 2016. ص: 237

إن البحث عن الدراسات السابقة يزداد تركيزا وتحديدا ودقة كلما تقدم مسارها وكلما زادت درجة وضوح الأسئلة البحثية التي انطلق منها الباحث، فكثير من البحوث التي ينطلق منها بعض الباحثين تكون شديدة الاتساع والعمومية في البداية، لتبدأ في التحديد أكثر والدقة والضبط كلما تقدم الباحث في الموضوع وتحصل على دراسات سابقة ذات صلة بالموضوع، فلو عدنا إلى المثال السابق مثلا "فقر الطفولة" "التحصيل الدراسي" قد يقرر الباحث اقتصار دراسته على مرحلة واحدة من مراحل التعليم في الابتدائي أو الثانوي أو العالي (بوب ماتيويز، ليز روس، 2016، ص 234 . 236).

إن القراءة المتعمقة حول ما كتب حول موضوع البحث وخلفياته انطلاقا من معلومات الباحث الأولية تعتبر خطوة مهمة للحصول على دراسات ذات صلة بالموضوع، فلو كان الباحث بصدد دراسة موضوع قضايا البيئة في المنهاج التعليمي، فيبدأ بقرائات حول الموضوع والاطلاع على المناهج الدراسية وقراءة بعض المقالات عن التربية البيئية، فمن خلال هذه الخطوة سيبدأ يظهر للباحث تدريجيا بعض خفايا الموضوع وسيتعرف تدريجيا على أبرز الكتاب والباحثين والمراكز البحثية التي كتبت عن التربية البيئية وقضايا البيئة في المنهاج التعليمي، ويمكنه بذلك الحصول على الدراسات والأبحاث التي أجراها هؤلاء الباحثين أو تلك المراكز البحثية والمجلات العلمية والعالمية المحكمة، خصوصا تلك التي لها مواقع الكترونية عبر النت وتتيح تحميل أعداد مجلاتها بشكل الكتروني مما يسهل على الباحث عناء الحصول على دراسات ذات صلة بموضوع بحثه.

كما يمكن للباحث أيضا التوجه إلى مختلف المكتبات العامة المحلية منها والوطنية وحتى الدولية من أجل الحصول على دراسات ذات صلة بموضوع البحث، وبعض هذه المكتبات تعرض خدماتها عن طريق الشبكة العنكبوتية حيث يمكن الوصول إلى قاعدة بياناتها، ويمكن الاعتماد على الانترنت من خلال البحث في محركات البحث المختلفة باستخدام الكلمات المفتاحية لموضوع البحث ليتم العثور على مختلف الكتب والمجلات والرسائل والأطروحات التي لها صلة بموضوع الدراسة.

ولا يجب أن يقتصر الباحث على هذه المصادر فحسب للحصول على دراسات سابقة حول موضوعه، بل يمكنه أن يتواصل مع الأساتذة والباحثين والخبراء في المجال خصوصا أولئك الذين كتبوا في الموضوع وبحثوا فيه، حيث

تمكنهم خبرتهم ومجال اختصاصهم من توجيه الباحث إلى مصادر الحصول على دراسات وأبحاث تفيده في موضوع بحثه الحالي.

5. أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي:

إن نجاح البحث وتحقيق أهدافه المرسومة سلفا مرهون بمدى اهتمامنا ونجاحنا في إعطاء أهمية للبحث عن دراسات سابقة توجه وتضبط الموضوع الذي نحن بصدد دراسته، ويمكننا في النقاط الآتية ذكر بعضا من أهمية الدراسات السابقة في البحث العلمي:

- التأكد من عدم تطرق الدراسات السابقة للمشكلة من الزاوية نفسها، وبالمنهج نفسه، أو التأكد من وجود قصور بها من حيث المضمون أو المنهج، يستوجب إعادة البحث أو مزيدا من الجهود البحثية، فالقصور في المنهج قد يؤدي إلى نتائج خاطئة، والقصور في المضمون يعني وجود جوانب للموضوع لا تزال في حاجة إلى البحث بالإضافة أو التعديل، وهذا بالتالي قد يؤدي إلى البرهنة على أهمية البحث المقترح وجدوى تنفيذه (سعيد إسماعيل صيني، 1994، ص 154).
- تساعد الدراسات السابقة الباحثين من خلال الرجوع إلى النظريات ذات الصلة في وضع أسئلتهم من منظورهم، وأن يقرروا مدى ما يضيفه مسعاهم هذا من معرفة لدراسات عدة، كون المعرفة تراكمية، والباحث هنا يعود إلى الأدب التربوي كي يجد ارتباط بين دراسته والمعرفة التراكمية في مجال اهتماماته، فالدراسات التي لا ترتبط مع المعرفة الموجودة نادرا ما تضيف أية مساهمات إلى حقل الدراسة أو مجالها، فالدراسات كهذه عبارة عن أجزاء صغيرة من المعلومة (منذر الضامن، 2006، ص 87).
- يعرف الباحث بالصعوبات التي وقع فيها الباحثون الآخرون وماهي الحلول التي توصلوا إليها لمواجهة تلك الصعاب ومن ثم يتجنب الوقوع في الأخطاء التي وقع فيها الآخرون كما تزود الباحث بالعديد من المراجع والمصادر المتعلقة بموضوع بحثه، حيث غالبا ما تحتوي تلك الدراسات على بعض التقارير الهامة أو الوثائق الهامة التي لم يطلع عليها الباحث بعد (محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص 93).
- تساعد الباحث في تحديد الإطار النظري لموضوع بحثه وتعديل هذا الإطار بحسب المستجدات البيئية التي قد تفرض أحيانا بعض التغيير في الأسس النظرية والفرضيات التي تقوم عليها الدراسة العلمية، كما أن الدراسات السابقة تساعد الباحث في تكوين أفكار واضحة لما يجب أن يقوم به وذلك من خلال تحديد الأبعاد والتي تتطلب تركيزا أكبر بالمقارنة مع تلك الأبعاد التي تحتاج تركيزا أقل نظرا لضعف أهميتها، كما يساعد هذا الأمر على تحديد المنهجيات الأكثر ملاءمة لاتباعها في هذا البحث أي أنها تساعد في

تحسين قدرة الباحث على كتابة مشكلة بحثه بمزيد من الدقة والوضوح (محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي، ص 94).

■ تساعد الدراسات السابقة الباحث بتحديد المنهج المناسب للدراسة ومعرفة إيجابيات كل منهج من هذه المناهج حسب ملاءمته لموضوع البحث الحالي مقارنة بما استخدم في دراسات سابقة، كما تساعد الدراسات السابقة الباحث في بناء استمارة بحثه أو تصميم شبكة ملاحظته أو دليل مقابلته من خلال إيجاد بعض فقرات هذه الأدوات، كما تساعد هذه الدراسات الباحث في تحديد مفاهيم بحثه وصياغة التعريفات الإجرائية.

6. انعدام الدراسات السابقة:

الباحث الجاد لا شك أنه يبذل قصارى جهده بغية الوصول إلى الدراسات السابقة التي تؤطر وتوجه الموضوع المراد دراسته غير أن خصوصيات بعض المواضيع تجعل من تحقيق هذا الاجراء أمر غاية في الصعوبة، فبعض المواضيع والمشكلات البحثية تعرف ندرة في التناول.

في هذا السياق وجب التنبيه على أمر مهم وهو أن الباحث عليه تفادي قدر الإمكان استخدام عبارات مثل " ليس هناك دراسات سابقة " أو " لا يوجد دراسات تناولت الموضوع " أو " تنعدم الدراسات السابقة في هذا الموضوع " وغيرها من العبارات التي تفيد هذا المعنى، فلا يحمل الباحث نفسه مسؤولية النفي ابتداء (أحمد إبراهيم خضر، 2013، ص 160).

قد تنعدم الدراسات السابقة التي تتناول مشكلة الدراسة الحالية سواء السابقة أو المشابهة، لكن هذا الانعدام نسبي، ومن ثم وجب بذل جهود أكثر للبحث في التراكم المعرفي وفي خلفية المشكلة وذلك على النحو الآتي:

✓ **الخلفية العامة الموضوعية والخلفية النظرية:** يطلع الباحث على الموضوعات القريبة من موضوعات بحثه في حدود المجال أو الحقل العام الذي يندرج تحته البحث، مثلا موضوع الانحراف يبحث عن دراسات في مواضيع العنف، العدوان، الضبط الاجتماعي وهكذا.

✓ **الخلفية العامة الزمانية:** يتجه للبحث في حدود الأحداث السابقة للفترة الزمنية التي يريد الباحث دراستها.

✓ **الخلفية العامة المكانية:** تكوين فكرة عامة عن تطور المشكلة في المجتمعات المماثلة والقريبة ثم البعيدة عن المجتمع قيد الدراسة.

7. كم نحتاج من دراسات سابقة؟

يذهب بعض علماء المنهجية بأنه ليس هناك إجابات محددة أو قواعد ثابتة تبين عدد الدراسات السابقة التي يجب أن يراجعها الباحث، ولكن هناك مبادئ عامة على الباحث اتخاذ قرار بتحديد العدد منها:

1. أن يجري الباحث مسحاً شاملاً عاماً على كل ما تحصل عليه مما له صلة بمشكلة بحثه.
2. أن يفاضل بين ما تحصل عليه من دراسات من حيث:
 - قريها أو بعدها من المجال الموضوعي لمشكلة البحث.
 - قريها أو بعدها من المجال المكاني لمشكلة البحث.
 - قريها أو بعدها من المجال الزماني لمشكلة البحث.
 - حداثة وقدم الدراسات إلا للضرورة.

قائمة بالمراجع المعتمدة:

1. صيني، سعيد اسماعيل. (1994) قواعد أساسية في البحث العلمي. (ط1). مؤسسة الرسالة.
2. عقيل حسين عقيل. (دت) فلسفة مناهج البحث العلمي. مكتبة مدبولي.
3. عبد الفتاح فيصل أحمد. (2011) تقييم جودة الدراسات السابقة في الرسائل الجامعية. ورقة مقدمة في الملتقى العلمي الأول حول تجويد الرسائل والأطروحات العلمية وتفعيل دورها في التنمية الشاملة والمستدامة. جامعة نايف للعلوم الأمنية. السعودية
4. بوب ماتيزوس. ليز روس. (2016). الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية. ترجمة: محمد الجوهري. (ط1). المركز القومي للترجمة.
5. منذر الضامن، منذر. (2006). أساسيات البحث العلمي. عمان: دار المسيرة
6. محمد عبد الفتاح حافظ الصيرفي. (دت). البحث العلمي الدليل التطبيقي للباحثين. الأردن: دار وائل للنشر
7. خضر، أحمد إبراهيم. (2013). إعداد البحوث والرسائل العلمية من الفكرة إلى الخاتمة. جامعة الأزهر

تاريخ الاستلام: 2016/10/08- تاريخ التحكيم: 2017/06/02 - تاريخ النشر: 2017/12/30

دور تطوير التدريب في مدارس تعليم السياقة في ضمان السلامة المرورية

أ. عبد الكريم رحالي

(جامعة الجزائر-2- الجزائر)



ملخص:

تعرف حركة المرور بالجزائر تعازما في عدد المركبات، وتغيرا في السلوك القيادي للجيل الجديد من السائقين مما جعل الحظيرة الوطنية تشهد مجموعة من المشكلات المتداخلة، وأخطرها الحوادث التي تكون وراء تسجيل حالات من الوفيات والتي بلغت في السنوات الأخيرة معدلا غير مسبوق، ما يستدعي دراستها من جميع جوانبها ورسم الاستراتيجيات الكفيلة بتكوين سائقين على قدر الحال من الثقافة المرورية، باعتبار العنصر البشري له الدور الأكبر في السلامة المرورية ومنه فإن تعليمه وتدريبه السلوكيات الوقائية يصبح من أولويات مدارس تعليم السياقة ومن واجباتها .

مع العلم أن الجهود المبذولة من طرف الدولة من حملات توعية لا تكفي لوحدها، ويعتبر السائق هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله حوادث السير، وقد دلت الإحصائيات أن 85% من هذه الحوادث تقع بسبب السائق، إذ أن قيادة المركبة فن له أصوله وعلم له قواعده، لهذا نجد كثيرا من الحوادث ترجع إلى عدم اتباع السائق لأصول القيادة أو عدم إلمامه بقواعد وآداب المرور كمدلول اللوحات والإشارات الضوئية والخطوط الأرضية.

وللكشف عن المتغيرات المؤثرة في حوادث المرور ونسبة المشاركة فيها من خلال التركيز على بعض المتغيرات المؤثرة في حوادث المرور كالإنسان ينبغي الرجوع إلى النظريات المختلفة في تفسيرها لهذه الظاهرة لإطلاق حملات تحسين مستوى السلامة المرورية لأهميتها في زيادة الوعي بمخاطر الحوادث وصوغ الاستراتيجيات على النحو المناسب للحد من أعداد الضحايا، مما يتطلب إعادة النظر في أساليب التدريب النظرية والعملية، والوقوف على سلبياتها بهدف تطوير أساليب حديثة تضاهي المعايير العالمية الخاصة بالسلامة المرورية، وشروط فتح مدارس تعليم السياقة، ومضمون برامجها، ومدى امتلاكها للوسائط التعليمية الحديثة.

ومما سبق الإشارة إليه تأتي الضرورة الملحة لطرق هذه المواضيع ودراستها دراسة وافية سواء تعلق الأمر بواقع ومستوى البرامج التدريبية في مدارس تعليم السياقة، أو مدى الحرص على السلامة المرورية أثناء فترة التدريب.

الكلمات المفتاحية: التدريب، مدارس تعليم السياقة، حوادث المرور، السلامة المرورية..

Abstract:

The training in Driving Schools has extremely important to trainers to get on the theoretical knowledge and Sensorimotor skills needed to drive a vehicle on the one hand, and traffic safety for road users on the other hand, so that the driving art form has its origins and taught him the rules, and as the human race has played a major role in traffic safety the educated and trained preventive behaviors become a priority for schools and driving duties.

And Algeria occupies fourth rank in the world in terms of number of the traffic accidents, as it recorded the highest rate in the world in terms of number of accidents, according to the report published by the Algerian Ministry of

Transport, which reported that the number of traffic accidents recorded in Algeria more than 12 times as recorded in Italy and 13 times what records in the United States and 10 times that recorded in France, which poses a threat to life and property, which requires examination of all aspects and draw strategies to configure drivers as much as the case of traffic culture through the development of training programs and the system of granting driver's licenses in the schools of driving.

From the above mentioned comes the urgency of these issues and ways to study and thoroughly study whether it is by the level of training programs in the driving Schools, or how to ensure traffic safety during the training period.

Key words: Training, driving schools, traffic accidents, traffic safety

مقدمة

تأتي أهمية التركيز على تدريب الراغبين في الحصول على رخص السياقة في مدارس تعليم السياقة من الهدف منه، حيث يسعى التدريب إلى إكساب المتربص معارف ومهارات حسية وحركية يصبح من خلالها المعني بالتدريب قادرا على ضمان أداء ناجح عند القيام بمهام وعمليات أدائية محددة إذ أن قيادة المركبة فن له أصوله وعلم له قواعده، ويشترط أن يكون الطابع العملي هو السائد، مما سيرفع قدرات المتدرب ومهاراته، وتساهم دراسة وتطوير الاستراتيجية الوطنية ممثلة في السياسات والأهداف والغايات المتعلقة بالسلامة المرورية في تحسين النظم الوطنية الخاصة بها وكذلك عملية إدارتها وتطبيقها، وتوفير التكوين الفعال وبناء برامج التدريب الحالية والمستقبلية في مدارس تعليم السياقة بما يضمن السلامة على الطرق.

وباعتبار العنصر البشري له الدور الأكبر في السلامة المرورية فإن تعليمه وتدريبه السلوكيات الوقائية يصبح من أولويات مدارس تعليم السياقة ومن واجباتها، وقد أوضحت نتائج دراسة أجريت لتقويم مدارس قيادة السيارات بالمملكة على أن منهج مدارس تعليم قيادة السيارات في المملكة لا يحتوي على مقررات تفي بالسلامة المرورية كأنظمة ولوائح المرور، وتعليمات وآداب السير والمخالفات الشائعة والعقوبات المتعلقة بها، كما جاء في نتائج الدراسة أن المدارس تركز على المهارات الحركية المتعلقة بإتقان القيادة عند إجراء الاختبار العملي ولا يشمل ذلك أي أسلوب لكشف العادات السلوكية الخاطئة المتعلقة بمهارة القيادة (السيف خالد وآخرون، 1414 هـ).

ومما سبق الإشارة إليه تأتي ضرورة الملحة للتطرق إلى مثل هذه المواضيع ودراستها دراسة وافية سواء تعلق الأمر بواقع ومستوى البرامج التدريبية في مدارس تعليم السياقة أو بنظم الامتحانات للحصول على رخص السياقة، ومدى الحرص على السلامة المرورية أثناء فترة التكوين.

1- نظرة تحليلية لحوادث المرور في الجزائر:

تعرف حركة المرور بالجزائر تعازما في عدد المركبات، وتغيرا في السلوك القيادي للجيل الجديد من السائقين مما جعل الحظيرة الوطنية تشهد مجموعة من المشكلات المتداخلة يعتبر فيها العامل البشري الأساس المحرك، وأخطرها الحوادث التي تكون وراء تسجيل حالات من الوفيات والتي بلغت في السنوات الأخيرة معدلا غير مسبوق، مما يشكل خطرا على الأرواح والممتلكات ما يستدعي دراستها من جميع جوانبها ورسم الاستراتيجيات الكفيلة بتكوين سائقين على قدر الحال من الثقافة المرورية، ومن ثم فإن المقال يركز على مقارنة سيكو اجتماعية تستهدف الوقوف عند أبعاد واتجاهات السائقين المعرفية والانفعالية و السلوكية.

حيث تخلف حوادث السير في الجزائر 13 قتيلا و 173 جريحا كل يوم في المتوسط، أي بمعدل 4500 قتيل سنوياً و 3500 مصاب بعاهات مستديمة، ويشير المؤشر الزمني للحوادث المرورية عام 2004 إلى أن:

- كل 7.5 دقيقة يقع حادث مروري.

- كل 36 ساعة يقتل طفل في حادث مروري.

- كل ساعتين يسقط شخص جريح أو مصاب في حادث مروري.

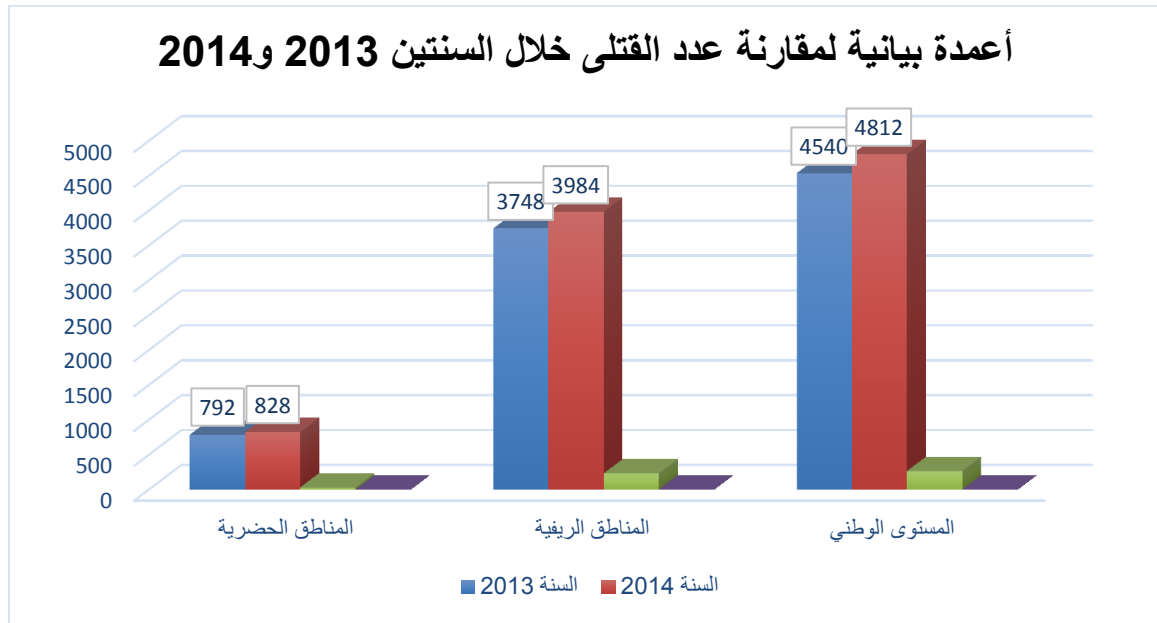
- كل 11 ساعة يقتل شخص في حادث مروري.

(موقع المعهد المروري على الأنترنت: www.jti.jo).

ويمكننا أن نستدل عما ينتج من أضرار وخسائر خاصة في الأرواح من جراء هذه الحوادث بما يوضحه الجدول التالي:

جدول رقم (01): مقارنة عدد القتلى خلال السنتين 2013 و 2014

المستوى الوطني	المناطق الريفية	المناطق الحضرية	
4540	3748	792	السنة 2013
4812	3984	828	السنة 2014
272	236	36	الفارق
5.99	6.3	4.55	النسبة (%)



الشكل رقم (01): التمثيل البياني لعدد القتلى خلال السنتين 2013 و2014.

المصدر: إحصاءات المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق (2014)، وزارة النقل، الجزائر

يلاحظ من خلال المعطيات الموضحة في الجدول رقم (01) أن عدد قتلى حوادث المرور خلال السنة 2013 بلغ 4540 قتيلا، منها 792 قتيلا داخل المناطق الحضرية، 3748 قتيلا في المناطق الريفية، وبلغ عدد قتلى حوادث المرور خلال السنة 2014: 4812 قتيلا، منها 828 قتيلا داخل المناطق الحضرية، و3984 قتيلا في المناطق الريفية.

1-1- موقع الجزائر في حوادث المرور:

تحتل الجزائر المرتبة الرابعة في العالم من حيث عدد حوادث المرور، إذ سجلت الجزائر أعلى نسبة في العالم من حيث حوادث المرور وفقا للتقرير الذي نشرته وزارة النقل الجزائرية والذي أفاد أن عدد حوادث المرور المسجلة في الجزائر يفوق 12 مرة ما يسجل في ايطاليا و13 مرة ما يسجل في الولايات المتحدة الأمريكية و10 مرات ما يسجل في فرنسا، كما أن أثرها لا يقتصر على الفرد وحده فقط وإنما يمتد إلى عائلته، ولهذا فقد سميت بالحوادث الاجتماعية وخاصة أنها بصورتها الحالية جديدة على المجتمعات الحديثة ولم تظهر إلا نتيجة لتقدم وتطور الحياة في المجتمع وخدمته، ولقد أثبتت الدراسات الإحصائية في الوطن ارتفاع نسبة حوادث المرور في الجزائر بحيث أصبحت تشكل في ذاتها مشكلة جسيمة لا يستهان بها ولا تقتصر خطورتها على الازدياد الكبير والمخيف في عددها وإنما فيما يترتب عليها من نتائج سلبية وغير مرغوبة.

وتؤكد كل من منظمة الصحة العالمية والبنك الدولي على أن حوادث الطرق هي ثاني الأسباب الرئيسة للوفاة بين سكان العالم، خاصة بين المرحلة العمرية من (5-29) سنة، كما أنها السبب الرئيس الثالث للوفاة

بين سكان العالم في المرحلة العمرية من (30-44) سنة، وتقتل حوادث الطرق حوالي 1,2 مليون نسمة سنوياً، وتؤدي إلى إصابة وإعاقة ما بين 20 مليون إلى 50 مليون نسمة على مستوى العالم، وبحلول عام 2020 يتوقع أن تزيد نسبة الوفيات بسبب حوادث المرور حوالي 80% في البلدان ذات الدخل المنخفض والمتوسط، وتقدر تكلفة الإصابات الناجمة عن حوادث الطرق في البلدان النامية بحوالي 65 مليار دولار سنوياً، وهذا المبلغ يفوق ما تحصل عليه هذه البلدان من معونات إنمائية (تقرير منظمة الصحة العالمية، 2004: 2).

1-2- الجهود المبذولة للحد من حوادث المرور:

مع العلم أن الجهود المبذولة من طرف الدولة من حملات توعية لا تكفي لوحدها بل يجب القضاء على كل ما يعترض تسهيل حركة المرور وهذا بتوسيع شبكة الطرقات وتعليمها بالعلامات اللازمة لذلك وفرض عقوبات صارمة على كل من يخالف القوانين المنصوص عليها، لأن العمل هنا متكامل فلا بد من القضاء على كل المشكلات التي تعترض السير الحسن للانتقال السريع والأمن نذكر على سبيل المثال:

- توسيع شبكات الطرق داخل وخارج المدن؛
- جعل الطرق الواصلة بين أطراف المدينة بعيدة عن الوسط الداخلي؛
- تجهيز الطرقات بالعلامات والإشارات الضوئية؛
- تصليح الطرقات وهذا بتعبيدها؛
- إنشاء ممرات أرضية للراجلين في النقاط التي تكثرت فيها حركة المرور؛
- إنشاء مجلس أعلى للمرور يضم ممثلين من وزارات الداخلية والنقل والمواصلات والترية والإعلام والقضاء والصحة تكون مهمته وضع الحلول لمشكلة المرور والوقاية من حوادث المرور في الجزائر الطرق والتخفيف من أثارها الضارة؛
- القضاء على العمليات غير القانونية في الحصول على رخص السياقة وهذا بالوقاية المشددة، لأن كثيراً من السائقين الذين تحصلوا على رخص السياقة يجهلون قوانين المرور وهذا عامل سلبي تعاني منه معظم الدول خاصة النامية منها.

أما فيما يخص الحلول التي يمكن تقديمها في هذا الخصوص فنذكر:

- تصميم إشارات و لافتات المرور ووضعها على الطرق حسب المواصفات والمقاييس العالمية للمساعدة في تنظيم حركة المرور والتقليل من الحوادث.
- اتباع الأساليب الهندسية الحديثة في عملية تنظيم حركة المرور والحد من سرعة السيارات.
- استحداث إدارة جديدة لتحليل إحصائيات وبيانات حوادث المرور لمعرفة أسباب الحوادث وتحديد الأماكن التي تتكرر فيها وقوع حوادث المرور والعمل على إزالة الأسباب المؤدية إليها.

- العناية بخطوط عبور المشاة ووضع سياج جديد على جانبي الطريق التي تشهد ازدحاما في الحركة لمنع المشاة من العبور عليها.

2- أسباب حوادث المرور:

من واقع الدراسات والأبحاث المستمرة لعدد كبير من تقارير الحوادث والمخالفات وفي فترات مختلفة ومجتمعات متعددة وجد أن هناك عوامل تسهم إسهامًا فعليًا في وقوع الحوادث وسميت هذه العوامل بالأسباب المباشرة مثل عدم تقدير السائق للموقف المروري، وعدم وجود خلفية كافية لديه عن الطريق وعن المركبة التي يقودها والزمن، وقلة المهارة والخبرة التي يتمتع بها السائق، سوء الحالة الصحية للسائق، وسوء الحالة العامة للسيارة، زيادة السرعة، نقص في معلومات السائق المرورية (عبد الجليل، 1410هـ: 141).

وخلاصة القول أنّ هناك أسباب مباشرة لحوادث المرور وهي:

2-1- أسباب مباشرة (بشرية):

2-1-1- التعليم والتدريب غير الكافيين:

يقتضي التعليم النظري والتدريب التطبيقي على القيادة أن يكون سائق السيارة قادرًا على قيادة السيارة واستخدامها استخدامًا سليمًا وآمنًا وألاّ يلحق الضرر بنفسه أو بغيره من مستخدمي الطرق، لكن واقع الحال يبيّن أن الذين تورطوا في حوادث المرور لم يكونوا حاصلين على تدريب وتأهيل كاف أو رخص القيادة التي تحصلوا عليها حديثة ومازالت في المرحلة التجريبية، وهذا ما يدعو إلى ضرورة تعديل قوانين الحصول على رخص القيادة بما يتماشى والمعطيات الميدانية بما يخدم تحجيم مشكلة حوادث المرور (Laapotti & Keskinen, 1998).

2-1-2- عدم المعرفة بأصول القيادة:

يعتبر السائق هو المحور الرئيسي الذي تدور حوله حوادث السير، وقد دلّت الإحصائيات أنّ 85 % من هذه الحوادث تقع بسبب السائق، إذ أن قيادة المركبة فن له أصوله وعلم له قواعده، لهذا نجد كثيرا من الحوادث ترجع إلى عدم اتباع السائق لأصول القيادة أو عدم إلمامه بقواعد وآداب المرور كمدلول اللوحات والإشارات الضوئية والخطوط الأرضية ومن مظاهر اهتمام بعض الدول بتأهيل السائقين أنّها تشترط للحصول على رخصة القيادة ليس فقط اجتياز الاختبار المعدّ لذلك وإنما الخضوع لدورة تدريبية بإحدى مدارس تعليم قيادة المركبات يشرف عليها مختصون بشؤون التدريب والتعليم، كما تشترط بعض الأنظمة إجراء اختبار نفسي للمتقدمين الراغبين في الحصول على رخصة القيادة.

2-1-3- اللامبالاة:

وهي ظاهرة سلبية تدفع بالسائق إلى سلوك غير سوي له تأثيره كبير في عدم احترام قواعد المرور، ومن هذه السلوكيات تصرف السائق الأناني الذي يعتبر أن الطريق ملك له ولا يراعي ما لغيره من حقوق ولا يحترم ما يفرض عليه من قواعد، والسائق المتهور الذي تغلب على سلوكه أنانية الطفولة ويظهر نفاذ صبره بسرعة من خلال مزاحمة السائقين واستعمال المنبه بشكل مستمر ويعبر عن غضبه بالقيادة المستهترة (Gregersen, 1996).

لذا يفترض توفر بعض الصفات في السائق منها:

2-1-3-1- الإحساس بالمسؤولية:

وذلك اتجاه نفسه ومن معه من مستعملي الطريق فإذا ما شعر بها وأحس بالمسؤولية كانت تصرفاته إيجابية.

2-2-3-1- حسن الحكم على الأمور:

تكتسب بالتعليم والتدريب والخبرة العملية سواء في حياته العامة أو عند قيادة للسيارة، وتظهر بصفة خاصة عند السائق الذي يتمتع بعد النظر ويكون دائماً مسيطراً متحكماً في سلوكياته حتى في مواطن الخطر.

2-3-3-1- تركيز الانتباه:

فالسرعة مع شroud الذهن ولو للحظات قليلة تؤدي إلى نتائج بالغة الخطورة، لذلك وجب على السائق أن يركز اهتمامه أثناء القيادة آخذاً في الاعتبار حركة المرور وحالة الطريق ومتنبهاً لما يدور حوله وما يحتمل أن يحدث من مفاجآت وخاصة أثناء الليل.

2-4-3-1- أخلاقيات القيادة:

وذلك بالتعاون مع سائر مستعملي الطريق، ذلك أنّ لكل سائق حقوق وعليه واجبات ولا يمكن لأي سائق الحصول على حقوقه دون مساهمة السائقين الآخرين بتنفيذ ما عليه من واجبات ويظهر هذا التعاون بصفة خاصة عند ازدحام الطرق والساحات في المدن، وفي حالة التجاوز فإذا أصرّ كل سائق على وجهة نظره واتسمت بالعناد أدى ذلك إلى إعاقة حركة المرور وتعطيلها.

(Journal of Engineering Sciences, Assiut University: 483-505)

2-2-2- أسباب غير مباشرة:

2-2-1- إجراءات منح رخص السياقة:

ينبغي عدم التساهل في إجراءات منح رخص السياقة وإخضاع طالبي الحصول على الرخص إلى شرطين

أساسيين:

2-2-1-1- شرط اللياقة البدنية:

ويشمل الحد الأدنى (صحة الجسم وسلامة النظر مع تمييز الألوان وسلامة السمع والأعصاب والخلو من العاهات)، التي تؤثر تأثيرا مباشرا على قدرة السائق في القيادة الآمنة وذلك طبقا للاشتراطات الصحية اللازمة بالنسبة لرخص السياقة حسب فنياتها المختلفة ومتطلبات السلامة والأمن اللازمة لكل منها.

2-2-1-2- شرط اللياقة الفنية:

بحيث يفحص طالبوا الحصول على رخص السياقة فنيا ولمدة كافية وفقا لأحداث الأساليب الفنية والعلمية الحديثة وخاصة بالنسبة لطالبي الحصول على رخص السياقة للوزن الثقيل ونقل المسافرين وكحد أدنى يجب على طالب رخص السياقة أن يكون قادرا على إجراء العمليات التالية وبشكل يتفق مع قواعد وآداب المرور العامة:

- إدارة المحرك بطريقة جيدة وسير بالسيارة على خط مستقيم ومتعرج.
- تخطي مركبة أخرى وملاقاها على الطريق واحد ومتقاطعة.
- الدوران الصحيح إلى اليمين وإلى اليسار والرجوع إلى الوراء وإدخالها إلى مكان محدود.
- السير والتوقف على الطرق المنحدرة.
- الاستجابة بشكل سريع إلى توجيه الشاحصات وإشارات شرطي المرور وإشارات السائقين الآخرين.
- استدارة السيارة على طريق محددة العرض.
- التوقف في الحالات العادية والطارئة.
- اجتياز مفترق الطرق وملتقياتها.

3- النظريات المفسرة لحوادث المرور:

تهدف هذه الجزئية إلى الكشف عن المتغيرات المؤثرة في حوادث المرور ونسبة المشاركة فيها من خلال التركيز على بعض المتغيرات المؤثرة في حوادث المرور كالأشخاص (سلوكات السائق، المكان الزمان) وتحديد أكثر المتغيرات ارتباطا و تعلقا بالوقوع في حوادث المرور، وضع مجموعة من التوصيات لكي يستفاد منها في رسم السياسات التي تساعد على التقليل من حوادث المرور، وتقليل الهدر البشري والاقتصادي الناجم عنها.

3-1- نظرية التحليل النفسي:

تعتبر هذه النظرية الشخصية عامل من عوامل الحادث، والحوادث على أنها أفعال مقصودة لاشعورية، وهي تشبه الهفوات ويعتقد أصحاب هذه الدراسة التحليلية أن الإصابة الجسدية إنما هي عدوان لا شعوري موجه للذات، ويعتبر فرويد أن معظم الحوادث تعبير عن صراعات عصابية أو عقاب الذات هو إحدى المركبات التي تستند عليها سببية الحوادث، وترى مدرسة التحليل النفسي أن سبب معظم الحوادث إنما هي الدافعية اللاشعورية (عوض: 31).

فبعض الحوادث تحدث نتيجة الإحساس بالذنب أو الشعور بالاضطهاد أو التمرد على السلطة الأبوية أو الغيظ والحقد، أو عرض من أعراض القلق المرضي، ومن المعلوم أن التحليل النفسي يعتمد على افتراض وجود

غريزي العداون وهما الهدم والبناء في النفس البشرية، رغم أن ما قدمته هذه النظرية من تفسيرات لا يقابله في الواقع دلائل تجريبية وإن وجدت فبمحض الصدفة وليس بدافع السبب والنتيجة.

3-2- نظرية الضغط والتكيف:

حسب رواد هذه النظرية فإن الفرد الذي يقع تحت طائل الضغط والتوتر يكون في الواقع الأكثر تعرضا للحوادث، وتؤكد هذه النظرية على أهمية بيئة وظروف العمل كعامل أساسي محدد لحوادث العمل وأن تكيف الفرد مع مصادر الضغوط هو الحل الأنسب لعدم الوقوع في الحوادث، ويؤكد أصحابها على أثر العوامل المتمثلة في بيئة العمل ومناخه في وقوع الحوادث، وتركز على الظروف الفيزيائية المحيطة بالعامل مع العلم أن السائق معرض لمثل هذه الضغوط في بيئة الطريق وما يحيط بها.

ومن الانتقادات التي وجهت لهذه النظرية أن افتراضها يتميز بالعمومية وعدم الضبط، ذلك أن الضغوط والمواقف الضاغطة لا تؤثر على الجوانب الانفعالية والنفسية للفرد فقط بل تشمل الجوانب الصحية والاجتماعية (يوسف: 193).

3-3- نظرية الحرية والأهداف واليقظة:

من مبادئ هذه النظرية الدور الذي تلعبه البيئة من الناحية النفسية إما إيجابا أو سلبا فإذا كانت سلبية لن تكون هناك حرية ولا يقظة ويصعب تحديد الأهداف ويزيد احتمال الوقوع في الحوادث التي من بينها حوادث المرور، في حين أن البيئة التي تكون من الناحية النفسية إيجابية تسمح للفرد بالحرية وتحديد الأهداف وتجعله يتسم باليقظة لبلوغ هذه الأهداف (العيسوي: 126).

ومن الانتقادات الموجهة لهذه النظرية هي طبيعة الأهداف من حيث العمومية والخصوصية، وهل تبقى اليقظة والحرية في حال تعارض أهداف الفرد مع محيطه؟، كما أننا نجد بعض الحالات من العمال الذين يقعون في الحوادث رغم توافقتهم مع محيط عملهم، وتفترض هذه النظرية أن الحادث هو سلوك عملي رديء مصدره بيئة العمل غير الملائمة للعامل أي التي لا تهتم برأي العامل، ومنه فإن إشراك الفرد وضع الأهداف وإيجاد الحلول يساهم في زيادة الحيطة والحذر لديه، وقد توصلت نتائج العديد من الدراسات إلى وجود علاقة ارتباطية ذات دلالة بين المناخ السيكولوجي والحوادث وهو ما يزيد من صدقية هذه النظرية.

3-4- نظرية الميل لاستهداف الحوادث:

تعد من أقدم النظريات التي وضعت تفسيراً بيولوجياً للحوادث، وترى أن الأفراد الذين يقعون في الحوادث بصفة متكررة يسمون مستهدفي الحوادث، ويعود السبب إلى وجود سمات وراثية وطبيعة تكوينية خاصة تجعلهم يقحمون أنفسهم في الحوادث والسلوك الخطير، ويرى أصحابها أن الميل المؤقت لارتكاب الحوادث لا يصنف ضمن الاستهداف الوراثي للحوادث وإنما هو احتمال حدوث أو مسؤولية قانونية فقط (عوض: 30-31).

وتنص هذه النظرية على أنه لتقليل وقوع الأفراد في الحوادث لابد من قياس صفات أولئك الذين ارتكبوا عددا من الحوادث ومن ثم استعمال النتائج كوسيلة أو أداة تنبؤية، وتبعاً لذلك نستطيع معرفة من تكون درجاتهم عالية على مقياس النزوع لاستهداف الحوادث، كما يرى أصحابها أن هذه الفئة ستقع في الحوادث مهما كان العمل الذي يؤديه (بوني، 1987).

وما يعاب على هذه النظرية إهمالها للعوامل الخارجية كأحد الأسباب في الحوادث.

3-5- نظرية العزو:

قدمت نظرية العزو تفسيرات لكيفية عزو المسؤولية في حوادث المرور، وقد أثارت هذه التفسيرات العديد من البحوث في هذا المجال، ويمكن تفسير قيام الأفراد بتقييم أخلاقي لحادث ما من خلال تركيزهم على مفهوم الواجبات، وتعد الواجبات معايير غير شخصية تشير إلى تحديد السلوك المناسب في موقف ما، ولكي يتم ذلك لا بد من تحقيق شرطين هما:

- أن يدرك الأفراد على اختلافهم نفس معايير الواجبات (تشارك الفهم في المجتمع) في موقف ما.

- ظهور معايير الواجبات خلال المواقف المتعددة (الاتساق العرضي):

يرى أتباع هذه النظرية أن درجة تحمل الفرد للمسؤولية ترتبط عكسياً مع درجة إدراك العناصر الخارجية كمحددات لذلك السلوك، أي أنه بمقدار ما تكون أسباب السلوك خارجية بمقدار ما يقل تحمل الفرد للمسؤولية (البدانية، 1993).

3-6- النظرية التجريبية:

وجدت هذه النظرية قبولا سهلا لدى خبراء النقل والمواصلات وتشير إلى أن للحوادث أسباب متعددة وكثيرة، فالسائق مثلا يكون تحت تأثيرات متغيرة وعديدة فالمركبات والمآزة وقواعد المرور كلها مؤشرات لها فعلها وأثرها على الوظائف النفسية والفسولوجية للسائق مثل الإدراك الحسي والذاكرة والتفكير، وبالتالي فهذه النظرية تعتمد في تفسيراتها على العوامل الداخلية للإنسان والخارجية عن نطاقه وحدوده وذلك كي تفسر الحوادث وما ينتج عنها من إصابات (السيف وآخرون، 1990).

كما ترى أيضا أن هناك دوافع متعددة، فقد يكون الدافع للحوادث هو الرغبة في الحصول على تعويضات مالية (الضمانات الاجتماعية) أو تعويضات معنوية (زيارة الأهل إذا كانوا بعيدا عن مكان العمل أو الرغبة في جلب الاهتمام من طرف الأفراد الآخرين أو لأجل التخفيف من المسؤولية)، ويعنى هذا أن هناك أسباب خارجية وداخلية بالنسبة للحوادث بالنسبة لهذه النظرية ولكن رغم التركيز على الجوانب الخارجية والداخلية إلا أنها لم تبين ما هو الجانب الذي له القدر الكبير في التأثير في وقوع الحادثة.

3-7- النظرية الوظيفية:

ما يلاحظ على هذه النظرية هو اتسامها بالشمولية والتكامل في تفسيرها للحوادث، حيث أرجعت جميع النظريات السابقة للحوادث لسبب واحد، في حين ترى هذه النظرية أن الحادث له أسباب متعددة ومتداخلة فيما بينها وبالتالي تفسيره بناءً على مجموع العوامل الإنسانية والمادية.

وقد أدت هذه الرؤية إلى تغير جذري في تفسير الحوادث بالبحث عن العوامل وليس عن الأسباب فقط لفهم المشكلة والتنبؤ بها وبالتالي التحكم فيها وضبطها، وتوصلت الدراسات المرتبطة بهذه النظرية أن:

- 88% من الحوادث تعود للعوامل الإنسانية.

- 12% من الحوادث تعود للظروف البيئية.

وفي دراسة قام بها (منصور، 2009) بعنوان العوامل المساهمة في الوقوع في حوادث المرور كدالة لبعض متغيرات الشخصية، وهدفت الدراسة إلى الوقوف على العلاقة بين بعض العوامل المساهمة في حوادث المرور وبعض متغيرات الشخصية في المجتمع البحريني، تكونت عينة الدراسة من 85 طالبا من الذكور من مختلف كليات جامعة البحرين الذين سبق لهم الوقوع في الحوادث المرورية لقياس العوامل المساهمة في الوقوع في الحوادث، استخدمت قائمة أسباب التعرض للحوادث وقياس متغيرات الشخصية استخدم اختبار أيزنك ويلسون للشخصية، واختبار مركز الضبط ومقياس سرعة الغضب.

استخدم المنهج الوصفي الارتباطي كما تم تحليل البيانات لحساب مصفوفة معاملات الارتباط بين Spss بواسطة البرنامج الإحصائي متغيرات الدراسة وتحليل الانحدار المتعدد التدريجي وقد توصلت الدراسة إلى إمكانية التنبؤ بالعوامل المساهمة في الوقوع في الحوادث المرور (تقدير الفرد لحالته الصحية والإجهاد النفسي، وتششت الانتباه، والسرعة في الأداء مركز الضبط، سرعة الغضب، سهولة الاستثارة العدوانية) لدى أفراد العينة بناء على متغيرات الشخصية.

وقد تبين من نتائج الدراسة إمكانية توظيف بعض متغيرات الشخصية في التعرف على المعرضين للوقوع في حوادث المرور ومن ثم توظيفها في الحملات الوقائية والإرشادية وتعديلات القانون للتقليل من أخطار تلك الحوادث.

4- السلامة المرورية:

يُشكّل تقييم مشكلة حوادث المرور من خلال الإحصاءات والدراسات المبنية على نظم معلومات صحيحة ومفصلة خطوة أساسية لإطلاق حملات تحسين مستوى السلامة المرورية لأهميتها في زيادة الوعي بمخاطر الحوادث وصوغ الاستراتيجيات على النحو المناسب للحد من أعداد الضحايا، وتفقد نظم معلومات حوادث المرور في الجزائر الدقة اللازمة، ما يعيق عملية رصد عوامل الخطر وتقويمها وتحديد المؤشرات الحقيقية، وذلك بسبب عدم وجود نظام وطني موحد لجمع المعلومات وتحليلها وإصدار الأرقام الدقيقة والموثوقة ولا يتضمّن

هذا التقرير سوى معلومات إحصائية عامة، من دون احتساب أي مؤشرات تسمح بتحديد العوامل الرئيسة لحصول الحوادث، وتحديد المشكلات، وإيجاد الحلول.

4-1- السياقة كسلوك متعلم:

يعد نشاط السياقة من بين السلوكات المتعلقة بالسلامة والأمن والتي تتطلب تفاعل مجموعة من السلوكات التي يقوم بها السائق من قبيل صيانة السيارة واحترام إشارات المرور والسرعة الآمنة وربط حزام الأمان والقيادة السليمة أثناء الأحوال الجوية السيئة، كما يرتبط سلوك السائق أيضا بتحكمه في حالته النفسية كالغضب والتهور، ناهيك عن الحفاظ على وضع جسمي مستقر وانتباه وكفاءة في العمليات المعرفية والتي من شأنها أن تحافظ على قيادة آمنة تحول دون التعرض أو تعريض الآخرين للخطر، وذلك باعتبار أن السياقة فعل يتطلب مستوى عال من التركيز والانتباه.

(الطاهر وسميرة، 2014، ص222).

كما تعتبر الخبرة أهم العوامل الإنسانية المساعدة على تجنب الحوادث، نظرا للمهارة التي يكون قد اكتسبها الأفراد نتيجة تعاملهم الطويل مع سياراتهم ومع السائقين الآخرين ومع شتى الظروف المحيطة بالطريق، كما أن التدريب الجيد يجعل السائق يكتسب خبرة سليمة في التكيف مع المواقف الخارجية مثل اجتياز الظروف السيئة والمخاطر (Bailet, 2006).

ومن أشكال سلوك السياقة الصحي:

- الحفاظ على سرعة آمنة؛
- القيادة أثناء الأحوال الجوية السيئة؛
- تجنب القيادة تحت تأثيرات الكحول والمخدرات والأدوية؛
- ربط حزام الأمان؛
- الخصائص السيكوفيزيولوجية للسائق؛
- الخصائص المعرفية للسائق؛
- الجانب النفسي والاجتماعي (زعابطة، 2010، ص41).

4-2- التصميم الأرنغومي للطرق والسلامة المرورية:

يشكّل تصميم الطرق وتنظيم حركة المرور عاملين أساسيين في السلامة المرورية وهما عاملان حاسمان في حوادث المرور، فهما يشكّلان إحدى الركائز الأساسية لما يعرف بثلاثية العوامل المتعلقة من جهة بيئية الطريق، ومن جهة ثانية بالمركبات، ومن جهة ثالثة بسلوك مستخدمي الطريق والتي يؤدي التفاعل بين عناصرها إما إلى السلامة على الطرق والوقاية من الحوادث وإما إلى حصول حوادث مرور مع تفاقم نتائجها، وتشمل مقاربات بيئة الطريق، على وجه الخصوص وتصميم مختلف العناصر المعنية بها على غرار:

- عرض الطريق وجوانبها؛

- الأرصفة؛

- مجال الرؤية؛

- مهمات الأمان.

وذلك لكي تؤمن الطرق التي يتم إنشاؤها أو إعادة تأهيلها، بمختلف فئاتها ووظائفها، أكبر قدر ممكن من الأمان لمختلف مستخدميها (مشاة؛ ركاب دراجات هوائية أو آلية؛ سائقو وركاب مركبات مخصصة لنقل الركاب أو لنقل البضائع؛ ذوو احتياجات خاصة؛ مستنون).

ويأتي تنظيم حركة المرور حسب إيلي (2014) كعنصر أساسي مكمل لتصميم الطرق، حيث أنه يسعى إلى تنظيم سلوك مستخدمي الطريق بشكل علمي مدروس ولا يترك لهم التصرف في بيئة الطريق كل على هواه، كما أنه يرشدهم إلى السلوك الذي يتعين اعتماده لتأمين سلامتهم وسلامة سائر مستخدمي الطريق.

4-3- أثر رفع سن الحصول على رخصة القيادة على السلامة المرورية:

أكد مختصون في علم النفس والاجتماع ضرورة رفع سن الحصول على رخصة القيادة لما لذلك من آثار ايجابية وعلل هؤلاء المختصون مطالباتهم برفع سن الحصول على رخصة القيادة للأسباب التالية:

- العلاقة الطردية بين العمر والإدراك العاطفي والعقلي، وضبط النفس والسيطرة على الذات واحترام العادات والتقاليد والقيم.

- التقليل من الحوادث المرورية.

- تعديل سلوك بعض المواطنين المتمردين على قوانين السير والذين يصرون على المخالفة.

5- التدريب في مدارس تعليم القيادة:

غالبا ما يكون للسائقين الجدد سجل ضعيف للسلامة أكثر من السائقين ذوي الخبرة، ومن الوارد أن يكون سبب ذلك هو النقص في المهارات الحسية مثل الشعور بالخطر وفي توزيع انتباههم بين المهارات المختلفة كالتحكم في السيارة ومراقبة الاتجاهات وردود الأفعال المناسبة لطبيعة الخطر، وغياب التدريب المناسب حول عوامل السلامة المرورية.

وقد بينت دراسة بعنوان العوامل النفسية والاجتماعية المؤدية إلى وقوع حوادث مرورية ودور المعهد المروري الأردني في معالجتها خلال الأعوام 2009-2011 والتي هدفت إلى بيان أهم العوامل النفسية والاجتماعية التي توصلت إليها الدراسات النفسية والسلوكية والمؤدية إلى وقوع حوادث مرورية ومفهوم تغيير السلوك وكيف أن الهدف من التوعية المرورية في النهاية هو تغيير السلوكيات السلبية للسائقين إلى سلوكيات

إيجابية وأساليب التوعية المرورية المتبعة لدى المعهد المروري الأردني خلال آخر ثلاث سنوات، وخلصت الورقة إلى العديد من النتائج أهمها:

- غياب أداة قياس نفسية متخصصة في الأردن لغايات تقييم سلوكيات السائقين والعوامل النفسية والمؤدية إلى الوقوع في الحوادث.

- ضرورة عدم اعتماد نظرية السلوك المخطط في إعداد دراسات المرور النفسية، رغم أنها أساس معظم دراسات علم النفس المروري.

- تفعيل علم النفس المروري في الأردن عن طريق الاتصال والتنسيق مع الجامعات المختصة وتصميم حملات التوعية المرورية وفقاً لأحدث نظريات تغيير السلوك النفسي.

5-1- التدريب على السياقة وسلوك العنصر البشري:

من الملاحظات التي ظهرت أثناء مراجعة تدريب السائق أن أغلبية السائقين يغيرون طريقة قيادتهم مقارنة بما تعلموه، ولا يتذكرون من التدريب والاختبار إلا القليل، كما لا يطبقون المعارف والمهارات الخاصة بالسلامة التي تعلموها أثناء التدريب، لذا لا بد من التأكيد على ضرورة مراقبة احترام القواعد التي تعلموها أثناء التدريب والخاصة بالسلامة خلال فترة السياقة الاختبارية.

- لا يوجد برنامج واضح لتدريب المدربين بحيث تتوفر فيهم المؤهلات اللازمة للتدريب، وقد ظهر من خلال الزيارات الميدانية أن الكثير من المدربين لا يعيرون اهتماماً لأبسط قواعد السلامة مثل ربط حزام الأمان أو استخدام الهاتف النقال أثناء تعليم القيادة.

- لا يمكن اعتبار الامتحان العملي مقياساً لمدى تمكن السائق مستقبلاً من القيادة، ولا يتم مثلاً تقييم الشخص طالب رخصة القيادة وفقاً للمهارات الأساسية ولسلوكه أثناء القيادة، ففي هذه المدارس يتم الامتحان العملي خلال دقائق معدودة

- اختصار ساعات التدريب العملي فلا يتلقى المتقدمون لرخص القيادة التدريب على نحو كاف، بغض النظر عن مدى المعرفة المسبقة للمتدرب بالقيادة فنجم عن ذلك أن مدارس التدريب تسعى إلى الربح على حساب جودة التدريب وحقوق المتدرب.

5-2- تطوير برامج التدريب ونظام منح رخص السياقة في مدارس السياقة:

يعد التدريب بمعناه الواسع عملية تعليم وتعلم تمكن الأفراد من إتقان المهام المنوطة لهم والتكيف مع الواقع، واكتساب وتنمية المهارات المرتبطة بالتدريب والمهنة المستقبلية، بالإضافة إلى اكتساب الاتجاهات الإيجابية والقيم والعادات والسلوكيات التي تتطلبها المهمة، لكن الكثير من المتدربين يعتقد أن القيادة تقتصر فقط على معرفة بعض قواعدها البسيطة وهذا طبعاً اعتقاد خاطئ لأنه قائم على الجهل بأهمية الإلمام بأصول القيادة السليمة، ما يساهم في استفحال مشكلة حوادث المرور وينحصر مستوى السلامة المرورية وهو ما نعايشه على

طرقاينا يوميا، مما يتطلب إعادة النظر في أساليب التدريب النظرية والعملية، والوقوف على سلبياتها بهدف تطوير أساليب حديثة تضاهي المعايير العالمية الخاصة بالسلامة المرورية وشروط فتح مدارس تعليم السياقة، ومضمون برامجها، ومدى امتلاكها للوسائط التعليمية الحديثة.

5-3- أساليب تحسين أداء السائق من خلال برنامج القيادة الدفاعية:

إن أي نوع من أنواع التعلّم يتطلّب الكثير من التدرّب اللاحق لترسيخ المعرفة، وهناك العديد من البرامج التعليمية الإضافية القائمة على أسس علمية لمنع حوادث المرور كبرامج تحسين السائق وبرنامج القيادة الدفاعية التي تنفذها بعض مدارس السياقة في دول أجنبية، والتي لا بدّ لأيّ سائق مخضرم كان أم مبتدئ أن يلمّ بها وأن يطبقها عملياً بشكل مستمر لرفع مستوى السلامة على الطريق.

لذا فإنه لتطوير هذا القطاع ينبغي:

- تخصيص أجزاء من الطرق العامة للتعليم ضروري في كل البلديات والدوائر والولايات حيث إن القائمين على هذا القطاع مدعوون وبالخاصة إلى تطبيق القانون بطريقة عادلة تعطي المواطن حقه في تعلم السياقة بطرق سليمة كما تعطيه هذا الحق في التعلم الأكاديمي والمهني.
- تحديد أماكن محلية واسعة ومخصصة لتعليم السياقة على مستوى البلديات (مضامير تدريب)، تتوفر فيها الشروط المثلى للتدريب والمناورة، وإعداد رزنامة أسبوعية بين مدارس تعليم السياقة على مستوى كل بلدية، وبإشراف محلي.
- تخصيص أماكن لإجراء الامتحان التطبيقي على مستوى الدوائر، تتوفر فيها كل شروط الأمن والسلامة والراحة، تشرف عليها مصالح مديرية النقل، وتراقبها هيئات ولجان من مختلف القطاعات ذات العلاقة بالمرور.

6- تطوير مدارس تعليم السياقة من أجل الإسهام في الرفع من كفاءة السائق:

- لقد أفضى تنامي ظاهرة حوادث المرور إلى وضع استراتيجيات في مجال السلامة المرورية إضافة إلى توسيع قاعدة الأطراف المتدخلة، وتحميل المسؤولية لمختلف الأطراف المتدخلة بما في ذلك مدارس تعليم السياقة، كما ازداد الوعي بضرورة البحث عن تكوين صحيح يساهم في رفع كفاءة السائقين، لذا ينبغي على الجهات المعنية الحرص على:
- وضع برامج تدريبية ملزمة تحدد مجال عمل مدارس تعليم السياقة وأوجه التكوين الذي يجب أن يتلقاه المرشح لاجتياز رخصة السياقة.
 - فرض سلطة للإشراف على هذه المدارس تعنى بمراقبة أدائها باستمرار، ومدى تطبيقها للبرامج التدريبية المقررة، ومدى حصول المرشحين على حصصهم التدريبية كاملة دون تقصير.
 - انتداب مدرّبين أكفاء سبق لهم متابعة دورات تدريبية إلى جانب خضوعهم لاختبارات جدية بهدف تمكينهم من ممارسة هذا النشاط.

- تشديد معايير فتح مدارس تعليم السياقة، وفرض رقابة متواصلة على مدى التزامها بالقوانين سارية المفعول.

- تضمين الامتحان الذي يجرى لطالب الحصول على رخصة السياقة اختبارا ميدانيا في القيادة على الطرقات العامة.

- اعتماد كاميرات لتصوير تصرفات المرشح لامتحان رخص السياقة على غرار ما انطلقت في تنفيذه عدد من مدرّس القيادة الأوروبية بما يمكنه من الوقوف بصفة جلية على أخطائه من خلال نظرة نقدية عند مشاهدته للبعض من تصرفاته أثناء القيادة.

- اعتماد مناهج بيداغوجية متطورة مع استئناسها بالتجارب الأجنبية الناجحة في هذا المجال، فضلا عما أصبحت توفره من إمكانيات وتكنولوجيات حديثة تم تسخيرها للعملية التكوينية على غرار اعتماد الوسائل السمعية البصرية من أجل تبسيط المعلومة لمختلف الفئات.

المقترحات:

- تحديث قوانين ترخيص مكاتب القيادة بحيث يتم التحقق من مستوى المدربين ووضع معايير محددة لتعيينهم، والتحقق من مستوى أدائهم عن طريق مراقبة نجاح متدريهم والتأكد من إلمامهم بفحص السيارات وإصلاحها وطرق التدريب الحديثة، ويمكن الاستفادة من خبرة البلدان المتقدمة في هذا الشأن في تدريب المدربين.

- لضمان مصداقية وشمولية الامتحان النظري لا بد من أن يتم هذا الامتحان باستخدام الكمبيوتر، كما هي الحال في دول رائدة في استعمال التكنولوجيات الحديثة في التدريب.

- نظراً للازدياد الكبير في عدد المتقدمين لرخص القيادة وما نتج عنه من تقصير الوقت المحدد لكل ممتحن مما يعني عدم قياس قدراته للقيادة بشكل سليم، يجب أن ينظر جدياً في استخدام أجهزة محاكاة متقدمة لاختبار السائقين كما هي الحال في بعض البلدان المتقدمة.

- إعطاء تدريب خاص لسائقي المركبات الثقيلة ووسائل النقل العام والتشديد على متطلبات امتحان القيادة للمركبات الثقيلة ووسائل النقل العام والتأكد من الفحوصات الطبية للمرشحين، بما في ذلك الفحوص الطبية الخاصة للحالة النفسية والعصبية، والتأكد من إلمامهم بميكانيك السيارات وبتطرق فحص المركبات للتحقق من صلاحيتها.

المراجع:

- السيف، خالد عبد الرحمن والسيف، عبد الجليل والحمدان، عبد الله وزكريا، الشربيني: (1414)، تقويم مدارس تعليم قيادة السيارات، جامعة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، السعودية، الرياض.
- المركز الوطني للوقاية والأمن عبر الطرق، إحصائيات حوادث المرور (2014)، وزارة النقل، الجزائر.

- منظمة الصحة العالمية والبنك الدولي: (2004)، التقرير العالمي عن الوقاية من الإصابات الناجمة عن حوادث المرور: موجز.
- السيف، عبد الجليل: (1410هـ)، تطور أساليب تنظيم وإدارة المرور، جوانب نظرية وتجريبية ط4، مطابع الإشعاع، الرياض.
- البدائية، ذياب: (1993)، عزو مسؤولية حوادث السير: دراسة تجريبية، مؤتمة للبحوث والدراسات، المجلد الثامن، العدد الثالث، ص ص 9-42.
- بوني، أحمد: (1987)، الجوانب النفسية لمشكلات حوادث المرور، ط1، الهيئة القومية للبحث العلمي، ليبيا.
- عباس، محمود عوض: (1971)، حوادث العمل في ضوء علم النفس، دار المعارف، مصر.
- العيسوي، عبد الرحمان: (1987)، علم النفس والإنتاج، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر.
- السيف، عبد الجليل والشريبي، زكريا وملا، نبيل: (1990)، دراسة أسباب ارتفاع نسبة إصابات حوادث المرور في منطقة مكة المكرمة ووسائل تلافيتها، المنطقة الشرقية، مطابع جامعة الملك سعود، الرياض.
- منصور، محمد: (2009)، العوامل المسهمة في الوقوع في حوادث المرور كدالة لبعض متغيرات الشخصية، مجلة العلوم التربوية والنفسية، 10(2)، ص ص 59-86.
- بوغازي، الطاهر وعمامرة، سميرة: (2014)، الضغط المهني وعلاقته بسلوك السياقة الصحي لدى سائقي الحافلات، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد (17)، ديسمبر 2014.
- زعابطة سيرين هاجر: (2010)، علاقة التفاوض غير الواقعي بسلوك السياقة الصحي لدى السائقين، رسالة ماجستير غير منشورة، باتنة، الجزائر.
- إيلي، حلو: (2014)، ماستر إدارة السلامة المرورية، جريدة النهار (نوفمبر، 2014)، لبنان.
- Bailet, JMA (2006):le volant rend-il faut, psychologie de l'automobiliste, Paris, France.
- Gregersen. N, (1996), young drivers overestimation of their own Skills: An experiment on the relation Between Training Strategy and Skills, Accident Analysis and prevention. Vol (4), No(7), PP 73-85
- Journal of Engineering Sciences, Assiut University, Vol. 37, No. 2, pp.483-505, March 2009.
- Laapotti, S & Keskinen, E, (1998), Diffeerences in fatal loss of control accident Between Young Male and Female Drivers, **analysis and prevention**. Vol(1), No(3), PP. 31-65.
- www.jti.jo

تاريخ الاستلام: 2016/09/28 - تاريخ التحكيم: 2017/05/11 - تاريخ النشر: 2017/12/30

إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة كما تدركها طالبات الجامعة و علاقتها بالأمن النفسي

د. برغوتي توفيق

أ. بوخنوفة نهي

(جامعة باتنة-1- الجزائر)

ملخص:

هدفت الدراسة الحالية إلى الكشف عن طبيعة العلاقة بين إساءة المعاملة كما تدركها طالبات الجامعة و شعورهن بالأمن النفسي. حيث اعتمدنا في الدراسة الحالية على عينة قدرها 120 طالبة بجامعة باتنة تتراوح أعمارهن بين 18 و 26 سنة، طبق عليهن مقياس التعرض لإساءة المعاملة في مرحلة الطفولة الذي أعدته (ماجدة أحمد حسن المسحر، 2007) و مقياس الأمن النفسي (لزيب شقير، 2001). و من خلال استخدام معامل الارتباط بيرسون، أسفرت نتائج الدراسة على وجود علاقة ارتباطية سالبة بين إساءة المعاملة و الشعور بالأمن النفسي.

الكلمات المفتاحية: إساءة المعاملة، الإساءة الجسدية، الإساءة النفسية، الإهمال، الأمن النفسي

Résumé:

Le but de cette étude est de connaitre la relation entre la maltraitance parentale et la sécurité psychologique chez les étudiantes universitaires. L'étude a été réalisée sur 120 étudiantes âgées entre 18-26 ans on été sélectionnés a partir de l'université de Batna qui ont répondu a les deux échelles de l'étude.

L'étude a montrée l'existence d'une corrélation entre la maltraitance parentale et la sécurité psychologique.

Mots clés: la maltraitance, la maltraitance physique, la maltraitance psychologique, la négligence, la sécurité psychologique..

مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة و خاصة السنوات الخمس الأولى مهمة في نمو شخصية الطفل و توافقه النفسي، فالرعاية التي يتلقاها الطفل في هذه المرحلة من القائمين على رعايته هي بمثابة حجر الأساس في بنائه النفسي، و بقدر ما تكون هذه الرعاية سوية تشعر الطفل بالعطف و الأمان بقدر ما تكون صحته النفسية أفضل¹.

و قد نالت الطفولة أكبر حظ من الاهتمام في الوقت الحالي، نظرا لظهور رابطات اجتماعية و قضائية تنادي بتوجيه العناية إلى الطفل و حمايته. و كذلك ما ساهمت به البحوث العلمية الطبية و النفسية و الاجتماعية في إبراز الآثار السيئة الجسمية و النفسية و الاجتماعية في الكبر، التي تتركها الإساءات التي يتعرض لها الأفراد في طفولتهم، فيذكر السيكولوجي الإنجليزي "جون بولبي" أن من أهم أسس الصحة النفسية للطفل، أن تكون له علاقة دافئة حميمة و مستمرة مع الأم. و تلك العلاقة مع الأم أو من يقوم مقامها وراء نمو شخصية الطفل و

صحته النفسية. أما الإساءة من الوالدين و معاناه الأبناء من العقاب و الرفض و الإهمال فيرتبط بزيادة السلوك المضاد للمجتمع لدى الأبناء².

و قد أوضحت الكثير من الدراسات الآثار السلبية الناتجة عن إساءة المعاملة و استخدام العقاب، كدراسة (حيري و دانا، 1993) التي توصلت إلى أن أساليب المعاملة الوالدية الخاطئة التي تتمثل في الرفض و الإهمال و عدم المبالاة ترتبط بعلاقة موجبة مع كل من القلق و الإكتئاب و السلوك العدواني لدى الأطفال³.

إذا فالطفل الذي ينشأ في مناخ أسري يسوده التوتر و الصراع و عدم التفاهم بين الوالدين من شأنه أن يقلل من متانة بنائه النفسي و يشعره بالتهديد و يفقده الأمن النفسي. من هنا فهذه الورقة البحثية تتناول إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة كما تدركها طالبات الجامعة و علاقتها بالأمن النفسي.

1- تحديد إشكالية الدراسة:

يؤكد الباحثون في علم النفس على أهمية الخبرات المبكرة التي يمر بها الفرد و دورها في تشكيل شخصيته، مما جعلهم يفترضون أن الخبرات الصادمة في مرحلة الطفولة من العوامل المهمة المؤدية لظهور الإضطرابات النفسية و سوء التوافق في مرحلة الرشد. فقد أكدت دراسة (جمال مختار حمزه، 2001) أن أساليب التنشئة الوالدية الخاطئة لها أثر سلبي على إحساس الطفل بالأمن النفسي. و بينت دراسة (فوليت، 1994) أن الرجال و النساء الذين تعرضوا للإساءة الجنسية و الجسدية في مرحلة الطفولة يعانون من اضطرابات نفسية عامة و كذلك اضطراب ما بعد الصدمة، و لديهم مستويات مرتفعة من الضغوط مقارنة بالذين لم يتعرضوا لأنماط الإساءة في مرحلة الطفولة.

و في ضوء ما سبق تتحدد مشكلة الدراسة في الإجابة على التساؤلات التالية:

1. هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين إساءة المعاملة كما تدركها طالبات الجامعة و الأمن النفسي؟
2. هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة؟
3. هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإساءة النفسية و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة؟
4. هل توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة؟

2- الدراسات السابقة: فيما يلي عرض لبعض الدراسات السابقة حسب ترتيبها الزمني:

دراسة (الريحاني، 1985)

دراسة حول أثر نمط التنشئة الأسرية في الشعور بالأمن النفسي عند المراهقين، و قد أجريت الدراسة على عينة قوامها 450 طالبا و طالبة تم اختيارهم بالطريقة الطبقيّة العشوائية من طلبة المرحلة الإعدادية في الأردن، و استخدم الباحث مقياس التنشئة الأسرية و اختبار ماسلو للشعور بالأمن النفسي، و قد أظهرت نتائج الدراسة أن مجموعة المراهقين الذين ينتمون إلى نمط التنشئة الأسرية الديمقراطية كانوا أكثر شعورا بالأمن النفسي من أولئك الذين ينتمون إلى نمط التنشئة الأسرية المتسلطة، و أن الإناث أكثر شعورا بالأمن النفسي من الذكور⁴.

دراسة (كفافي، 1989)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الأمن النفسي و علاقته بكل من أساليب التنشئة الوالدية و تقدير الذات، و ذلك على عينة من طالبات المرحلة الثانوية بقطر حيث بلغ عددهن 153 طالبة، و متوسط أعمارهن بين 16 و 28 سنة، و طبق عليهن مقياس للتنشئة الاجتماعية، و مقياس الأمن النفسي، و مقياس تقدير الذات. و أشارت نتائج الدراسة إلى وجود ارتباط سالب بين أساليب التنشئة الوالدية و بين الشعور بالأمن النفسي، و وجود ارتباط موجب دال بين الشعور بالأمن النفسي و بين تقدير الذات لدى الطالبات⁵.

دراسة (Jones Ropert et al, 1996)

هدفت الدراسة إلى الكشف عن العلاقة بين مستوى الشعور بالأمن الناجم عن طبيعة الارتباط بالأبوين و ظهور أعراض الاكتئاب النفسي عند البالغين. و قد تكونت عينة الدراسة الأولى من 144 فردا من الطلبة الجامعيين من غير الخريجين من بينهم 88 طالبة، و عينة الدراسة الثانية تكونت من 218 طالب من جامعة تسيزمي من بينهم 137 طالبة تتراوح أعمارهم بين 17- 49 سنة، و عينة الدراسة الثالثة من 119 طالبة من جامعة نورث ويسترن تراوحت أعمارهن بين 17 و 27 سنة. أظهرت نتائج الدراسة وجود علاقة بين عدم التمتع بالعلاقة الحميمة مع الوالدين و النقص في مستوى الشعور بالأمن⁶.

دراسة (أماني عبد المقصود، 1999)

هدفت الدراسة إلى التعرف على الشعور بالأمن النفسي و علاقته ببعض أساليب المعاملة الوالدية لدى تلاميذ المدرسة الابتدائية، و قد تكونت العينة من 300 تلميذ من مدارس القاهرة، و قد طبق عليهم مقياس أساليب المعاملة الوالدية و مقياس الأمن النفسي للأطفال، و أشارت النتائج إلى وجود ارتباط موجب دال بين أساليب المعاملة الوالدية اللاسوية سواء من الأب أو الأم و بين الشعور بعدم الأمن النفسي للأطفال⁷.

دراسة (Sar et al, 2004)

هدفت الدراسة إلى تقييم اضطراب الانفصال و الاضطرابات الشخصية المختلفة ككل لدى المرضى الذين يعانون من اضطراب التحول و تعرضوا لصدمات مختلفة في مرحلة الطفولة. و تكونت العينة من 38 مريضا تم تشخيصهم مسبقا بأنهم يعانون من اضطراب التحول، و استخدم معهم أسلوب المقابلة بناء على الدليل التشخيصي الإحصائي الثالث و كذلك مقياس اضطراب الانفصال و مقياس صدمة الطفولة كما استخدم في المقابلات الحديثة الدليل التشخيصي الرابع. و بينت النتائج أن الأشخاص الذين يعانون من اضطراب القلق العام و الوسواس القهري و اضطراب الشخصية الحدية كانوا قد تعرضوا للإساءة النفسية و الجسدية و الجنسية و الإهمال في مرحلة الطفولة، و لديهم ميل لتشويه الذات و محاولة الانتحار، و أظهرت الدراسة أيضا أن المرضى الذين يعانون من اضطراب الشخصية الانفصالي و اضطراب الهوية الانفصالي قد تعرضوا أيضا للإساءة النفسية و الجنسية في مرحلة الطفولة⁸.

دراسة (حمزه، 2005)

دراسة حول " بعض أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء و علاقتها بالأمن النفسي لديهم"، و قد أجريت الدراسة على 150 تلميذا من الذكور المتحقين بمدارس الحلقة الثانية من التعليم الأساسي بمحافظة الجيزة و القاهرة، و استخدم الباحث استبانة لقياس المعاملة الوالدية و الأمن النفسي. و أظهرت النتائج أن الأسرة الصالحة تساعد أبناءها و تجعلهم يشعرون بذواتهم و وعيهم و انسانياتهم و تمكنهم من البعد عن حياة الضيق و اليأس، و أن الأطفال الذين يعانون من أساليب المعاملة الوالدية غير تربوية هم ذواتهم ذوو خاصية الأمن النفسي المنخفض⁹.

دراسة (مروة عبد القادر البري و محمود السيد أبو النيل، 2007)

دراسة حول " العلاقة بين أساليب التنشئة الأسرية و الأمن النفسي للأبناء الجانحون و غير الجانحون في مرحلة الطفولة المتأخرة"، و تكونت عينة الدراسة من مجموعتين: مجموعة (32) من الذكور الجانحين من نزلاء مؤسسة الأحداث بمحافظة الجيزة، و مجموعة من الأسوياء (35) طالبا من طلاب المرحلة الابتدائية، و المجموعتين تقع أعمارهم بين 09 و 12 سنة، و قد تم استخدام استمارة البيانات الشخصية و الاجتماعية و استبيان القبول/الرفض الوالدي و استبيان الأمن النفسي و اختبار الشخصية الإسقاطي الجمعي. و أسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة إيجابية بين القبول الوالدي و الأمن النفسي، و وجود علاقة سالبة بين الرفض الوالدي و الأمن النفسي¹⁰.

دراسة (مي كامل محمد بوقري، 2009)

دراسة بعنوان " إساءة المعاملة البدنية و الإهمال الوالدي و الطمأنينة النفسية و الاكتئاب لدى عينة من تلميذات المرحلة الابتدائية (11- 12) بمدينة مكة المكرمة". و قد أجريت الدراسة على 472 تلميذة من الصف السادس، اللاتي يدرسن في 134 مدرسة ابتدائية حكومية بمدينة مكة المكرمة. و قد استخدمت الباحثة ثلاث مقاييس هي: مقياس الطمأنينة النفسية، و مقياس إساءة معاملة الطفل البدنية و إهماله، و مقياس اكتئاب الأطفال المقنن على البيئة السعودية. و توصلت الدراسة إلى وجود علاقة دالة إحصائية بين إساءة المعاملة و الإهمال الوالدي و الإكتئاب لدى التلميذات، و وجود علاقة بين إساءة المعاملة و الإهمال الوالدي و الطمأنينة¹¹.

دراسة (الشهري، 2009)

بعنوان "إساءة المعاملة المدرسية و علاقتها بالأمن النفسي لدى تلاميذ المرحلة الإبتدائية بمدينة الطائف"، و استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي باستخدام مقياس الأمن النفسي و استبانة للمعاملة المدرسية، حيث شملت عينة الدراسة 863 تلميذا من تلاميذ المرحلة الإبتدائية للصفوف العليا بمحافظة الطائف. و أسفرت نتائج الدراسة عن وجود علاقة ارتباطية موجبة بين إساءة المعاملة المدرسية و الأمن النفسي لدى أفراد عينة الدراسة¹².

3- فرضيات الدراسة: بناء على إشكالية البحث يمكن صياغة فروض الدراسة على النحو التالي:

1. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة.
2. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإساءة النفسية و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة.
3. توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة.

4- أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة للتعرف على الجوانب التالية:

1. الكشف عن طبيعة العلاقة بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي.
2. الكشف عن طبيعة العلاقة بين الإساءة النفسية و الشعور بالأمن النفسي.
3. الكشف عن طبيعة العلاقة بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي.

5- أهمية الدراسة:

- تكمن أهمية الدراسة في أنها تبرز دور أساليب المعاملة في بناء شخصية الأبناء.

- كما تكمن أهمية الدراسة في كونها تركز على مرحلة الطفولة التي هي العمود الفقري لبناء شخصية الطفل و توافقه النفسي.

6- تحديد مصطلحات الدراسة:

6-1- إساءة المعاملة:

- تعريف (إدارة الصحة و الخدمات الانسانية، 1981): الإيذاء الجسدي أو الإساءة الجنسية أو المعاملة القائمة على الإهمال أو سوء المعاملة للطفل تحت سن الثامنة عشر من العمر و ذلك بواسطة شخص يكون مسؤولاً عن رعاية الطفل و رفايته تحت ظروف تتعرض فيها صحة الطفل أو رفايته للأذى أو التهديد¹³.

- تعريف (منظمة الصحة العالمية): التعسف ضد الأطفال أو سوء معاملتهم، و كل أشكال سوء المعاملة الجسدية و العاطفية و الاعتداءات الجنسية و الإهمال، أو المعاملة المتهاونة، أو الاستغلال التجاري، أو غيره من أشكال الاستغلال التي من شأنها أن تتسبب بإلحاق الأذى بصحة الطفل، أو حياته أو كرامته، أو تطوره في سياق علاقة تنطوي على المسؤولية و الثقة و السلطة¹⁴.

- تعريف (قاموس الخدمة الاجتماعية، 1999): سلوك خاطئ يقصد به إلحاق الأذى و الضرر الجسدي أو النفسي أو المالي بفرد أو جماعة¹⁵.

إجرائياً: تعرف إساءة المعاملة بأنها مجموع الدرجات التي تحصل عليها الطالبة الجامعية على مقياس إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة الذي أعدته (ماجدة أحمد حسن المسحر، 2007).

6-2- المعاملة المدركة: هي الأنماط السلوكية التي تدركها الطالبة الجامعية على أنها تتضمن إساءة المعاملة إليها.

6-3- الإساءة الجسدية:

- تعريف (عبد الحميد، 2001): استخدام القوة بالقصد بهدف إيذاء الطفل و إحداث الضرر به، و هي متفاوتة في الشدة و قد ترجع الإساءة الوالدية الجسمية للطفل إلى الضغوط الخارجية التي تسبب نوعاً من الضغط النفسي على الوالدين و يتم التعبير عنه بالعدوان و من أشكال الإساءة الجسدية (الصفع و الركل و الحرق و العض و الضرب)¹⁶.

- تشير إلى عملية الإيذاء المادي لجسم الطفل ممن هو دون عمر 18 عاما من قبل شخص يعد مسؤولا عن رعايته، وهذا لا يشمل الحوادث. و تتضمن هذه الإساءة الإيذاء و الجروح مثل الحريق و التمزيق و الكسور، و أي نموذج آخر من إساءة المعاملة المادية و الجسدية التي تستمر لمدة تتجاوز اليومين¹⁷.

إجرائيا: تعرف الإساءة الجسدية بأنها مجموع الدرجات التي تحصل عليها الطالبة الجامعية على بعد الإساءة الجسدية من مقياس إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة المستخدم في الدراسة الحالية.

6-4- الإساءة النفسية:

- **تعريف (جيلبر، 1997):** عنف واقعي أو محتمل يسبب تأثير خطير على النمو العاطفي و السلوكي للطفل، و الناجم عن استمرار التفاعل العاطفي السيئ أو الرفض¹⁸.

- **تعريف (عبد الحميد، 2000):** كل الأفعال التي تؤذي الطفل على المستوى النفسي و قد ترجع إلى بعض المتغيرات في شخصيات الآباء أنفسهم، و قد ترجع الإساءة الانفعالية إلى الطفل نفسه، أو إلى التفاعل بين الآباء و الأبناء و هي تشمل الرفض و افتقاد المدح و التشجيع و الحب و نقص المودة و الألفة و العقاب غير البدني غير المناسب كغلق غرفة النوم على الطفل¹⁹.

إجرائيا: تعرف الإساءة النفسية بأنها مجموع الدرجات التي تحصل عليها الطالبة الجامعية على بعد الإساءة النفسية من مقياس إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة المستخدم في الدراسة الحالية.

6-5- الإهمال:

- **تعريف (جمعية الانسان الأمريكية):** الفشل في إمداد الطفل باحتياجاته الأساسية كالمأكل المتوازن و الملابس و الاحتياج المادي و العناية الطبية و احتياجاته العاطفية كالأمن و الحب²⁰.

- **تعريف (ساراجا):** الإهمال الدائم أو المتقطع للطفل أو القصور في حمايته من أي نوع من أنواع الخطر الذي قد يتعرض له بالإضافة إلى تعرضه للبرد أو الجوع، أو القصور في توفير الرعاية اللازمة له، و الخاصة بصحة الطفل أو نموه²¹.

إجرائيا: يعرف الإهمال بأنه مجموع الدرجات التي تحصل عليها الطالبة الجامعية على بعد الإهمال من مقياس إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة المستخدم في الدراسة الحالية.

6-6- الأمن النفسي:

- تعريف (عطار، 2009): شعور الفرد بأنه محبوب و مقبول و مقدر من قبل الآخرين و ندرة شعوره بالخطر و التهديد و إدراكه أن الآخرين ذو الأهمية النفسية في حياته و خاصة من حوله مستجيبين لحاجاته و متواجدين معه بدنيا و نفسيا لرعايته و حمايته في الأزمات²².

- تعريف (زهران، 2003): الأمن النفسي هو حالة يكون فيها إشباع الحاجات مضمونا، و غير معرض للخطر مثل الحاجات الفيزيولوجية، و الحاجة إلى الأمن، و الحاجة إلى الحب و المحبة، و الحاجة إلى الإنتماء و المكانة، و الحاجة إلى التقدير، و الحاجة إلى احترام الذات، و الحاجة إلى تقدير الذات، و أحيانا يحتاج إلى إشباع الحاجات دون مجهود، و أحيانا يحتاج إلى السعي و بذل الجهد لتحقيقه، و الأمن النفسي مركب من اطمئنان الذات و الثقة في الذات، و التأكد من الانتماء إلى جماعة آمنة²³.

- الأمن النفسي هو سكون النفس و طمأنينتها عند تعرضها لأزمة تحمل في ثناياها خطرا من الأخطار، كذلك شعور الفرد بالحماية من التعرض للأخطار الاجتماعية و الاقتصادية و العسكرية المحيطة به²⁴.

إجرائيا: يعرف الأمن النفسي بأنه مجموع الدرجات التي تحصل عليها الطالبة الجامعية على مقياس الأمن النفسي الذي أعدته (زينب شقير، 2001).

7- إجراءات الدراسة الميدانية:

7-1- منهج الدراسة: نظرا لكون الدراسة تسعى لمعرفة العلاقة بين إساءة المعاملة الوالدية في مرحلة الطفولة و الأمن النفسي، تم استخدام المنهج الوصفي الارتباطي.

7-2- حدود الدراسة: بما أن موضوع الدراسة الحالية هو إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة كما تدركها طالبات الجامعة و علاقتها بالأمن النفسي، لذلك فإن الدراسة تتحدد بالموضوع الذي تبحث فيه و هو إساءة المعاملة الوالدية و الأمن النفسي، و كما تتحدد بعينة البحث التي تتكون من طالبات جامعة باتنة، و كذلك تتحدد بالأدوات المستخدمة في الدراسة و المتمثلة في مقياس التعرض لإساءة المعاملة في مرحلة الطفولة، و مقياس الأمن النفسي، و كما تتحدد بالزمان الذي طبقت فيه و هو السنة الجامعية 2012-2013 و لذلك فإن إمكانية تعميم نتائج هذه الدراسة و الاستفادة منها يرتبط بمحدودها المذكورة سابقا.

7-3- عينة الدراسة: أجريت الدراسة على عينة من طالبات جامعة الحاج لخضر بياتنة اللواتي تتراوح أعمارهن بين 18 و 26 سنة، و اللاتي تم اختيارهن بطريقة عرضية، حيث تم توزيع 130 مقياس، تم استعادة 120 منها، هي التي خضعت للتحليل الإحصائي.

7-4- أدوات الدراسة و خصائصها السيكومترية:

* مقياس التعرض لإساءة المعاملة في مرحلة الطفولة: و هو يحتوي على 63 بنداً مقسمة إلى ثلاث أبعاد أساسية هي:

- البعد الأول: الإساءة الجسدية

- البعد الثاني: الإساءة النفسية

- البعد الثالث: الإهمال

* الخصائص السيكومترية لمقياس التعرض لإساءة المعاملة في مرحلة الطفولة:

1- صدق المقياس: تم حساب صدق المقياس عن طريق الاتساق الداخلي، فكانت معاملات الارتباط جميعاً دالة.

2- ثبات المقياس: تم حساب ثبات المقياس بطريقة ألفا كرونباخ، و النتائج موضحة في الجدول التالي:

جدول رقم 1: معامل الثبات بطريقة ألفا كرونباخ

البعد	معامل ألفا كرونباخ
الإساءة الجسدية	0.89
الإساءة النفسية	0.90
الإهمال	0.86
الدرجة الكلية	0.88

من خلال الجدول نلاحظ أن جميع معاملات ألفا كرونباخ مقبولة تعكس ثبات المقياس.

* مقياس الأمن النفسي: لزينب شقير، حيث يحتوي المقياس على 54 بنداً يجاب على كل منها على مقياس رباعي (موافق بشدة، موافق، غير موافق، غير موافق بشدة)، 19 بنداً إيجابياً، درجاتها على التوالي (3، 2، 1، 0) أما بقية البنود فإنها تصحح بشكل معكوس ثم تجمع مع البنود الايجابية حتى تستخرج الدرجة الكلية.

* الخصائص السيكومترية لمقياس الأمن النفسي:

1- صدق المقياس: بعد أن تم ترتيب التوزيع من أعلى درجة إلى أقل درجة، تم اختيار مجموعتين من طرفي التوزيع تمثل إحداهما 27% من الأفراد الذين حصلوا على أعلى الدرجات، و ثانيهما 27% من الذين حصلوا على أدنى الدرجات، و حسبت قيمة "ت" للفرق بين المتوسطات. و يمكن تلخيص النتائج في الجدول رقم (2).

جدول رقم 2: قيمة "ت" لدلالة الفرق بين المجموعة العليا و المجموعة الدنيا

المجموعة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة "ت"	مستوى الدلالة
العليا	130.11	8.23	11.30	0.01
الدنيا	81.66	9.87		

يتبين من الجدول رقم (2) أن قيمة "ت" بلغت 11.30 و هي دالة عند مستوى 0.01 مما يدل على أن المقياس له القدرة التمييزية بين المجموعتين العليا و الدنيا، مما يدل على صدقه.

2- ثبات المقياس: تم حساب ثبات المقياس باستخدام معامل ألفا كرونباخ و الذي أسفر عن معامل مقداره 0.92 و هي درجة مقبولة تعكس ثبات المقياس.

7-5- الأساليب الإحصائية: من أجل تحليل نتائج البحث وفقا لأهدافه و فروضه، استعمل الباحثان بالاعتماد على نظام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية معامل الارتباط بيرسون.

8- عرض النتائج: يمكن تلخيص نتائج الدراسة وفقا لترتيب فرضيات الدراسة من خلال الجداول التالية:

جدول رقم 3: يوضح العلاقة الارتباطية بين الإساءة الجسدية و الأمن النفسي

المتغيرات	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الإساءة الجسدية	120	-0.76	0.01
الأمن النفسي			

من خلال الجدول نلاحظ وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي حيث بلغت قيمة معامل الارتباط (-0.76) و هو دال عند مستوى الدلالة (0.01).

جدول رقم 4: يوضح العلاقة الارتباطية بين الإساءة النفسية و الأمن النفسي

المتغيرات	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الإساءة النفسية	120	-0.62	0.01
الأمن النفسي			

من خلال الجدول نلاحظ وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الإساءة النفسية و الشعور بالأمن النفسي حيث بلغت قيمة معامل الارتباط (-0.62) و هو دال عند مستوى الدلالة (0.01).

جدول رقم 5: يوضح العلاقة الارتباطية بين الإهمال و الأمن النفسي

المتغيرات	العينة	معامل الارتباط	مستوى الدلالة
الإهمال	120	-0.82	0.01
الأمن النفسي			

من خلال الجدول نلاحظ وجود علاقة ارتباطية سالبة بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي حيث بلغت قيمة معامل الارتباط (-0.82) و هو دال عند مستوى الدلالة (0.01).

9- تفسير و مناقشة النتائج: فيما يلي تفسير و مناقشة النتائج حسب فرضيات الدراسة:

* مناقشة الفرضية الأولى:

تنص الفرضية الأولى على أنه: " توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة". و للتحقق من صحة هذه الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون، كما هو موضح في الجدول رقم (3) و كان يساوي -0.76، و هي قيمة دالة إحصائية عند مستوى 0.01. و تشير هذه النتيجة إلى تحقق الفرضية الأولى، بمعنى أن هناك علاقة ارتباطية سالبة بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي.

تتفق هذه النتيجة مع ما توصلت إليه الدراسات السابقة مثل دراسة: (كفاني، 1989) التي أسفرت نتائجها عن وجود ارتباط سالب بين أساليب التنشئة الوالدية و بين الشعور بالأمن النفسي، و دراسة (جون روبر و آخرون، 1996) التي كشفت نتائجها عن وجود علاقة بين عدم التمتع بالعلاقة الحميمة مع الوالدين و النقص في مستوى الشعور بالأمن النفسي، أيضا دراسة (أماي عبد المقصود، 1999) و التي توصلت إلى وجود ارتباط بين أساليب المعاملة الوالدية اللاسوية و بين الشعور بعدم الأمن النفسي، كما توصلت دراسة (بوقري، 2009) إلى وجود علاقة بين إساءة المعاملة البدنية و الإهمال الوالدي و الطمأنينة. و يمكن تفسير هذه العلاقة الارتباطية بين الإساءة الجسدية و الشعور بالأمن النفسي بأن الأشخاص المسيئين إلى الطفل هم الوالدين أو القائمين على رعايته، الذين يفترض فيهم أن يكونوا مصدر الحماية و المساندة و موضع الثقة و الأمان، مما يسبب اضطرابات نفسية و فقدان التوازن النفسي و الشعور بالطمأنينة النفسية مما يعيق نموه النفسي الاجتماعي و يؤثر على شخصيته تأثيرا سلبيا.

* مناقشة الفرضية الثانية:

تنص الفرضية الثانية على أنه: " توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإساءة النفسية و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة". و للتحقق من صحة هذه الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون، كما هو موضح في الجدول رقم (4) و كان يساوي -0.62، و هي قيمة دالة إحصائية عند مستوى 0.01. و

تشير هذه النتيجة إلى تحقق الفرضية الثانية، بمعنى أن هناك علاقة ارتباطية سالبة بين الإساءة النفسية و الشعور بالأمن النفسي.

لقد جاءت هذه النتيجة مؤيدة لنتائج العديد من الدراسات السابقة مثل: دراسة (الريحاني، 1985) التي أشارت إلى أن المراهقين الذين ينتمون إلى نمط التنشئة الأسرية الديمقراطية كانوا أكثر شعورا بالأمن النفسي من الذين ينتمون إلى نمط التنشئة الأسرية المتسلطة، و دراسة (سار و آخرون، 1994) التي أشارت إلى أن الأشخاص الذين يعانون من اضطراب القلق العام و الوسواس القهري و اضطراب الشخصية الحدية كانوا قد تعرضوا للإساءة النفسية في مرحلة الطفولة. و يمكن تفسير هذه النتيجة باعتبار أن الإساءة النفسية هي الفشل في إمداد الطفل بالعاطفة و المساندة الضرورية لنموه النفسي و الاجتماعي، مما يفقده الثقة بنفسه و يدفعه إلى الميل إلى عدم الاندماج و انخفاض درجة الطمأنينة لديه.

* مناقشة الفرضية الثالثة:

تنص الفرضية الثالثة على أنه: " توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي لدى طالبات الجامعة". و للتحقق من صحة هذه الفرضية تم حساب معامل الارتباط بيرسون، كما هو موضح في الجدول رقم (5) و كان يساوي -0.82 ، و هي قيمة دالة إحصائية عند مستوى 0.01 . و تشير هذه النتيجة إلى تحقق الفرضية الثالثة، بمعنى أن هناك علاقة ارتباطية سالبة بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي.

التي توصلت إلى أن الأطفال الذين تعرضوا للإهمال كان لديهم (Eckenrode et al, 1993) تتفق نتائج الدراسة الحالية مع نتائج دراسة

كان لديهم إنخفاض كبير في الإنجاز الأكاديمي. و يمكن تفسير هذه العلاقة الارتباطية بين الإهمال و الشعور بالأمن النفسي باعتبار أن الإهمال هو قتل للمشاعر و الأهداف و الحاجات مما يمثل مفتاحا للتنبؤ بالاضطرابات النفسية المختلفة.

و خلاصة القول فإن أساليب المعاملة الوالدية لها تأثير واضح على شعور الأبناء بالأمن النفسي، فكلما كانت العلاقة بين الوالدين و الأبناء حميمة كلما زاد الشعور بالثقة و الطمأنينة، و كلما كانت العلاقة الوالدية سيئة كلما تهدم البناء النفسي للأبناء و انخفضت قدراتهم الذاتية مما يجعلهم فريسة للاضطرابات النفسية و فقدان الثقة في الذات و في الآخرين. فالأسرة المولدة للاضطراب تتميز بالمناخ العاطفي غير السوي و بعدم نضج الوالدين و اضطراب عملية الاتصال.

المراجع:

1. ماجدة أحمد حسن المسحر. (2007). إساءة المعاملة في مرحلة الطفولة كما تدركها طالبات الجامعة و علاقتها بأعراض الاكتئاب، مذكرة ماجستير، السعودية: جامعة الملك سعود، ص 2.
2. بشير معمريه. (2007). خبرات الإساءة في مرحلة الطفولة و علاقتها بالاضطرابات النفسية في مرحلة الرشد. مجلة شبكة العلوم النفسية العربية، العدد 13، ص 96.
3. مي كمال محمد بوقري. (2009). إساءة المعاملة البدنية و الإهمال الوالدي و الطمأنينة النفسية و الاكتئاب لدى عينة من تلميذات المرحلة الابتدائية (11- 12) بمدينة مكة المكرمة، مذكرة ماجستير، السعودية: جامعة أم القرى، ص 2.
4. سامية ابريعم. (2011). أساليب معاملة الأب كما يدركها الأبناء و علاقتها بالأمن النفسي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية في مدينة تبسة. مجلة جامعة النجاح للأبحاث، المجلد 25 (7)، ص 1792.
5. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق، ص 173.
6. وفاء علي سلمان عقل. (2009). الأمن النفسي و علاقته بمفهوم الذات لدى المعاقين بصريا، رسالة ماجستير، فلسطين: الجامعة الإسلامية بغزة، ص 110.
7. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق، ص 176.
8. ماجدة أحمد حسن المسحر. (2007)، مرجع سابق، ص 158.
9. عبد المجيد أبو عمرة . (2012). الأمن النفسي و علاقته بمستوى الطموح و التحصيل الدراسي لدى طلبة الثانوية العامة، رسالة ماجستير، فلسطين: جامعة الأزهر، ص 68.
10. ابريعم سامية. (2011)، ص 1793.
11. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق.
12. عبد المجيد أبو عمرة . (2012)، مرجع سابق، ص 63.
13. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق، ص 16.

14. وليد حمادة و أمينة رزق. (2010). سوء معاملة الأبناء و إهمالهم و علاقته بالتحصيل الدراسي. مجلة جامعة دمشق، المجلد 26، ص 241.
15. ماجدة أحمد حسن المسحر. (2007)، مرجع سابق، ص 32.
16. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق، ص 27.
17. ماجد أبو جابر و جهاد علاء الدين و لبنى عكروش و يعقوب الفرح. (2009). إدراكات الوالدين لمشكلة إهمال الأطفال و الإساءة إليهم في المجتمع الأردني. المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، المجلد 5 (1)، ص 18.
18. ماجدة أحمد حسن المسحر. (2007)، مرجع سابق، ص 62.
19. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق، ص 30.
20. ماجدة أحمد حسن المسحر. (2007)، مرجع سابق، ص 73.
21. مي كمال محمد بوقري. (2009)، مرجع سابق، ص 37.
22. عبد المجيد أبو عمرة . (2012)، مرجع سابق، ص 19.
23. سامية ابريعم. (2012). إدراك الأبناء لأساليب المعاملة الوالدية و علاقتها بالأمن النفسي، أطروحة دكتوراه، الجزائر: جامعة بسكرة، ص 135.
24. وفاء علي سلمان عقل. (2009). مرجع سابق، ص 14.

تاريخ الاستلام: 2017/03/15 - تاريخ التحكيم: 2017/09/13 - تاريخ النشر: 2017/12/30

بعض المشاكل والفخاخ في العلاقة العلاجية

د. مراد يعقوب

جامعة غرداية - الجزائر



الملخص:

تهدف في هذه الورقة البحثية الى تسليط الضوء على بعض الفخاخ والمشاكل في العلاقة العلاجية، والتي قد يقع فيها الاخصائي النفسي الذي يقدم المساعدة والدعم النفسي لعميله، هذه الفخاخ والمشاكل يكون منشؤها الاخصائي النفسي ذاته، أي سيره النفسي، وذاتيته وما عايشه هو كفرد من صعوبات ومشاكل، وقد تكون كذلك هذه الفخاخ والمشاكل نتيجة التطبيق السيء لعلم النفس العيادي.

Résumé

Dans cet article, l'auteure se propose de traiter certains problèmes et certains pièges dans la relation thérapeutique. L'origine de ces pièges est la dynamique de la personnalité du thérapeute ; sa perception sa genèse de personnalité son vécue ; et aussi la mauvaise utilisation de la psychologie clinique.

1- الاشكالية:

تزايد الطلب على الاستشارة النفسية، نتيجة لوعي بعض الأولياء (خاصة للأبناء ومشكلاتهم النمائية، المدرسية، أو بعض الاضطرابات السلوكية) وقد يكون تزايد الطلب نتيجة الضغط المتزايد على الاسر، حيث أصبح من الصعب على الأسرة التكيف والاستجابة لجملة السلوكيات والطلبات والصراعات التي يعيشها الابناء عبر مراحل تطورهاهم (طفولة، مراهقة، رشد) وكذا الضغط المتزايد على الام والتي تجد نفسها أمام زملة من أنماط السلوك الذي يميزه عدم التحكم في الانفعالات من جهة ومن جهة أخرى تعارضه مع قيم المجتمع، وهذا كله أمام نقص واضح في عدد المختصين الذين يقدمون الخدمة النفسية، سواء في المؤسسات العمومية أو في المؤسسات الخاصة، مما يضع المختص النفسي بدوره تحت ضغط الطلب. (بعلي، 2006، ص: 3)

تبقى الاستجابة لهاته الطلبات والضغوطات مضبوطة ومنظمة بمجموعة من قوانين واخلاقيات المهنة للمختص النفسي والتوجه النظري الذي يتبناه، ومهما كانت هذه القوانين المنظمة للعمل النفسي من الناحية الاخلاقية ومهما كان التوجه النظري للأخصائي النفسي، يبقى انه (المختص النفسي) إنسان لم يختر الظروف

والعوامل والاحداث التي ساهمت في بناء شخصيته ولم يختز الظروف التي ساهمت في تكوينه، نتكلم هنا عن التكوين الاكاديمي، (وكذا تكوينه من حيث إدراكه لذاته، لمشاكله..) والعمل عليها والاعتراف بها ومحاولة عزها بقدر الامكان عندما يكون في وضعيات علاجية أول على الاقل الشعور بها، حتى يكون التدخل النفسي عمل منظم بخطوات علمية معروفة مسبقا لدى المختص ومخطط لها ولها مرجعيتها العلمية، وليس دوافعه الخفية، واسقاطاته، وادراكه، أو تحويله المضاد. (بعلي، 2006، ص: 3)

ضمن هذا الاطار يطرح الباحث السؤال التالي :

كيف يستطيع الاخصائي النفسي العمل مع عملائه بطريقة موضوعية دون أن تتدخل ذاتيته (عزل التحويل المضاد والعمل عليه، والمشاكل الشخصية، حب التحكم والسيطرة في المريض..) في طريقة التدخل النفسي ؟

للإجابة عن هذا السؤال حاولنا مراجعة اهم التقنيات العلاجية المستعملة في التكفل النفسي، العلاج المعرفي السلوكي ، العلاج المستوحى من التحليل النفسي، العلاج النفسي المتعدد، من اجل معرفة أهم الفخاخ الممكن أن تكون في العلاقة العلاجية.ومنه جاءت الفرضية التالية:

يستطيع الاخصائي النفسي العمل مع عملائه بطريقة موضوعية (عزل التحويل المضاد والعمل عليه، والمشاكل الشخصية، حب التحكم والسيطرة في المفحوص..) بالعمل على ذاته، وتواجهه في مجموعة المراقبة والتكوين.

وحتى نكون اكثر وضوح سوف نعرض هنا باختصار لحالتين مختلفتين ، أحدهما لزميل يطبق علاج بطريقة مستوحات من التحليل النفسي ، حين تعرض لصعوبات للتقدم في العمل النفسي، والاخرى لحالة ثم توجيهها الى الباحث نبين فيها بعض المشاكل التي يمكن أن يقع فيها الاخصائي النفسي مهما كان التوجه الذي يتبناه ومهمة كانت خبرته المهنية،وقبل عرض الحالات نود أن نبين أهم الفخاخ والمشاكل الممكن مصادفتها في العلاقة العلاجية.

2- بعض المشاكل والفخاخ في العلاقة العلاجية

العلاقة العلاجية: يسعى كل معالج نفسي في خطواته الاولى للعلاج النفسي لربط علاقة مع العميل، وتهدف إلى التفاعل الاولي والى تنمية جذب و مشاعر ايجابية عند العميل عن طريقة التفهم، الدفء، وتقديم المساعدة والدعم والنظرة الايجابية غير المشروطة اتجاه العميل؛ الهدف الثاني هو تمير احساس أن المعالج هو شخص كفاء وموطن ثقة بحيث يستطيع العميل أن ينشئ علاقة ثقة. (Oliver C, Michel M, 2003, p :127)

الجذب يحتوي على عاملين:

-العميل ينظر الى معالجه على انه يقدم له المساعدة و التكفل (عامل عاطفي، الرابطة العلائقية)*. (ناصر الدين، ابو حامد، 2008، ص : 67)

- وكذلك العميل يتكون لديه احساس بالعمل المسترك، وتعايش وتناسق مع المعالج (عامل معرفي ودافعية، رابطة عمل، تلزم التعاون بين العميل ومعالجه).

المشاكل والفحاح: بعض الأخطاء التي يقع فيها المعالج نتيجة بعض الصعوبات ترتبط بشخصيته (سيره النفسي)، بالرغم من تمكنه من التقنيات العلاجية والخبرة في العمل، وتكون هذه الفحاح غير مقصودة.

2-1- أهداف العلاقة العلاجية :

المساعدة ، العلاج ، التخفيف من المعاناة :

مهما كان العنوان او الشهادة التي نملكها للقيام بالعمل النفسي، أسوء كنا سيكاتريين ، مختصين نفسانيين أو محللين فالهدف من كل نشاطاتنا عندما نتكفل بإنسان يستشيرنا هو المساعدة، طبعاً يتعلق الأمر بمساعدته لحل مشاكله وفي أغلب الأحيان التخفيف من معاناته. (بعلي، 2006، ص: 3)

في بعض الأحيان، ترجع هذه الصعوبات بوضوح الى سجلات تتعلق باضطرابات الشخصية، كما هو الحال في الفوبيا، سلوكيات وسواسية معيقة للسير العادي للحياة، أزمات قلق «بدون سبب»، بحالة اكتئابيه مزمنة، إلخ.. ولكن قد يتعلق الأمر كذلك باضطرابات استجابيه ناتجة من وضعيات حوادث خطيرة؛ في المجال طبعاً أمثلة عديدة حروب مأساة وطنية، كوارث..

لكن في كل هذه الحالات فإن هدف المستشار لنا هو أن نجيب لطلبه الذي هو مساعدته للتخفيف من معاناته، تحسين علاقاته، وأكثر من كل هذا تحسين الظروف والشروط لسير نفسي أحسن، فليس من الضروري أن نؤكد الوصول لكل لذلك ولكنه من الضروري أن نأمل، ونبرهن على أننا سنصل الى شيء ما، يتعلق الأمر ببرهان، لأن المشوار لذلك قد يكون طويل، يبدأ بعمل المختص النفسي على فهم السير النفسي لعملية، ولكن أيضا فهم نفسه (المختص النفسي) وفهم حدود إمكانياته العلاجية أمام كل طلب، فإذا شعر المختص أنه لا يستطيع القيام بهذه العملية العلاجية (بسبب صعوبة الحالة بالنسبة له، أو لأن هناك صدى في داخله لنفس مشاكله، لأنه يشعر بصدمة عنيفة في مبادئه الأخلاقية أمام الحالة التي تزعم مبادئه وقيم يراها مهمة، إلخ..)، يجب إذن أن يتنازل عن الحالة، ولكن في مثل هذه الحالات فإنه لا يكفي أن نتنازل عن الحالات ببساطة ولكن يجب أن نوجه العميل الى مختص آخر، أو سيكاتري..

2-2- تحليل طلب العميل :

فمن المهم معرفة من يطلب ماذا لمن؟ فالأمور ليست بسيطة كما تبدو؛ لأنه خارج الطلب المباشر، هناك دائما طلب غير مباشر، في أغلب الأحيان مجهول في البداية من طرف المستشار نفسه، ماهي وضعيته في المقابلة الأولى، أي ما أبعاد تعبيراته؟ وما هي الفكرة التي يملكها عن المختص (ة) النفسي (ة)؟ (بعلي، 2006، ص: 3)

أخيرا يجب طبعا التمييز بين الطلب المباشر، المصاغة من طرف المستشار نفسه، والذي يطلب مساعدة لشخص آخر؛ في أغلب الأحيان الأمر كذلك حينما يتعلق الأمر بالأطفال، أين يكون الطلب من طرف الأب، الأم، المعلم، طبيب، إلخ، الذي يتكلم باسمه و غالبا ما يتعرض المختص للتكفل «بالطفل العرض» الذي يلعب دور في تركيبة عائلية صراعية وهذا الدور أساسي؛ وهو أن يكون سبب و شاهد لصعوبات عائلية، وعندما نوضع في مثل هذه الحالات، يمكن أن نلاحظ أنه يتعلق الأمر بدور قدم له لكي يضع قناع سوء تفاهم الوالدين، شعور بالذنب للأب، أو الأم، تنافس بين الاخوة، إلخ.. وفي أغلب الأحيان يكون الطلب متناقض (غير هذا الشيء ولكن لا تغير شيء)؛ إذا كان من الممكن التجاهل هنا فإنه يمكن أن نتعرض لمشاكل يصعب تجاوزها. (ناصر الدين، ابو حامد، 2008، ص : 67)

2-3- الفخاخ الممكنة :

بعدها نجد الفخاخ متنوعة التي يمكن للمختص أن يسقط فيها؛ فله ديناميته الخاصة، قضيته الشخصية، صراعاته، إذا لم يتحكم بكفاية في كل هذا، فإنه هناك احتمال أن يتدخل بطريقة غير مناسبة تماما مع الطلب والذي يعبر أكثر عن صراعاته الخاصة، منه عن صراعات العميل (هنا أخطار التحويل المضاد). (بعلبي، 2006، ص: 4)

أ_ الشعور بالتفوق :

قد يجذب المختص خاصة في بداية عمله الى الاهتمام بمهنته الصعبة والافتخار بهذه المهنة التي تسمح له بمعرفة كل شيء عن عملائه، بينما عميله لا يعرف شيء عنه، فإن شعرت بالإضافة الى ذلك أنك أكثر ثقافة، ولما أكثر ذكاء، فأحذر فإنه ليس هناك شيء إيجابي من ذلك، والخطر اذا توبع هذا التعجرف بالاحتقار؛ إن نشاط المختص النفسي يهدف للسماح للعميل من تغيير طريقة نظرتة، إحساسه، تفكيره، وفي بعض الأحيان أكثر مما يتوقع هو بجد ذاته أو يتمناه (أو حتى يخافه) في البداية ولكن يجب أن نفكر في سير عملنا هذا دائما أن ما يهمنا في نهاية المطاف هو حرية العميل، إذا ما مشت الأمور على ما يرام فالحرية الشخصية أساسية في كل التناولات، حرية التحرر من الصراعات الداخلية التي يجهلها لحد الآن، وحرية العلاقات البينية. (نفس المرجع، 2006، ص : 4)

ب-لذة التحكم :

إذا كان الهدف من العلاج هو تحرير العميل، فإن ما يمكن تفاديه هو أولا بناء علاقة سيطرة التي ترجعه الى وضعية طفل، أو حتى تلميذ لمعلم صارم، على المختص أن يتفادى تقديم نصائح وتوجيهات، (حتى وان كان هناك تقنيات اين يتم توجيه العميل انطلاقا من برامج علاجية وواجبات منزلية) ولكن يجب أن يتفادى السماح لنفسه بالتموضع في وضعية مسيطرة ، ولأنه يعرف كل شيء و أكثر من ذلك هو الذي يمكن له قول ما هو مسموح وما هو محضور، الجيد، الصحيح، وبما أنه يعرف أحسن، فهو يفكر أحسن إلخ.. فهذا من شأنه أن يكون علاقة تبعية، وهذا عكس ما يهدف اليه العلاج النفسي.

ج-الوضعية البيداغوجية :

هي محاولة لأن يكون المختص بمثابة «معلم جيد» للعميل «أب جيد» ، إلخ.. فقد يهتم بعض المختصين بهذا الموقف هذا حتى و إن لم يكونوا بالضرورة "أباء جيّدون" أو "معلمون جيّدون" في حياتهم الخاصة،

يكفي أن نتساءل هل نحن مقتنعون بذواتنا؟ فالعميل كثيرا ما سمع «لأباء جيّدون» «معلمون جيّدون» سيؤمنون المعاملة له بعذر «مصلحته»! فهو يحتاج لشيء آخر؛ أن نكف عن الحكم عليه، نصحه، شكره، تحذيره.. أخير أن نسكت و نستمع، وإذا لزم الامر أن أعلمه بعض المهارات كمهارات الاسترخاء مثلا فيجب إحترامه واحترام صعوباته في التعلم لتلك المهارة وعدم الحكم عليه خاصة. (بعلي، 2006، ص: 4)

د-الدعوة و الاستشارة :

هنا المختص النفسي يجب أن يتفادى نشر أفكاره السياسية العقائدية الايدولوجية مع العميل لكي نكسب العميل ونؤثر فيه يجب الحذر، وهنا يجب أن نميز بين القيم العامة والأخرى الخاصة بالاختيارات الفردية، فالقيم العامة تقبل وتحترم من طرف الجميع في مجتمع معين بداية من احترام الآخر، التسامح، حرية كل واحد أن يكون ما يريد إذا لم يمس طبعاً بجرية الآخر .

والمختص النفساني يتقيد بجرية أن يكون الشخص ما يريد، أو ما يستطيع أن يكون فهو في خدمة الحياة والحرية.

ج-النصائح :

يجب تفادي تقديم النصائح، بقدر الامكان، فالحياة تشهد أن النصائح تأخذ مصيرين : إما أن نتبعها و الأمور تدور بالسلب (وفي الحياة أمثلة عديدة عن نصائح جيدة أعطت نتائج سلبية) وفي هذه الحالة نغضب على الانسان الذي قدمها، أو لا نتبعها والأمور تسيء وهنا نعاتب الناصح عن عدم إلحاحه على ذلك.

ح-الاغراء :

أكبر فخ قد يتعرض له المختص النفساني، عليه أن يتفادى علاقات إغرائية وجنسية مع عمليه(ته) وبالتجربة والخبرة، يتوصل بسهولة إلى التحكم في الوضعية، ومن المهم أن نأخذ وضعية مهنية، ولكن هذا لا يعني أننا نكون جامدين، ولكن أن نتحكم بالإطار. ويجب أن نتذكر دائما أنه مهما كانت محاسننا، فإن الحركات العاطفية ليست موجهة لنا.

كذلك من جهة أخرى فهذه المزايا التي ينشدها العميل في شخصيتكم ليست مطلقة ولا يجب أن تعتبر بها فإنه من المحتمل جدا أن العميل يقول نفس الشيء لمختص آخر في نفس الظروف؛ ومن أجل الحفاظ على

الحالة - خاصة في العيادة الخاصة - نتساهل مع هذه الوضعيات وأخطر من هذا قد يحاول المختص إغراء عملية للحفاظ عليه. حذار فالذي يطلب المساعدة هو وليس أنت المختص .

خ-الوضعيات الاصلاحية :

كل ما سبق يهيم أرضية لأن نشعر بأنفسنا كمصلحين، عكس الناس الذين أضروا بالحالة. (ناصر الدين، ابو حامد، 2008، ص : 67)

3- تقديم الحالات:

سنقدم فيما يلي حالة قدمها زميل خلال الاجتماعات في جمعية علم النفس الجزائري في مجموعة التكوين والمراقبة وهو مختص نفساني عيادي يعمل في عيادة خاصة وبدأ تقديم حالته بعباراته التالية :

إن الصراع الذي تعانیه الجزائر، تضع المختص النفسي أمام صعوبات ومسؤولية في الحقيقة لم يكون محض لها؛ قبل تدخلنا نود أن نقدم بعض الفخاخ (pièges) في حالة التكفل بطفل تعرض أبوه للاغتيال .

حيث كان عمل الحداد لدى هذا الطفل جدّ صعب، من جهة حداد غير قائم من طرف الأم، وكذلك إعادة زواجها؛ وتشابه الطفل بأبيه كقطرتين من الماء على حد قول الأم، جعلت الأشياء جد صعبة

وانطلاقا من السيورورات التحويلية، فقد صعب علينا التحكم في بعض العناصر الأساسية في الكفالة

النفسية :

التعاطف نحو هذا الطفل << المهمل >> من طرف الأم

الشعور بالخداع من الأم نحو الزوج المتوفي

صعوبة هذه المرأة من العيش مع الزوج الجديد .

سنوضح انطلاقا من هذه الحالة إلى أي درجة عمل الحداد للطفل مرتبط بحداد الأم وكم هو صعب و معقد

للمراقبة. (بعلي، 2006، ص: 4)

3-1- تقديم الحالة الاولى: وحيد طفل عمره 8 سنوات، قصير القامة، شاردة الذهن ولباس مهمل كثيرا، الأم سيدة جميلة وجد مهتمة بمندامها، مباشرة أثار انتباهنا هذا التناقص الظاهر بين الطفل وأمه، ويبدو في فقر وحاجة ظاهرة بوضوح. (نفس المرجع، 2006، ص: 4)

يحضر وحيد إلى الاستشارة بعد نصيحة صديقة لأمه (معلمة وحيد)، لأسباب متعلقة بمشاكل مدرسية، خاصة نقصان في القراءة والكتابة، تتصادف هذه الصعوبات والتأخر المدرسي منذ دخوله السنة الثالثة والذي يتصادف بدوره بإعادة زواج الأم .

أخ وحيد الذي يكبره بثلاث سنوات، لا يعاني من أي مشكلة ظاهرة والذي تصفه الأم بالذكي الخارق للعادة، المعلمة والأم تضعان اغتيال الأب سبب أساسي لاضطرابه فوحيد لا يتجاوز 3 سنوات عندما اغتيل الأب، وهذا الاغتيال أحل بتوازن هذه العائلة والتي تعاني منذ 5 سنوات من مشاكل يصعب تجاوزها، يبدو وحيد اجتماعي إلى حد ما، ينتقل في كل مكان في المكتب وبمس كل شيء. (نفس المرجع، 2006، ص : 4)

محاولة منا لفهم مع بعض سبب الهبوط المفاجئ في نتائجه الدراسية خاصة في السنة الثالثة، الأم تجيب بخجل عدم فهمها. (بعلي، 2006، ص: 4)

أمام التألم الظاهر على الأم عند ذكرها للحياة العائلية، فضلنا أن نتوجه إلى وحيد وطلبنا منه أن يكلمنا عن المدرسة، عن أصدقائه ولعبه المفضلة، يستجيب بسهولة. على العموم الحصص الأولى مرت بطريقة سطحية، دون أن يكون هناك عمل نفسي حقيقي، وقد اكتفينا بالاحتفاظ بانتظام الحصص والمراقبة لعنصرين مهمين في نظرنا، جعل الأم تفهم الصعوبات التي يعاني منها ابنها ومحاولة إصلاح العلاقات النفس وجدانية بينهما.

خلال الأشهر الثلاثة الأولى لم يكن ممكن لنا العمل عن موت الأب، خلال هذه المرحلة لم يكن أي تغيير حقيقي ما عدى تغيير طفيفي على مستوى هيئة وحيد و ملابسه، حيث اكتفينا بالتركيز على الرسومات الحرة التي كان وحيد يرسمها باهتمام والتي كان يظهرها في كل مرة للمختص. وتميز انتاجه بالمظاهر التالية: غياب الألوان بالنسبة للرسومات الأولى، غياب الأشكال الإنسانية الذي يبين فقر هوامي طغي على محتوى الرسومات التي كانت معظمها شمس مع ضباب، باخرة مشوهة ومنزل حزين يشبه السجن. (نفس المرجع، 2006، ص :

(4

خلال المرحلة الثانية من الكفالة النفسية، لاحظنا تغير مهم في سير عملنا، حيث صادفت هذه المرحلة تقديم الحالة في جماعة التكوين والمراقبة، وقد سمحت تدخلات الجماعة من تجاوز مخاوفنا ومقاومتنا التحويلية أما قلق فقدان المنقلة من طرف هذه العائلة وهذا الطفل، لقد تعرفنا إذن بأكثر راحة على معاش هذه العائلة و ظروف وفاة الأب .

وعكس الحصص الأولى فوحيد أصبح يحكي باسترسال عن حياة أبيه، حيث حكي في إحدى الحصص أنه يتذكر أبيه وأكد على الشبه الكبير بينهم يقول هذا بتحفظ المدلى بسر العائلة لذلك كان صعب تشجيعه في تداعياته؛ يضيف بافتخار أنه يحتفظ في حجرته بصورة مكبرة لأبيه، فيما بعد يدلي بزياراته المنتظمة لقبر أبيه الذي يقوم بها بصحبة جدته، هذه الأفعال يدلي بها أمام أمه التي بكت بحرقة؟ ولأول مرة، وتعب بدورها وبوجدان وتأثر كبيرين، الظروف المأساوية للأحداث والصعوبات التي عانت منها في حياتها العائلية، التي كانت لوقت قريب جدا تتفادى الكلام عنها كلية، حيث عبرت عن شعورها بالذنب الذي منعها من الاستمتاع بالحياة إلى درجة رفض الحصول على التعويض المادي الذي قدم كتعويض وإصلاح لوفاة الزوج.

في هذه الحصتين أين عبر فيها عن هذه الحركات كانت جد صعبة بالنسبة لنا انطلاقا من هنا لاحظنا بداية تغير على مستوى سلوك وحيد فقد كان أكثر حيوية وأكثر نشاط، وتحسن على مستوى نوعية علاقته مع الأم ؟ نتائجه المدرسية تحسنت كذلك بنوع محسوس يوضح إمكانيات تطويرية منذرة بأشياء إيجابية بعد فاجعة مؤلمة.

3-2- تقديم الحالة الثانية :

السيدة (ص) التي جاءت إلى الفحص في ديسمبر 2013 ، وهي إمرأه في الثلاثين من عمرها، أنيقة، ربة بيت أم لأربعة أطفال أكبرهم سعيدة (الحالة التي جاءت معها إلى الفحص)، وأصغرهما ابنتها 5 سنوات وابنين (8 سنوات و 6 سنوات)،

جاءت السيدة إلى الفحص مع ابنتها سعيدة التي تبلغ من العمر عشرة سنوات والتي يظهر عليها هي الأخرى الأناقة والترتيب، من الوهلة الأولى لاحظت أن هناك عدم توافق بين شكلها وسنها، حيث أنها بدت كطفلة الصغيرة في سن 4 أو 5 سنوات، نوعية لباسها وطريقة تسريحة شعرها طفولية جدا، وردود أفعالها

وتصرفاتها لا تعكس أبداً سنّها، عندما دخلت الى مكتب الفحص بدى عليها الخوف، فكانت ملتصقة بأمها التي امرتها بالجلوس وعدم الخوف، ومع ذلك لم تجب على أمها، كانت تنظر في حيرة واستغراب.

سألته هل تحب الرسم ، فأشارت برأسها نعم، فأعطيتها ورقة بيضاء وقلم وطلبت منها أن ترسم عائلتها فأمسكت بالقلم وبدا عليها أنها وكأنها لم تفهم التعليم، (كان هدفنا ليس إجراء اختبار رسم العائلة بقدر الدخول في علاقة مع البنت سعيدة، وطمينتها)، أعدت التعليم من جديد ارسمي عائلتك، فابتسمت وبدأت بالرسم وهي واقفة طلبت منها أن تجلس فلم تستجيب، عقبت امها على ذلك بقولها انها لا تستجيب بسهولة وكأنك تكلم أحداً آخر، وهذا ما أتعبني حسب قول الأم التي بدى على وجهها الحزن.

وعن المشكلة التي تعاني منها البنت سعيدة، قالت الام أن لديها مشكلة كبيرة في التحصيل الدراسية، وفعلت معها الواجب وأكثر وأنها تعبت واصبحت متوترة جداً، وعن سبب قلقها وحزنها قالت: البنت عنيدة جداً لا تستجيب للأوامر، وتنسى أهم الأشياء في حياتها فتنسى مثلاً مواعيد المدرسة، وفي كثير من الأحيان لما يجين وقت المدرسة تذكرها ولا تستجيب وكأنك تكلم إنسان آخر حسب تعبير الام.

زميلاتها يحافظن على انفسهن؟ اما هي فلا، أشعر انها لا تميز بين الاشياء وكأنها مازالت في سن أصغر (تلعب مع الذكور أكثر من لعبها مع البنات)، تواصل الام وصفها لسلوكيات سعيدة حيث قالت ان أختها الاصغر منها (5 سنوات) ناضجة وتميز بين الاشياء وتعرف مليح واش تعمل ومع من تكون، عكس سعيدة تماماً، وانا خائفة عليها كثيراً، لا ادري كيف اتصرف، ماذا افعل معها خاصة في المستقبل.

لخصت شكوى الأم وسبب طلبها للاستشارة: إذن المشكلة الأولى هي التحصيل الدراسي، وثانياً العناد وانها (الطفلة سعيدة) لا تحاكي زميلاتها في أمورها الشخصية، فأجابت الام نعم بالضبط كما وصفت؛ بعدها أخبرتني ان الاخصائية الارطوفونية وجهتها للفحص النفسي وقالت لها انها تعاني من صعوبات في التعلم والعناد، حينها سألت الام عن وقت ظهور هذه الاعراض، وهل عاجلت عند الطبيب العضوي خاص عند طبيب الاطفال، فأجابت انها عاجلت بعض المرات خلال الثلاثة السنوات الماضية عند اخصائية النفسية في المؤسسة العمومية، وكذلك عند طبيب الأطفال.

وعن زيارتها لطبيب الاطفال وماذا قال بخصوص الطفلة سعيدة، فأجابت أنه عند ما راها البنت لأول مرة لم يعرف مما تعاني بالضبط لكنه قال انها ليست عادية وطلب مني (من الام) زيارة طبيب الرأس والأعصاب

من أجل إجراء تخطيط كهربائي للدماغ EEG بعدما قامت بالتخطيط الكهربائي للدماغ والذي أحضرته معها للفحص؛ طمئنتها انه لا مشكلة، فقط نصحتها ان تعرف كيف تتصرف معها، حينها سألتها الام، هل من الضروري استشارة أخصائي نفسي، فأجابها لا، كوني أنت مختصتها النفسية.

ختمت الحصة الأولى مع هذه الأم وابنتها سعيدة، بالتركيز على أن ما تعانيه البنت ليس بسبب الإهمال في التربية أو التقصير ولكن بسبب أن البنت قد تكون تعاني من اضطراب طيف التوحد، وأن ما وصفته بالعناد أو صعوبات تعلم، قد يكون ناتج كذلك عن هذه الاضطراب وأنه من الأحسن أن لا نلوم أنفسنا بل نقدم المساعدة بالطريقة المتاحة؟ وعند تصريحي للأم أن البنت قد تكون تعاني من التوحد، اعتقدت أنها ستحزن أو تكون ردت فعلها عدم التقبل - لكن ما ظهر على وجهها هو السرور - و قالت 3 سنوات وأنا أتعذب بسبب تأنيب الضمير وإحساسي بالتقصير لدرجة أنني أصبحت متوترة جدا، وهذا حسب قولها لان المختصة التي كانت تتابع الطفلة سعيدة، اخبرتها أن سبب العناد وصعوبات التعلم هو نتيجة عدم معرفة الام التصرف بطريقة صحيحة، وتقصيرها في أداء واجباتها كأم، ومنذ ذلك الحين والام تلوم نفسها كثيرا.

أدركت حينها أنه من الممكن لمن يقدم المساعدة النفسية أن يتسبب في إيلاام عميله كثير، إذا لم يتعهد نفسه بالعمل بموضوعية ضمن مبادئ واخلاقيات مهنة المختص النفسي، في نهاية الحصة وجهت الام والطفلة سعيدة إلى مختصة نفسية تجيد التعامل مع التوحد والتخلف العقلي وكذلك الى الطبيب السكاتري الموجود بالمدينة من اجل رأي طبي وتقييم للحالة.

في الجلسة الثانية جاءت الام ومعها الطفلة سعيدة، بعدما اكد لها كل من الطبيب السكاتري والمختصة النفسية وجود طيف توحد مع تخلف عقلي؛ وما كان مدهشا بنسبة لنا ان الام بدت في راحة وأكثر اطمئنان مقارنة مع الحالة التي كانت عليها في الحصة الفارطة، دفعني الفضول ان اسألها عن سبب راحتها واطمئنانها ، فأجابت ان ما تعانيه ابنتها سعيدة شيء من عند الله ، وعقبت مرحبا بقضاء الله، اما في الماضي فكنت اليوم نفسي كثيرا على أساس أنني انا السبب في الكثير من معاناتها، مما جعلني اشعر بالذنب والحسرة، أنا الان أكثر راحة، وعبرت عن امتنانها لنا ، وختمتنا الحصة والعمل مع هاته الام وطفلتها سعيدة، بإعادة توجيهها ثانية الى الاخصائية النفسية في المؤسسة العمومية ، من اجل التكفل بحالة التوحد والتخلف العقلي.

4- الخلاصة:

لاحظنا جيدا من خلال عرض الحالة الاولى، حالة الطفل وحيد وأمه ، والصعوبات التي أعاقت إرصان صدمت موت الاب لدى الطفل، وعمل حداد وكيف، ارتبط ذلك (عمل الحداد) بالظروف الصعبة التي مرت بها الام تحديدا ، والاسرة عموما حيث تعرض الطفل وحيد لفقدانات متتالية ، فقدان الاب الفقدان الرمزي للأُم بسبب تركها له عند الجدة ، ثم هجره لبيت الجدة بسبب استعادته من طرف أمه هذه الظروف الصعبة، بالنسبة له، وظروف أخرى ارتبطت بالأسرة ككل، منها إعادة زواج الأم محاولة منها لترميم واصلاح لوضع العائلة، ولكن احساسها بالذنب وهشاشتها النفسية لم تسمح لها كما لم تسمح للطفل وحيد بعمل ارصان، هذه الحالة المزرية للطفل وحيد وظهوره امام المختص النفسي بطريقة مزرية، حركت عند المختص النفسي آثار ذكراوية قديمة تمثلت بفقدانه للأب إبان الثورة التحريرية، مما صعب الامر على الاخصائي النفسي العمل على بطريقة سلسلة، من أجل مساعدة الأسرة القيام بعمل حداد ، التعاطف الواضح من طرفه (الاخصائي النفسي) اتجاه الطفل وحيد، ولاحظنا جيدا انه خلال ثلاثة اشهر من العمل مع هذا الطفل، لم يكون هناك تقدم حقيقي للعمل في الاتجاه الصحيح، حيث توضح جليا لنا ذلك الانكار من طرف المختص النفسي للسير قدما نحو عمل يشجع فيه الطفل وامه على عمل الحداد (أمام التألم الظاهر على الأم عند ذكرها للحياة العائلية، فضلنا أن نتوجه إلى وحيد و طلبنا منه أن يكلمنا عن المدرسة، عن أصدقائه ولعبه المفضلة، يستجيب بسهولة: يظهر لنا كراريسه، كتبه، وألاحظ أن خطه واضح ، وكراريسه جد معني بها، وحتى أنه يقرأ جيدا.) من خلال هذه الفقرة وغيرها يتبين ان الصعوبة لم ترتبط بالصعوبات لدى الطفل وحيد وعائلته ، بل كذلك بصعوبات لدى المختص النفسي، بسبب النقلة التحويلية، التي احييت معانات قديمة للأخصائي هي فقدان الوالد ، ابان الثورة التحريرية .

كما أنه من المهم جدا لنا أن نبين هنا ان تقديم هذه الحالة في مجموعة المراقبة والتكوين، وتوضيح الصعوبات للأخصائي النفسي، في ما يتعلق بالنتيجة التحويلية وتعاطفه مع الحالة والانكار الذي بدا واضح في عمله بسبب صعوباته النفسية المتعلقة بفقدان والده في الثورة، والذي انعكس بشكل واضح على سير العمل فيما بعد، في الجلسات التي كانت بعد تقديم الحالة في مجموعة المراقبة والتكوين، ساعد كل ذلك المختص النفسي والطفل وحيد وأمه بالقيام بعمل نفسي يساهم كبداية لترميم نفسي يسمح بالقيام بعمل حداد؛ حسب نظرنا أن الصعوبات في هذا العمل النفسي مع الطفل وحيد لم يكن ابدا نتيجة عدم التمكن من التقنية العلاجية، او نقص في التكوين ، بل كان كما لاحظنا نتيجة لصعوبات مرتبطة بالحياة الخاصة للمختص النفسي العيادي نتيجة معاش نفسي، ارتبط بطفولة المختص، نتيجة تحويل مضاة تمثل هنا في التعاطف والانكار الذي طغى على العمل في بداية

الكفالة النفسية، هذا النوع من الفخاخ التي يمكن أن يقع فيها المختص النفسي في عمله، اذا لم يكن هناك من يراقب هذا العمل ويساعد المختص النفسي على تجاوز هذه العقبات والعمل عليها، وذلك بفهمها وعزلها، حتى لا تغطي على أعمالنا؛ واعتقد هنا أنه من الضروري ان نذكر انه مهما كان التوجه النظري للمختص الذي قد لا يهتم بالسير النفسي لعميله ويركز على تعليمه مهارة ما، أو تطبيق برنامج ما، فإن شخصية المختص والصعوبات النفسية الخاصة وفهمه لنفسه ممكن أن تتدخل بشكل في كل الاعمال، إذ إن الشخصية لها أثرها على كل سلوك الفرد. (مفتاح، محمد عبد العزيز، 2001، ص : 98)

أما بخصوص الحالة الثانية حالة الطفلة سعيدة ، والذي اتضح لدينا انها تعاني من طيف توحّد مع تخلف عقلي، وأن العناد وصعوبات التعلم التي كانت سبب لطلب للاستشارة والمساعدة النفسية، لم تكن الا أعراض لمشكلة أخرى أكبر؛ بالرغم من ذلك سجلنا الارتياح الكبير الذي بدا على الأم والذي كان بسبب معرفتها أن ابنتها تعاني من طيف توحّد وتخلف عقلي وأن ما تعانيه ليس نتيجة الاهمال من طرف الوالدين عموما والام خصوصا، وبعد اطلعنا على طريقة سير الكفالة النفسية من طرف الاخصائية النفسية التي كانت سبب في معانيتها وذلك بسبب تصريحها بان ما تعانيها هو نتيجة الاهمال من طرف الام؛ اعتقد ان الكفالة النفسية التي تهدف بالأساس الى التخفيف من المعانات والام النفسي، من الممكن جدا أن تعطي نتيجة عكسية اذا لم يتفادى المختص النفسي هذه الفخاخ، والسؤال هنا الذي يطرح نفسه بقوة ما الفائدة من الحكم على العميل مهما كان تقصيره، اذا كان الهدف هو تعليمه طريقة أحسن في علاقته مع الاخرين ومع ذويه خاصة، ونعتقد أن الاجابة واضحة، لا فائدة من ذلك إطلاقا وليست من اهداف الكفالة النفسية مهما كانت الخلفية النظرية، ونذكر هنا أنني لم أركز على الضعف في التشخيص، بقدر ما ركزنا على الالم الذي لحق الأم نتيجة احساسها بالذنب، كما أعتقد انه من الضروري أن يكون المختص النفسي ضمن مجموعة تراقب عمله ويتكون من خلالها على تجاوز الكثير من الصعوبات والتي قد يكون منشأها شخصية المختص النفسي وصعوباته ومشاكله والتي يجب ادركها وعزلها. (Clot Yves 2001, p. 255)

من خلال الحالتين لاحظنا انه من الصعب العمل في الكفالة النفسية دون أن نكون نحن متواجدين فيها بذواتنا أي كأشخاص بكل ما نحمله من تناقض ومن تعرض داخلنا، ونحن نعلم جيدا عندما نقيم أنفسنا اننا كأشخاص لسنا مثاليين، مما يجعل من الضرورة بمكان عزل صعوباتنا ومشاكلنا والتي تكون في أغلب الاحيان غائبة تماما عن وعينا، عندما نكون في تقديم المساعدة والكفالة النفسية للأخرين، كما نرى انه من الصعب عزل تلك

الصعوبات خاصة بالنسبة للمبتدئين، وانه من الضروري أن نقدم عملا موضوعيا، نتفادى فيه الحكم على الآخرين، لأننا ببساطة يمكن أن نرتكب نفس الاخطاء أو أكثر منها، أو على الاقل نؤدي الآخرين من حيث لا نعلم، لذا فإن العمل ضمن مجموعة المراقبة والتكوين يقي على الاقل في كثير من الفخاخ والتي قد يكون مصدرها سيرنا النفسي ومن ثم العمل بطريقة أكثر موضوعية؛ ونعتقد اننا قد برهنا على صحت الفرض الذي افترضناه في بداية هذه الورقة البحثية، يستطيع الاختصاصي النفسي العمل مع عميله بطريقة موضوعية (عزل التحويل المضاد والعمل عليه، والمشاكل الشخصية، حب التحكم والسيطرة في المريض..). بالعمل على ذاته، وتواجهه في مجموعة المراقبة والتكوين. (Clot Yves 2001, p. 277)

المراجع:

المراجع اللغة العربية:

- 1*مفتاح، محمد عبد العزيز، 2001، علم النفس العلاجي.. اتجاهات حديثة، دار قباء للنشر والتوزيع
- 2* بعلي، إكرودوشن زاهية، 2006/ 2007، محاضرات لطلبة علم النفس العيادي، جامعة ورقلة.
- 3*ناصر الدين، ابو حامد، 2008، الارشاد النفسي والتوجيه المهني، الطبعة الاولى، جدار للكتاب الجامعي .

المراجع باللغة الفرنسية:

1- Clot Yves , « Clinique du travail et action sur soi », in *Théories de l'action et éducation*, De Boeck Supérieur, 2001, p. 255-277.

2-Oliver Chabon, Michel M. LES BASE DE LA PSYCHOTHERAPIE,2°
Edition DUNOD.

تاريخ الاستلام: 2016/06/15- تاريخ التحكيم: 2017/05/28 - تاريخ النشر: 2017/12/30

مفهوم صعوبات التعلم كمشكلة أكاديمية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي.

د. نوال بناي

جامعة الجيلاي بونعامة بخميس مليانة- الجزائر



الملخص:

شهد مجال صعوبات التعلم تناميا و تطورا بالغين خلال العقدين الأخيرين من القرن العشرين، وبدأ يواصل تطوره النوعي خلال العقد الحالي، ومع تنامي المجال وحيوية إيقاعاته التي شملت قضايا مختلفة ومنها التعرف على مشكلات صعوبات التعلم، وتعد صعوبات التعلم من الموضوعات المهمة في الوقت الحاضر في مجال التربية والتعليم التي خصت فئة كبير من المهتمين على اختلاف اختصاصاتهم كالأطباء وعلماء النفس وعلماء التربية وعلماء الاجتماع والمعلمين وأولياء الأمور وغيرهم وبالتالي تحديد أهم السمات التي يتميز بها التلميذ ذوي صعوبة التعلم، وكذلك صعوبة اكتشافه على الرغم من وجود هذه الشريحة من المتعلمين بكثرة في كثير من الصفوف الدراسية، ومن أجل التعرف على هذه المشكلة وتحديدتها وتشخيصها وعلاجها، نقوم بهذا البحث للتعرف على صعوبات التعلم، والتعرف على صعوبات التعلم والمفاهيم المرتبطة بها، وكذا أسباب مشكلات صعوبات التعلم، الكلمات المفتاحية: صعوبات التعلم، مشكلات التعلم، بطء التعلم، التخلف الدراسي..

Abstract :

The field of learning difficulties had an important progress and development during the last two decades of the twentieth century. It still to continue during the current decade as the field is developing in which it involves various issues including the identification of learning difficulties which is considered as one of the most important topics at the present in the field of education and learning, which is related to a large group of interested people with their different specialists, such as doctors, psychologists, scientists of Education, sociologists, teachers, parents, and others. Thus we identify the most important features of the pupil who has learning difficulties. As well as the difficulty of its discovering despite this kind of learners are widely found in classes. To identify and to diagnose and to solve this problem we should identify the learning difficulties and the concepts that are associated with it, as well as the causes of learning difficulties in identifying the problem learning difficulties.

Keywords: learning difficulties, learning problems, slow learning, academic backwardness.

مقدمة:

يعد التعليم الابتدائي نقطة تحول هامة في حياة الطفل إذ تنمو كفاءته النفسية والحركية وتبطلور لديه عمليات التفكير، لهذا تعد هذه المرحلة لبنة أساسية لمراحل التعليم التالية سيما أن أي قصور في العملية التعليمية خلالها مؤشر لتراكم وإمتداد تأثيره إلى مراحل التعليم اللاحقة من مسار التلميذ الدراسي.

يتجلى مدى تحقيق الأهداف التعليمية لعملية التعليم من خلال أداء التلميذ الذي يعد مؤشر الفعالية سيرورة عمليات المدخلات والمخرجات العملية التعليمية، هذا الأداء منوط بعدة عوامل تتبادل التأثير فيما بينها منها عوامل وراثية، صحية، نفسية، أسرية، تربوية، من المعارف عليه عالميا وجود وانتشار مجموعة من التلاميذ يعانون من تدني في التحصيل الدراسي مع توافر مستويات مختلفة من المتغيرات البيئية مثل العوامل الصحية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية. وعند إمعان النظر في هذه الفئة نجد أنها تشمل تلاميذ يتمتعون بقدرات جسديه وحسية وعقلية تقع ضمن المتوسط العادي ومع ذلك توجد فجوة عميقة بين الأداء الفعلي والأداء المتوقع لهم حتى مع توافر فرص تعليمية وتربوية متساوية بينهم وبين إقرانهم في ذات البيئة التعليمية. ويعد مجال صعوبات التعلم من أكثر الإعاقات تعقيدا وغموضا نظراً لأنها أعاققة غير واضحة الملامح ومتعددة الأنواع وتشمل مستويات متفاوتة من الحدة. وتتطلب في تشخيصها وعلاجها إلى اختبارات ومقاييس وأساليب متنوعة وبيئات تعليمية مجهزة بإمكانات مادية بشرية متخصصة لخدمة هذا النوع من الإعاققة. ويكون ذلك داخل نطاق المدرسة الاعتيادية سوء الأداء الدراسي من المشاكل الهامة التي تواجه بعض الأسر التي تطمح أن يكون - أبنائها من المتفوقين - وهناك عدة أسباب لسوء الأداء الدراسي للأطفال فالبعض قد يكون لديهم مشاكل أسرية أو عاطفية- بينما عند البعض الآخر يكون سبب الاضطراب أساسا في المجتمع الذي يعيشون فيه أو في المدرسة أو في جماعة الرفقة وهناك فئة أخرى يكون سبب سوء الأداء الدراسي أساسا بسبب انخفاض معدل الذكاء لديهم، وبعض هؤلاء الأطفال يكون سبب سوء الأداء الدراسي أو صعوبة التعلم لديهم بسبب وجود اضطراب منشأ اختلال بالجهاز العصبي ويطلق عليه "اضطراب التعلم" تعني وجود مشكلة في التحصيل الأكاديمي(الدراسي) في مواد القراءة، أو الكتابة، أو الحساب وعلى العكس من الإعاقات الأخرى مثل الشلل والعمى فان إعاقات التعلم هي إعاققة خفية أنها إعاققة غير ظاهرة ولا تترك أثرا واضحا على الطفل بحيث يسرع آخرون للمساعدة والمساندة، إن مشاكل اضطراب التعلم من المشاكل التي تظل مدى الحياة وتحتاج تفهم ومساعدة مستمرة من الابتدائي إلى الثانوي وما بعد ذلك من الدراسة، إن هذا الاضطراب له تأثير هام ليس فقط في الفصل الدراسي والتحصيل الأكاديمي ولكن أيضا يؤثر على لعب الأطفال وأنشطتهم اليومية، وكذلك على قدرتهم على عمل صداقات، ولهذا سوف نتطرق في هذه الدراسة إلى التعرف على الأسباب الحقيقية لصعوبات التعلم.

الإشكالية:

صعوبات التعلم تصنف بالنسبة للتلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي بناء على تحصيله الدراسي قد يوقع الكثير من المشاكل رغم عدم توفر وسائل أخرى خاصة أن هناك فئة من التلاميذ يظهرون تذبذبا شديدا في التحصيل، إذ يحصلون على علامات مرتفعة أحيانا ومنخفضة أحيانا أخرى في الموضوع ذاته أو في موضوعات متعددة هذه الإشكالية دفعت عدت باحثين إلى تقصي هذه الظاهرة سعيا لتحديدها والتعرف على مظاهرها وأسبابها خصوصا وأن عجز التلميذ عن مسايرة زملائه وتحقيق مستوى من الإنجاز يتناسب مع كونه ذكيا أو مع ما يحققه أقرانه من عمره الزمني ووضعه داخل القسم بالرغم من عدم معاناته من ضعف عقلي أو جسمي أو اضطراب نفسي أو حرمان حسي أو ثقافي أو نقص الفرصة للتعلم.

وقد أطلقت تسميات عديدة على هذه الفئة من التلاميذ وحدينا كان مصطلح صعوبة التعلم الأكثر قبولا، وقد اكتست هذه المشكلة طابعا عالميا إذ تراكت البحوث التي أجريت في كثير من الدول على فئة ذوي صعوبات التعلم، ففي البيئة الأجنبية تباينت نتائج الدراسات حول نسبة انتشار هذه الفئة في المجتمع المدرسي، إذ أشارت إحدى الدراسات أن نسبة ذوي صعوبات التعلم تتراوح من 1% إلى 3% من مجمل أطفال المدارس وتوصلت أخرى إلى أنها تتراوح من 5% إلى 15% في حين خلصت دراسة أخرى إلى أن نسبة الانتشار تتراوح من 20% إلى 30% من مجمل أطفال المدارس.

أما في البيئة العربية فأشارت دراسة (أحمد أحمد عواد 1988) إلى أن (52.24%) من تلاميذ القسم السنة الخامسة يعانون من صعوبات التعلم، وأشارت دراسة (هويدا محمود حنفي 1992) إلى أن 11.5% من تلاميذ السنة الرابعة يعانون من صعوبات التعلم.

هذا العرض الموجز يظهر أن ذوي صعوبات التعلم مجموعة غير متجانسة الخصائص، فمعظم العلماء يتحدثون عن أسباب الصعوبة ترجع إلى خلل في الجهاز العصبي المركزي لكن بعضهم يشير إلى أن هؤلاء الأطفال يعانون من صعوبات تتعلق بالإنتباه والإدراك والذاكرة والتفكير واللغة الشفهية، في حين يشير البعض الآخر إلى أن هؤلاء الأطفال يعانون من صعوبات تتعلق بالمهام الأكاديمية وركزوا على القراءة والكتابة والحساب، وعليه نطرح التساؤلات التالية: ماهي مفاهيم مشكلات التعلم الأكاديمي؟ وماهي أسباب مشكلات صعوبات التعلم الأكاديمية؟ وماهي المحكات التي إستخدمت في تحديد مشكلات صعوبات التعلم الأكاديمية؟

1- أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة الحالية إلى مايلي:

- التعرف على مفاهيم صعوبات التعلم الأكاديمية لدى تلاميذ مرحلة التعليم الابتدائي.
- وكذا من أجل الكشف المبكر عن أسباب الإصابة بهذه المشكلة الأكاديمية.
- توجيه إنتباه القائمين على العملية التعليمية والتربوية إلى هذه الفئة والتعامل معها وفقا لخصائصها التعليمية.
- الإستفادة بما ستسفر عنه نتائج الدراسة في مجال الإرشاد النفسي لبناء برامج تربوية تلائم إحتياجات هذه الفئة.

2- أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من خلال الأهداف التي تسعى إلى تحقيقها ومن خلال تناول متغيرات: صعوبات التعلم الأكاديمية، المشكلات التربوية لذوي صعوبات التعلم للدراسة.

3- مفهوم صعوبات التعلم الأكاديمية:

تحدد مصطلح صعوبات التعلم على **Kirk** (1963) الذي استخدم هذا المصطلح لوصف مجموعه من الأطفال تظهر لديهم اضطرابات في نمو اللغة والكلام والقراءة، وأيضاً في مهارات التواصل اللازمة للتفاعل الاجتماعي، ولا تتضمن هذه المجموعة الأطفال ذوي الإعاقات الحسية كالصم والمكفوفين، كما يستبعد من هذه المجموعة ذوي التخلف العقلي.

مصطلح صعوبات التعلم يشير إلى الأفراد (الأطفال خاصة) الذين يتصفون بقدرة عقلية متوسطة أو فوق المتوسطة، إلا أن تحصيلهم الدراسي الفعلي يختلف عن المتوقع منهم، بناءً على تلك القدرة العقلية. علاوة على أنهم قد يعانون قصوراً في واحدة أو أكثر من العمليات العقلية النمائية (الإنباه أو الإدراك أو الذاكرة) وتعرف حينئذٍ بصعوبات التعلم النمائية، أو يعانون صعوبة في القراءة أو الكتابة أو التهجي أو الحساب، وتعرف حينئذٍ بصعوبات التعلم الأكاديمية. هذا مع استبعاد كافة حالات الإعاقة الجسمية والتخلف العقلي والحرمان البيئي والاضطرابات النفسية الشديدة.

وأكد أمين سليمان (2004) بأن مصطلح الصعوبات Learning Difficulties شائع الاستخدام في إنجلترا وأمريكا، وترجم إلى العربية ليشير إلى صعوبات التعلم. أما مصطلح Learning Disabilities فترجم حرفياً إلى اللغة العربية ليشير إلى عدم القدرة على التعلم أو العجز عن التعلم، وانتهى إلى التساؤل: هل هذا راجع إلى الترجمة الحرفية أم إلى الترجمة الإنسانية؟

ويتضح مما سبق أن البعض يعتبر مصطلحي صعوبات التعلم وعسر التعلم مترادفين، بينما يذهب البعض الآخر إلى إعتبار أن مصطلح "عسر التعلم" يشير إلى وجود إنخفاض ما في الذكاء طفيفاً أو أكثر من ذلك، مما يقصي فئة عسر التعلم بالضرورة عن فئة صعوبة التعلم، التي تتميز بكون ذكائها متوسطاً أو أكثر من المتوسط. هذا في حين ذهب البعض إلى إعتبار أن مشكلة التداخل بين المصطلحين هي في الأصل مشكلة ترجمة ونقل المصطلحين إلى اللغة العربية.

وميل حمدان فضة (في كتابه عن ذوي الاحتياجات الخاصة، تحت الطبع) إلى تبني الاتجاه الذي يرى أن المشكلة أصلاً هي مشكلة ترجمة، فكلمة Disabilities التي نقلت إلى العربية على أنها "صعوبات" هي في الحقيقة تعني "جوانب العجز"، مما يجعل مصطلح Learning Disabilities، يترجم على وجهه الأكثر دقة إلى "جوانب العجز عن التعلم، أما كلمة Difficulties فهي تعني بالدرجة الأولى "صعوبات"، أو "عسر"، مما يستلزم ترجمة مصطلح Learning Difficulties على وجهه الدقيق إلى "صعوبات التعلم"، ومما لاشك فيه

أن "صعوبة التعلم" أخف وطأة وشدة من "العجز عن التعلم" مما يجعل هناك اختلافا بين المصطلحين الاجنبيين الأصليين.

ارتبط مصطلح صعوبات التعلم بالتأخر الدراسي لتمثيل فئتي صعوبات التعلم والتأخر الدراسي من حيث المشكلات الدراسية وانخفاض التحصيل الدراسي، وهو ما يمثل المظهر الخارجي لكلتا الفئتين. وقد أشار عزة سليمان (2001) إلى أن التأخر الدراسي قد ترجع أسبابه إلى عدم التكيف الاجتماعي في الأسرة أو المدرسة. عرفت صعوبات التعلم بتعريفات مختلفة انطلاقا من التباين في المناهج الرئيسية لتفسيرها.

3-1- التعريف الإجماعي لمكتب التربية الأمريكي 1972: "إن مفهوم الصعوبات الخاصة في التعلم هو مفهوم يشير إلى تباعد حال إحصائيا بين تحصيل الطفل وقدرته العقلية العامة في واحدة أو أكثر من مجالات التعبير الشفهي أو الكتابي أو الفهم الإستماعي أو الفهم القرائي أو المهارات الأساسية للقراءة أو إجراء العمليات الحسابية الأساسية أو الإستدلال الحسابي أو النهجي ويتحقق شرط التباعد الدال عندما يكون مستوى تحصيل الطفل في واحدة أو أكثر من هذه المجالات 50 بالمئة أو أقل من تحصيله المتوقع وذلك إذا ما أخذ في الإعتبار العمر الزمني والخبرات التعليمية المختلفة لهذا الطفل".

3-2- تعريف مجلس الرابطة الأمريكية لصعوبات التعلم 1986: "يشير مفهوم صعوبات التعلم إلى حالة مزمنة ترجع إلى عيوب تخص الجهاز العصبي المركزي والتي تؤثر في النمو المتكامل أو نمو القدرات اللغوية أو غير اللغوية، وأن الصعوبة الخاصة في التعلم توجد كحالة إعاقاة متنوعة تختلف أو تتباين في درجة حدوثها خلال الحياة وتظهر من خلال ممارسة المهنة والتطبع الاجتماعي والأنشطة الحياتية اليومية".

3-3- تعريف مجلس الرابطة الوطنية لصعوبات التعلم 1994: "صعوبات التعلم عبارة عن مصطلح عام يضم مجموعة من الإضطرابات التي تظهر لدى الأفراد في إكتساب وإستخدام الإستماع والكلام والقراءة والكتابة والإستدلال والقدرات الرياضي إن هذه الإضطرابات تظهر في أداء الأفراد وتنشأ من عوامل داخلية وليست خارجية ومن المفترض أنها ترجع بالدرجة الأولى إلى وجود خلل وظيفي في الجهاز العصبي المركزي، يمكن أن يصاحب هذا الخلل الوظيفي الذي يؤدي إلى ظهور صعوبات التعلم بعض المشكلات السلوكية والنفسية مثل ضبط الذات والإدراك الإجتماعي والتفاعل الإجتماعي مع الآخرين لكن هذه المشكلات السلوكية والنفسية لا يتسبب عنها في ذاتها لصعوبات في التعلم لدى الأفراد وحتى في حالة مصاحبة صعوبات التعلم لبعض هذه المشكلات مثل الضعف أو القصور العصبي والتأخر الدراسي والإضطرابات الإنفعالية أو الإجتماعية أو المؤثرات البيئية مثل: الفروق الثقافية، التعليم غير كافي أو غير مناسب أو العوامل النفسية فإن صعوبات التعلم لا تكون بمثابة نتائج لهذه المشكلات أو أنها عوامل مؤثرة في حدوثها".

يقول جميل الصمادي (1997 ، 109) "لا تعتبر صعوبات التعلم مشكلة تربوية فحسب، بل مشكلة نفسية تكيفيه تؤثر على الطفل ووالديه وأسرته، مما يستلزم التدخل التربوي والعلاجي، بل وإستخدام تكتيكيات الإرشاد والعلاج النفسي الملائمة، بما يسهم في تخفيف معاناة هؤلاء الطلاب".

4- صعوبات التعلم والمفاهيم المرتبطة بها:

4-1- بطء التعلم : الطفل بطيء التعلم هو الذي تتراوح نسبة ذكائه بين 70- 84 ويظهر تقديرا منخفضا لذاته في مجال التعلم الأكاديمي، لكنه في المقابل لا يختلف عن بقية زملائه في تقديره لذاته في جوانب أخرى ويزداد إتقان التعلم لديه عن طريق التكرار لذا يطلق عليهم أحيانا الفئة الأحدية.

4-2- الإعاقة التعليمية: المعاق تعليميا هو الذي يعاني من نقص قدرته على التعلم بمحاولاته المختلفة على مزولة السلوك الإجتماعي السليم لما يعانيه هذا الطفل من قصور جسمي، حسي عقلي أو إجتماعي وفي موسوعة التربية الخاصة يشار إلى أن مصطلح الإعاقة التعليمية يتعلق بتقديم الخدمات للتلاميذ المتخلفين عقليا بصورة متوسطة والقابلين للتعليم .

4-3- الإضطراب التعليمي: المضطرب تعليميا هو الذي يعاني من إختلال صحي أو إعاقة بدنية كما يعاني من إنخفاض في نسبة ذكائه مما ينتج عنه صعوبة مسايرة المناهج وتكون المشكلات البيئية والمنزلية من العوامل الرئيسية التي تفوق التعلم، وفي موسوعة التربية الخاصة يشار إلى أن مصطلح الإضطراب التعليمي يتعلق بضعف جسمي أو عصبي يؤثر في إنجازات الفرد الإجتماعية والأكاديمية.

4-4- مشكلات التعلم : تعود مشكلات التعلم لدى التلميذ إلى البيئة (حرمان إقتصادي، ثقافي، نقص فرصة التعلم، تعليم غير كافي مجموعة متغيرات الأسرة إضافة لعوامل خارجية أخرى).

4-5- التخلف الدراسي : التلميذ المتخلف دراسيا هو الذي لا يستطيع تحقيق المستويات التحصيلية المطلوبة منه في الصف الدراسي ويكون متأخرا في تحصيله الدراسي بالقياس إلى العمر التحصيلي لأقرانه في الصف وهذا عائد لأسباب تربوية أسرية، إجتماعية، صحية، وهذا يرتبط بقصور وإنخفاض نسبة الذكاء ويتسم أداءه بالإنخفاض عن المتوسط بصورة تكاد تكون شبه ثابتة.

5 - خصائص ذوي صعوبات التعلم :

كون صعوبة التعلم "مخفية" حيث أن التلاميذ الذين يعانون منها يبدون للمعلمين في صحة جيدة، خاصة من حيث مستوى الذكاء والمظهر الخارجي، فهم ظاهريا عاديون، ولا يندرجون تحت أي فئة من الفئات الخاصة، لكن لا يتمكنون من اكتساب المهارات الأكاديمية المناسبة لسنهم في الأقسام العادية، بالإضافة إلى عدم تجانس هذه الصعوبات، جعل عملية التعرف على هذه الفئة وفهمها فهما دقيقا صعبة نوعا ما.

رغم ذلك فقد أسفرت جهود العلماء المهتمين بهذا المجال على ظهور عدة دراسات حددت كل واحدة منها مجموعة مختلفة من المظاهر التي يتميز بها ذوي صعوبات التعلم، حيث يشير كل من "كالجود وكولسون" (1978) إلى أن هناك حوالي 52 خاصية ثابتة لدى ذوي صعوبات التعلم وأن هناك من 05 إلى 07 خصائص توجد لديهم بمعدل متوسط وواحدة فقط توجد بشكل شديد.

بيد أن ما هو متفق عليه بين هؤلاء العلماء هو أنه قد تظهر خاصية واحدة أو أكثر لدى الطفل ذو صعوبة التعلمية، كما أن هذه المظاهر يمكن ملاحظتها لدى الأطفال الذين لا يعانون من صعوبات تعلم . في هذا العمل سوف نقدم عرض مختصر لمختلف تلك الدراسات ثم نقدم الخصائص المشتركة بينهم والتي اتفق عليها معظم العلماء.

1. دراسة: (Kaluger&Kaluger) بعد تحليل 200 تقرير نفسي عن أطفال يعانون صعوبات تعلم حصر هذان العالمان الخصائص التي تتميز بها هذه الفئة في 5 أنواع:

- * صعوبة في التحصيل الدراسي.
- * صعوبة في الإدراك والحركة.
- * اضطرابات اللغة والكلام.
- * صعوبات في عملية التفكير.
- * خصائص سلوكية.

2. دراسة: (Clements) توصل كليمنتس إلى حصر 15 خاصية تميز فئة ذوي صعوبات التعلم، 10 منها تكون أكثر تكرارا وشيوعا وتمثل في:

- * النشاط الحركي الزائد.
- * قصور الإدراك والحركة.
- * الإضطرابات الإنفعالية
- * قصور في التأزر العام.
- * اضطراب الإنتباه.

*الإندفاع.

*اضطراب الذاكرة والتفكير.

*قصور في بعض المواد الأكاديمية مثل القراءة أو الحساب أو التهجئة.

*اضطراب في الكلام والسمع.

*علامات عصبية شاذة.

3 دراسة: (Kaufman&Hallahan) حدد هذان العالمان خصائص ذوي صعوبات التعلم في المظاهر التالية:

*مشاكل الإنتباه والنشاط الحركي الزائد.

*مشاكل الإدراك والإدراك الحركي والتأزر العام.

*مشاكل اللغة.

*اضطرابات الذاكرة والتفكير.

*مشاكل التوافق الإجتماعي.

*المشاكل العصبية.

*مشاكل التحصيل الدراسي.

*عدم التفاعل مع العملية التعليمية.

رغم اختلاف العلماء في تحديدهم لخصائص ذوي صعوبات التعلم إلا أنهم اتفقوا حول مجموعة منها يمكن حصرها في 3 مجموعات.

5-1. مظاهر سلوكية: وتتمثل في ما يلي:

- تدني الإنتباه و ضعف التركيز مع شرود الذهن والتشتت.

- صعوبة في الإدراك السمعي والبصري والحركي.

- نشاط وحركة زائدة، لا يستقرون على حال.

- عدم التوازن في الحركة والمشى.
- ثبوت الإنتباه، فالطفل ذو الصعوبة لا يمكنه الانتقال من مهمة إلى أخرى فنجدته مداوم ومستمر في تكرار سلوك معين مثل قراءة أو كتابة كلمة دون ملل.
- العجز عن إتمام المهام الموكلة إليه، فهو سريع الملل.
- يمكن لهذه الخصائص أن تتواجد لدى العاديين لكن ما يميزها لدى ذوي صعوبات التعلم هي شدتها، تكرارها ومدة ظهوره لدى التلميذ.

5-2- مظاهر لغوية وتعد من أهم الخصائص التي تميز ذوي صعوبات التعلم و تتمثل في

- صعوبة في القراءة أو الكتابة أو الحساب، فنجد التلميذ ذو الصعوبة يقوم ب:
 - حذف بعض الكلمات أو أجزاء من الكلمات المقروءة.
 - قلب الأحرف، فيقرأ الكلمات أو المقاطع بشكل معكوس.
 - إضافة بعض الكلمات الجديدة وغير وجودة في النص الأصلي.
 - إبدال الحروف أو الكلمات أو الأرقام لأن لديه صعوبة في تمييز الإتجاه أو الربط بين الأرقام أو الحرف وشكله.

5-3- مظاهر أكاديمية (تحصيلية)

- يبدي التلميذ ذو صعوبة التعلم تباعدا واضحا بين قدراته أو إمكانياته، وأدائه الفعلي أو بين مستواه المتوقع وأدائه الفعلي.
- يبدي إنخفاض واضح في الدافعية للنجاز.
- ضعف مستوى النشاط الإنتاجي.
- يعاني من تكرار خبرات الفشل الأكاديمي، لذلك تعتبر خاصية تدني التحصيل الدراسي ميزة أساسية لذوي صعوبات التعلم كما جاء في تعريف هذه الأخيرة.

5-4- خصائص إجتماعية انفعالية :

- كثيرا من التلاميذ ذوي صعوبات التعلم يظهرون مشكلات إجتماعية إنفعالية ناتجة عن تكرار خبرات الفشل الأكاديمي لديهم.

- فهم غير مباين بمشاعر الآخرين، مما يجعلهم يعانون من مصاعب في علاقاتهم الشخصية المختلفة.
- يتميزون بالسلوك الإنسحابي، فنجدهم لا يرغبون في التحدث أو اللعب أو حتى الإقتراب من أقرانهم أو من الراشدين.
- يتسمون بالسلوكيات العدوانية، كالتشاجر مع التلاميذ الآخرين سبب الدفع أو الإصطدام.
- بما أن هذه الأعراض يمكن تواجدها لدى كل من العاديين و ذوي صعوبات التعلم، فلا بد من وجود طريقة أخرى أكثر دقة تسمح بتمييز ذوي صعوبات التعلم عن غ
- 6- المحكات التي استخدمت في تحديد صعوبات التعلم الأكاديمية:**
- 6-1- محك التباعد أو التباين Discrepancy Criterion:** بناءً عليه تشخص الصعوبة الخاصة في التعلم في الحالات الآتية:
- مستوى تحصيل الطفل أقل من الأطفال الآخرين من نفس السن مع شرط عدم التناسب بين تحصيل الطفل وقدرته في واحد أو أكثر من المجالات الموضحة فيما يأتي مع التأكد من أن الطفل يتلقى خبرات تعليمية ملائمة لعمره الزمني وقدرته العقلية.
- المجالات التي يتجلى فيها التباعد بين المستوى التحصيلي للطفل وبين قدرته العقلية في واحد أو أكثر من القدرة على التعبير اللفظي، القدرة على التعبير الكتابي، فهم وإستعاب المادة المقروءة فهم وإستعاب المادة المسموعة، المهارات الأساسية في القراءة، العمليات الحسابية، الإستدلال الحسابي.
- أشارت إلى ذلك تعريفات عديدة وهو التباين بين القدرات الحقيقية للفرد والأداء، وقد يكون التباين في الوظائف النفسية واللغوية، وقد ينمو بشكل طبيعي في وظيفة ما ويتأخر في أخرى فمثلاً قد ينمو بشكل طبيعي في اللغة، ولكنه يتأخر في الجانب الحركي، وقد يكون العكس فيمنمو في الجانب الحركي لكنه يعاني من قصور في اللغة، ويقصد به تباعد المستوى التحصيلي للطلاب في مادة عن المستوى المتوقع منه حسب حالته وله مظهران:
- تباعد واضح في نمو العديد من السلوكيات النفسية(الانتباه - التميز - اللغة - القدرة البصرية الحركية - الذاكرة - إدراك لعلاقات).تباعد بين النمو العقلي العام والخاص والتحصيل الأكاديمي ففي مرحلة ما قبل المدرسة عادة ما يكون.

- 6-2- محك الإستبعاد Exclusion Criterion :** ويقصد بذلك عدم إدراج حالات التخلف العقلي والإعاقات الحسية والحركية وكذلك عدم إدراج حالات الإضطراب الإنفعالي بالإضافة إلى إستثناء حالات الحرمان البيئي ونقص فرص التعلم، وهو المحك الذي يعتمد على التشخيص الدقيق بين صعوبات التعلم والإعاقات الأخرى لأن مظاهر صعوبات التعلم والإعاقات الأخرى مثل: الإعاقه العقلية والإنفعالية مشتركة.

حيث يستبعد عند التشخيص وتحديد فئة صعوبات التعلم الحالات الآتية: التخلف العقلي -الإعاقة الحسية - المكفوفين - ضعاف البصر -الصم -ضعاف السمع -ذوي الاضطرابات الانفعالية الشديدة مثل الإندفاعية والنشاط الزائد -حالات نقص فرص التعلم أو الحرمان الثقافي.

6-3- محك العمليات النفسية الأساسية: إن القانون التربوي الخاص بهذه الفئة يشير بوضوح إلى أن تدني التحصيل يكون نتيجة إضطراب داخلي في إحدى العمليات النفسية الأساسية والتي تعود إلى: القدرات التي تكتسب بها المعلومات كالإستماع والنظر واللمس، القدرات التي تعالج بها المعلومات كالإنتباه والتمييز والذاكرة وتمثيل المعلومات وحجمها وتشكيل المفهوم وحل المشكلات، إضافة إلى القدرات الضرورية للإستجابة كالكلام والحركة الجسمية.

6-4- محك التربية الخاصة: ويرتبط بالمحك السابق ومفاده أن ذوي صعوبات التعلم لا تصلح لهم طرق التدريس المتبعة مع إن فكرة محك التربية الخاصة هي أن الأطفال ذوي: التلاميذ العاديين. صعوبات التعلم يصعب عليهم التعلم وفق الطرق التقليدية المتبعة مع الأطفال الذين ليس لديهم صعوبات تعلم. كما أن الطرق الخاصة بالإعاقات الأخرى والمستخدمه مع المعاقين سمعيا وبصريا وعقليا هي الأخرى قد لا تتناسب مع ذوي صعوبات التعلم، وإنما يحتاجون إلى طرق خاصة، لذلك يكون محك التربية الخاصة هو المحك الذي يمكن استخدامه لتحديد هذه الفئة.

6-5- محك المشكلات المرتبطة بالنضوج: حيث نجد معدلات النمو تختلف من طفل لآخر مما يؤدي إلى صعوبة تهيئته لعمليات التعلم فما هو معروف أن الأطفال الذكور يتقدم نموهم بمعدل أبطء من الإناث مما يجعلهم في حوالي الخامسة أو السادسة غير مستعدين أو مهيين من الناحية الإدراكية لتعلم التمييز بين الحروف الهجائية قراءة وكتابة، مما يعوق تعلمهم اللغة ومن ثمة يتعين تقديم برامج تربوية تصحح قصور النمو الذي يعوق عمليات التعلم سواء كان هذا القصور يرجع لعوامل وراثية أو تكوينية أو بيئية ومن ثم يعكس هذا المحك الفروق الفردية في القدرة على التحصيل.

6-6- محك العلامات الفورمولوجية: حيث يمكن الاستدلال على صعوبات التعلم من خلال التلف العضوي البسيط في المخ الذي يمكن فحصه من خلال رسام المخ الكهربائي وينعكس الاضطراب البسيط في وظائف المخ في الاضطرابات العقلية، صعوبة الأداء الوظيفي (Dysfunction Minimal).

ومن الجدير بالذكر أن الاضطرابات في وظائف المخ ينعكس سلبيا على العمليات العقلية مما يعوق اكتساب الخبرات التربوية وتطبيقها والاستفادة منها بل يؤدي إلى قصور في النمو الانفعالي والاجتماعي ونمو الشخصية العامة.

6-7- محك التوجيه التربوي: بناء على تحقق محكي التباعد والإستبعاد، يأتي محك التوجيه التربوي الذي يتضمن نقص القدرة على التعلم بالطرق العادية وهناك عدة أسباب للتوجيه التربوي أكد عليها قانون التربية لذوي صعوبات التعلم أبرزها:

- . لغاية الآن لم يتم معرفة فيما إذا كانت العمليات العقلية غير الفعالة يمكن معالجتها مباشرة.
- . لم يتحدد العمليات النفسية التي تقف وراء الأنماط المختلفة لصعوبات التعلم.
- . عدم موثوقية تسارع وتيرة التقدم الأكاديمي في حال تشجيع مسألة تدريب مناطق خاصة في الدماغ.
- . عدم التأكد من صدق القرار بتفضيل أحد البرامج التربوية على الآخر اعتمادا على معرفة منطقة الدماغ ذات القصور الوظيفي.

6-8- محك النمائي: الذي يفيد في تقصي معدل النضج الطبيعي لدى الفرد وذلك اعتمادا على:

. ظروف الحمل والولادة(عمر الأم أثناء الحمل، إتجاهها نحوه، أمراضها وعلاجاتها أثناءه، طبيعة الولادة، الحالة الصحية للطفل عند الولادة من حيث الوزن والطول ومحيط الجمجمة...إلخ).

- . نمو الطفل بعد الولادة(طبيعة الرضاعة، مدتها "الفطام"، التسنين، المشي، النطق، والكلام، التغذية، تحصين الطفل ضد بعض الأمراض كالحصبة وشلل الأطفال والدفتيريا...إلخ).
- . صحة الطفل(وجود عاهات أو إعاقات أو أمراض خلقية، التحكم في عمليتي التبول والتبرز، سلامة الحواس، اضطرابات نفسية سلوكية، وإصابات عضوية مثل أمراض الحساسية والصرع واليرقان...إلخ).

. المستوى الأكاديمي والعقلي(مستوى التحصيل الدراسي العام، المستوى في مواد القراءة والكتابة والحساب، التواصل اللغوي، التواصل الإجتماعي، الأنشطة الفنية والرياضية مستوى القدرة العقلية لدى الطفل IQ)

7- أسباب صعوبات التعلم الأكاديمية:

لا تزال أسباب صعوبات التعلم غامضة، وذلك لحداثة الموضوع، وللتداخل بينه وبين التخلف العقلي من جهة، وبين صعوبات التعلم والاضطرابات الإنفعالية من جهة أخرى. إلا أن الدراسات أجمعت على إرتباط صعوبات التعلم بإصابة المخ البسيطة، أو الخلل الوظيفي المخي البسيط.

7-1- إصابة المخ المكتسبة: يمكن أن يتعرض الطفل لبعض الصدمات الفيزيائية، كضربة الشمس أو السقوط من أعلى، وتعرضه لحادث سيارة، أو إصابته بنوبات صرع خفيفة أو إصابته بارتفاع حرارته، وهذا يؤدي إلى خلل في وظيفة الدماغ أو المخ مما يؤدي إلى بطء في التعلم أو صعوبات في التعلم لأن ذلك يؤثر على الفهم والإستيعاب والإدراك بشكل متكامل.

7-2- العوامل الجينية Genetic Factors : أن إنتشار صعوبات التعلم توجد في عائلات محددة

كدراسة (Owen , أو 1971) و قد أشارت الدراسات التي أجريت على العائلات والتوائم إلى أن العامل المهم في حصول الصعوبة يعود إلى العامل الوراثي 40% وأن نسبة 25% من الأطفال يعانون، من صعوبات

انتقلت إليهم عن طريق عامل الوراثة فقد يعاني الإخوة والأخوات داخل العائلة من صعوبات مماثلة، وقد توجد عند العم والعمة والحال والحالة أو عند أبنائهم وبناتهم عكس.

7-3- مشاكل أثناء الحمل والولادة: يعزو البعض صعوبات التعلم لوجود مضاعفات تحدث للجنين أثناء الحمل. ففي بعض الحالات يتفاعل الجهاز المناعي للأم مع الجنين كما لو كان جسما غريبا يهاجمه، وهذا التفاعل يؤدي إلى اختلال في نمو الجهاز العصبي للجنين.

كما قد يحدث التوائم للحبل السري حول نفسه أثناء الولادة مما يؤدي إلى نقص مفاجئ للأكسجين الواصل للجنين مما يؤدي إلى الإعاقة في عمل المخ وصعوبة في التعلم في الكبر.

7-4- وقد تعود أسباب صعوبات التعلم إلي متغيرات بيئية: كالأسرة من حيث وضعها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي وهل هي ممتدة أو ضيقة؟ وعدم وجود النماذج التي تحتذي، أو نماذج التعلم الضرورية في مرحلة الطفولة المبكرة، أو عدم استلام الطفل نماذج كمية ونوعية من الأنشطة اللغوية قد يسبب قصورا تعليميا، والأساليب المستخدمة في عملية التنشئة كالأساليب غير التربوية كالشدة، والتفرقة، والحماية الزائدة، والرفض الصريح أو المستتر، والتذبذب، والإهمال وغيرها.

أما المدرسة فهي عامل قد يساعد أو يزيد من صعوبات التعلم لما فيها من متغيرات كالمدرس بأساليبه غير التربوية والطرق التعليمية القديمة والمناهج، إن الأساليب غير التربوية التي يتبعها المدرسون كأسلوب القسوة والشدة والعقاب القسري أو التذبذب أو التهوان، أو الأساليب غير العلمية التي تسودها الفوضى والتذبذب والتلون لها دور في خلق أفراد قلقين خائفين الأمر الذي يؤثر سلبا في نموهم نموا حقيقيا يتناسب مع متطلبات العصر، وللطرق التدريسية وللوسائل التعليمية دورها في خلق حالة من التفاعل الحقيقي بين المعلم والمتعلمين، وفي غرس حالة من الانتماء إلى الصف بشكل خاص والمدرسة بشكل عام. ولا ننسى أن نذكر وسائل التقييم وأهميتها في رؤية الفرد لنفسه من خلال جعله فاعلا أو غير فاعل. وأخيرا لا بد من التنبيه بأن دخول الأطفال إلى المدرسة في سن أقل من أقرانهم وخاصة إذا كانوا غير مهئين أو قدراتهم العقلية ضمن المعدل قد يؤدي إلى صعوبات تعلم. وبين محمود منسي (2003) أن من بين أسباب التأخر الدراسي أسباب صحية مثل ضعف الرؤية أو السمع أو الإصابة بالأمراض المختلفة، وأسباب عقلية مثل ضعف القدرة العقلية وإنخفاض مستوى الذكاء، وأسباب اجتماعية مثل: إنخفاض المستوى الاجتماعي والثقافي والإقتصادي للأسرة وأسباب مدرسية مثل: عدم الرغبة في الدراسة وعدم قدرة المعلم على التدريس.

ويرى حمدان فضة (في كتابه عن ذوى الاحتياجات الخاصة) أن التأخر الدراسي لا يرتبط بالضرورة بإنخفاض نسبة ذكاء التلميذ كما يرى البعض، فذلك لا يعدو أن يكون سوى أحد الإحتمالات أو أحد الأسباب فقط للتأخر الدراسي. فكما تبين، هناك أسباب عديدة محتملة للتأخر الدراسي (صحية- عقلية- اجتماعية- مدرسية)، ومن ثم يمكن أن نجد تلميذا يعاني من التأخر الدراسي، لا بسبب نقص ذكائه عن المتوسط، وإنما لأي

سبب آخر. أما صعوبة التعلم، فإنها ترجع إلى أسباب أكاديمية أو نمائية محددة، بعيدا عن كل هذه الأسباب المحتملة وراء التأخر الدراسي. وبناء عليه، يمكن إعتبار أن صعوبة التعلم ماهي إلا فئة من فئات، أو سببا من أسباب التأخر الدراسي. فلوكان التأخر الدراسي راجعا لأسباب نمائية أو أكاديمية محددة، وليس لأية أسباب أخرى سوى ذلك، فإن التأخر الدراسي حينئذ يكون قد تحدد بما يعرف بصعوبة التعلم.

خاتمة:

من النتائج المتوصل إليها من خلال الدراسة الحالية:

- التعرف المبكر على صعوبات التعلم الأكاديمية، مردها هو زيادة حدة الصعوبة مع التقدم في الصفوف الدراسية.
- زيادة الألفة مع المادة المقروءة ومردها هو عدم التعرف على الكلمة بسهولة أثناء القراءة الجهرية والتعب عند قراءة فقرة كاملة.

- تدعيم النشاط الكتابي، ومردها هو الكتابة بخط رديء وإستغراق وقت أطويل لإكمال العمل الكتابي ونسيان كتابة كلمات أثناء الإملاء وإرتكاب أخطاء في كتابة الكلمات ذات الحروف الكثيرة.

- التمكن من المفاهيم والمبادئ الرياضية ومردها هو صعوبة السير في عدة خطوات متسلسلة.

- الحاجة إلى النمذجة والقذوة ومردها هو إستغلال الفترة العمرية لتلميذ مرحلة التعليم الإبتدائي التي تتأثر بالتقليد، وذلك لتعليم المهارات الإجتماعية الضرورية للتفاعل الإجتماعي بتوظيف محكات القذوة.

المراجع:

- أحمد أحمد عواد: (1998) قراءات في علم النفس التربوي وصعوبات التعلم، المكتب العلمي للكمبيوتر، الإسكندرية. دون طبعة.

- أسامة محمد البطانية وآخرون: (2005) صعوبات التعلم، النظرية والممارسة، دار المسيرة، عمان، الطبعة 1.

- أمان محمود وسامية صابر: (2004) بعض الخصائص النفسية والسلوكية للتلاميذ ذوي صعوبات، التعلم. مجلة الطفولة العربية، الجمعية الكويتية لتقدم الطفولة العربية، العدد 19 "

- أمين محمد سليمان (2004) تشخيص صعوبات التعلم الأكاديمية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية من وجهة نظر معلمى ومعلمات هذه المرحلة فى جمهورية مصر العربية وعلاقتها ببعض المتغيرات.

- أنور الشرقاوي: (2002) صعوبات التعلم، المشكلة، الأعراض، الخصائص، مجلة علم النفس تصدر عن الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 63، سبتمبر.

- جميل محمود الصمادى: (1997) صعوبات التعلم والإرشاد النفسى والتربوي. المؤتمر الدولي الرابع لمركز الإرشاد النفسى، جامعة عين شمس، المجلد 2.

- راضي الوقفي: (2003) صعوبات التعلم النظري والتطبيقي، ط1، كلية الأميرة ثروت، عان الأردن.

- زيدان أحمد السرطاوي وكمال سيسالم: (1992) المعاقون أكاديميا وسلوكيا، مكتبة الصفحات الذهبية، الرياض.
- السيد عبد الحميد سليمان السيد: (2000) صعوبات التعلم، تاريخها، مفهوما، تشخيصها، علاجها، سلسلة الفكر العربي في التربية الخاصة، دار الفكر العربي، القاهرة، العدد الثالث، الطبعة الأولى.
- الظاهر قحطان أحمد: (2008) صعوبات التعلم، الطبعة الثانية الأردن، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.
- عبد الهادي نبيل نصر الله، عمر شقير سمير: (2000) بطء التعلم وصعوباته، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، دار وائل للنشر والتوزيع.
- عزة محمد سليمان: (2001) فاعلية التعليم العلاجي في تخفيف صعوبات التعلم النمائية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية. رسالة دكتوراه، كلية التربية، جامعة عين شمس.
- فيصل محمد خير الزراد: (1998) دليل تشخيص صعوبات التعلم النمائية والأكاديمية لدى تلاميذ المرحلة الابتدائية، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، دار النهضة العربية، بيروت العدد 34، المجلد 9، نيسان.
- فيصل محمد خير الزراد: (1999) إستبيان تشخيص حالات فرط الحركة ونقص الإنتباه والإندفاعية لدى الأطفال، مجلة الثقافة النفسية المتخصصة، دار النهضة العربية، بيروت، العدد 37، المجلد 10، كانون الثاني.
- قحطان أحمد الظاهر: (2005) مدخل إلى التربية الخاصة، ط 1، دار وائل، عمان الأردن.
- كوافحة تيسير مفلح: (2003) صعوبات التعلم والخطة العلاجية المقترحة، الطبعة الأولى، الأردن عمان، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.
- محمد حسن العميرة: (2002) المشكلات الصفية السلوكية التعليمية الأكاديمية، مظاهرها، أسبابها، علاجها، دار المسيرة، عمان، طبعة 1.
- محمد عوض الله سالم ومجدي محمد الشحات وأحمد حسن عاشور: (2003) صعوبات التعلم التشخيص والعلاج، ط 2، دار الفكر، عمان، الرदन.
- مصطفى رياض بدري: (2005) صعوبات التعلم، الطبعة الأولى، الأردن، عمان، دار صفاء للنشر والتوزيع.
- نايفة قطامي: (1999) علم النفس المدرسي، ط 2، دار الشروق، عمان، الأردن.
- نبيل عبد الهادي وعمر نصر الله وسمير شقير: (2000) بطء التعلم وصعوباته، ط 1، دار وائل، عمان الأردن.
- هدى عبد الله الحاج وعبد اله العشاوي: (2004) أطفالنا وصعوبات التعلم، الكتاب الأول، دار الشجرة، دمشق، سوريا.

Cooray, S. and Bakala, A (2005): Anxiety disorders in people with learning disabilities. *Advances in psychiatric treatment*, 11

Habbib.M,Aspects (2002): *étiologiques des dyslexies*, Masson,Paris.

تاريخ الاستلام: 2017/06/22 - تاريخ التحكيم: 2017/11/17 - تاريخ النشر: 2017/12/30

دور التربية الإعلامية في مواجهة سلبيات الإعلام على الطفل

أ. ريحة نبار

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر



ملخص:

مع الانتشار الواسع لوسائل الإعلام والاتصال المختلفة و نظرا للتقدم المتسارع لتكنولوجيا الاتصال الحديثة و توافر المواقع الالكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي عبر العالم لجماهير واسعة و من مختلف الفئات العمرية ، أمكن للإعلام أن يحكم سيطرته على العالم كونه مسليا مريباً معلماً موجهاً و يظهر كل يوم بوجه جديد، وفي كل فترة بأسلوب مبتكر متجاوزاً حدود الزمان والمكان، مما جعل التربية بوسائلها المحدودة وتطورها التدريجي تفقد سيطرتها وأصبح الإعلام يملك النصيب الأكبر في التنشئة الاجتماعية و التربية والتأثير والتوجيه، وتربية الصغار والكبار معا ، لذلك ظهرت الحاجة إلى تربية إعلامية لخلق جمهور من الاطفال يتسم بالوعي و النقد و القدرة على فهم واستيعاب ما يتعرض له من رسائل إعلامية اتصالية ، ويمتلك القدرة على التحليل وتمييز المفيد من الضار.

الكلمات المفتاحية: التربية، التربية الإعلامية، الإعلام، الطفل، الطفولة.

Résumé

Avec la généralisation des médias et de la communication, et grâce aux progrès rapides de la technologie de communication moderne et la disponibilité des sites web et des réseaux sociaux dans le monde pour un large public et des groupes d'âge différents, les médias pourraient diriger le monde, et a chaque période d'une manière innovante au-delà dépasser les limites du temps et de l'espace, qui a fait perdre à l'éducation ses moyens limités et son développement progressif , et les médias ont la plus grande part dans la socialisation, l'éducation, l'influence et l'éducation Par conséquent, il y a un besoin d'éducation aux médias pour créer un public d'enfants conscients et critiques et capable de comprendre et d'absorber les messages de communication, et a la capacité d'analyser et de distinguer les choses utiles des nuisibles.

مقدمة:

تنطلق دراستنا من الإشكالية التالية: إن الثورة التكنولوجية و المعلوماتية ساهمت في تحويل العالم إلى قرية صغيرة ملغية كل الحواجز، مما ساعد على تزويد الأفراد بالمعارف و المعلومات و الأخبار و التفاعل مع كل المخرجات عبر العالم، فأمكن للإعلام أن يسيطر على قيم و أفكار الأفراد و هذا ما استلزم ضرورة ظهور ما يسمى بالتربية الإعلامية و التي تهدف إلى حمايتهم -خاصة الأطفال- من مضار و مخاطر الإعلام و كذا تكوينهم و إعدادهم

لفهم الثقافة الإعلامية و الاختيار الأمثل لها ، و توعيتهم إعلاميا من خلال تحليل الرسائل و المضامين الإعلامية و تقويمها ، و الوصول إلى نتائج تتعلق بالمعلومات و الحقائق، و استخدام مهارة التفكير الناقد و مهارة حسن الاختيار و اتخاذ قرار الانتقاء الإعلامي الناجح للمضمون الإعلامي الذي يناسبه و للوسيلة الإعلامية التي يتأثر بها و يتفاعل معها. و هذا ما جعلنا نطرح التساؤل التالي: هل تساهم التربية الإعلامية في التصدي لسلبات و مخاطر الإعلام على الطفل؟

و قد نجت عن هذا التساؤل الفرضيات التالية: - التربية الإعلامية تهدف إلى تعليم الأطفال كيفية التعامل مع وسائل الإعلام المختلفة.

- تسعى التربية الإعلامية إلى حث الأطفال على التفكير الناقد و تحليل و تفسير الرسائل الإعلامية.

- التربية الإعلامية تعتمد إلى حماية الأطفال الصغار من التأثيرات السلبية لمحتوى وسائل الإعلام .

و تأتي هذه الدراسة ضمن الدراسات الوصفية و التي تهدف إلى وصف قدرة التربية الإعلامية على خلق أطفال و اعين ناقدين لمختلف الرسائل الإعلامية الاتصالية، أما عن أهمية الدراسة فإنها تكتسي أهمية بالغة من حيث حداثة مصطلح التربية الإعلامية خاصة في المجتمع العربي و الذي أدركت أهميته خاصة مع سيطرة وسائل الإعلام على أهم شريحة من شرائح المجتمع و هي الأطفال، أما عن أهداف الدراسة فتتجلى في : التعرف على دور التربية الإعلامية في توعية الطفل رقميا وإعلاميا، إبراز مهمة التربية الإعلامية في إكساب الطفل المهارات و المعارف بتحليل المحتوى الإعلامي.

و قد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج الوصفي و هو المنهج الملائم لوصف دور التربية الإعلامية في مواجهة مضار و سلبات وسائل الإعلام على الطفل .

كما استشهدنا بدراسات سابقة تتمثل في: دراسة فاضل محمد البدراي بعنوان التربية الإعلامية و الرقمية و تحقيق المجتمع المعرفي (2002) ، دراسة فهد بن عبد الرحمان الشميمري بعنوان التربية الإعلامية "كيف نتعامل مع الاعلام" (2010) ،

أولا - مفهوم التربية:

ذهب جون ديوي إلى أن: " التربية هي الحياة و ليست إعدادا للحياة" .

فيما يراها الطهطاوي بأنها : " بناء خلق الطفل على ما يليق بالمجتمع الفاضل" . (حسين الحمداي ، بشرى.

2014: 51)

ثانيا - مفهوم التربية الإعلامية :

حسب توصيات مؤتمر فيينا عام 1999 التربية الإعلامية هي:

" التربية التي تختص في التعامل مع كل وسائل الإعلام الاتصالي و تشمل الكلمات و الرسوم المطبوعة ، و الصوت و الصور الساكنة و المتحركة التي يتم تقديمها عن طريق أي نوع من أنواع التقنيات. (القميزي، حمد بن عبد الله. 1429: 5)

أما مؤتمر التربية الإعلامية للشباب فيعرفها على أنها: " التعرف على مصادر المحتوى الإعلامي وأهدافه السياسية والاجتماعية والتجارية والثقافية والسياق الذي يرد، ويشمل التحليل النقدي للمواد الإعلامية، وإنتاج هذه المواد وتفسير الرسائل الإعلامية والقيم التي تحتويها."

كما يعني مفهوم التربية الإعلامية: " فهم الجمهور لآلية عمل الإعلام، والكيفية التي يؤثر بها على حياتنا، وطريقة استخدام الإعلام بصورة حكيمة وإيجابية".

ويشير هوبس (1998) إلى أن: " التربية الإعلامية تشمل القدرة على الوصول إلى المعلومات والقدرة على تحليل الرسائل وتقييمها وإيصالها". (البدراي، فاضل محمد . 2002: 135)

إذ تعد التربية الإعلامية بمثابة اتجاه عالمي جديد يختص بتعليم الجمهور كيفية التعامل مع وسائل الإعلام المختلفة ، وذلك لأن وسائل الإعلام الحديثة أصبحت هي السلطة الأكثر تأثيراً في المجتمع مما يترك تأثيراً كبيراً على قيم الأفراد ومعتقداتهم وتوجهاتهم في مختلف جوانب الحياة لتسمح بذلك للأفراد بفهم الثقافة الإعلامية وتعلمهم كيفية التعامل معها والمشاركة فيها كمتلقين بصورة مباشرة ومؤثرة .

و يهتم مصطلح التربية الإعلامية بكيفية تلقي الرسائل الإعلامية وتحليلها وتفسيرها ونقدتها دون التأثير بها، فبات علماً له مفاهيمه وقوانينه وآلياته ويشمل أفراد المجتمع من مختلف الفئات، ويركز على أهمية التفكير النقدي وتمكين المواطن رقمياً، و نشر مبادئ وضوابط تساعد على التصدي لما تبثه وسائل الإعلام من رسائل سلبية تهدم لا تبني، وتخل بالبنية الاجتماعية والنفسية للمجتمع. (الجردانية، علياء. 2017)

ثالثاً: مفهوم الطفولة : يحمل مفهوم الطفولة معاني عدة منها:

" الفترة الممتدة من الولادة حتى سن الثانية عشرة". (جابري، لمياء. 2006: 67)

و هي : " المرحلة التي تمتد من لحظة الميلاد حتى سن البلوغ الذي يحدث عادة في سن 12 أو 13 و تعتبر هذه المرحلة في نظر علماء النفس و الاجتماع من أهم المراحل في تكوين شخصية الفرد إشارة منهم إلى دور التنشئة الاجتماعية. (أبو توتة، عبد الرحمان محمد. 1998: 205)

رابعاً- أهمية مرحلة الطفولة:

إن مرحلة الطفولة ذات أهمية بالغة تتمثل فيما يلي :

- هي المرحلة التي تتشكل فيها ملامح الشخصية الأولى و المقبلة.

- تغرس في هذه المرحلة بذور معتقداته من قيم و معتقدات و اتجاهات .

- تتكون فيها عاداته وميوله .

- فيها يكتسب خبراته . (بحري يونس، منى. 2008:25)
- فيها يبدأ التعلم الذاتي و القدرة على البحث والاستكشاف لكل ما تقع عليه حواسه في بيئته .
- فيها يستطيع الطفل أن يستقل بذاته عن غيره وذلك باستجابته بطريقة خاصة لمثيرات عدة . (عويضة ، كامل محمد. 1996: 156-157)

خامسا- مفهوم الإعلام :

لغة: الإعلام كلمة مشتقة من الفعل الثلاثي "علم" ، و العلم نقيض الجهل ، ويقال اعلمه بالخبر علمه .
اصطلاحا: عرفه إبراهيم إمام بأنه: " تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة و الحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير و اتجاهاتهم و ميولهم .(شقيطي، سيد محمد. 1406: 15)

و يذكر حسام رفقي أن الإعلام يعتبر بمثابة الاتصال بين مرسل (إعلامي) و بين مستقبل (جمهور) عن طريق وسيلة إعلامية (صحف، إذاعة، تلفزيون) و تنتقل بواسطتها الرسالة الإعلامية من طرف لآخر. (الهادي، عيسى. 2014:11)

كما أن الإعلام هو تزويد الجماهير بأكثر قدر من المعلومات الموضوعية الدقيقة و الواضحة، و يستخدم لفظ "إعلام" للدلالة على عملية مركبة من جزأين يتمان في آن واحد يكمل إحداها الآخر دون استغناء وهما البحث عن المعلومات والحصول عليها، وكذلك بث هذه المعلومات إلى الآخرين لأجل الاستفادة الفكرية. (البدراي، فاضل. 2017)

سادسا- وظيفة الإعلام في المجتمع:

إن للإعلام دور كبير ووظائف عديدة في المجتمع المعاصر و تأثيره يصل إلى قطاعات و شرائح واسعة وعريضة من المجتمع، وقد ساعده على ذلك اختصاره للزمان والمكان، وسرعة تجاوبه مع المستجدات العلمية والتكنولوجية، مما يؤدي إلى زيادة الرصيد الثقافي للإنسان، وتيسير عملية تبادل الخبرات البشرية، وتوافر في وسائل الإعلام عدة مميزات لا يتمتع بها غيرها من الوسائط التربوية الأخرى، فهي تقدم خبرات ثقافية متنوعة ونماذج سلوكية لأفراد المجتمع، كما أنها تنقل إلى الأفراد خبرات ليست في مجال تفاعلاتهم البيئية والاجتماعية المباشرة، هذا وتعرض وسائل الإعلام للكثير من القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية، مما يجعلها ذات تأثير كبير على تكوين الرأي العام وتوجيهه ووسيلة مهمة من وسائل التربية المستمرة .

و ما جعل الإعلام ذو أهمية بالغة هو جاذبيته التي تثير اهتمامات النشء وتملاً جانباً كبيراً من وقت فراغهم خاصة وأنها تعكس الثقافة العامة للمجتمع، والثقافات الفرعية للفئات الاجتماعية المختلفة، وتحيط الناس علماً بموضوعات وأفكار ووقائع وأخبار ومعلومات ومعارف في جميع جوانب الحياة ، بالإضافة إلى أنها تجذب الجمهور

إلى أنماط سلوكية مرغوب فيها، وتحقق له المتعة بوسائل متنوعة على مدار الساعة بما يشبع حاجاته. (الخطيب، محمد بن شحات. 2007: ب.ص)

و تعد وسائل الإعلام من بين المؤسسات الاجتماعية التي كشفت عن جدارتها في التأثير على تنشئة الأفراد ، إذ لم يعد للشك بمكان في التأثيرات العميقة التي باتت تتركها وتبصمها في حياة أفراد المجتمع، سيما على الأطفال منهم الذين يكونون محط استقبال لكل ما تقدمه هذه الوسائل الإعلامية، وخاصة عندما زادت من فعاليتها وجرأة أثرها بشكل كبير نتيجة للتطورات التكنولوجية الحديثة .

وتختلف وتتفاوت تأثيرات وسائل الإعلام على الأفراد والجماعات باختلاف أنواعها و من حيث قدرتها على نقل الخبر في وقته و إشراك المتلقي في المضمون الإعلامي، واستقطاب عدد كبيرا من الجماهير، وللإعلام عموما أهمية كبيرة لا يمكننا أن ننكرها، وهي ما جعلته يصنف من بين المؤسسات الفاعلة والمدعمة لدور الأسرة في التنشئة ويتضح ذلك من خلال الوظائف والأدوار المتعددة التي يقدمها للأفراد والجماعات والتي من أهمها: إفهام أفراد المجتمع لمهامهم واحتياجاتهم في التربية ، ومساهمته في تكوين الاتجاهات والترويج على النفس، وتنمية الخبرات والمعارف والمهارات، ونشر القضايا المهمة والقيم السائدة في المجتمع، والضبط الاجتماعي. و القدرة التأثيرية لوسائل الإعلام قد تكون في أحيان كثيرة سلبية تعمل على تعميق ميل الأطفال والشباب إلى الانحراف، وتغيير الاتجاه و الأخلاق و القيم ونقل مَشاهد وقيما منافية ولا تستند على معايير أخلاقية واجتماعية ، إذ تشجع على تبني العنف، محاكاة المشاهد الجنسية ، تعاطي المسكرات والمخدرات، ، تعليم أساليب ارتكاب الجريمة والانحراف ، بالإضافة لضعف التحصيل الدراسي ، قلة الحركة والنشاط ، الترويج للمواد الغذائية الضارة بالصحة، بالإضافة إلى اعتلالات كثيرة جسدية ، عقلية ، نفسية،اجتماعية،وتربوية، قلة البرامج الهادفة المخصصة للأطفال، وشيوع جانب الخيال المدمر ، والاهتمام بالثقافة الأجنبية، وعدم ربط الطفل ببيئته وتراثه .

وهو ما يبين بأننا أصبحنا أمام ظاهرة تأثير وسائل الإعلام على السلوك الإنساني إذ أصبح يشكل إطارا مرجعيا يضبط سلوك الأفراد بدل القيم التي كانت مأخوذة من الأسرة فحلت محلها قيما مأخوذة من وسائل الإعلام و هذا بسبب مجموعة من التغيرات والتحويلات التي أصبحت تعرف فيها الأسرة تراجعاً واضمحلالاً في سلطتها ، خاصة و أن الأطفال في مراحل التنشئة الأولى يكونون في حاجة ماسة إلى قدوة حسنة والتي من المفترض أن يمثلها الوالدين باعتبارهما الأقرب إليهم لكن مع غياب المراقبة والتواصل يجدون أنفسهم منصاعين بكيفية أو بأخرى لتقمص ادوار الشخصيات التي تقدمها وسائل الإعلام، والتي أصبحت غالبا مشحونة بأيدولوجيا لا يجد الأطفال مفرًا لمقاومتها. (المستاري، محمد. 2017)

سابعاً- مميزات التربية الإعلامية: تتميز التربية الإعلامية بعدة خصائص تتمثل في الآتي:

أ- تعزيز الدافعية للتعلم: تتمتع التربية الإعلامية بخاصية تعزيز الدافعية للتعلم، وذلك بسبب خصوصية موضوعها ومجالها، فهي تبحث في شيء محسوس يتصل مباشرة بحياة المتعلم اليومية فيكون أدهى لإثارة انتباهه وتخفيفه لاكتشاف هذا المجال ومعرفة أسراره.

ب- واقعية هذا المجال والحاجة إليه: إن التعامل مع الإعلام يستغرق جزءاً كبيراً من حياة الإنسان في العالم المعاصر ويرافقه طوال حياته، وهذا يثير لدى المتعلم الشعور بأهمية امتلاكه لمهارة التعامل مع الإعلام من خلال التربية الإعلامية.

ت - وضوح نتائج التعلم: إن وضوح نتائج التعلم بشكل بارز على شخصية المتعلم في الحياة اليومية تزيد الدافعية وبذل الجهد، لأن الوعي الإعلامي يمكن بسهولة أن يلاحظ على شخصية الإنسان في الحياة اليومية بخلاف قدرته على حل أعقد مسائل الرياضيات على سبيل المثال.

ث- مهارات التفكير العليا: إن التربية الإعلامية تساعد المتعلم على اكتساب مهارات التفكير العليا أو على الأقل إحساسه وشعوره بأهميتها لأن الإعلام مجال خصب جداً لتفعيل مهارات التفكير وهو يستدعي تعلم المهارات الآتية:

- مهارة التفكير الناقد: وهي مهارة أساسية في التربية الإعلامية .

- مهارة التفكير الإبداعي : وهي ترتبط بشكل وثيق بأحد مخرجات التربية الإعلامية وهو إنتاج المضامين الإعلامية.

- مهارة اتخاذ القرار: وهي ترتبط بأحد مخرجات التربية الإعلامية وهو اتخاذ قرار التعرض الانتقائي وحسن الاختيار.

- مهارة حل المشكلات :وهي ترتبط بصناعة الإعلام ومنهج والتربية الإعلامية بشكل عام لأنها تعاني من مشكلات عديدة على مستوى العالم، توفر حالات واقعية لتكون ميداناً لاستخدام مهارة حل المشكلات ، بالإضافة إلى مشكلات التعامل مع الإعلام داخل الأسرة.

ج- تعزيز الثقة بالنفس والروح الإيجابية: إن التربية الإعلامية تقدم للمتعم صورة شاملة عن البيئة الإعلامية وتكشف له الكثير من أسرار صناعة الإعلام طبقاً لمبادئ التربية الإعلامية، وتساعد على تمكين المتعلم من استخدام أدوات ومهارات التعامل مع الإعلام وهذا ما يؤدي إلى تعزيز ثقة المتعلم وامتلاكه الروح الإيجابية للقيام بسلوك إيجابي.

ح - التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة: إن التربية الإعلامية تضع البذرة الأساسية والخطوة الأولى التي تتيح للمتعم مواصلة التعلم في هذا المجال بصفة ذاتية ضمن منهجيات التعلم الذاتي والتعلم مدى الحياة .(الشميمري، فهد بن عبد الرحمان. 2010:27-28)

و من الضروري على التربية الإعلامية أو نحو الأمية الإعلامية والرقمية أن تركز على كيفية القراءة والمشاهدة والإستماع الناقد للرسائل الإعلامية، وفك شفرات الأيديولوجيات الكامنة وراءها، وتقييم النوايا الدعائية والسياسية والتجارية التي تتضمنها، ووقاية المستهلكين لوسائل الإعلام من البعض من آثارها الخفية، والضارة، ، فمحو الأمية الرقمية والإعلامية يمنح الأفراد أيضاً القدرة على إدارة عاداتهم الإعلامية بذكاء، واستخدام الوسائل الرقمية بصورة فعالة للأغراض الشخصية، والسياسية، والتجارية، والمشاركة في النقاشات الوطنية والعالمية، حيث سيتعلم الأفراد التعبير عن آرائهم بشكلٍ فعالٍ والدفاع عن معتقداتهم، كما سيوفرّ نحو الأمية الرقمية والإعلامية المعرفة والكفاءات التي تحتاجها المجتمعات المهمشة والمحرومة . (حسين الحمداني، بشرى. 2014: 116-117)

ثامنا- استراتيجيات التربية الإعلامية :

تتعد الرؤى ووجهات النظر حول الاستراتيجيات أو الأساليب المناسبة لتفعيل برامج التربية الإعلامية ففي الوقت الذي ينادي فيه البعض بضرورة أن يتعلم التلاميذ مهارات التربية الإعلامية من خلال مادة أو مقرر خاص بالتربية الإعلامية ينادي البعض الآخر بدمج التربية الإعلامية في المنهج بدلا من تقديمها في مادة منفصلة، بينما ينادي فريق ثالث بتوظيف كلا المنهجين في هذا السياق و قد حدد مركز الثقافة الإعلامية عشرة استراتيجيات لتدريس التربية الإعلامية أهمها: دمج التربية الإعلامية في المنهج أو تقديم مقرر كامل في التربية الإعلامية و توظيف النموذج الاستقرائي و تدريس مهارات التفكير الناقد وتحليل البيئة الإعلامية و دراسة وجهات النظر ، واستخدام نموذج التعلم النشط الذي يبدأ بمرحلة الوعي بقضية ثم التحليل ثم التعقيب فالاستجابة و نتاج هذه النشاطات الأربعة هو الخبرة التي يكونها الفرد.

و يعتقد كوندسداين بان التربية الإعلامية هي كفاية و ليست مقرا و لذا ينبغي دمجها في المنهج وتؤكد هوبز على أهمية أن يتضمن التحليل الإعلامي في المدرسة خمسة مفاهيم هي: أن الرسائل الإعلامية هي نتاج فرد أو مؤسسة، أن الرسائل الإعلامية يتم إنتاجها في سياقات اجتماعية و اقتصادية و تاريخية، إن تفسير المعنى و بناءه يتكون من تفاعل بين المتلقي و النص و الثقافة، إن لكل وسيلة إعلامية رموزها الخاصة بها، دور التعبير الإعلامي في فهم الناس للحياة الاجتماعية.

و على نحو مختلف يقترح فريد نموذجا للتربية الإعلامية على نحو يتميز بالتركيز الكبير على مفهوم التفاعلية الذي يميز وسائل الإعلام و تقنيات المعلومات الحديثة، فالشبكات الرقمية المعاصرة هي كونية الطابع خصوصا مع التوسع في الشبكات التفاعلية الكونية واسعة النطاق التي تتيح للأفراد الانغماس في بيئات تفاعلية كونية، و لذلك فان مهارات التفكير الناقد و المهارات التقنية ليست كافية للبقاء دون فهم طبيعة التفاعلية نفسها و أن الفرد المثقف إعلاميا هو الذي يعترف بعمق التفاعل الكوني لذلك يصبح الوعي الكوني مفتاح الثقافة الإعلامية و

هو ما يعني أن الحياة المعاصرة تفاعلية و يقترح لتحقيق فهم التفاعل الكوني كأساس للتربية الإعلامية المعاصرة نموذجاً اسمها الثقافة الإعلامية العميقة و الذي يتكون من ثلاث مستويات هي: مهارات استخدام تقنيات المعلومات و تصفح الشبكات الرقمية، مهارات التفكير الناقد لمحتوى الرسائل الإعلامية، تقدير التفاعلية الكونية.

كما يقترح ثلاثة استراتيجيات لتدريس الثقافة الإعلامية هي: تطوير رؤية إعلامية مشتركة، مناقشة الاختيارات الإعلامية، مناقشة التفاعلية الكونية. (ملكي، جاد. 2017)

تاسعا- أهداف التربية الإعلامية:

إن الهدف من التربية الإعلامية يكمن في حماية الطفل من الأفلام العنيفة الخليعة والمرعبة ومحاولة إكساب المهارات و المعارف بتحليل المحتوى المطلوب من الأفلام أو الأخبار أو الرسوم، كما تحاول التربية الإعلامية إقامة رابط بين الأسرة و المدرسة ، فالتربية الإعلامية و حسب المهمة المطلوبة هي التعلم و من ثم الممارسة التطبيقية لان التعلم ليس كافيا ، إذن فهي ممارسة و تطبيق و فهم الوسائل التكنولوجية لتساعدنا على النفاذ و فهم الأفلام و النصوص ، وتقود مهمة التربية الإعلامية بصيغتها الحديثة إلى إعادة قراءة مقولة كوبلز لهتلر : " كيف اصنع مجتمعا يصدقني؟ " فقال كوبلز: " أعطني إعلاما بلا ضمير أخلق لك مجتمعا جاهلا ". (البدراي، فاضل محمد 2002:140).

و تهدف التربية الإعلامية إلى :

- التعرف على مصادر النصوص الإعلامية و أهدافها و السياق الذي وردت فيه.
- التحليل و تكوين الآراء الانتقادية حول المادة الإعلامية.
- الاختيار الواعي لوسائل الإعلام و المضامين الإعلامية .
- القدرة على إنتاج المضامين الإعلامية وإيصالها للجمهور المستهدف.
- حماية الصغار من التأثيرات الضارة أو السلبية لوسائل الإعلام و محتواها في المجالات المتعددة وبالأشكال المختلفة سواء كانت التأثيرات مقصودة أو غير مقصودة بجانب حمايتهم من الاختراق الإعلامي و الهيمنة الثقافية في ظل مبادئ العولمة.
- المحافظة على الهوية الثقافية و دعم مقومات الثقافة الوطنية و المحلية.
- مواكبة التطورات السريعة و المتلاحقة في تكنولوجيا الاتصال و بناء الشبكات و الاستفادة منها بشكل جيد بالنسبة للفرد والمجتمع.
- ضمان حرية التعبير و حق الوصول إلى المعلومات و الحقائق باعتبارها ضرورات اتصالية لا غنى عنها لدعم المشاركة و البناء الديمقراطي في المجتمع .

- تمكين أفراد المجتمع من فهم حركة النظم الإعلامية و أهدافها وأساليب تحقيق هذه الأهداف وإكسابهم مهارات استخدام الوسائل التي تعمل في إطار هذه النظم و علاقة النظم الإعلامية بالنظم الاجتماعية الأخرى و السياقات المحلية و العالمية التي تعمل في إطارها النظم الإعلامية.

و تحقيقاً للأهداف السابقة فان التربية الإعلامية تقوم بوظائفها دون الخروج عن مهمتين رئيسيتين ترتبطان بواجبات المؤسسات التربوية و التعليمية:

- تشكيل المعارف و المهارات الاتصالية و تنميتها و التي تجعل النشء و المواطنين على وعي كامل بالعمليات الاتصالية بصفة عامة والعملية الإعلامية و أطرافها و أهدافها و سياساتها و لغاتها بصفة خاصة .

- تنمية التفكير النقدي لدى الصغار و الكبار بحيث يتمكن الفرد من امتلاك أدوات الاختيار و التحليل و الإدراك و التمييز بين الوسائل و محتواها و أدواتها في التأثير على المتلقين و تجنب التأثيرات السلبية أو الضارة و الاستفادة من التأثيرات الإيجابية. (عبد الحميد، محمد، 2012: 123-125)

11- دور التربية الإعلامية في مواجهة الإعلام السلبي على الطفل:

منذ انفجار الثورة المعلوماتية وانتشار التكنولوجيا العابرة للقارات والمخترة للثقافات والحدود، دخل العالم مرحلة فتح جديدة وانطلق الإنسان في الفضاء الإلكتروني الهائل بالمعلومات والمعارف والأخبار والصور والأفكار، واطلع عن كتب على كل ما يدور في العالم ليقف الإنسان على التفاصيل ويشفي فضوله الفطري بالتعرف على كل ما يهمه ويتفاعل مع أصدقاء له في آخر بقعة من العالم ربما يختلف معهم في كل شيء اللغة والعرق والثقافة والدين.

ولقد استطاع الإعلام أن يحكم سيطرته على العالم و أضحى يشكل السلطة المؤثرة على القيم والمعتقدات والتوجهات ، فظهر على اثر ذلك ما يسمى بالتربية الإعلامية و التي نشأت في البداية كوسيلة تعليمية ثم أضيف لها مهمة الدفاع لحماية الأطفال والشباب من المخاطر التي استحدثتها وسائل الإعلام، فانصب التركيز على كشف الرسائل المزيفة والقيم غير الملائمة والتشجيع على رفضها و مؤخراً أصبحت التربية الإعلامية تهدف إلى إعداد الشباب لفهم الثقافة الإعلامية وحسن الانتقاء والتعامل معها والمشاركة فيها بصورة فعالة ومؤثرة .

إن الإعلام يبرز كل يوم بأسلوب مبتكر و بتقنية مدهشة مما جعل التربية التقليدية تفقد سيطرتها ، فحصل بذلك الإعلام على حظ وافرا في التنشئة الاجتماعية والتأثير والتوجيه وتربية الصغار والكبار معاً ومن أهم الأهداف التي تسعى التربية الإعلامية إليها هي إكساب المستهدف مهارات وقدرات في فهم الوسائل الإعلامية وتفسيرها، واكتشاف ما تحمله مضامينها من قيم وتقديم آراء نقدية للمضامين الإعلامية والتواصل مع وسائل الإعلام للتعبير عن الرأي وحتى إنتاج المضامين الإعلامية وإيصالها إلى الجمهور وتوجيه الأسرة للاستفادة المثلى من الوسائل الحديثة.

إنّ وسائل الإعلام في عالمنا المعاصر تتميز بالتأثير القوي والفعال الذي يفوق أثر المدرسة والأسرة وجميع مؤسسات المجتمع الأخرى ومن مظاهر تأثير وسائل الإعلام تغيير المواقف و السلوك ، و خلخلة فكر المجتمعات وقيمها

ونسيجها المترابط وإعاققة حركة تقدمها و تقليل قدرة الإنسان على أن يبذل جهداً عقلياً منظماً لتطوير نفسه وبناء ذاته ، و استنزاف أوقات الشباب وطاقتهم، وإغراقهم فيما لا يعود عليهم بالفائدة، كما للإعلام دور بارز في تحويل الشباب إلى مستهلكين شديدي الولاء للحوانب السلبية في الثقافات الأجنبية، بالإضافة لتغيير المفاهيم وتزييفها أمام المشاهدين، و هنا تتجلى مسؤولية المشاهد في الانتقاء فهو الذي يختار الوسيلة الإعلامية، وهو الذي يختار المضمون الذي يتعرض له، ويؤثر فيه، ويتفاعل معه، ، فكلما كان المشاهد واعياً انتقى المضمون الإعلامي الإيجابي ، بالإضافة لمسؤولية مؤسسات المجتمع كالأُسرة والمدرسة والمجتمع إذ أن لهم دور مهم في بناء الوعي لدى أفراد المجتمع خاصة الأطفال والشباب، لصقل مهارات التلقي، والتعامل الناجح مع وسائل الإعلام، وتكوين رؤية تربوية ناضجة، للتمييز بين المفيد والضار و ترسيخ مفهوم الرقابة الذاتية وتعزيز الثقة بالذات.(العقيلي، بدر بن عبد الله .2017).

ومن هنا تأتي أهمية ممارسة التربية الإعلامية من جانب الأسرة للحد من التأثيرات الضارة لوسائل الإعلام على الأطفال والمراهقين والبالغين من خلال ما يلي:

- تشجيع الأبناء على الاختيار الواعي والمسؤول للبرامج التي يشاهدونها ومشاركتهم فيما يشاهدونه أو يسمعونه أو يقرؤونه في وسائل الإعلام المختلفة ومناقشتهم في ذلك.
- تعليم الأطفال والمراهقين والبالغين مهارات النقد لما يشاهدون.
- تحديد الوقت المخصص لوسائل الإعلام مع لعب دور القدوة والنموذج في التعامل مع وسائل الإعلام أمام الأطفال من خلال الاستخدام الأمثل لهذه الوسائل وتحديد أوقات التعامل مع وسائل الإعلام.
- يجب تبني نشاطات بديلة لوسائل الإعلام.
- خلق بيئة خالية من وسائل الإعلام الإلكترونية في غرف النوم.
- تجنب استخدام وسائل الإعلام كمربيات للأطفال من أجل التخلص من إزعاجاتهم مع التأكيد على تجنب الأطفال الذين تقل أعمارهم عن سنتين من مشاهدة البرامج التلفزيونية قدر الإمكان.
- فلترة رسائل وسائل الإعلام وتطوير مهارات التساؤل حول تلك الرسائل وتحليلها وتقييمها في مناخ غير قمعي يسمح بالحوار والشفافية والمصارحة بين الطفل والديه .
- فهم دور الإعلام في صياغة مستقبل أطفالنا وتنشئتهم.
- تطوير مهارات السؤال النقدي لدى الأطفال.
- إبراز الاستخدام الواعي للتقنية الإعلامية.
- استخدام التقنية كأدوات تقدم البرامج المفيدة .

وهذا هو المقصود بالتربية الإعلامية، فعندما تتولد لدى الطفل القدرة النقدية لما يقرأ فإنه سوف يفعل الشيء ذاته مع الصور والأصوات المتحركة أمامه، فالطفل يستطيع أن يتعلم فهم الرسائل المكشوفة والمبطنة في كل وسائل

الإعلام، وبمجرد أن يتعلم الأطفال مهارات التربية الإعلامية فإنهم سوف يطرحون أسئلة ويفكرون في الرسائل التي يشاهدونها أو يقرؤونها أو يسمعونها، وبالتالي سوف يستمتعون بالقيام بذلك وتقل التأثيرات السلبية للإعلام بينهم. (سهيل عبد الله المطيري ، معصومة. 2017: ب.ص)

خاتمة: إن التربية الإعلامية بمفهومها البسيط هي قدرة الفرد على التفكير بما يتلقى من مضامين بحيث لا يكون متلقياً سلبياً يأخذ دون أن يفكر، وبذلك يمكن القول إن التربية الإعلامية حاجة ملحة لحماية الأفراد و المجتمعات من السلبيات التي يضحها الإعلام باعتباره وسيلة تأثيرية قوية على توجهات الناس خاصة في ظل وجود متلقين من فئات و شرائح متباينة و تتصف بالسلبية و تقبل كل شيء نظرا لعدم امتلاكهم لثقافة التحليل والتحري مما يمكنهم من التعامل مع ما يتعرضون له بحيث يمتلك مهارات التفكير العالية التي لا تجعله يأخذ الأخبار أو المعلومات مسلمات دون التفكير بها.

قائمة المراجع :

- 1- أبو توتة ،عبد الرحمان محمد.(1998). علم الإجرام .الاسكندرية: المكتب الجامعي الحديث
- 2- البدراني، فاضل محمد. (2002): التربية الإعلامية والرقمية وتحقيق المجتمع المعرفي. العراق
- 3- البدراني، فاضل. (2017،20 سبتمبر). التربية الإعلامية والرقمية ضرورة ملحة في عالم اليوم. استرجعت في تاريخ 20 سبتمبر 2017 من الموقع [0 1/ s/ art/www.hbtheddu.dov.sa](http://www.hbtheddu.dov.sa/art/s/10)
- 4- البدراني ،فاضل محمد.(2002): التربية الإعلامية والرقمية وتحقيق المجتمع المعرفي.العراق: دار المستقبل العربي
- 5- الجردانية، علياء.(5،2017 سبتمبر). في الإعلام الرقمي الحديث، التربية الإعلامية ضرورة لا رفاهية. استرجعت في تاريخ 5 سبتمبر 2017 من الموقع <http://almaraonline.com>
- 6- الهادي، عيسى، لاوسين، سليمان. (2014). المنظومة الإعلامية الرياضية. القاهرة: دار الكتاب الحديث
- 7- المستاري، محمد. (23،2017 سبتمبر). الإعلام كمؤسسة تنشوية مدعمة ومنافسة لدور الأسرة في التنشئة الاجتماعية - التلغز نموذجاً- استرجعت في تاريخ 23 سبتمبر 2017 من الموقع <http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=237313>
- 8- العقيلي، بدر بن عبد الله. (30،2017 سبتمبر) استرجعت في تاريخ 30 سبتمبر 2017 من الموقع <http://www.hbthedu.gov.sa/art/s/10>
- 9- القمزي، حمد بن عبد الله.(1429): التربية الإعلامية.الخرج: برنامج المنسقين الإعلاميين إدارة التربية والتعليم
- 10- الشميمري، فهد بن عبد الرحمان. (28، 2010، سبتمبر). التربية الإعلامية "كيف نتعامل مع الإعلام". استرجعت في تاريخ 28 سبتمبر 2017 <http://www.saudimediaeducation.org/index.php> من الموقع
- 11- بحري، منى يونس القطيشات، نازك عبد الحليم.(2008). مدخل إلى تربية الطفل. عمان: دار صفاء للنشر
- 12- بن شحات الخطيب، محمد.(2007). دور المدرسة في التربية الإعلامية. قدم الى وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع المنظمة الدولية للتربية الإعلامية، الرياض

- 13- جابري، لمياء. (2006): معجم مصطلحات علم النفس (فرنسي-عربي). الجزائر: دار الخلدونية للنشر و التوزيع
- 14- حسين الحمداي، بشرى. (2014): التربية الإعلامية و محو الأمية الرقمية. عمان : دار وائل للنشر
- 15- حسين الحمداي، بشرى. (2014): التربية الإعلامية و محو الأمية الرقمية. عمان : دار وائل للنشر
- 16- ملكي، جاد. (28، 2017 سبتمبر). استرجعت في <http://www.al-fanarmedia.org/ar/> تاريخ 28 سبتمبر 2017 من الموقع
- 17- سهيل عبد الله المطيري، معصومة. (2017). أثر الإعلام العربي في تنشئة الطفل وعلاقته بالأسرة، قدم الى مؤتمر الأسرة والإعلام العربي
- 18- عبد الحميد، محمد. (2012): التربية الإعلامية و الوعي بالأداء الإعلامي. القاهرة: عالم الكتب
- 19- عويضة، كامل محمد. (1996). سيكولوجية الطفولة .بيروت: دار الكتب العلمية
- 20- شقيطي، سيد محمد. (1406). الإعلام الإسلامي -الأهداف و الوظائف- (ط 2) .ب.ب: دار عالم الكتب للنشر و التوزيع

تاريخ الاستلام: 2017/06/06 - تاريخ التحكيم: 2017 /09/02 - تاريخ النشر: 2017/12/30

التربية القيمية على استخدام تكنولوجيا الاعلام والاتصال من منظور "البراديغم القيمي"

د. احمد عبدلي



أ. جلييلة ساسي



جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية-قسنطينة - الجزائر



الملخص

يشكل " الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال " حقلا معرفيا مميزا قائما بذاته، ذي بعد نظري ومنهجي يهتم بالأساس بتوصيف طبيعة العلاقة التفاعلية بين "الإنسان" المستخدم والأداة الاتصالية الجديدة، وما يبنى عليها من قضايا وإشكاليات متنوعة تخص، الروابط الاجتماعية، الهوية، القيم بيئة الاستخدام ...

حيث تهتم الأبحاث المتعلقة بهذه الظاهرة عادة بتحليلها مفاهيميا بتحديد الخصائص والصفات والسمات العامة والخاصة لهذا المفهوم، ومحاولة استخلاص المعنى الاجتماعي والثقافي من المعطى التقني، وكذا وضع اطر عامة لاتجاهات البحث فيها، وأخير تحليل الإطار الكلي الذي تتم فيه العملية، بهدف الوصول إلى تبصرات بها في الحال والمآل.

يضمني "المنظور القيمي نظرة أخلاقية على نظريات التأثير الإعلامي، فيحاول استدراك استبعاد متغير "القيم" من فروضها، المستمدة من السياق الثقافي والحضاري لهذه النظريات ابتداء، ذلك أن استبعاد هذا المتغير من عملية التحليل والتفسير أحال الكثير من الدراسات الإعلامية في البيئة العربية والاسلامية الى نسخ مشوهة عن الدراسات الغربية، وانتجت بدورها صورا مشوهة عن الواقع الميداني، إن هذا "البراديغم" لا يعادي هذه النظريات ولايرفضها وإنما يحقنها بالمتغيرات التي تعبر عن تمايز ثقافي وحضاري وتمايز في التجربة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

تبحث هذه المقالة مسالة الاستخدام من وجهة نظر، "البراديغم القيمي" ، أي البحث في الأبعاد الثقافية الحضارية القيمية للعملية بوصفها الإطار الملائم والأنسب لفهمها واستيعابها.

الكلمات المفتاحية: الاستخدام، الإشراف القيمي ، التربية، الكفاءة القيمية، تحييد القيم ، تداخل القيم .

Résumé

L'usage social du tic présent un champ d'étude unique a deux phase, théorique et empirique

La recherche sur ce phénomène porte généralement sur l'analyse conceptuelle en définissant les caractéristiques générales et particulières de ce concept et en essayant d'extraire le sens social et culturel des données techniques, ainsi que le développement de cadres généraux pour les tendances de la recherche.

le « paradigme du valeur » présent une autre regard éthique sur les théories de l'influence des médias, tente de remédier à l'exclusion des variables « valeurs » de l'hypothèse, dérivée du contexte culturel et civilisationnel de ces théories à partir, de sorte que l'exclusion de cette variable du processus d'analyse et l'interprétation fait référence un grand nombre d'études de médias dans l'environnement arabe et islamique des copies des études occidentales déformées, à son tour, cette «paradigme» produit des images de la réalité médiatique déformée, n'est pas hostile à ces théories ne rejettent pas, mais reflètent la

différenciation culturelle et civilisationnelle et la différenciation dans l'expérience sociale, économique, politique et culturelle.

مقدمة

يشكل "استخدام" وسائط الاتصال الحديثة (الانترنت، الهاتف...) مبحثا أساسيا من مباحث المعرفة المرتبطة بهذه التكنولوجيات، يضم حزمة متداخلة من الإشكاليات المتعلقة بأبعاده الاجتماعية الثقافية الفلسفية، التقنية...، "تبنى" و"تملك" و"تمثل" لهذه الوسائط، بهدف فهم الكيفيات والطرق التي يتفاعل من خلالها الأفراد والمجتمع والمؤسسات مع هذه التكنولوجيا، وتقع دراسة الاستخدام ضمن تقاطع ثلاثة اهتمامات بحثية: تحليل الاتصال الواسطي (CMO)، التاريخ الاجتماعي لتكنولوجيا الاتصال، سوسيولوجيا أنماط الحياة (Serge.P.2001)

دأبت دراسات الاستخدامات على طرح سؤال مركزي: ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ وهو السؤال المركزي الذي ينطلق عادة منه التحليل الموسع المبني على "نشاط" وخبرة هذا الفرد، التي تمكنه من "انتقاء" المحتوى و"فهمه" فهو "اليجابي" "نشط" (يقبل أو يرفض في إطار تأثير مدركاته ما يتعرض له من أفكار وموضوعات)، (محمد ع. 2010، ص251) و"يقظ"، والغريب أن الأبحاث في هذا الحقل تستنفر جهدها لاحقا لمطاردة هذا النشاط اليقظ، لتبين الآثار المترتبة عن استخدامه لهذه الوسائط؟.

ويبدو أن هذه النظريات قد بالغت في تقدير "الكفاءة الذاتية" للجمهور في تعامله مع النصوص والمضامين الإعلامية المختلفة، وأحالت مسؤولية إدراك المعاني الظاهرة والكامنة وتفسيرها على كاهل المتلقي لا غير، ويمكن أن تكون هذه النظرية مفهومة إلى حد بعيد في الفكر الغربي إذ تنسجم مع ذهنيته الحدائيه والمابعد حدائيه المستندة إلى أرضية علمانية، المتشكلة في إطار نزعة "موت المؤلف"، المستمدة أصلا من فلسفة عصر النهضة حيث جعل إنسان الغرب نفسه المرجع والمصدر الوحيد له والمركز الوحيد للكون حواليه، أي جعل نفسه القسطاس والميزان الوحيد لحياته البائسة (كولن ت. 2010، ص15).

وللأسف فقد اقتفى الكثير من الباحثين العرب والمسلمين آثار هذه الفلسفات إلى غاية "حجر الضب" على حد وصف النبي صلى الله عليه وسلم، وانزلوها إلى ميدان التجربة الاجتماعية الخاصة ببيئاتهم بنفس الروح - الفلسفة-والافتراضات والمنهجيات، في محاولة لتفسير هذه الظواهر، فأغلبها حاله حال من يلبس نظرات سوداء داكنة ليصير الطريق في رابعة النهار؟ ولذا غالبا ما تكون نتائج بعض هذه الدراسات "مناخة" علمية مدعمة بالإحصائيات والأرقام والجداول؛ عن سلوكه-الجمهور-الغارق في مشكلات الهوية، العزلة، الإدمان، الفردانية، الاغتراب، الهوية، التفاهية، ناهيك عن الانحطاط الأخلاقي والشرهه الاستهلاكية للمنتجات الثقافية ذات النزعة الغرائزية، وغالبا ما تنتهي بتحسرواأسف واضح على هذا الوضع مع توصيات بترميم مناطق الإصابة لدى هذا

"اليقظ؟" ويبدو أننا نصف الأعراض دون أن نضع اليد على الأمراض؟ إذ كيف يمكن تقبل وجود أمراض من هذا النوع في بيئة مسلمة؟ أو ليس الخلل في مستوى آخر لم يخضع للفحص والتشريح بالدقة المطلوبة؟

يعتري البيئة الجديدة للإعلام والاتصال اليوم الكثير من الإشكالات والانشغالات البحثية على الصعيد النظري الفلسفي والمنهجي الأداتي، في البيئة العربية الإسلامية، تقابلها تحديات ثقافية واجتماعية وقيمية تواجه الفرد والمجتمع، فجوهر المشكلة من منظورنا القيمي يعتبر: العلاقة بين وسائل الإعلام والمجتمع في المنطقة الإسلامية و العربية حضارية ثقافية بالدرجة الأولى، وتتفرع هذه المسألة إلى إشكالات فرعية تمس تلك العلاقة الحاسمة بين وسائل الإعلام والمجتمع خاصة ما تعلق بأبعاد القيمة أي الجوانب الاثني عشر: الإيمانية الاتصالية، الزمنية، المكانية اللسانية، النفسية، الاجتماعية، الاقتصادية، التربوية، السياسية، الجمالية، الإنسانية(عزي.ع.2013.ص10).

المدخل الاشكالي في العلاقة بين المتلقي ووسائل الاعلام

يتعدى جوهر إشكاليات " نظرية الاستخدام" -من وجهة نظر البراديجم القيمي - المظهر التقني الواسيلي وما يلحق به من شروط، التحكم، والإدارة، والتسيير، وإنتاج المحتوى، واستهلاكه وتوزيعه، أو حتى في النظريات الغربية المفسرة، وإنما اقتربها أو ابتعادها عن "الجو القيمي"، الذي يؤثر عملية الاستخدام بجميع أبعادها، فهو المعيار الفاصل والميزان الحضاري، ومن هذا المنظور يمكننا أن نعيد صياغة السؤال السابق: من ماذا يفعل الجمهور بوسائل الإعلام؟ إلى: ماذا تفعل وسائل الإعلام بالجمهور-المسلم العربي -دون كفاءة قيمة؟ وهو يحيلنا مباشرة وأليا الى قائمة طويلة من الآثار السلبية الناجمة عن الاستخدام غير المؤطر قيما، ، وأجزم بأن تبني مثل هذه التساؤلات ومركزتها في تحليل الظواهر الإعلامية في البيئة العربية، سيسمح بإعادة فهمنا لأنفسنا وفق متغيراتنا الثقافية والحضارية بعيدا عن المنظورات الغربية والتغريبية، ويكون التساؤل الأنسب حينئذ هو: ماذا تفعل الثقافة بوسائل الاتصال؟(عزي.ع.2013.ص101) أو بعبارة أدق سياقيا: ماذا تفعل القيم بوسائل الإعلام؟ وطبعا الإجابة عنه متروكة للبحوث والدراسات الأصيلة التي تتبنى هذه الرؤية، ولذا يمكن أن نسيمه بالاتجاه النضالي إن لم يكن مرابطة معرفية.

تعد نظرية الحتمية القيمية في الإعلام، من النظريات الرائدة في هذا الاتجاه، حيث تطرح رؤية فلسفية فكرية، وأرضية نظرية، وحزمة مفاهيمية، و قواعد منهجية، لدراسة الظواهر الإعلام-اتصالية تقوم على استحضار القيمي الثقافي الحضاري في الاتصالي الإعلامي، بما ينسجم مع طبيعة المبتنيات العقائدية والفكرية والسلوكية للفرد والمجتمع، إذ الحاصل أن الكثير من الدراسات في البيئة العربية جردت تلك الظواهر من هذا المتغير وطبقت مناهج ومداخل ذات نزعة غربية أدت إلى فقدان المعنى الاجتماعي والثقافي في حد ذاته، وأنتج شروخا عميقة في جدار المعرفة، أو على الأقل جعل رؤاها وتفسيراتها لهذه الظواهر قاصرة ومحدودة الأفق والفاعلية .

إن نظرية الحتمية القيمية في الإعلام تحاول وضع الظواهر الاجتماعية عامة والإعلامية خاصة في سياقات تحليلية كلية، فهي ليست نظرية حقلية جزئية بل تتعداها إلى إطار تفسيري شامل لبنيات العملية الإعلامية جميعها يتضمن أبعادا فكرية وفلسفية (عزي. ع. 2013. ص8)، إضافة إلى كونها نظرية وقائية من خلال تفعيل منظومة القيم الإسلامية وجعلها المعيار والمحك الذي نزن به ومن خلاله تلك الظواهر.

ويعني منظور "الكفاءة القيمية" في استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، استيعاب الفرد ثقافته ونظامه القيم وتكثيف هذه الكفاءة مع الوضعيات أو المحيط الجديد (عزي. ع.)، ولا يتأتى هذا الاستيعاب والتكيف إلا من خلال "توجيه" تربوي قيمى على وسائل الإعلام في عمومها وتكنولوجيات الإعلام خصوصا، تتضافر فيه جهود مؤسسات التنشئة الاجتماعية جميعا (الأسرة المسجد المدرسة ...) بهدف تكوين قاعدة معرفية متوازنة - تمثلات Représentation واقعية عن هذه التكنولوجيا-، تملك Appropriation فعال يجيلها إلى أدوات انجاز بدل تقنيات وأدوات مكدسة فاقدة للفعالية والفعالية في السياقات الإنتاجية المتنوعة، لتندمج هذه التقنيات اندماجا Intégration متسقا مع المنظومة الحياتية للفرد والمجتمع دون أي تنافر أو توتر قيمى.

من الكفاءة القيمية إلى الترشيد

من البديهي أن لا تتأتى هذه الكفاءة إلا من خلال نشاط واعى هادف أي برنامج متكامل الرؤية وهو ما نطلق عليه، التربية القيمية على تكنولوجيا الاتصال فهي عملية وقائية استباقية للتأثيرات السالبة من خلال التوجيه القيمى لعملية الاستخدام و تأطيرها، وهو المسلك الذي يربط المنتجات التقنية بنظام توجيهى متكامل، وهو ما نسميه " ترشيد" الاستخدام، والترشيد من الرشد وهو نقيض الضلال والغي : لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (البقرة. 25)، و يقال رجل راشد أي مميز بين الحق والباطل، ومن اسماء الله تعالى "الرشيد" أي الذي أرشد الخلق إلى مصالحهم، أي هداهم ودلهم عليها وهو الذي تنساق تديبراته إلى غاياتها على سبيل السداد من غير إشارة مشير ولا تسديد مسدد (ابن منظور، 2008، ص398)

وفي تقديرنا فان الترشيد يؤدي إلى الرشد؛ أي النضج والاكتمال فحاصل الجهد الهادف إلى القيمية من خلال القيمة إنما هو كما يقول الشيخ الشعراوي يرحمه الله: حسن التصرف في الأشياء وسداد المسلك في علة ما أنت بصدد، فمبتغى هذا المسلك يرتبط بمدى الانسجام بين المنظومة الفكرية والمنظومة السلوكية بحيث تكون انعكاسا حقيقيا لها، وتكون القيمة قاعدته التي ترتفع بالفرد إلى المنزلة المعنوية (عزي. ع. 2013. ص106)

تهدف "التربية القيمية على وسائل الإعلام" إلى مرافقة وتوجيه وترشيد عملية استخدام الوسائط

التكنولوجية وذلك من خلال الحرص على بناء المنظومات الآتية:

أولاً- المنظومة الوقائية: وتخص "الجو الاستخدامي العام" أي الإطار الأولي الذي يشرف على وضع قواعد توجيهية للاستخدام مستندة إلى منظومة القيم الأخلاقية أو ما يعرف في الأدبيات البحثية بـ "أخلاقيات الاستخدام" *Ethics Media, Use Ethics* وتكون الأسرة والمدرسة والمسجد مراكز الثقل فيه باعتبارها المحضن الأساسي للتوجيه "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كمثل البهيمة تنتج البهيمة هل ترى فيها جدعاء(رواه ابو هريرة رضى الله عنه)، ويساعد هذا الجو التوجيهي أو ما يسميه الأستاذ مالك بن نبي "التوجيه الأخلاقي" على تعزيز "قوة التماسك الضرورية للأفراد" (بن نبي، م، 2013، ص79) وهو ما يترجمه الأستاذ عزي "بالإشراف القيمي" الذي ينبثق تلقائياً من البنية القيمية وتكون وظيفته :

أ- تنمية روح المسؤولية الذاتية : واستشعار المراقبة الربانية (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) ق18، والمحاسبة الذاتية الدائمة، أثناء الاستخدام كحل جذري لمواجهة المحتويات ذات الطبيعة الغرائزية أو التي تتعارض مع النسق القيمي، إنتاجاً، واستهلاكاً، وتوزيعاً، وكذا تعزيز قيمة التوبة، باعتبارها مصفاة سلوكية تتيح للفرد العودة مرة أخرى إلى المجال القيمي، خصوصاً وأن تجربة الاستخدام تجربة فردية تنتفي معها الرقابة الاجتماعية، وهو ما يجعله يواجه هذه الوسائط بمحتوياتها منفرداً، وفي غياب الموجهات الإيجابية لا يعدو أن يكون مثل "الهائم" *Nomade* على وجهه في صحراء شاسعة أو مثل الذبابة في الشبكة (مع فارق التشبيه) على حد قول بول كيندي.

ولا شك أن عناصر الجذب في هذه التكنولوجيا متنوعة ومغرية، خصوصاً ما تعلق بالمحتويات غير القيمية أو المتنافية معها أصلاً (الجنسية، الجريمة، المخدرات، الموسيقى الفاحشة، المثلية، التطرف، الإرهاب، الأفكار المنحرفة...)، أو المجموعات الشذوذ والفسق والمجون...، أو تطبيقات وبرامج والعباب من هذا القبيل ويكون من أهداف التربية القيمية تنمية قيم "الصبر والمجاهدة والمكابدة" ولها معنى عميق في هذا الاتجاه إذ هي صبر على المشتتهات ومكابدة لرغبات النفس ونزواتها ومجاهدة لها في سبيل الارتقاء إلى مقام العمل الصالح (أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين). (آل عمران 124) وكما يقول الشيخ محمد الغزالي يرحمه الله : إن الخلق لا يتكون في النفس فجأة، ولا يولد قويا ناضجاً، بل يتكون على مكث وينضج على مراحل (الغزالي، م، 1997، ص27) .

ب- ضبط التوازن بين الأزمنة: وهي مستويات حياتية منها الزمن الاجتماعي الثقافي التواصلي، زمن اللعب، زمن الميديا، الزمن القيمي التعبدي، مع التركيز على ضبط مقدار محدد لزمن الميديا، أي إعادة الانسجام فيما بينها، بعد أن استغرق الزمن الإعلامي الفرد المعاصر وانحماكه -الفرد- مدة طويلة في التعامل مع هذه الوسائل الزمنية فإنه أصبح موجه للزمن الاجتماعي، يقول الأستاذ عزي : إن غلبة الزمن الإعلامي وسيادته يعودان إلى

سيطرته البنيوية على زمن الأفراد والجماعات... فقد تقلص زمن العلاقات الاجتماعية تقنيا وعمليا مع ظهور أية وسيلة إعلامية (عزي، ع، 2003، ص 09)، فالملاحظ أن زمن المديا يكاد يتلغ باقي الأزمنة ويشكل لوحده فضاء المعيشة والتبادل والتعلم والعمل والعواطف...، وغيرها من مناشط الحياة التي تدفع البعض إلى الاستغراق في عملية الاستخدام بشكل مرضي كالإدمان عليها وما يصحبه من أمراض نفسية (العزلة، الانطوائية، الفردانية..). وأمراض حسية القلق، ألام الظهر، العيون (عبدلي، أ، 2003).

ج- تعزيز القدرة على الاستخدام الانتقائي: أي القدرة على انتقاء مضامين وخدمات وتطبيقات متسقة من الإطار القمي للفرد الذي يكون بمثابة مصفاة الفرز والغريزة الدائمة الحضور في العملية، ويتبع ذلك أيضا انتقاء جماعات الانتماء (الشبكات الاجتماعية، المجموعات، الصداقات)، ذات الاهتمامات الايجابية والهادفة.

ثانيا - المنظومة المعرفية- بناء التمثلات : وتمثل في التعريف كفاية بالتكنولوجيا محاسنها ومضارها، ايجابياتها وسلبياتها وأواجه الاستفادة منها، ذلك أن تصفية المنظومة المعرفية من التمثلات اللهوية والتفاهية والتسطحية والمنطق الاشباعي التقنوي، أو كما يسميه عزي "الجو الدعائي الاستهلاكي التفاهي (عزي، ع، 2003، ص 20)، من شأنه أن يحيلها إلى أدوات إبداعية متناغمة مع الإطار القمي الحضاري، يقول مالك بن نبي رحمه الله: الأفكار هي المنوال الذي تنسج عليه الأعمال وهي تتولد من الصور المحسة الموجودة في الإطار الاجتماعي فتنعكس في نفس من يعيش فيه وهنا تصبح صورا معنوية يصدر عنها تفكيره (بن نبي، م، 2013، ص 82). ويسمى الأستاذ هذا المستوى بـ "التوجيه الجمالي"

ثالثا-مدخل التملك بناء عالم الخبرة : يترتب على تحقيق الهدف السابق أي التمثلات الايجابية تملك ايجابي بدوره، إذ أن التحكم التقني الممتد في عمق المعرفة التقنية على صعيد الوسائل Hard والبرامج Soft، من شأنه أن يعين على بناء منظومة انجاز متكاملة من المستوى البسيط الفردي إلى المستوى المعقد المجتمعي، وعالم الخبرة في هذا المجال له اثر جد عميق في نفضة المجتمع ذلك انه ينقله من حالة التكديس لهذه المنتجات إلى حالة من الفعالية الحضارية، أي تنمية "المنطق العملي" واستخراج أقصى ما يمكن من الفائدة من وسائل معينة (بن نبي، م، 2013، ص 84). على حد تعبير مالك بن نبي رحمه الله.

رابعا-منظومة السلوك -الإدماج: السلوك هو محصلة التفاعل بين "المكون المعرفي" (العقلي) و"المكون الوجداني" (القلي)، أي هو الترجمة النهائية والعملية لمعتقدات وقيم الفرد، يعبر عنه في شكل ملفوظات لغوية، حركات جسمانية، إجازات، وغيرها من الأشكال التعبيرية، ونتيجة للتفاعل الداخلي العقلاني والوجداني يتحدد اتجاه الفرد بصورة نهائية، ومنه تتحدد خطواته السلوكية المباشرة، فمثلاً قد يتعرف الفرد على أفكار دينية أو سياسية وما شابه ذلك ويقارنها إلى معارفه أو خبرته السابقة ثم يقرر قبولها أو رفضها بعد أن يضمني عليها نوعا من المشاعر والأحاسيس، فإذا كان مقبولا فينعكس في شكل حماسة ومشاعر ملتبهة تصل حد

التطرف، وإن كان رفضا فيعبر عنه بمشاعر مختلفة مثل، الاشمزاز، الغضب، الرفض(محمود، م، 1992، ص184).

ولا شك أن السلوك الاستخدامي هو محصلة العوامل التكوينية المعرفية والوجدانية، والحاصل أن استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال في بعده السلوكي المباشر، يمكن أن يرتقي ويرتفع الى المنزلة المعنوية(عزي، ع، 2003، ص19) وإلى حالة من الفاعلية الانجازية الهادفة، كلما كان وثيق الصلة بالقيم الأنفة الذكر ويكون التأثير ايجابيا حائذن، وينسجم مع باقي مناشط الحياة الفردية والمجتمعية، كما أن الاستخدام المبتور الصلة بالقيمة يؤدي إلى تنافر وتوتر ثقافي وتأثير سلبي، ويحيلها إلى عمليات غير ذات جدوى أو معنى تستنزف المال والوقت

والواقع أن الموقف الاستخدامي الحالي - بما دلت عليه الكثير من الدراسات الميدانية - يمكن أن يعثره واحد من الحالات الآتية:

أ- تمثل القيم: حيث ينسجم استخدام الفرد في جميع أبعاده مع ما يحمله من قيم التي تكون ناظمة لهذا المنشط وحاكمة عليه، وفي هذا الانسجام يحدث الوصل بين القيمي الثقافي والحداثي التقني، ويمكن أن يؤول ذلك إلى حالة من التقدم الحضاري في حال ما إذا انسجمت جميع الجهود وتضافرت على نحو مجتمعي واسع النطاق.

ب- تحييد القيم : وهو يعبر عن "الانشطار " والتمزق " القيمي الأخلاقي الذي يعانيه الفرد حيال تعرضه للكثير من المحتويات الغرائزية مثلا أو أنشطة الاختراق ...، فتحييد القيمة يعني حالة من الخمول وعدم التفعيل القصدي لها أثناء هذا النشاط، ونعتقد أن هذه الحالة سياقية إذ تعترى الفرد غالبا أثناء باقي المناشط الاجتماعية الأخرى، وهي تشير إلى عمق الأزمة الثقافية كما يقول مالك بن نبي حيث الانفصال بين القيمة والواقع السلوكي، وان الأزمة الثقافية تكون في ذروتها بالنسبة إلى الفرد إذا ما قدرنا انه حرم منذ البداية مما أسميناه الجو الثقافي (بن نبي، م، 2013، ص92).

ج- التداخل القيمي : يعبر التداخل القيمي عن ازدواجية ثقافية ممتدة في عمق ثقافتنا العربية الإسلامية المابعدموحدية، حيث تختلط النزعات التقديرية للمنتجات الغربية بين ثنائية الرغبة والرغبة، الانبهار والخوف، الممنوع والمرغوب، فالرغبة تعبر عن طموح نحو "امتلاك" وتبني " هذه المنتجات المفقودة في المجتمع أو التي لا تنتج محليا، أما الرغبة فمردها إلى استحكومات المنظومة القيمية وانغلاقها أحيانا كثيرة على نفسها كحالة دفاعية في وجه هذه العناصر "الدخيلة" وتتخذ من العنف اللساني (التشويه، التندر، التأييب،...) أو حتى الإكراه البدني في حالة غياب بديل واضح، هذه الازدواجية تؤثر على استخدام الشباب مثلا للإنترنت فهو قد

يرغب في استخدامها بعيدا عن إشراف الأولياء، وقد يؤدي سوء استخدامها إلى الإحساس بالاعتراب في العلاقة مع الآخرين لان في ذلك مساسا بقيم المجتمع وثقافته من جهة أخرى. .

خلاصة

يتزايد الاهتمام في الأوساط الأكاديمية بنظرية "الحمية القيمة في الإعلام"¹، وقد تطور هذا الاهتمام إلى محاولات جادة لتبنيها واعتمادها كمرجعية فكرية فلسفية ومنهجية في فهم وتحليل الظواهر الإعلامية في نطاق البيئة العربية الإسلامية.

ومع أن هذه الجهود لا تزال في مرحلتها الجنينية وتعاني بعضا من القصور التحليلي الناتج عن عدم فهم الظواهر فهما فلسفيا وثقافيا من جهة وفهم النظرية فهما ثقافيا حضاريا، ولا يعني ذلك انتقاص من أي جهد مبارك، إنما نسجل لجميع المشتغلين بها مشقة المهمة وصعوبتها واعتقد أن لذة المشقة في ثمرة النتيجة، والتي لن تكون إلا محصلة هذا التراكم المفضي إلى تحضة الأمة.

وقد حاولت من خلال هذا المقال البسيط أن أفق على معالم "البرادينغم القيمي" في دراسة ظاهرة استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال، من خلال إعادة شحنها شحنا قيميا يستند إلى أعمال عملاق المفكر الجزائري مالك بني يرحمه الله، وأعمال الأستاذ عزى عبد الرحمن التي شكلت قاعدة الفهم، ومبعث النشاط ومصدر الإلهام. يعتمد هذا الشحن على جهود الأسرة والمدرسة والمسجد في التربية القيمة على تكنولوجيا الاتصال، وترشيد استخدامها، ترشيدا يجعلها أدوات ذات فعالية تقنيا واجتماعيا، مادامت تخضع لإشراف قيم

هوامش

- يعرف هذا المدخل باسم "نظرية الحمية القيمة في الإعلام" وهي نظرية طرحها الأستاذ عزى عبد الرحمن واسهم في تطويرها الكثير من الباحثين لمزيد من التفاصيل تصفح الموقع الخاص بالنظرية:

<http://www.oocities.org/dr.azzi/ethicomp.pdf>

كان للقائي الأستاذ عزى في ملتقى جامعة الاغواط الأثر البالغ في تصويب بعض الأفكار المتعلقة بفهم الظواهر الإعلامية في إطارها القيمي، كما دفعني إلى إعادة قراءة وفهم ما كتب عن الموضوع في سياقات جديدة لم أتبينها من قبل، وعلى كل الفضل لله ثم للأستاذ الذي علمنا الإنصات إلى الحقائق العلمية بقلب رجل صوفي ينفذ إلى أعماق المعرفة ويرتفع إلى مقامات الفهم

والحكمة، وعقل باحث علمي منهجي منضبط صارم يترفع عن تمجيد التراث وتقديسه بل يعمل على وصله بالحدثاء وروح المعرفة الإنسانية المعاصرة.

-التوجيه عند مالك بن نبي هو ما يمكن من تجنب الإسراف في الجهد والوقت. انظر **مشكلة الثقافة**
فكرة "الجو الاستخدامي" مستوحاة من فكرة "الجو الثقافي" عند مالك بن نبي والذي يمتص الفرد تلقائياً عناصره، من ألوان وأصوات وحركات وروائح وأفكار يتلقاها لا بوصفها معاني ومفاهيم مجردة ولكن بوصفها صوراً مألوفة يستأنسها منذ مهدده.
-تنطوي كلمة أخلاقيات في اللغة العربية على ثلاثة اشتقاقات متماسكة أ- الخالق سبحانه وتعالى في ذاته وصفاته الأسماء الحسنى،
ب- الخلق أي المخلوقات، ج الخلق أي القيم التي تحكم الخلق بوصفها تجليات أسماء الله الحسنى،
-انظر بالتفصيل نتائج الدراسة الميدانية الواردة في مذكرة ماجستير للطالب احمد عبدلي، قسم الدعوة والإعلام والاتصال، جامعة الأمير عبد القادر، 2003

-الفت عشرات الكتب حول الموضوع، عزبي، نصير بوعلي... والكثير من المقالات، وتنجز حالياً الكثير من الأطروحات الأكاديمية-ماجستير دكتوراه- حولها أو استناداً إليها في الجامعات الجزائرية، كما صار من التقاليد عقد مؤتمر دولي سنوي باسم النظرية .

-يفضل الباحثان مسمى البراديجم القيمي، بدل نظرية الحتمية القيمية في الاعلام نظر لما تثيره من إشكاليات فلسفية ومنهجية ،
بالغة التعقيد بينما يعد البراديجم أو النموذج مقارب أو مقارنة approche أكثر تبسيطاً من حيث الدلالة على المتغير الأساسي وهو القيمة ، وأكثر مرونة في التفاعل والاستمداد من المقاربات الأخرى .

المراجع

ابن منظور، (2008) لسان العرب، ج3، لبنان: دار إحياء التراث العربي
الغزالي، محمد، (1997) خلق المسلم، الجزائر: مكتبة رحاب
تورنر، كولن، (يناير، 2010)، ثورة الإيمان، مجلة النور للدراسات الحضارية (01)، 22-04
عزبي، عبد الرحمن (2013)، منهجية الحتمية القيمية في الإعلام، تونس: الدار المتوسطة للنشر
عبد الحميد، محمد (2010)، نظريات الإعلام واتجاهات التأثير، ط3، القاهرة: عالم الكتب
عزبي، عبد الرحمن، (2003)، دراسات في نظرية الاتصال نحو فكر إعلامي متميز، دمشق: منشورات مركز دراسات الوحدة العربية.

عزبي، عبد الرحمن، (2003)، الزمن الإعلامي والزمن الاجتماعي: قراءة في تفكك بنية التحول الثقافي بالمنطقة العربية، المستقبل العربي، (9).

عزبي، عبد الرحمن، (2003) الثقافة وحتمية الاتصال: نظرة قيمية، المستقبل العربي (295)
بن نبي، مالك (2013) مشكلة الثقافة، ط1، الجزائر: دار الوعي
ماهر محمود عمر، (1992) سيكولوجية العلاقات الاجتماعية، ط2، الإسكندرية: دارالمعرفة الجامعية
عزبي عبد الرحمن، الكفاءة القيمية، انظر الرابط: <http://www.oocities.org/dr.azzi/ethicomp.pdf>
استرجعت في 2011

Proulx Serge, [on line] Usages des technologies d'information et de communication : reconsidérer le champ d'étude ?refe de 2009, disponible sur [on line www.er.uqam.ca/nobel/grmnob/drupal5.1/static/textes/proulx_SFSIC2001].

تاريخ الاستلام: 2017/06/22 - تاريخ التحكيم: 2017/09/17 - تاريخ النشر: 2017/12/30

منتديات الدردشة الالكترونية ودورها في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري دراسة في دوافع الاستخدام و الإشباع المتحققة لمنتدى فايسبوك (FACEBOOK)

د. رضوان بلخيري

أ.سارة جابري

جامعة العربي التبسي بتبسة - الجزائر



ملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن دوافع استخدام منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك)، ودورها في غرس القيم الدينية لدى الشباب الجزائري، ورصد أهم الحاجات و الرغبات التي يحاول المستعملون إشباعها، كما تحاول التعرف على الآثار و الانعكاسات المختلفة لهذا الاستعمال على الفرد و المجتمع؛ و قد تم الاعتماد على أداة الاستمارة لجمع البيانات من المبحوثين، و تم انتقاء فقط مستخدمي منتدى الدردشة الالكترونية بشكل قصدي، و قد توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها:
الفئة الأكثر استعمالا لمنتديات الدردشة هي التي تتراوح أعمارها بين 19 و 28 سنة؛ أدت الدردشة الالكترونية إلى تغيير عدة جوانب في حياة الأفراد، تساهم الدردشة الالكترونية في انحراف سلوك الشباب و فساد أخلاقهم؛ الإدمان على الدردشة يؤدي إلى الشعور بالإحباط، و الانعزال عن المجتمع، و قلة الاهتمام بالأحداث و القضايا المحيطة؛ هناك نسبة معتبرة من الأفراد الذين يستعملون المنتديات الالكترونية لأغراض تثقيفية (الحصول على المعلومات، تعلم اللغات الأجنبية...).

الكلمات الدالة: منتديات المحادثة الالكترونية، القيم الدينية، الشباب الجزائري، الدوافع و الاستخدامات، الانعكاسات.

Abstract:

The aim of the present research was to demonstrate different motives of chat room use(Facebook), and its role in bringing about change in Algerian society, and gratifications obtained from that use, the current study intends also to gain insight in the possible effects and implications in individual's life and the whole society, data were collected by questionnaires, only chat room users were selected and given a questionnaire to fill out, the main findings of the study were the following: young people of this age (19-28) are the first and the greatest users of chat room. Electronic chat caused several changes in person's life. Electronic chat forms risks and negative effects in the behaviour of adolescents and young people. Addiction to electronic chat caused depressive symptoms, social isolation, and decreased users interest in events occurred in their environment. There is an important number of persons which use chat room for cultural purposes (to seek information, to learn foreign languages...)

Key words: Community Conversation electronic, religious values, the Algerian youth, the motives and uses, implications.

مقدمة:

عرفت البشرية منذ فجر التاريخ عدة تطورات وتحولات اجتماعية، كان أبرزها على الإطلاق، التطور والتحول الحاصل في المجتمعات المعاصرة بفعل تكنولوجيات الاتصال الحديثة، والتي غيرت تقريبا كل نواحي الحياة، وأثرت في معظم أنشطتها، حيث اقتحمت وسائل الاتصال هذه كل مجالات الحياة، وأجبرتها على التعامل معها كواقع لا بد منه، وعلى التفكير في كيفية إدماجها في أنشطتها و أعمالها.

ونجد أن تكنولوجيا الاتصال قد نمت وتطورت وتمكنت من المساهمة في تطوير الحضارة الإنسانية و رقي الجنس البشري، وبوجه خاص ومنذ منتصف الثمانينات، حيث نجد أن العالم يمر بمرحلة تكنولوجية اتصالية جديدة تكاد التطورات التي تحدث فيها أن تعادل كل ما سبق من تطورات في المراحل السابقة، حيث يكاد يتغير شكل وأسلوب عمل وسائل الاتصال، إضافة إلى ظهور وسائل جديدة كان لها آثارها الاتصالية" (علم الدين، م.2005: 138)

فلم يسبق وأن عرف المجتمع البشري تطورات سريعة الوتيرة كما يحصل الآن، على كل المستويات الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية؛ فأدت الكثير من التقنيات والوسائل المستحدثة إلى إلغاء سابقاتها وإزالتها بشكل كلي من المجتمع.

" إن عصر الإعلام الكوني ألغى حواجز العزلة بين الحضارات، كما أن السرعة المتزايدة والفائقة والمستمرة التي تدور بها اليوم عجلة تطور تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات دفعت العالم إلى الانتقال من المجتمع الصناعي إلى مجتمع المعلومات لتعصف ثورة المعلومات والتكنولوجيا متعددة الوسائط جوانب الحياة كافة، في التجارة والسياسة والتربية والتعليم إلى التسلية والألعاب" الهاشمي، م.2001: 09)؛ ومن الوسائل الاتصالية التي ميزت هذا العصر وأحدثت القدر الأكبر من التأثير والتغيير، شبكة الانترنت العالمية، التي تختلف كثيرا عن وسائل الاتصال التي سبقتها، سواء من حيث استعمالها، خدماتها، عدد مستعمليها، أو انعكاساتها و تأثيراتها على مختلف المجالات، وقد قامت باختزال كل الوسائل الإعلامية و الاتصالية الأخرى واحتوائها، فيمكن اليوم من خلالها الاطلاع على كل صحف و جرائد العالم، ومشاهدة كل القنوات التلفزيونية الدولية، و الاستماع لكل القنوات الإذاعية، ويمكن كذلك الاتصال مع الآخرين مهما كان مكانهم في كل أنحاء الكرة الأرضية التي يتوفر فيها الربط بالشبكة العنكبوتية، إلى غير ذلك من المجالات الأخرى التي لحقها تأثير الانترنت ووسائل الاتصال المختلفة، والتي جعلت عالم اليوم يعيش " ثورة جديدة من نوع خاص، فاقت في إمكاناتها وآثارها كل ما حققه الإنسان من تقدم حضاري خلال وجوده على الأرض" (العسايفين عيسى، ع.2001: 42)، فالتقدم الحاصل في النصف الثاني من القرن العشرين، قد يعادل كل الفترة السابقة التي عاش فيها الإنسان، و تعوض كل ما توصل إليه؛ وإذا كانت وسائل الإعلام الأخرى مجتمعة قد أحدثت جزءا كبيرا من هذا التغيير والتأثير على حياة الأفراد، فإن الانترنت عندما ظهرت قد تجاوزت كل هذه الوسائل، وأصبح تأثيرها يعادل بل يتجاوز تأثير كل الوسائل الأخرى، نظرا لتميزها بخصائص كثيرة وإتاحتها لخدمات واستعمالات متعددة، لم تكن موجودة من قبل فشبكة "الانترنت ليست كغيرها من

وسائل الإعلام، فهي كونية و عالمية (mondial et universel)"، (08: bertolus,j.1997) و متاحة لكل الأفراد دون استثناء، صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم؛ والشيء المهم الذي جعلها تتميز عن وسائل الإعلام الأخرى، هو طابعها التفاعلي، فالمستعمل يمكنه أن يشارك في مضمونها، ويضيف أو يغير أي شيء، ويمكنه أن يختار الخدمة التي يشاء. ومن الخدمات التي نالت القدر الأكبر من اهتمام الأفراد واستحوذت على نسبة هامة من استعمالاتهم ومن الأوقات التي يقضونها في الشبكة، خدمة الدردشة الالكترونية، فقد أثبتت عدة دراسات أجريت في عدة بلدان حول استخدامات الانترنت، أن هذه الخدمة تصدر قائمة الخدمات المستعملة بكثرة، وحتى في واقعنا اليومي نلاحظ أن الأفراد الذين يزورون مقاهي الانترنت، معظمهم لا يستعملونها إلا من اجل الدردشة الالكترونية.

لذلك يمكن أن نقول أن منتديات الدردشة الالكترونية، هي عبارة عن فضاء اتصالي استطاع أن يستقطب العديد من الأفراد في وقت قياسي، فرغم أنها مجرد خدمة توفرها شبكة الإنترنت، إلا أنها استطاعت فعلا أن تنافس وسائل إعلامية بأكملها، وتمكنت من صرف أنظار عدد لا بأس به من الجمهور، وجعله يقضي أوقاها كبيرة فيها، وقد كان التخوف في الماضي من شبكة الانترنت بأكملها، من إمكانية منافستها وسائل الإعلام الأخرى، خاصة مع ظهور الصحافة الالكترونية، و إمكانية مشاهدة القنوات التلفزيونية والاستماع للقنوات الإذاعية وقراءة الصحف و المجلات الالكترونية، ومع استقطاب شبكة الانترنت لنسبة هامة من الإشهارات و عدد كبير من المستعملين، أما الآن و مع تطور العديد من خدمات وتطبيقات الشبكة العنكبوتية، فقد أصبح التخوف من هذه الخدمات، لأن خدمة واحدة قد تنافس وسائل الإعلام الأخرى بأكملها وتصرف عنها أعداد كبيرة من المستعملين وقدر كبير من الإشهارات؛ والأكثر من ذلك أن خدمة الدردشة الالكترونية قد أصبحت تنافس حتى الخدمات الأخرى للانترنت، بحيث أنها استحوذت على اهتمام معظم مستخدمي شبكة الانترنت، فكما قلنا من قبل فان العديد من الدراسات أثبتت أن الدردشة الالكترونية هي أول و أكثر الخدمات التي تستعمل لأجلها شبكة الانترنت.

وإذا كانت وسائل الإعلام الأخرى قد أحدثت تأثيرات مختلفة على الأفراد المتعرضين لها وعلى المجتمع، فنحن نحاول من خلال هذه الدراسة أن نتعرف على التأثيرات والانعكاسات التي أحدثتها الدردشة الالكترونية، وأهم الاستعمالات التي يستخدم من اجلها الأفراد هذه المنتديات الالكترونية، ومن دون شك أن لها انعكاسات كثيرة سواء كانت ايجابية أو سلبية، خاصة وأن المعروف عن مستخدمي هذه الخدمة، أن غالبيتهم من الشباب و المراهقين، وبالتالي فإن هذه الفئة مدمنة على الدردشة الالكترونية بشكل كبير، مما يجعل نسبة أوقاها المستغرقة في عدة أمور أخرى تنقلص مع مرور الوقت، كالوقت المخصص للدراسة، النوم، العمل، الجلوس مع الأهل و الأصدقاء، إلى غير ذلك من الأشياء التي تتغير بفعل الهوس بالدردشة الالكترونية.

ولقد حاولنا من خلال هذه الدراسة كشف كل هذه الانعكاسات المترتبة عن استعمال منتديات الدردشة الالكترونية، وأنماط الاستخدام المختلفة.

1. إشكالية البحث:

أحدثت شبكة الإنترنت ثورة في مجال الاتصالات، لم يكن يتوقعها حتى الذين قاموا بتصميمها و إنشائها، فلم يبق مجال من مجالات الحياة إلا و أثرت فيه، فتغيرت بذلك طريقة عيش الإنسان، في عمله، دراسته و كذلك طريقة تفاعله مع غيره واتصاله بهم، فخدماتها المتعددة جعلتها تلقى إقبالا كبيرا لدى كل شرائح المجتمع، ولا سيما خدمات الاتصال كالبريد الالكتروني والدردشة الإلكترونية. وقد أثبتت عدة دراسات أجريت حول استخدامات الإنترنت، أن الخدمة الأكثر استعمالا هي خدمة المحادثة والدردشة الإلكترونية، نظرا لما توفره من إمكانية التواصل مع أي شخص في العالم بصفة متزامنة بالنص والصوت والصورة كأنه بالقرب منا، بالإضافة إلى إمكانية الاتصال بعدة أشخاص في نفس الوقت. وهي خدمة لم توفرها أي وسيلة اتصالية من قبل، مما جعل الناس يقبلون عليها و يستخدمونها إلى حد الإدمان عليها، أو كما يقول "فيليب بروتون" إلى درجة الثمالة بفعل الاتصال (Breton,P. 2000 : 09)

بدخول الإنترنت إلى الجزائر، وشيوع استخدامها لدى معظم شرائح المجتمع فقد أصبح معظم المستخدمين يداومون باستمرار على استعمال منتديات الدردشة الإلكترونية، إلى درجة أن غدا الكثير ممن لهم ثقافة محدودة في المجال المعلوماتي يظنون أن الإنترنت تقتصر فقط على هذه الخدمة، وهذا ما يثير الاستغراب، فالإنترنت توفر عدة خدمات هامة بخلاف الدردشة، يمكن استغلالها في عدة مجالات. ومما يلاحظ في الجزائر أن الإقبال على منتديات الدردشة الإلكترونية كان من طرف مختلف الفئات والمستويات، الشيء الذي استرعى اهتمامنا وجعلنا نتساءل عن أسباب ودوافع هذا الإقبال الكبير على خدمة الدردشة الإلكترونية دون غيرها من الخدمات الأخرى، فلا يمكن أن يخفى على أي شخص يتردد على مقاهي الإنترنت، أن جل المستخدمين يستخدمون منتديات المحادثة الإلكترونية دون انقطاع، وهذا ما أثر على عدة جوانب من حياتهم، ولاسيما نسبة احتكاكهم و اتصالمهم بمحيطهم الاجتماعي، فأصبح بعض الأفراد يدردشون لساعات مستمرة دون أن يجلسوا مع أفراد أسرهم ولو لساعة واحدة، فتغيرت بذلك مدة الدراسة، مدة النوم، مدة العمل، و الكثير من السلوكات و العادات الأخرى.

وبحكم أن كل وسائل الإعلام و الاتصال قد أحدثت تأثيرات وانعكاسات مختلفة على الفرد والمجتمع، سواء ما كان ايجابيا أو سلبيا، فقد تساءلنا نحن حول إمكانية إحداث هذه الخدمة(الدردشة الالكترونية) لانعكاسات على غرار الوسائل الأخرى بمختلف خدماتها، ونظرا لأن الأثر هو نتيجة للاستخدام، فلا بد من التعرف على طبيعة الاستعمالات المختلفة لهذه المنتديات، لكي يتم التعرف على الآثار والانعكاسات المترتبة عنها.

وبناء على هذا الطرح فإن إشكالية دراستنا هذه تمحورت كما يلي:

ما مدى استخدام الشباب الجامعي لمنتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) وما هي الإشباعات المتحققة .؟

وتحت هذه الإشكالية يمكن إدراج مجموعة من التساؤلات :

- ما هي الفئات الأكثر استخداما لمنتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك)؟
- ما هي الحاجات التي يسعى مستعملو الإنترنت إلى إشباعها من خلال الدردشة الإللكترونية ؟
- ما هي المجالات التي يستخدم فيها منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك)؟
- ما هي أسباب استعمال منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) أكثر من خدمات الإنترنت الأخرى؟.
- ما هي الانعكاسات والآثار المترتبة عن استعمال منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك)؟
- هل فعلا تعتبر الدردشة الالكترونية سلبية أم أنها ايجابية إلى حد ما .؟.

2. أهمية الدراسة:

تكمن أهمية هذه الدراسة في طبيعة الظاهرة التي تتناولها ووقوعها على المجتمع، والتي تنامت بشكل كبير وملفت للانتباه، خاصة بين أوساط الشباب والمراهقين، و عليه فإنه من الأهمية بمكان أن نجري دراسة في الجزائر، للتعرف على سمات و خصائص المدرشين والأسباب والدوافع الكامنة وراء إقبالهم الكبير على منتديات الدردشة دون غيرها من الخدمات، وكشف مختلف الانعكاسات التي تنجر عن هذا الاستعمال، سواء ما كان منها ايجابيا أو سلبيا.

وتبرز كذلك أهمية هذه الدراسة إذا ما علمنا بعدم وجود أي دراسة في الجزائر تتناول هذه الظاهرة، وعلى العكس من ذلك فقد لقي هذا الموضوع اهتماما كبيرا في الدول الأجنبية، من طرف الباحثين من مختلف التخصصات العلمية (علم النفس، علم الاجتماع، علوم الإعلام والاتصال، علم النفس الاجتماع...) وفي مختلف الجامعات ومراكز البحث (مثل الدراسات التي قام بها كل من: Kiesler&Sproul ، Zmud&Ellul ، Veldovska Julia ، Michel Marcoccia ، Turkle Sherry ، F.Martin ، Spears&Lea ، Charles Beaudoin ، Philippe Hert ، Patrice Flichy (...)). وقد تم تصميم بعض البرمجيات خصيصا لدراسة منتديات النقاش الإلكتروني و تحليل مضمونها مثل: "wordmapper" ، "websom" ، "pdgarden" ، "webfan" ، و كما يقول "جورج.م وصوفيا : " فإن الانترنت تعتبر مجالا هاما للبحث، من خلال دراسة مواضيع وظواهر متعلقة باستخداماتها وانعكاساتها (uses and implications) ، (sofia A. George M,2008 :10-16)، و هذا ما يبين المكانة التي تحتلها هذه المواضيع في البحوث و الدراسات الاجتماعية.

ويمكن لهذه الدراسة أن تدرج ضمن "المجال المعرفي الجديد نسييا والذي يعرف ب social informatics أو المعلوماتية الاجتماعية-إن صح التعبير- وهي البحوث و الدراسات التي تتناول تأثير تطبيق واستعمال

تكنولوجيات المعلومات والاتصالات على النسق الاجتماعي، أو التغيرات الناتجة عن تطبيق واستعمال تكنولوجيات المعلومات والاتصالات" (محمد الصالح، أ. 2001: 25).

كما يمكن أن تدرج كذلك ضمن البحوث المعروفة اختصاراً بـ (Computer-mediated Communication) CMC، و بالفرنسية (Communication médiatisée par ordinateur) CMO أو الاتصال باستخدام الحاسوب، وهو المجال المعرفي الذي يهتم بدراسة التفاعلات والاتصالات عبر الحاسوب (الانترنت)، والظواهر المتعلقة بها

(207: 1999, Danielle v. j, lafrance.P) كما يمكن كذلك لنتائج هذه الدراسة أن تفيد المختصين النفسانيين والاجتماعيين، و تجعلهم يتعرفون على أهم الانعكاسات التي تطرأ على المدرس دشرين، سواء على الجانب السلوكي أو الجانب النفسي أو غيرها من الجوانب الأخرى.

3. أهداف الدراسة:

يمكن أن نحمل أهداف هذه الدراسة فيما يلي :

- تحديد دوافع الاستخدام المفرط لمنتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) من طرف الجزائريين.
- محاولة حصر الخصائص العامة و الشخصية للمدرسين الجزائريين.
- تحديد مكانة هذه الوسيلة الاتصالية مقارنة بالوسائل الأخرى، ومدى تغير نسبة التعرض لهذه الوسائل.
- الكشف عن الانعكاسات والتأثيرات المختلفة على الفرد والمجتمع.
- تحديد طبيعة العلاقات الاجتماعية التي تتشكل في خضم المجتمعات الافتراضية، وأثرها على العلاقات الحقيقية (وجها لوجه)، وعلى تفاعل الفرد مع المحيط الاجتماعي.
- تحديد الآثار المختلفة على تصرفات وسلوكيات الأفراد، والتي تغيرت بشكل يستدعي اهتمام الباحثين والمختصين، ويتطلب إجراء دراسات، كما أن تحليل النشاطات وديناميكية سلوكيات الأفراد في مجتمع الإنترنت يعتبر مخبراً جيداً للدراسة، ومجالاً هاماً يستحق الاستكشاف والتحليل" (حميد الطائي م ، أبو بكر، خ. 2007: 95).

4. أسباب اختيار الموضوع:

من بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع نذكر:

- أن هذا الموضوع يندرج ضمن الإطار العام لاهتماماتنا العلمية والبحثية، فأى بحث أكاديمي يتطلب حد أدنى على الأقل من المعلومات لدى الباحث لكي يتمكن من التحكم فيه وإجرائه بطريقة جيدة.
- انعدام أي دراسة تتناول هذا الموضوع في الجزائر، وما وجد منها فإنه يعنى بالجوانب التقنية أكثر.

- خصوصية هذه الوسيلة الاتصالية، بحيث أنها توفر فرصا لا متناهية للتعبير بحرية، وهذا عكس وسائل الاتصال الأخرى التي تبقى حرية التعبير فيها محدودة نسبيا، ولذلك حاولنا التعرف إلى أي مدى أحسن الأفراد استغلال هذه الحرية وفي أي المجالات.

5. منهج الدراسة وأدواتها:

بما أن دراستنا هذه تحاول جمع المعلومات عن خصائص وسمات المدرس دشرين الجزائريين، ووصف انعكاسات استعمالهم هذا وأهم الأسباب التي تدفعهم للدردشة، فإننا نستطيع القول بأنها تندرج ضمن البحوث الوصفية، التي تهتم في الأساس "بشرح وتوضيح الأحداث والمواقف المختلفة، المعبرة عن ظاهرة أو مجموعة ظواهر مهمة، ومحاولة تحليل الواقع الذي تدور عليه تلك الأحداث و الوقائع (...). ومحاولة تحليل وتفسير الأسباب الظاهرية لتلك الأحداث، بقصد الوصول إلى استنتاجات منطقية مفيدة، تسهم في حل المشكلات أو إزالة المعوقات والغموض الذي يكتنف بعض الظواهر، من أجل تطوير الواقع و استحداث أفكار ومعلومات و نماذج سلوك جديدة؛ ويربط الباحث " أحمد مصطفى عمر" البحث الوصفي " بدراسة واقع الأحداث والظواهر والمواقف والآراء وتحليلها، وتفسيرها بغرض الوصول إلى استنتاجات جديدة، إما لتصحيح هذا الواقع أو تحديثه أو استكمالها و تطويره" (مصطفى عمر، أ. 2002: 210).

وبناء على هذا فإن هذه الدراسة الوصفية، سنقوم فيها بدراسة واقع استخدام منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك)، وتحليل الانعكاسات المترتبة باستخدام المنهج المسحي" الذي يعتبر واحدا من المناهج الأساسية في البحوث الوصفية" (بن مرسل، أ. 2005: 85) والذي يعرفه الباحث "ذوقان عبيدات" بأنه: " المنهج الذي يقوم على جمع المعلومات و البيانات عن الظاهرة المدروسة، قصد التعرف على وضعها الحالي وجوانب قوتها و ضعفها" (أنجرس، م . 2006: 107).

أما فيما يخص أدوات البحث و تقنياته، و التي يمكن اعتبارها "كوسائل تسمح بجمع المعطيات من الواقع" (balle, f.1999 : 575)، فقد اعتمدنا على أداتين، وهي الملاحظة، الاستمارة ، لأنها الأدوات التي تمكننا من جمع المعلومات المتعلقة بالمبحوثين بشكل معمق.

-**الاستمارة:** تعتبر من الأدوات الرئيسية التي اعتمدنا عليها، لأنها تمكن من الحصول على المعلومة مباشرة من المبحوث دون وساطة، وحسب الكاتب (بن مرسل، أ. 2005: 220) فإن الاستمارة يمكن أن تمدنا بمعلومات غنية ودقيقة أكثر من المقابلة" وهذا نظرا لكون الاستمارة توفر للمبحوث الحرية في الإجابة دون إحراج؛ ويعرف الاستبيان بأنه: "تلك القائمة من الأسئلة التي يحضرها الباحث بعناية، في تعبيرها عن الموضوع المبحوث، لتقدم إلى المبحوث من أجل الحصول على إجابات تتضمن المعلومات والبيانات المطلوبة" (بن مرسل، أ. 2005: 203)

وبعد التعديل و التنقيح، تم التوصل إلى الشكل النهائي للاستمارة التي قمنا بتوزيعها.

- **الملاحظة:** "هي مشاهدة الظاهرة محل الدراسة عن كثب، في إطارها المتميز ووفق ظروفها الطبيعية، حيث يتمكن الباحث من مراقبة تصرفات و تفاعلات المبحوثين" محمود، أ. 2010/10/20
Asako,m.,kazumitsu s,www.socil.edu.pdf
خاصة فيما يتعلق بجانب الانعكاسات و التأثيرات، وحسب "frey" فإن الملاحظة تعتبر من بين أكثر الأدوات استخداما في دراسات الاتصال، لما توفره من ميزة جمع عدد كبير من البيانات و المعلومات " محمود، أ. 2010/10/20
Asako,m.,kazumitsu s,www.socil.edu.pdf

6. مجتمع البحث و العينة المختارة:

يتمثل مجتمع البحث في هذه الدراسة في مستعملي خدمة الدردشة الإلكترونية، وذلك في ولاية تبسة (أقصى الشرق الجزائري)، وقد تم اختيار هذه المنطقة نظرا لأسباب تخدم البحث والباحث، بالإضافة إلى كون ولاية تبسة يتوفر في كل أنحاءها الربط بشبكة الإنترنت، وعليه فإن ظاهرة استعمال منتديات الدردشة تبرز فيها بشكل كبير وفي كل الأوقات بما فيها الفترة الليلية.

ونظرا لعدم معرفتنا لأفراد مجتمع البحث وسماته، والتي تتميز بتباينها من فرد لآخر، ونظرا لاقتصار عينتنا على المستخدمين لخدمة الدردشة الإلكترونية دون غيرها، فقد تم اختيار العينة القصدية (العمدية) وهي "العينة التي يقوم فيها الباحث باختيار مفرداتها بطريقة تحكيمية لا مجال فيها للصدفة، بل يقوم هو شخصا باقتناء المفردات المثلة أكثر من غيرها لما يبحث عنه من معلومات و بيانات" (بن مرسل، أ. 2005: 204)، وبالتالي فإن العينة القصدية هي التي تناسب هذا النوع من الدراسات، خاصة وأن أفراد مجتمع البحث عددهم كبير، و غير معروفين بالنسبة للباحث.

وعليه فقد اخترنا عينة من مستخدمي منتدى الدردشة الاللكترونية (فايسبوك) تتكون من 220 فرد (110 طالب إعلام واتصال سنة ثانية) و (110 طالب اتصال وعلاقات عامة سنة ثالثة)، حيث قمنا باختيار مفردات العينة من تخصص الإعلام والاتصال نظرا لبعض السمات والأوصاف التي تتوفر فيهم، و قد تمت عملية توزيع الاستمارات و جمعها في الفترة الممتدة من شهر أكتوبر إلى شهر نوفمبر 2015، و ذلك في قسم العلوم الإنسانية بجامعة تبسة، متوزعة بين سنوات الثانية والثالثة، و نظرا لعدم استرجاع بعض الاستمارات و لإلغاء البعض الآخر، فقد أصبح العدد الإجمالي للاستمارات التي تم تحليلها 200 استمارة.

7. نتائج الدراسة:

تعد هذه المحطة الدرجة الأخيرة في سلم البحث العلمي، واللبنة النهائية في بناء الصرح المنهجي الموضوعي، ففيها صفوة القول وزبدة الفكر، وثمرة ما حققه الباحث في مسعاه الطويل في درب التقصي والتمحيص، وما أضافه إلى عالم المعرفة من جديد يذكر.

- **الاستنتاجات الجزئية:** يمكن أن نحمل الاستنتاجات الجزئية فيما يلي:

- كشفت الدراسة أن معظم الباحثين (50%) يستعملون منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) لأكثر من سنتين، والفئات الأكثر استخداما لها هي التي تتراوح أعمارها ما بين 18 و 29 سنة، و ذلك بنسبة (58%).
- كشفت الدراسة أن اللغة الأكثر استخداما هي العربية، ثم الانجليزية، ثم الفرنسية، ثم تأتي اللهجة العامية.
- كشفت الدراسة أن معظم الباحثين يستخدمون منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) في مقاهي الانترنت.
- كما كشفت الدراسة أن غالبية الباحثين يفضلون الدردشة في الفترات الليلية أكثر من غيرها.
- كما كشفت الدراسة عن المعايير التي يختار على أساسها المدردشون الشخص الذي يتحدثون معه، كان ترتيبها كما يلي: المستوى الثقافي و العلمي (29%)، الجنس (25.3%)، البلد (19.5%)، اللغة (16.3%)، الديانة (9.04%).
- معظم الباحثين يفضلون العلاقات الحقيقية المباشرة (73%) أكثر من العلاقات الافتراضية عبر الانترنت (20.5%).
- هناك تقريبا نصف الباحثين (48.5%) تقابلوا مع شخص تعرفوا عليه عبر منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) ، (12%) منهم إناث.
- كشفت الدراسة أن غالبية المستجوبين لا يشعرون بالوحدة والعزلة عن المحيط الاجتماعي بفعل الدردشة، لكن مع الإشارة إلى وجود نسبة هامة (27.5%) ممن يشعرون بالوحدة، مرتبطة بشكل مباشر بنسبة استخدام منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك).
- هناك نسبة معتبرة من الذين يحسون بالألفة والانتماء إلى الجماعة الافتراضية (جماعة المدر دشين)، أكثر من جماعتهم الأولية.
- كشفت الدراسة أن 59% من الباحثين يرون أن الدردشة الالكترونية تساعد على التخلص من شعور الوحدة.
- توصلت الدراسة إلى أن الأغلبية الكبيرة من الباحثين (61.5%) لا يثقون في الأشخاص الذين يدردشون معهم ولا يصدقون البيانات التي تقدم لهم.
- الدوافع التي يستخدم من أجلها الأفراد منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) تتمثل فيما يلي:
 - التعلم والتثقيف بنسبة 24%، ثم الترفيه 18.6%، التعارف 18.2%، التواصل مع الأقارب 15%، بناء العلاقات العاطفية 10.6%، الهجرة إلى الخارج 9.4%، التجارة و الإشهار 4.2%.
 - الحاجات التي يلبيها الأفراد من خلال منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) تتمثل فيما يلي:
 - إشباع الفضول والحصول على المعلومات 39.44%، التخلص من القلق والملل 28.02%، التنفيس والتعبير بحرية 23.18%، الهروب من الواقع 9.34%، بالإضافة إلى حاجات أخرى كالتعرف على ذهنيات الغير وآرائهم، والتعاون مع أشخاص آخرين لهم نفس ميدان العمل و الدراسة.

- المواضيع التي تتم مناقشتها بكثرة في منتديات الدردشة هي كالتالي: المواضيع العلمية و الثقافية 37.29%، العاطفية 23.48%، الدينية 17.40%، الرياضية 11.04%، و أخيرا المواضيع السياسية 10.77%.
- تتمثل العوامل التي تجتذب الأفراد إلى منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) فيما يلي :
- في الدرجة الأولى تأتي حرية التعبير في كل المواضيع بنسبة 30.66%، ثم إمكانية الالتقاء و التعرف بأشخاص لهم نفس اهتماماتنا 30.11%، الطابع الحميمي للنقاشات 12.98%، عامل إخفاء الهوية 9.94%، و انعدام الرقابة والحواجز الاجتماعية 9.11%، وأخيرا القيام ببعض الأعمال عن بعد 7.18%.
- تبين أن معظم الباحثين لم يسبق لهم وأن كتبوا أي مقال في حلقات النقاش (72%)، حيث أن هناك فقط 27% ممن كتبوا مقالا، وقد كانت غالبية هذه المواضيع علمية 38.57%، ثم تليها العاطفية 24.28%، ثم السياسية 22.85% و أخيرا الدينية 14.28%.
- هناك نسبة هامة (60.5%) من الباحثين الذين يعتبرون أن الدردشة الالكترونية لها انعكاسات ايجابية.
- كشفت الدراسة أن غالبية الباحثين (75%) ينتابهم شعور الفرح والانبساط و الراحة النفسية بعد الدردشة الالكترونية، مقابل 25% يشعرون بالقلق والإحباط.
- تبين أن هناك نسبة معتبرة (37.5%) من الباحثين أدت الدردشة إلى تغيير أعمالهم و حياتهم اليومية.
- غالبية المستجوبين (52%) تراجع استعمالهم لوسائل الإعلام الأخرى بفعل منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك).
- معظم الباحثين لم تقلص المدة التي يقضونها مع الأهل والأصدقاء، لكن هناك نسبة معتبرة مقابل ذلك ممن تقلصت (35%).
- كشفت الدراسة على أن 69.5% من المدر دشين يرون أن الدردشة لا تدفع إلى تبني و اعتناق الثقافات الغربية، مقابل 30.5% يرون عكس ذلك.
- كما توصلت الدراسة إلى أن 70% من الباحثين يرون أن المواضيع التي تناقش في منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) سلبية وغير جديرة بالاهتمام، في حين يرى 28% منهم أنها ايجابية.
- أغلبية الباحثين (52%) قالوا بأنهم تناقشوا مع شخص غير مسلم عبر منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) حول أمور العقيدة والدين، ومعظمهم من الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 20 سنة.
- من بين الذين تناقشوا مع شخص غير مسلم، تبين أن هناك 19% منهم قد حاول هذا الشخص أن يستميلهم لاعتناق ديانته، من خلال القدرح والتشكيك في الإسلام، و قد كان أغليبتهم من الذين تتراوح أعمارهم بين 18 و 20 سنة.

- أجابت نسبة معتبرة من الباحثين (24.5%) بأنهم تعرضوا أثناء الدردشة لمحاولات دعوية من طرف جماعات مشبوهة، تنشط في مجال المخدرات، الجنس أو الأنشطة الإرهابية، وقد كان أغلبهم من صغار السن (18 إلى 20 سنة).

- من بين الأمور التي تغيرت بسبب منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك): مدة النوم وتوقيته بنسبة 37.38%، مدة المطالعة و الدراسة 31.77%، مدة العمل 21.49%، مدة ممارسة الرياضة 9.34%.

- تبين أن الأشخاص الذين يدرشون لمدة طويلة (أكثر من ساعتين) هم الذين:

- تقلصت المدة التي يقضونها مع الأهل والأصدقاء.

- و تقلصت المدة التي يتم فيها استعمال وسائل الإعلام الأخرى.

- يشعرون بالفرح والانبساط أكثر.

- هم من يشعر أكثر بالوحدة و الانعزال عن المجتمع.

وتوصلت الدراسة أيضا إلى أن غالبية الشباب الجامعي يعطي الموقع قيما إيجابية، فبالإضافة إلى ماسبق، رأى 53.2% من الباحثين أن فايسبوك يقدم خدمات إعلامية لا تستطيع وسيلة أخرى تقديمها. كما أوضحت الدراسة أن ربع العينة تقريبا أعطوا الموقع قيما سلبية ، حيث ذكر 27.1% من الباحثين أن الموقع سيء ، ويضر بالقيم والأخلاقيات السائدة.

النتائج العامة للدراسة:

بعد تحليل هذه النسب والأرقام، وبعد التمحيص والتقييم الشامل لما توصلنا إليه من خلال هذه الدراسة، يمكن أن نلخص الاستنتاجات العامة فيما يلي:

- أن موقع فايسبوك يقدم نمطا جديدا من إعلام النحن أو الإعلام الشعبي الذي يقوم المستخدمون بإنتاجه وتحريره ، حيث يقوم الموقع على إمكانية إرفاق أي ملفات فيديو على الموقع ليشاهده ملايين المستخدمين حول العالم وبدون أي تكلفة مالية .

- توصلت الدراسة إلى أن الشباب الجامعي في ولاية تبسة يستخدمون الإنترنت بشكل كثيف، حيث يتصفح 76% من مجموع عينة الدراسة للإنترنت بشكل يومي وإن تفاوتت المدة الزمنية التي يقضونها في شبكة الإنترنت، وذلك تأكيدا على أهمية الإنترنت كمصدر للمعلومات لهذه الفئة العمرية في المجتمعات العربية.

- توصلت الدراسة إلى أن كل الشباب الجامعي في ولاية تبسة يعرفون تلك المواقع التي تسمح لمستخدميها بمشاهدة وإرفاق مقاطع الفيديو وتبادل مشاهدتها على الإنترنت ، والتي تأتي في مقدمتها موقع فايسبوك، كما بينت الدراسة أن 70% من الشباب الجامعي في ولاية تبسة لا يعرفون مواقع أخرى تقدم هذا النمط الجديد من الإعلام الشبكي

- كشفت الدراسة أن الشباب الجامعي لم يسجلوا خبرة زمنية طويلة في التعامل مع موقع فايسبوك، حيث أن ثلث العينة تقريبا ذكرت بأنها تستخدم الموقع في فترة زمنية من 6 أشهر إلى سنة، وثلث آخر ذكروا بأنهم يستخدمون الموقع في فترة زمنية تراوحت من سنة إلى أكثر من سنتين، وهو ما يتواكب زمنيا مع انتشار الموقع حول العالم .

- تعتبر منتديات الدردشة فضاء للتفاعل و الاتصال عن بعد، الشيء الذي أدى إلى نشأة علاقات كثيرة، منها ما بقي افتراضيا و منها ما تحول إلى علاقة حقيقية مباشرة و تجسد في الواقع، ولذلك فهي أداة لإقامة روابط بين الأفراد و لتشكيل النسيج الاجتماعي.

- توصلنا إلى أن هناك علاقة ارتباطية وطيدة بين الدخل و استعمال منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) بصفة خاصة، واستعمال تكنولوجيايات الإعلام و الاتصال بصفة عامة، فكلما زاد الدخل زادت نسبة الاستعمال والعكس صحيح.

- تبين أن منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) قد ساهم في جلب كثير من الأفراد إلى استعمال الانترنت وتعلم مهارات الحاسوب واستخدام خدمات أخرى كانوا يجهلونها ولا يحسنون استعمالها.

- هناك علاقة بين نسبة استعمال منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) وطبيعة الشعور الذي يحس به الأفراد (كالشعور بالوحدة، الانبساط، القلق، والراحة إلى غير ذلك من الأحاسيس المترتبة).

- عامل السن كان له أثر كبير على عدة عوامل، فمثلا وجدنا أن صغار السن هم أكثر استعمالا لمنتديات الدردشة وأكثر إدمانا عليها، هم أكثر تعرضا لحمولات و نشاطات بعض الجماعات المشبوهة(المخدرات، الجنس، الإرهاب، جماعات السرقة...)، وهم أكثر من تعرض لمحاولات تنصيرية، واستعمالاتهم كانت لأغراض ترفيهية، وهم أكثر من أحدثت الدردشة تغييرا في حياتهم، ولهذا تعتبر فئة المراهقين والشباب من أكثر الفئات التي تنعكس عليها الدردشة الالكترونية بالسلب.

- لاحظنا أن معظم الناس ينفرون عن الكتابة ويميلون إلى الشفوية، حيث أن نسبة قليلة فقط من الباحثين سبق لهم وأن كتبوا مقالا في حلقات النقاش، حتى المتعلمين والمثقفين من الطلبة وأصحاب المستوى الجامعي، وهذا ما يمكن أن يعبر عن عزوف الجزائريين عن الكتابة والتأليف، في كل المنابر المتاحة، فإذا كانت وسائل الإعلام الأخرى لا توفر مجالا كافيا لحرية التعبير، التي غالبا ما يتخذها البعض كحجة، فماذا عن الانترنت التي جاءت بخدمات تتيح فرصا كبيرة للتعبير دون أي قيد أو رقابة .

- هناك نسبة هامة من الأفراد الذين يستعملون منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) بصفة خاصة والانترنت بصفة عامة لأغراض تثقيفية تعليمية، ولهذا من الأحسن أن نستغل هذه التقنية الاتصالية المتعددة الوسائط في ميدان التعليم عن بعد(اللغات، المحاضرات)، مثلما فعلت العديد من الدول المتقدمة، حيث جاءت الإشباعات المعرفية في مقدمة الإشباعات التي تحققت لعينة الدراسة ، كما جاءت زيادة المعرفة والاطلاع على أحدث

التطورات العالمية في مقدمة هذه الإشباعات ، إذ سجلت الدراسة نسبة عالية لتحقيق إشباعات التسلية وشغل أوقات الفراغ أيضا .

- توصلت الدراسة إلى أن غالبية الشباب الجامعي أعطوا موقع فايسبوك قيما إيجابية ، ويرون أن هذا النمط الجديد من الإعلام يمثل تطورا كبيرا في وسائط الإعلام الإلكتروني، وأنها تقدم خدمة إعلامية لا تستطيع وسيلة أخرى تقديمها لجمعها لاكتسابها لخصائص أكثر من وسيلة إعلامية كالتزامية و اللاتزامية.

- لقد تبين من خلال هذه الدراسة أن منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) قد تم استغلاله من عدة أطراف وجماعات، وذلك كمنبر للترويج لإيديولوجياتها وأفكارها.

- استنتجنا أن هناك علاقة وطيدة بين المستوى التعليمي ونسبة استخدام منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) وغيرها من تكنولوجيات الاتصال، فكلما زاد المستوى كلما زادت نسبة الاستعمال.

- تبين أن هناك فجوة بين الإناث والذكور فيما يخص استخدام منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) بصفة خاصة والانترنت بصفة عامة، وهذا يعود لعدة اعتبارات دينية، اجتماعية....

- من بين العوامل التي جعلت منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) من أكثر خدمات الانترنت استعمالا: حرية التعبير غير المحدودة، إمكانية إخفاء الهوية (anonymat)، تنوع طبيعة الأشخاص المشاركين من حيث لغاتهم، مستوياتهم، بلدانهم، أجناسهم...، توفر ما يسمى بتعدد الوسائط، حيث يمكن الكتابة و الكلام و الرؤية و الاستماع، و كذلك انعدام الحواجز والرقابة الاجتماعية.

ولتحقيق الغاية العامة لدراسنا هذه، والتي تمحورت حول الانعكاسات والآثار المختلفة للمحادثة الالكترونية، سنحاول إجمال مختلف هذه الانعكاسات الايجابية و السلبية فيما يلي:

✓ الانعكاسات الايجابية:

- يمكن منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) من إجراء نقاشات وحوارات مع أشخاص من مختلف أنحاء العالم، من مكان واحد و بتكاليف منخفضة.

- مساندة العالم الخارجي ومتابعة كل ما يحدث حولنا.

- إمكانية التثقيف و التعليم من خلال الحديث مع أشخاص من مختلف المستويات، خاصة تحسين مستوى التحكم في اللغات الأجنبية.

- تساهم الدردشة في التقريب بين مختلف وجهات النظر، والتعرف على ثقافات و تقاليد الشعوب و الدول المختلفة.

- تساهم بشكل كبير في تشكيل الروابط والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد.

- تسهيل التواصل بطريقة مريحة، وغير مكلفة خاصة بين الأقارب و الأهل.

- تساعد الأفراد الخجولين والذين يجدون صعوبات في المشاركة في نقاشات جماعية، في التخلص من هذه المشاكل، والتعبير بحرية تامة.
- يمكن التعرف على أشخاص لهم اهتمامات مشتركة، وبالتالي التعاون وتبادل الخبرات كل في مجاله.
- لقد ساهم منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) بشكل كبير في نشر الثقافة المعلوماتية والرقمية بين الطلبة (استخدام الحاسوب، الانترنت...)، حيث أن الكثير من الأفراد لم يكونوا يحسنون استخدام الحاسوب ولا الانترنت، حتى ظهر منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك)، فتعلم الناس كيفية استخدام الحاسوب وكيفية تصفح وزيارة المواقع واستخدام الخدمات الأخرى للانترنت، فكانت الدردشة استعمالا انتقاليا لاستعمال خدمات أخرى.
- يمكن أن نستخدم منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) للدعوة الإسلامية ونقل الصورة الحقيقية عن الإسلام من خلال النقاش مع أجنب، ومحاولة استمالتهم لاعتناق الإسلام، وقد حدث هذا بالفعل مع كثير من الأشخاص.

✓ الانعكاسات السلبية:

- يمكن لمنتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) أن يؤدي إلى انحراف السلوكات، و فساد أخلاق الشباب، خاصة إذا ما تعرضوا للمنتديات التي تعالج مواضيع إباحية.
- يؤدي الاستعمال المستمر إلى الإصابة بالإدمان، ومع مرور الوقت يشعر المردش بانعزاله التام عن المجتمع، ويشعر بالوحدة النفسية، وفي بعض الأحيان يصيبه الإحباط النفسي.
- إمكانية تقلص المدة المخصصة للنوم، وما يترتب عن ذلك من متاعب صحية و إرهاق جسدي في سائر الأيام.
- تقلص المدة المخصصة للدراسة والمطالعة.
- تقلص الأوقات التي يقضيها الأفراد مع الأهل والأصدقاء، وما يترتب عنها من تفكك اجتماعي وقطيعة بين الأفراد.
- نقص الاهتمام بقضايا المجتمع وبالأحداث المحيطة بهم، بسبب الانهماك في الدردشة.
- إمكانية التعرض لمحاولة استمالة واستدراج من طرف الجماعات التنصيرية الناشطة، ومروجي المخدرات والجنس.
- انعكاسات على الصحة والتي تترتب عن الجلوس لساعات متواصلة في وضعية واحدة، التعرض لإشعاعات شاشة الحاسوب..
- تضييع أموال كثيرة في الدردشة دون الشعور، ولا سيما لدى المدمنين عليها.
- كثيرا من الشباب عندما يتحادثون مع أجنب أو مغتربين، يشعرون بالسخط و القنوط خاصة عندما يقارنون بين الأوضاع والظروف المعاشة هنا، وتلك الموجودة وراء البحار، فيصابون بهوس المحجرة، ويحاولون الانتقال إلى أي بلد بأي وسيلة، حتى ولو كانت بالمغامرة عبر قوارب الموت ومحاولة اجتياز البحار.

- يمكن للدردشة أن تؤدي إلى تراجع الوازع الديني، وتراجع نسبة التردد على المسجد لأداء الصلوات، وهذا بسبب الدردشة بشكل مفرط ولاسيما إذا كانت في مواضيع إباحية وغير أخلاقية.

خاتمة:

هدفت هذه الدراسة إلى معرفة مدى أثر استخدام منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) و الإشباع المتحققة لدى الشباب الجامعي، وتكونت عينة الدراسة من (200) طالباً وطالبة من جامعة تبسة للعام الدراسي (2014/2015م)، وتمّ استخدام الاستبانة كأداة لجمع البيانات التي تم معالجتها باستخدام برنامج (SPSS). وأخيراً، يمكننا القول إنّ منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) مثل الكثير من تقنيات وخدمات وسائل الاتصال الأخرى، يمكن أن تكون ذات آثار وانعكاسات سلبية كما يمكن أن تكون لها انعكاسات ايجابية، حيث أن طبيعة نتائجها لا تكمن فيها بقدر ما تكمن في طبيعة الشخص الذي يستعملها، فقد ظهرت قبل شبكة الانترنت العديد من التقنيات والوسائل الاتصالية، والتي تم استعمالها في ميادين سلبية وفي أخرى ايجابية، ولهذا فإن الانعكاسات غير المرغوبة لبعض التقنيات الحديثة لا ينبغي أن تجعلنا ننثني عن استعمالها، ونحذ من انتشارها وإنما ما يجب فعله هو التوعية في الأوساط المختلفة التي تستخدمها، والتحسيس بما يمكن أن تحدثه و تجره علينا من أمور سلبية، وإرشاد الأشخاص إلى كيفية الاستفادة منها وتجنب هذه السلبيات.

لذلك فإن منتدى الدردشة الالكترونية (فايسبوك) إذا ما عرفنا كيف نستخدمه ونستغل ميزاته المتعددة، فإن نتائجها ستكون لا محال ايجابية، والعكس صحيح؛ و لكن هناك بعض الأمور لا يمكن التحكم فيها ويمكن أن تنفلت عن أيدينا، مثل استعمال الأطفال والمراهقين، التي تستحيل مراقبتها بشكل مستمر، مما قد يجرهم إلى نتائج وعواقب لا تحمد عقبائها، بالإضافة إلى وجود بعض الانعكاسات التي قد لا تظهر في الحين، ولكن بعد أمد طويل، وهو الشيء الذي أدى إلى الترحيب و الإقبال على الكثير من التقنيات حينما تظهر، وبعد مرور مدة معينة، تبدأ المعارضة و المناذاة بسلبياتها وأخطارها المحتملة.

التوصيات :

بناءً على ما توصلت إليه الدراسة من نتائج، يمكن صياغة التوصيات التالية:

1. توعية الطلبة الجامعيين بأهمية شبكة الإنترنت باعتبارها إحدى مستجدات التكنولوجيا، وخاصة التعليمية منها في الحصول على المعلومات العلمية المتنوعة، من خلال توزيع النشرات العلمية، وعقد الندوات واللقاءات.
2. عمل دورات تدريبية وورشات عمل مكثفة تعريفية بشبكة الإنترنت لتدريب الطلبة الجامعيين على الاستخدام المفيد لها، من خلال تدريبهم على كيفية انتقاء المعلومات واختيار المناسب منها في البحوث والدراسات العلمية، التي تخدم مسيرتهم العلمية.

3. إصدار نشرة إعلامية إرشادية من قبل الجهة المختصة داخل الجامعة، توزع داخل المختبرات الحاسوبية التي تتوفر فيها شبكة الإنترنت، توضح طريقة استخدام الإنترنت بالشكل الأنسب، وتحدد ساعات الاستخدام لها.
4. أهمية إجراء دراسات مستقبلية شاملة لفئات عمرية متعددة، نظراً لانتشار استخدام شبكة الإنترنت وتأثيراتها المباشرة في الحياة الاجتماعية للأفراد، حيث لا زالت الدراسات في هذا الموضوع محدودة جداً، وخاصة من المنظور الاجتماعي، للحد من الآثار السلبية لهذه التقنية، والاستفادة من الآثار الإيجابية لها.
5. إجراء دراسات لتتبع مدى انتشار هذه التقنية، وتحديد أكثر فئات المجتمع تأثراً بها، وأوجه التأثير.

هوامش البحث:

أ. المراجع باللغة العربية:

1. أنجوس، موريس (2006)، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية، ط2، ترجمة: بوزيد صحراوي، الجزائر، دار القصة.
2. بن مرسل، احمد (2005)، مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام و الاتصال، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.
3. الطائي، مصطفى حميد ، أبو بكر، خير ميلاد (2007)، مناهج البحث العلمي و تطبيقاتها في الإعلام و العلوم السياسية، الإسكندرية، دار الوفاء.
4. العسافين عيسى، عيسى، (2001م)، المعلومات و صناعة النشر، دمشق، دار الفكر .
5. علم الدين، محمود. (2005م)، تكنولوجيا المعلومات والاتصال و مستقبل صناعة الصحافة، القاهرة، دار السحاب.
6. محمد الصالح، احمد (أكتوبر 2001م) «حياة على شاشة الإنترنت» مجلة العربي، ع515، 25.
7. مصطفى عمر، احمد (2002)، البحث الإعلامي، مفهومه، إجراءاته و مناهجه، ط2، الكويت، مكتبة الفلاح.
8. الهاشمي، مجد هاشم، (2001م)، الإعلام الكوني و تكنولوجيا المستقبل، عمان، دار المستقبل.

ب. المراجع باللغة الأجنبية:

1. Asako, M., kazumitsu, S. (2010) "social intelligence design in online chat communication: psychological study on congestion effects" 20,10,2010. استرجعت بتاريخ من (www.social.edu.pdf).
2. Balle, F (1999), **medias et sociétés**, 9 em ed .paris, Montchrestien.
3. Bertolus, J-J, (1997) renaud de la baume : **la révolution sans visage**, paris, Belfond.

4. Breton Ph,(2000). **le culte de l'Internet, une menace pour le lien social**, Paris la découverte.
5. Danielle v. (1999) « **l'art de bavarder sur Internet** »paris, réseaux n 97.
6. sofia A. George M.(2008), « **youth and the internet: uses and practices in the home**» computer &education. من 2010/10/20 استرجعت بتاريخ (www.sociel.edu.pdf)20/10/2010.

تاريخ الاستلام: 2017/06/22 - تاريخ التحكيم: 2017/09/17 - تاريخ النشر: 2017/12/30

فن الإقناع في المقال الصحفي: مقارنة تحليلية للمقال الافتتاحي

د. محمد برقان

جامعة وهران-1 - أحمد بن بلة - الجزائر



الملخص

لاشك - على حد إجماع الباحثين- أن مقالات الرأي المنتجة من قبل الصحافة المكتوبة ، هي المنبر الأساسي لتمرير خطابها الصحفي المتوافق مع خطها التحريري ، وهذا لما لهذه الأنواع الصحفية من هوامش كبيرة لإبداء الرأي إزاء القضايا الهامة والأحداث ، والمقال الافتتاحي - كنوع من أنواع المقالات الصحفية - له مكانة خاصة ومميزة في الصحافة المكتوبة لما يملكه من قدرات تحريرية إقناعية تؤهله لحمل وإيصال خطاب صحفي يلخص موقف أو رأي الصحيفة إزاء حدث من قضية هامة من القضايا الآنية المطروحة للنقاش وهو محور دراستنا.

الكلمات المفتاحية: المقال الافتتاحي، الخطاب الصحفي ، الحجاج ، الإقناع.

Abstract:

No doubt — a consensus of the researchers-that opinion pieces produced by the press, is the primary forum to pass her release is compatible with the editorial line, and that these kinds of large margins of journalistic opinion about important issues and events, editorial – as a kind of Press articles-special stature in the written press for its editorial capabilities to carry advocacy and the delivery address by journalist summarized the position or opinion of the paper about the important issue of topical issues under discussion and is the focus of our study.

Keywords: editorial, journalistic discourse, pleading, persuasion

مقدمة:

لا تنحصر مهام وسائل الإعلام لتحقيق فضول المشاهد والمستمع والقارئ في إحاطته بما استجد من أخبار وأحداث على المستويين المحلي والدولي فحسب، بل تتعداه إلى تقديم وجهة نظرها حول قضايا تهم الرأي العام وبخاصة المرتبطة بهذه الوسائل أو تلك. وبالتالي تحاول هذه الوسائل بمختلف أنواعها، المكتوبة و السمعية البصرية التعبير عن خطابها الصحفي إزاء هذه القضايا ومحاوله التأثير في الجمهور أو إقناعه برؤيتها الخاصة لها ولا يتم لها ذلك إلا من خلال آليات إقناعية حجاجية تضمن لها تحقيق هذه الغاية.

والصحافة المكتوبة كوسيلة هامة من وسائل الإعلام، لها من المزايا ما يؤهلها إلى ضمان استمرارية حبل التواصل بينها وبين قرائها، فكل صحيفة تسعى إلى تقديم نظرتها إلى الحدث أو القضية والتعليق عليها بما يخدم خطابها الصحفي المبني على خط تحريري تحاول الصحيفة المحافظة عليه قدر المستطاع، والمقال الصحفي يشكل

أهم منبر من منابر مقالات الرأي في الصحيفة، وفي مقدمة فروعها نجد المقال الافتتاحي الذي يعتبره أصحاب الاختصاص، من اقدر فروع المقال الصحفي على تبليغ الخطاب الصحفي للصحيفة إزاء قضية من القضايا أو حدث الأحداث، وهذا لما يملكه من هامش كبير في التعبير عن الرؤية الخاصة للمؤسسة الصحفية لهذه القضايا، عكس الأنواع الإخبارية التي تتسم بفصل الواقعة عن الرأي للمحافظة على مبدأ الموضوعية.

إن الكتابة الصحفية اليوم أكثر من أي وقت مضى تتطلب من الصحفي ضرورة التسليح والتزود بمعارف علمية أكاديمية، فقد "ولى ذلك الزمان الذي كان الاعتقاد فيه سائدا بان العمل الصحفي هو وليد الهام، وموهبة، وفطرة، وليس حصيلة دراسة وتعليم. تبدد هذا الاعتقاد أمام كثرة مدارس الصحافة، وتزايد عدد المعاهد الجامعية التي تسابقت في إعطاء تكوين أكاديمي لرجال الإعلام والاتصال". (لعياضي، ن. 1999: 3)

إن فنون التحرير الصحفي تطورت وصارت علما يقوم على قواعد و أسس علمية وتتم دراسته وفق مناهج علمية، وبالتالي فقد أصبحت الموهبة لا تغني عن الدراسة العلمية، فكلاهما مكمل للآخر، أو كأنهما أصبحا وجهين لعملة واحدة (فاروق أبو زيد، ليلي عبد المجيد. 2000، 2)

من هنا تنبثق إشكالية دراستنا والتي تحاول معرفة السمات التي يتمتع بها المقال الافتتاحي في التعبير عن الخطاب الصحفي للجريدة، إلى جانب مدى قدرته على تمثل الآليات الاقناعية والحجاجية في الدفاع عن قضية من القضايا المطروحة على الساحة الوطنية والدولية.

1- الأنواع الصحفية ومقومات النوع الصحفي

- مفهوم الأنواع الصحفية:

هي الطرق الفنية أو الأشكال التي يلجأ إليها الصحفي للتعبير عن الواقع، ونقله إلى الجمهور المتلقي عبر وسائل الإعلام والاتصال المختلفة: تلفزة، إذاعة، جريدة، مجلة، انترنت... الخ. و"الواقع" يمثل هنا "كل ما يحدث أو ما يجري فيه من أحداث بشرية أو طبيعية كالزلازل والبراكين والفيضانات والاجتماعات والانتخابات والإضرابات وغيرها من أوجه النشاطات الإنسانية المختلفة." (لعقاب، م. 2004: 48)

تعرف الأنواع الصحفية أيضا بأنها " أشكال " أو " صيغ " تعبيرية لها بنية داخلية متماسكة وتتميز بطابع الثبات والاستمرارية، وتعكس الواقع بشكل مباشر وواضح وسهل وتسعى إلى تقديم وتحليل وتفسير الأحداث والظواهر والتصورات، مستهدفة بذلك إيصال رسالة محددة للقارئ لتخاطب بما ذهنه ومشاعره قصد ترسيخ قناعة محددة لديه، ومن ثم تمكينه من أن يفهم الواقع على ضوء هذه القناعة، وبالتالي دفعه لان يسلك سلوكا في المجتمع يتوافق مع هذه القناعة. (لعياضي، ن. 1999: 8)

إن المنتج الإعلامي ليس واحدا، سواء على مستوى الموضوع أو الأسلوب أو المضمون نقصد بهذا الأخير: منظومة الأفكار والمشاعر والعواطف والانفعالات التي يتضمنها النص الصحفي. يملك هذا النص بنية ذهنية

منطقية تتمثل في الأفكار والحجج والبراهين والأدلة، ويملك بنية نفسية عاطفية. تتجسد هذه الأخيرة في المناخ النفسي، العاطفي، الانفعالي الذي يسود النص.

يرى السيميائيون أن أي نص ينتج ويعرض في وضع من الاتصال الذي تحدده مجموعة من العوامل، لعل أهمها الغاية من وجود النص المرتبطة بطبيعة التأثير على الذي ينشده المتصل - الصحافي - فغاية النص تتدخل بفعالية في تحديد مضمون وبنيته. فالغاية من إنتاج خبر صحفي ليست ذاتها المتوخاة من إنتاج مقال صحفي أو "بورترى".

ومن هذا المنطق فان الأنواع الصحفية ليست سوى أشكال تعاقدية وظواهر لسانية. فالنص الصحفي هو نتاج فعل الكلام الذي يتم في وضع من التبادل الاجتماعي وفق صيغة تعاقدية تحدها المنظومة الرمزية المتداولة. (لعياضي، ن. 1999: 8)

- مقومات النوع الإعلامي:

في إطار هذا المفهوم القائم على نسبية التطابق والتشابه أو التمايز بين الأنواع الإعلامية، يمكن تحديد عناصر ومميزات خاصة بكل نوع إعلامي والتنويه إلى عناصر مشتركة تدخل في الأنواع كافة.

ما هي عناصر التطابق والتشابه؟

- 1- لا شك أن هناك موضوعات واحدة تتناولها أنواع إعلامية مختلفة. ونلاحظ في الواقع الإعلامي انه يندر أن يعالج موضوع بنوع إعلامي واحد دون غيره، وإنما هناك موضوعات تناقش عبر عدة أنواع إعلامية ملائمة. إذن، الموضوع لا يميز نوعا إعلاميا عن آخر وإنما يشكل قاسما مشتركا وعنصر تشابه بين الأنواع الإعلامية. إلا انه لا يشكل عنصر تطابق لان أنواعا إعلامية تناسب بشكل خاص موضوعات معينة في وسيلة إعلامية محددة.
- 2- بديهي أن الأنواع الإعلامية جميعا تستخدم لغة إعلامية لها مميزاتا وخصائصها فهي تتمايز عن اللغة الأدبية أو العلمية أو الفنية، إذ توصف بأنها لغة واضحة، سهلة، مباشرة، بسيطة، سلسلة، قابلة للفهم بأقل جهد ممكن من المتلقي المتوسط.

هذا يعني أن اللغة الإعلامية تشكل عاملا مشتركا وعنصر تشابه بين مختلف الأنواع الإعلامية، غير أنها لا تعد عنصر تطابق لان هذه اللغة التي تحمل مواصفات عامة محددة، قد ترتقي في بعض الأنواع الإعلامية وتندني في بعضها الآخر طبقا لخصائص الوسيلة والجمهور والمتلقي.

- 3- للأنواع الإعلامية كافة هدف واحد، هو التأثير في المتلقي فكرا ورأيا ومعتقدا واتجاها وموقفا وسلوكا. لذلك فإن التأثير يشكل في هذا المجال عنصر تطابق لا عنصر تشابه فحسب.

- 4- الأنواع الإعلامية تتعامل مع جميع وسائل الإعلام الكبرى وليس هناك أنواع مخصصة لوسيلة إعلامية دون غيرها. (فريال مهنا. 2004: 150)

5- تخضع الأنواع الإعلامية برمتها لعمليات تطويرية فهي تزداد أهمية في مراحل وتتهجر في أخرى، كما أنها تظهر وتضج وتتبدل مضمونا وشكلا وأسلوبا محاولة التكيف مع خصائص الوسيلة الإعلامية وموقعها ومع متطلبات المجتمع وحاجات الجمهور.

6- إن جميع الأنواع الإعلامية تنأى عن الخيالي والأسطوري والغبي وتنتقل دوما من وقائع وأحداث تتفاعل في الواقع الاجتماعي. وهذا ما يميزها عن الأنواع الأدبية والفنية التي تغترف من الواقع حيناً ومن الخيال حيناً. هذا يعني أن الواقعية تمثل عنصر تطابق بين الأنواع. (فريال مهنا. 2004: 152)

أما فيما يتعلق بعناصر الاختلاف والتميز التي تسهم في تحديد شخصية النوع الإعلامي وتفردته، فيمكن إيجاز أهمها على النحو التالي:

أ- ثمة أنواع إعلامية تصيغ الحدث وتوصل المعلومة ممتعة تماما عن التأويل والتفسير والتوضيح والتحليل. فهي أنواع مختصة بنقل الواقع الحياتي دون التعليق عليه أو التدخل في مجرياته.

ب- تختلف الأنواع الإعلامية من حيث احتوائها على العناصر الإعلامية (إنبائية- تفسيرية- شرحية- توضيحية- تحليلية- تنفيذية... الخ). فهناك أنواع تتعامل مع عنصر واحد أو عنصرين. وهناك أخرى تحتضن مادتها الإعلامية عناصر متعددة لان طبيعتها تتطلب ذلك.

ج- تتباين الأنواع الإعلامية بجمهورها النوعي فلكل نوع جمهور متميز اجتماعيا وثقافيا وتعليميا وبيئيا ونفسيا. إلا أن هذا التباين ليس قطعيا، فهناك شرائح من هذا الجمهور تتداخل في عدة أنواع إعلامية. (فريال مهنا. 1995: 153)

يصنف المنتج الصحفي كالتالي: (أنظر التعليق رقم 1)

- الإنتاج القائم على "الحدث المنقول" ويخص عملية نقل الأحداث والأقوال التي تسري في الفضاء العمومي، وتملك نوعا من الأهمية من جراء انتقائها وتوزيعها عبر وسائل الاتصال الجماهيري

- الإنتاج القائم على التعليق على الحدث "L'événement commenté" يقترح تصورا مبنيا على تفسير ما حدث. لا يكتفي بإظهار ما جرى أو تحليل طبيعته. انه يسلط الأضواء على ما لا يرى في الحدث، والمتستر فيه الذي يعد عاملا محركا لحدثية العالم "L'évenementialite du monde"

الإنتاج القائم على إثارة الحدث "L'évènement provoque" لا تكتفي وسائل الاتصال الجماهيري بنقل ما جرى من أحداث وأفكار متداولة في الفضاء العمومي، لكنها تشارك بهذا الإنتاج، وبطريقة أكثر حيوية، في الحوار الاجتماعي فتبرز الحديث المتنوع والمتعارض. فالمواجهة بين الآراء في وسائل الاتصال الجماهيري تصبح بدورها حدثا بارزا. (لعياضي، ن. 1999: 8)

2- في مفهوم المقال الصحفي وخصائصه

تصنف صفحة الرأي من الصفحات المهمة في الصحيفة إذ أنها توفر وقت القارئ بما تقدمه له من معلومات وخلفيات عن الأخبار والأحداث الجارية [...] وتسهم هذه الصفحة أيضا في تحديد أجندة اهتمامات القارئ من خلال جذب انتباهه لأهم الأحداث وأكثرها دلالة كما أنها تساعد في توجيه التشويش الذي قد يتعرض له نتيجة فيض الأنباء التي تقدمها وسائل الإعلام المختلفة. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 229)

ويعد المقال أحد الأشكال الصحفية التي تستخدم في التعبير عن رأي أو فكرة أو قضية، مشكلا أساسا قويا في تشكيل اتجاهات الرأي العام نحو القضايا التي تطرحها الصحيفة بما تقدمه من تفسير شارح وتحليل وما يهدف إليه من محاولة الإقناع. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 232)

وهناك من يعرف المقال الصحفي بأنه مادة صحفية فكرية يميزها أحد الصحفيين ذوي المكانة في الجريدة، وتنشر في مكان هام من صفحاتها، لهجتها تقترب من لهجة الافتتاحية لكن تختلف عنها في كونها لا تعبر بالضرورة عن الموقف الجماعي للجريدة التي تنشرها. والمقال الصحفي نوع فكري يشكل الأحداث والظواهر والتطورات الراهنة موضوعة، تتميز بمعالجة هذه الموضوعات العامة والآنية بقدر كبير من الشمولية والعموم مستخدما أسلوب العرض والتحليل والتقييم والاستنتاج. (لعياضي، ن. 1999: 35)

ويرى الباحث عبد العزيز شرف أن فن المقال قد عرفه العرب تحت مسميات شتى منها: "الرسائل والمقامات والفصول، قبل ظهور مقالات "بيكون" الإنجليزي، بل وقبل ظهور مقالات الأديب الفرنسي" مونتاني "1581 [...] وقد سمي "مونتاني" مقالاته بالمحاولات Essais (عبد العزيز شرف. 2000: 17) وبنفس المعنى يذهب إبراهيم إمام إلى اعتبار كلمة مقال تعني محاولة أو خبرة أو تطبيقا مبدئيا أو تجربة أولية، فالمقال محاولة لاختبار فكرة من الأفكار أو لتدبر رأي من الآراء أو لتأمل اتجاه من الاتجاهات النفسية والتعبير عنها بأسلوب سلس جذاب. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 233)

والمقال يمكن اعتباره عند آخرين فكرة يتلقفها الكاتب من البيئة المحيطة به، ويتأثر بها، وفي هذا الجو الوجداني يعبر الكاتب عن الفكرة بطريقة ما، حظها من النظام قليل، وحاجتها إلى الترتيب والتمحيص والتدقيق أقل، ذلك أن الكاتب لا يقصد إلى التعبير بالمنطق الشكلي الجامد، وإنما بالمنطق النفسي الإنساني.

وفي رأي الباحثين فاروق أبو زيد ويلي عبد المجيد أن المقال "لم يعد كما أشارت إلى ذلك بعض التعريفات- شيئا لم يكتمل أو تجربة أولية لا يحتاج إلى تمحيص أو تعمق، فذلك ما يمكن أن ندرجه تحت نوع واحد من مقالات هو المقال الأدبي أو مقال الاعترافات والخواطر وكذلك مقال اليوميات أما أنواع المقال الأخرى فقد أصبحت الآن اقرب إلى البحث العلمي أو الدراسة التي تحلل حدثا من الأحداث أو قضية من القضايا بهدف تفسيرها أو الوصول إلى ما ورائها ويحتاج إلى جهد في جمع مادته". (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 234)

ويختلف المقال الصحفي عن بقية المقالات الأخرى وبخاصة المقال الأدبي ، في أن هذا الأخير يعبر قبل كل شيء عن تجربة معينة مست نفس الأديب فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه ، ومن هنا قيل أن المقال الأدبي قريب جدا من القصيد الغنائية ، أما المقال الصحفي فيتصل أكثر ما يتصل بأحداث المجتمع الخارجية عامة ، كما يفترض وجود رأي عام يخاطبه ويتحدث إليه .

ويرتبط المقال الصحفي بوسائل الإعلام التي تحتوي على ثلاثة أنواع رئيسية من المضمون الإقناعي : أولها : الإعلام ، وثانيها: الدعوة المقصودة ، كالمقالات الافتتاحية ، والرسوم الكاريكاتيرية ، والأعمدة والمقالات التفسيرية التي تؤدي بالقارئ إلى الوصول إلى استنتاج ثالث ، وثالثها: ذلك المضمون الذي يراد به أساسا ، الترفيه أو الإعلام بحيث يكون الإقناع منتجا فرعيا محتملا (عبد العزيز شرف.2000: 234-235)

- أنواع المقال الصحفي:

اجتهد الكثير من المختصين في مجال فنيات التحرير في طرح تقسيمات كثيرة المقال الصحفي تراوحت بين التقسيم المعتمد على الشكل والتقسيم المعتمد على المضمون، سيحاول الباحث الجمع بين التقسيمات في تصنيف موحد.

1.المقال الافتتاحي : هو مقال ثابت يظهر يوميا أو حسب دورية صدور الصحيفة -تعلق فيه الصحيفة على الأحداث وتفسرها وتقدم من خلالها وجهة نظرها ويوقع باسمها[...]. وتعبّر فيه الصحيفة عن آرائها ومواقفها من قضية راهنة(...). وترجع أهمية هذا النوع من المقالات إلى أنه يعكس موقف الجريدة وتوجهها التحريري وانحيازها تجاه قضية من القضايا. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 235)

2.العمود الصحفي: هو مقال قصير ذو لهجة خفيفة وساخرة...وفي بعض الصحف الشعبية هو تعليق مازح عن الأحداث يحتل مكانا معيناً وقارا ويوميا وهو أحد أنماط مادة الرأي التي تنشر بانتظام تحت عنوان ثابت وفي مكان ثابت وتحمل توقيع وتعكس مكونات شخصيته في التفكير والتعبير وتحقيق وظائف الصحافة المعاصرة بهدف تنمية المجتمع وترقيته،على ألا تتجاوز مساحة نشر هذه المادة عمودا كاملا أو جزءا من عمودين أو فقرة واحدة (ليعاضي، ن. 1999: 40)

يقسمه بعض الباحثين إلى نوعين : النوع الأول هو عبارة عن رؤية الصحافي الشخصية الجدلية الساخرة والنوع الثاني هو ما يعادل المقال الافتتاحي القصير، أو تعليق يوضع في إطار بجانب مادة صحفية في الصفحات الداخلية.(صابر حارص.2006: 22)

3.التعليق الصحفي: هو شكل أيضا من أشكال المقال الصحفي ظهرت الحاجة إليه بعد أن تعقدت الحياة وتداخلت شؤونها وبرزت إلى الوجود بشكل ظاهر بقضايا سياسية واقتصادية وإنسانية واجتماعية وعلمية معقدة متشعبة إضافة إلى التدفق الهائل للأخبار والمعلومات من كل مصادر الاتصال . (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 240)

يرتكز هذا النوع من المقالات على تقديم إجابة شافية عن وقوع حديث ما والإجابة هن تساؤلات قد تنور في ذهن القارئ عند قراءته خيرا ما لعدم وضوح هذا الخبر أو أحد جوانبه... (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 240)

4. المقال التحليلي: هو النوع الذي يقوم بالتحليل العميق والمدرّس للأحداث مستعينا بالتفسير التاريخي لها، أي أنه يحلل الأحداث بالرجوع إلى أصولها وإلى أشكال تطوراتها. يتطلب هذا الصنف من المقالات من الصحفي جهدا كبيرا من الصحفي لأنه يحتاج إلى الكثير من التحليل ويصدر يوميا في الجزائر. (لعياضي، ن. 1999: 38)

ويعتبر أبرز فنون المقال الصحفي وأكثرها تأثيرا على الرأي العام ويعتمد على اختيار حدث أو قضية أو فكرة أو ظاهرة أو رأي ثم معالجتها صحفيا بالتحليل والتفسير والتعليق والتوقيع وأحيانا تقدم رؤية أو حل أو توصيات. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 241)

5.المقال التقييمي : من وجهة نظر الباحث نصر الدين لعياضي، أنه في ظل انحصار صحافة الرأي لا تتبارى الجرائد الإخبارية وتنافس على الأخبار فقط، بل على المقالات التقييمية التي تسعى من خلالها إلى رصد مستوى تطور الأحداث والوقائع والظواهر لتبين الوضع الذي آلت إليه، ونحاول أن تسجلي أفاق تطور هذه القضية أو تلك عبر ما أصبح يطلق عليه حاليا: بالمستقبلات ، أي قراءة مستقبل الوضع على ضوء مجمل الاحتمالات الممكنة التي ترسم مستقبله. (لعياضي، ن. 1999: 39)

6.مقالات اليوميات (اليوميات الصحفية): يعتمد هذا النوع من المقالات على وجود كتاب صحفيين وأدباء بارعين يتميزون بجودة الأسلوب وثراء التجربة والخبرة الإنسانية وقد يطلق عليه مقال اليوميات الصحفية ومن ابرز الأمثلة وبخاصة في الصحافة المصرية، يوميات عباس محمود العقاد ، يوميات طه حسين... وتعرف " سلى الخطيب" مقال اليوميات بأنه أحد أشكال المقال الصحفي التي تنشر في مكان ثابت وتحت عنوان ثابت وفي موعد ثابت ويتناول الكاتب خلالها عدة موضوعات أو موضوع واحد يقدم فيه رأيه وخواطره وتجاربه الخاصة على أن تكون مرتبطة بالقضايا الهامة التي تهم أكبر عدد من القراء. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 243).

3- البعد الإقناعي للمقال الصحفي

استطاع المقال الصحفي بمضمونه وأسلوب معالجته للقضايا أن يبلغ شأوا كبيرا بين باقي الأنواع الصحفية إذ أصبح أقرب إلى "البحث والدراسة العلمية التي تحلل حدثا أو ظاهرة أو قضية أو فكرة بهدف عرضها أو تفسيرها أو الإقناع بها..." وكذلك استشراف المستقبل والبحث أو الدراسة العلمية التي تعتمد على

المعلومات الدقيقة الموثقة أولاً وأخيراً وعلى التفكير أو المنهج العلمي في وضع خطة البحث. " (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 234)

ويتسم المقال الصحفي بعدة ميزات (لعياضي، ن. 1999: 36) يمكن حصرها فيما يلي:
- إن المقال الصحفي هو مادة دسمة تستخدم لإقناع الجمهور " القراء" بموقف معين أو بتصور نظري إزاء المشاكل والوقائع التي من المحتمل أن يكون القارئ اطلع عليها من خلال أنواع صحيفة أخرى.
- أن المقال الصحفي شديد الارتباط بسياسة الوسيلة الإعلامية أو لنقل أنه هو الجسد لهذه السياسة.
هذه السمات والمميزات " يدفع كاتبه لإعداده إلى بذل جهد كبير في جمع مادته، وقد يكون جهدا مكثيبا من خلال مركز أو قسم المعلومات الصحفية داخل الجريدة أو جهدا ميدانيا أحيانا من خلال الاتصال بالمصادر الحية [...] حيث يتطلب المقال الناجح والمقنع أن يكون مبني على المعلومات الموثقة والبيانات الدقيقة. (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 235)

وإذا أتينا إلى بنية المقال الصحفي نجد أنه يتميز ببنية اقناعية وحجاجية في غايتها، حيث نجد أن المقال الصحفي يحوي الأجزاء الثلاثة للقول. (أنظر إلى التعليق رقم 2)

حيث تقتضي وحدة العمل الفني في الرسالة إدراك الموضوع بما يتضمنه من أفكار، ثم تنظيم المعاني بحيث تكون مرتبة تتجلى وحدتها. (سهير جاد، 2003: 68)

مقدمة: غايتها إحاطة القارئ بالقضية المراد الدفاع عنها. وهذا كارنيجي يؤكد على أهميتها قائلاً: "إن بداية الحديث صعبة، وهي مع ذلك على جانب كبير من الأهمية، لأن عقول مستمعينا تكون متفتحة نشيطة، ومن ثم يسهل التأثير فيها، ومن الخطر البالغ تركها للمصادفة، فينبغي أن تعد مقداً بعناية" (كارنيجي، د. ب. ت : 138)

والمقدمة من زاوية حجاجية تحمل الأطروحة المراد إثباتها أو الدفاع عنها، وهي تمثل الأحكام التي يجب البرهنة عنها وهذا من الناحية الاصطلاحية. أما من الناحية اللغوية فإننا نجد أن كلمة أطروحة مشتقة في الأصل من الفعل طرح يطرح طرحاً ، أي ألقاه ورماه ، ومنه طرح القضية للبحث ، للمناقشة ، والأطروحة جمع أطروحات ، أي مسألة تطرح للبحث، رسالة علمية يكتبها الطالب للحصول على درجة الماجستير أو الدكتوراه (محي الدين صابر، 1989: 789)

جسم : ويتشكل من عدة عناصر: العرض، التحليل، التفسير، المجادلة والإقناع. (لعياضي، ن. 1999: 37)
حيث يمكن القول أن عملية الإقناع تفترض التأثير على القارئ ليغير أفكاره وسلوكه ومواقفه وفهمه أو إدراكه... ولا يتم التغيير المنشود بشكل آلي ووحيد بل يتجسد بمختلف الطرق كالاستعانة بالإستمالات العاطفية المنطقية، والتي تصل إلى قيم القارئ وإلى رغباته الدفينة.

كما يوظف صاحب المقال الحجاج للتأثير على القراء ، ذلك أن الحجاج يشير الى ذلك الخطاب الصريح أو الضمني الذي يستهدف الإقناع والإفحام معا، مهما كان متلقي هذا الخطاب.

والحجاج عند بيريلمان Perelman وتيتيكا Tyteca طائفة من تقنيات الخطاب التي تقصد الى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرض عليهم أو إلى زيادة درجات تلك الاستمالة. (Perelman.Ch, Tyteca.O.1981 :92)

الباحث **Vignaux** - من جهته - يرى أن الحجاج معناه " ... الدفاع عن وجهة نظر وفي نفس الوقت محاولة إشراك الآخرين فيها " (Vignaux.G.1976 :5-21)

وإذا أتينا إلى عنصر المجادلة في الجسم نجدها أنها تستند إلى عنصرين أساسيين: (لعياضي، ن. 1999 :37)

1. الطعن في الأطروحات والمبادئ المعارضة (أنظر إلى التعليق رقم 3): يتحقق بطرق مختلفة منها تقديم الأسئلة المعارضة التي تقيدها أو التأكيد بأن مثل هذه الأطروحات تؤدي إلى نتائج سلبية وخيمة وتوضح بأنها تتناقض مع الحقائق الراسخة والمقبولة من طرف الجميع.

2. الطعن في طريقة الحجاج من حال لفت الانتباه إلى عدم صحة الأسئلة المختارة ونوضح موطن عدم الانسجام والتناغم بين النتائج التي توصل إليها أصحاب الرأي المعارض والتأكيد على أن الأدلة المختارة لا يؤدي إلى الأهداف المتوخاة أو القناعات المرغوبة.

خاتمة: وتعتبر خلاصة النتائج المتوصل إليها، وتمثل من زاوية حجاجية نتيجة الأطروحة المدافع عنها في الجسم، لذلك تمثل غاية في الأهمية لكونها تعبر عن المواقف الذي يريد كاتب المقال إيصاله إلى ذهن القارئ ودفعه إلى تبنيه.

وحتى يصل المقال الصحفي إلى هدفه المنشود وغايته المبتغاة ينصح أهل التخصص كاتبه الإعداد الجيد له والالتزام قدر الإمكان بالتوصيات الآتية:

- يجب التمهيد للنتيجة النهائية بالعرض، والتحليل والتفسير فذات النتيجة تكون، إما خلاصة للتحليل الاستنباطي (أنظر إلى التعليق رقم 4) الذي يؤكد على أن العلل كامنة في المقدمات، أو نتيجة للتحليل الاستقرائي والذي يكشف على أنه يمكن الانتقال من حقائق مفردة إلى قضايا عامة..

- يتطلب المقال الصحفي من كاتبه معرفة القراء خير المعرفة حتى يتمكن من تقديم الأسئلة والشواهد القريبة منهم، أو تلك التي تطابق مع تصورهم الأولى وتجاربهم الوجدانية والعاطفية.

- يتطلب الإعداد المسبق من خلال تصور أو مخطط للجدل والمحااجة نرتب فيه الأفكار والحقائق والشواهد والأدلة.معنى هذا إن كتابة المقال لا تخضع لارتجال القلم وليست وليدة الصدفة التي يخلقها الظرف بل هي عمل واعي وإنتاج متماسك. (لعياضي، ن. 1999 :37).

4- الخطاب الاقناعي في المقال الافتتاحي

- مفهوم المقال الافتتاحي:

هو أول الأشكال الصحفية التي تعبر الجريدة فيه عن رأيها لذا ينشر في الصفحات الأولى ويطلق عليه أحيانا اسم الافتتاحية، ويقصد بها ذلك المقال المنشور في مكان رئيسي من الصحيفة والذي يعالج مشكلة أو حادثة، ويكون موضوع الافتتاحية مادة خبرية (لعياضي، ن. 1999: 30) والمقال الافتتاحي ليس تعبيرا عن رأي الكاتب وحده أو وجهة نظره الخاصة، كما هي العادة بالنسبة لأنواع المقال الأخرى وفنونه المتعددة، بل أنه على العكس من ذلك ينبغي أن يكون تعبيرا دقيقا عن رأي الصحيفة وسياستها كمؤسسة اجتماعية عامة فإذا كتب رئيس تحرير مقالا افتتاحيا فلا يجوز أن يضمه رأيا شخصيا، وإنما يعبر عن سياسة الصحيفة وموقفها العام بالنسبة للشؤون السياسية والاجتماعية. (عبد العزيز شرف. 2000: 59)

وترى الباحثة فريال مهنا أن الافتتاحية نوع إعلامي يقترب التعليق ولكنه يشغل حيزا متميزا في الإعلام المطبوع، ويفتح الكلم في المسموع والمتلفز. وتحمل الافتتاحية رأي الوسيلة الإعلامية بشكل صريح وتوجيهي فهي قالبا ما توقع باسم الصحيفة أو المجلة، وتصدر المادة الإعلامية في المذاع والمتلفز، وتحتوي أفكارا قائدة لها قوة التعميم إذ تفلسف موقفا تستخدمه الأنواع الإعلامية الأخرى كأداة مقياسية لطرح الرأي حول قضية هامة. (فريال مهنا. 1995: 159)

- خصائص المقال الافتتاحي وأنواعه:

ليست كل المواضيع جديرة بالمقال الافتتاحي، لأنه يتطلب توفر مجموعة من الشروط في موضوعه نذكر منها ما يلي:

- أن يكون شاملا وعاما بالنسبة لجريدة مركزية أو وطنية، لا تخص منطقة محدودة فتؤثر فيها دون غيرها، فدور المقال الافتتاحي هو الإعلام عن العالم وعن الطريقة التي يجب أن يدرك بها.
- أن يكون ذا علاقة بمحدث آني وناضجا كل النضج، أي أنه موضع اهتمام وانشغال الجمهور.
- لا تملك بعض المواضيع الأهمية اللازمة إلا إذا تحولت إلى مادة الافتتاحيات، ويشترط منها أن أحظى في ذات الوقت بمعالجة صحفية مختلفة: خبر صحفي، تقرير، حديث صحفي. (لعياضي، ن. 1999. 31-32)
- ويتميز المقال الافتتاحي عن غيره من أنواع المقالات الأخرى بالسلمات التالية: (فاروق أو زيد، ليلى عبد المجيد، 2000: 238-239)

1. إن كاتب المقال الافتتاحي ملزم بالتعبير عن سياسة الصحيفة بينما كاتب المقال الصحفي التحليلي أو المقال النقدي أو المقال العمودي ليس ملزما بذلك وإن كان لا يستطيع مناقضة السياسة التحريرية للصحيفة.
2. لا يوقع المقال الافتتاحي باسم كاتبه باعتبار أنه يمثل آراء هيئة تحرير الصحيفة الأخرى فهي تنسب إلى كاتبها. (أنظر التعليق رقم 5)

3.المقال الافتتاحي مكان ثابت في الصحيفة وعنوان ثابت كما أنه ينتشر بانتظام ويتفق معه في ذلك العمود الصحفي فقط) وبعض أنواع المقالات التحليلية لكبار الكتاب التي تنشر بشكل منتظم في أحد أيام الأسبوع مثلا أما باقي المقالات التحليلية والنقدية فليس لها مكان ثابت ولا تنشر إلا وفقا لرغبة ومقدرة كاتبها.

4.إن كاتب المقال الافتتاحي ينبغي أن يتسم بالمقدرة على الكتابة الإقناعية Persuasive أكثر من الكتابة الإعلامية Informative.

5.الحفاظ على الخط التحريري للصحيفة وسياستها الواضحة اتجاه القضايا، لأنه لا يصح للصحيفة أن تكون مذبذبة بين سياسات كثيرة حتى لا تفقد أهميتها كصحيفة من صحف الرأي.

6.يتميز المقال الافتتاحي بخاصية الحذر والاحتياط في إبداء الرأي، لأنه ما دام رئيس التحرير أو كاتب المقال الافتتاحي لا يعبر عن رأيه الشخصي، بل عن رأي الصحيفة باعتبارها مؤسسة اجتماعية وظيفتها- الإعلام- وجب عليه أن يصطنع الحيطة فيما يكتب من مواد باسم الصحيفة وإلا عرضها للخطر. (عبد العزيز شرف.2000: 66)

7.الوحدة العضوية في تحرير المقال الافتتاحي: فالمقال " وحدة مستقلة" وليس مجرد سرد للحقائق أو الإتيان بالشواهد أو إيراد للأمثلة، إنما هو وسيلة للتعبير عن رأي من آراء الصحيفة أو منحى من الناحية التي تروج لها في الاجتماع أو السياسة أو الفكر.

8.المقال الافتتاحي لا يسعى إلى التعقيب عن حدث وتفسيره، بل يرمي أساسا إلى التذكير بانتمائها فهذا " كري باري Cry paret" كاتب الافتتاحية في الصحيفة يقول: "المقال الافتتاحي الحقيقي ليس تحليلا لأنه موقف من قضية ما أو حدث" (لعياضي، ن.1999: 31)

- أنواع المقال الافتتاحي:

يقسمه بعض الباحثين إلى ثلاثة أقسام: (فاروق أو زيد، ليلي عبد المجيد، 2000: 237)

1.المقال الافتتاحي الشارح: وهو الذي يفسر الأخبار أو الأحداث ويجلي أبعادها ويفترض فيه أن يلزم بالموضوعية فلا يتبنى آراء مسبقة، وإنما تقتصر مهمته على شرح الأخبار فقط.

2.المقال الافتتاحي النزالي: وهو المقال الذي ينطلق من آراء مسبقة يريد كاتب المقال أن يحمل القارئ على اعتناقها مستخدما أسلوب النزاليات الذي يحتمل شجب الآراء المختلفة وفقا لذلك المنطق الخطابي.

3.المقال الافتتاحي المتنبئ: وهو الذي يقوم بما يشبه عملية استكشاف للنتائج المتوقعة والتي يمكن حدوثها في المستقبل وبناء على معرفة كاتب المقال بحقائق ما حدث وإدراكه لطبيعة القوى التي تحكمه فإنه قد يتنبأ بأحداث وامتدادات تم في المستقبل، ومثل هذا المقال تنشره الصحيفة متى كانت واثقة من معلوماتها وقدراتها على فحص الأحداث والاتجاهات التي تفسر عنها الأيام.

- أهمية المقال الافتتاحي وبعده الإقناعي

لا شك أن للمقال الافتتاحي مكانة هامة في الصحيفة بين باقي الأنواع الصحفية لكونه يمثل مرآة الصحيفة من حيث كونه يمثل منبر لسياستها وناطقاً باسم خطها التحريري وهذه المكانة المتميزة تدفع هيئة التحرير في الصحيفة ومجلسها الإداري إلى إيلاء عناية خاصة، من حيث الحرص على حسن الاختيار الكاتب الذي يكتب باسم المؤسسة الصحفية بأمانة شديدة.

وعلى الافتتاحية - كما يرى نصر الدين لعياضي - تقاس شخصية الصحيفة ومقدرتها العلمية ، إذ عليها يبنى القراء النابهون والرأي العام فكرتهم عن الصحيفة. (لعياضي، ن.1999: 30)

لقد كان المقال الافتتاحي في القرن الماضي يشغل الصفحة الأولى وبعض أجزاء من الصفحات الأخرى، ولم يتزحج عن مكانة الممتاز في الصفحة الأولى إلا في وقت قريب، وليس أدل على أهمية المقال الافتتاحي منذ نشأة الصحافة من أن كتاب هذا المقال كانوا ولا يزالون نوابغ الصحافة في كل أمة من الأمم، في فترة من فترات التاريخ (عبد العزيز شرف.2000. 59). وقد كان المقال الافتتاحي ينهض بمهمة القيادة والزعامة، كما كان وسيلة التوجيه والإرشاد والتنشئة الاجتماعية، والوسيلة المؤثرة لتكوين الرأي العام. ولا يزال المقال الافتتاحي يقوم بدور نسبي في صحافة الرأي العام المستنير كصحيفة التايمز الإنجليزية و النيويورك تايمز الأمريكية ولوموند الفرنسية وغيرها (أنظر إلى التعليق رقم6)، بل إن مقالات هذه الصحف قد تجاوز في أهميتها وتأثيرها حدود البلاد التي تنشر فيها الصحيفة إلى بلاد أخرى. (إبراهيم إمام.1970: 209)

وانطلاقاً من كونه نوع فكري موجه إلى أذهان القراء غير العاديين أو الأكثر وعياً فهو يقوم بوظيفة الدعاية إلى جانب إقناع قرائه بأهمية رؤية الصحيفة للقضية والحدث، فمهمته ترتقي من المستوى الإعلامي البسيط إلى المستوى الإقناعي العميق لترسيخ الأفكار وتوجيه السلوكات.

في أي صحيفة - حسب الباحث جوتيي Gauthier المقال الافتتاحي له وظيفة التعبير عن رأي أو اقتراح موقف حول موضوع من مواضيع الساعة ، هذا الرأي وهذا الموقف يستلزمان بعض النقاش وبعض الحجج ، بمعنى أن الافتتاحية تعد أفضل حقل للحجاج. (Gauthier ,G.2002 :01)

والحجاج حسب جوتيي Gauthier يشكل "علاقة مفصلية بين أطروحة ومبرراتها أو بين حكم وقاعدته" (Gauthier ,G.2002 :01)

إن المقال الافتتاحي يعتبر من أهم فنون المقال الصحفي، لاعتماده في الشرح والتفسير والإيضاح على الحجج و البراهين والإحصائيات والبيانات لوصول في نهاية الأمر إلى إقناع القارئ وكسب تأييده، ذلك أن المقال في مدلوله الاصطلاحي Leading article ، إنما تقود غيره من المقالات ويتقدمها من حيث تعبيره عن رأي الصحيفة كمؤسسة (عبد العزيز شرف.2000: 55) فالمقال الافتتاحي إذا يهدف إلى الإقناع لا مجرد الاستمالة

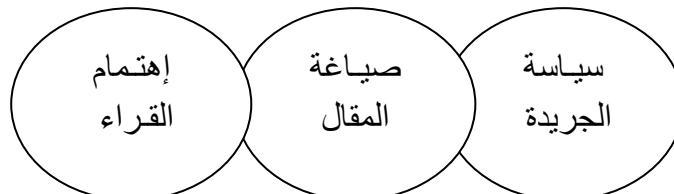
العاطفية ، ذلك أن الشواهد والبراهين سواء بالنصوص، أو الإحصائيات أو المقارنات ضرورة لازمة للتعليق على الأخبار...

كما ان المقال الافتتاحي لا يستهدف الاشتراك مع الغير في رأي أو فكرة فحسب بل " يستهدف من وراء ذلك القصد إلى الإقناع عن طريق حجج واضحة ومسار أوضح لفن المحاججة الذي لا يفترض فقط استدالات ووقائع وأمثلة ملفوظة من خلال نص معين من أجل البرهنة على رسالته كما يرى جودبوت **Godbout** (Godbout,L.1989 :66) بل أكثر من ذلك فإنه يتطلب اتفاق من نتوجه إليهم على مجموعة من المعطيات هذا الاتفاق يمكنه أن يخدم كنقطة بداية اتفاقات لاحقة :1952. (Perelman,Ch.Tyteca,O) 50)

وتتصل مهمة الإقناع بالوظيفة التوجيهية في وظائف المقال الافتتاحي حين ينقل الكاتب إيمانه بأفكاره على النحو الذي يجعله يحتل دورا قياديا في توجيه الرأي العام (...). فالمقال الصحفي لم يعد مجرد توجيه بلاغي كما كان في طور التكوين الصحفي، بل إنه على العكس من ذلك ينهج منهاجا في التحرير يقوم على الدليل والبرهان، ويعتمد على الحقائق والأرقام والبيانات والإحصائيات الدقيقة، وهذه وسائل الإقناع والتوجيه والإرشاد وهي التي تعطيه من القوة والتأثير ما لا يمكن أن تحققه الألفاظ الضخمة الجوفاء. (إبراهيم إمام.1970: 68)

وعلى حد إجماع أصحاب التخصص - أن المقال الافتتاحي يأتي على رأس فروع المقال الصحفي الأخرى كالتعليق، والعمود الصحفي وغيرها، نظرا لما يملكه من سمات وخصائص تجعله في طليعة الأنواع الأخرى من حيث القدرة على الإقناع والتأثير، والأهمية التي توليه إدارة التحرير إياه، فإذا أتينا إلى الجانب الأول والذي يخص القدرة على الإقناع فنجد أن المقال الافتتاحي بما يتيح من هامش كبير لكاتبه في إبداء رأيه والتعبير عن أفكاره عكس الأنواع الإخبارية الأخرى المقيدة بقيد الموضوعية والاختصار، فهذا الهامش يستغله الكاتب للتعبير عن أفكاره وأفكار المؤسسة، مستخدما كل الأدلة والحجج والبراهين المتاحة للدفاع عن الأطروحة المركزية فيه.

ويذهب الباحث **عبد اللطيف حمزة**، إلى أن كاتب المقال الافتتاحي في الصحيفة يجب أن يتمثل في رؤياه الإبداعية الثلاثة عناصر متداخلة يؤثر بعضها في بعض:



المقال الافتتاحي يملك بنية خاصة تختلف عن بقية الأنواع الأخرى من حيث كونه يتميز بمسار حجاجي مضبوط ومتسلسل منطقيا في اتجاه تصاعدي أو تنازلي أي من النتيجة إلى الحجج، أو من الحجج إلى النتيجة، تبعا لأسلوب الكاتب وتبعا لطبيعة الخطاب الصحفي المعلن من قبل المؤسسة، على ألا يخرج عن البيئة

الكلاسيكية لترتيب أجزاء القول وهي: المقدمة الجسم والخاتمة، فهو مبني على نمط الهرم المعتدل عكس الأنواع الإخبارية وبخاصة الخبر الصحفي الذي يبني في الغالب على نمط الهرم المعكوس (من الأهم إلى الأقل الأهمية)، فخاصية الهرم المعتدل للمقال الافتتاحي، تجعل أجزائه تتميز بما يسميه أهل الاختصاص بخاصية الوحدة العضوية، بحيث لا يمكن إلغاء أو التخلي عن أي جزء أو أي فقرة من النص لتناسقها، والتسلسل المنطقي المشكل لطريقة الدفاع عن الأطروحة، كما أن المقال الافتتاحي يتوسل بالآليات الحجاجية بأنواعها المختلفة للتدليل على الأطروحة التي يصوغها كاتب المقال من آليات بلاغية لغوية، كالتشبيه، التكرار، التوكيد، التعريف، المقابلة، الاستفهام، وغيرها، وآليات منطقية كالقياس بفروعه الكثيرة

ويقوم بناء المقال الافتتاحي على ثلاثة عناصر:

1. عنصر التقديم أو الفكرة الكلية المثيرة لاهتمام القارئ.
2. عنصر الحقائق والشواهد المؤيدة للكفرة الكلية.
3. عنصر الخلاصة التي يخرج بها القارئ من المقال ويمكن تمثيلها بالنموذج الآتي: (عبد العزيز

شرف، 2000: 68)

فبالنسبة لعنصر التقديم فيرتبط ارتباطا عضويا بعنوان المقال...فالتقديم لا يمكن أن ينفصل عن عنوان المقال وأما عنصر الحقائق والشواهد فيرتبط بالعنصر الأول (التقديم) ارتباطا وثيقا وهذه الوحدة العضوية لا تقوم على الترتيب الإجمالي بقدم ما تقوم على ترتيب المنهج الاستقرائي..وما يستلزم ذلك من ترتيب الشواهد المؤيدة للأفكار حتى يصل إلى خلاصة تمثل العنصر الأخير من عناصر التحرير في المقال الافتتاحي. (عبد العزيز شرف، 2000: 69-72)

خاتمة:

إن أهم النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة هي أن الصحافة المكتوبة وعلى غرار وسائل الإعلام الأخرى في معالجتها للأحداث والوقائع ، تحاول ألا تخرج عن خطها التحريري الذي رسمته من البداية ولذلك فهي تنتج خطابا صحفيا يخدم هذه السياسة الإعلامية المنتهجة من قبلها ، ولضمان وصول هذا الخطاب إلى جمهور القراء فهي تحتاج إلى آليات حجاجية لتميره ومحاولة غرس قناعاتها إزاء الأحداث اليومية الجارية، سواء على المستوى المحلي الوطني أو على المستوى الدولي.

ولاشك - على حد إجماع الباحثين- أن مقالات الرأي المنتجة من قبل الصحافة المكتوبة ، هي المنبر الأساسي لتمير خطابها الصحفي المتوافق مع خطها التحريري ، وهذا لما لهذه الأنواع الصحفية من هوامش كبيرة لإبداء الرأي إزاء القضايا الهامة والأحداث ، وتمثل هذه الأنواع الصحفية - رغم اختلاف الباحثين في تصنيفها - في المقال الصحفي بأنواعه : المقال العمودي ، المقال الافتتاحي ، التعليق الصحفي ، المقال التحليلي ، المقال النقدي.

والمقال الافتتاحي - كنوع من أنواع المقالات الصحفية - له مكانة خاصة ومميزة في الصحافة المكتوبة لما ما يملكه من قدرات تحريرية اقناعية تؤهله لحمل وإيصال خطاب صحفي يلخص موقف أو رأي الصحيفة إزاء حدث من قضية هامة من القضايا الآنية المطروحة للنقاش ، بما لا يتعارض مع خطها التحريري ، أو ما يعرف بالسياسة الإعلامية وهذه المكانة التي يتمتع بها المقال الافتتاحي نابعة من الخصائص التي تميزه عن بقية الأنواع الصحفية الأخرى ، وبخاصة - ما يهم الباحث نحن في هذه الدراسة - الطابع الحجاجي الاقناعي الذي يميز بنيته ، لكون هيئة التحرير تحاول الدفاع عن رؤية محددة للحدث وإيصالها إلى جمهور محدد من القراء .

التعليقات:

- 1- يقدم الدكتور لعياضي ثلاث تصنيفات مختلفة للأنواع الصحفية اكتفينا بذكر تصنيف واحد منها.
- 2- يسميها أرسطو في كتابة الخطابة بترتيب أجزاء القول (المقدمة، الجسم والخاتمة) ويسمى أيضا بالتنسيق.
- 3- وهذا ما يسمى بعملية الدحض أو التفنيد Réfutation.
- 4- وهو نوع من أنواع الاستدلال Raisonnement والذي يقسم في الحقيقة إلى ثلاث أقسام الاستنتاج Déduction وهي الانتقال من الكل إلى الجزء، الاستقراء Induction وهو الانتقال من الجزء إلى الكل واستدلال التمثيل Analogie وهي الانتقال من الجزء إلى الجزء.
- 5- في بعض البلدان يوقع المقال الافتتاحي باسم كاتبه أو من ينوب عن هيئة التحرير لكونه عمل جماعي، والموضع المختار والموقف المدافع عنه يجسد الخط التحريري للوسيلة الإعلامية.
- 6- وهذا لا يعني أن كل المقالات الافتتاحية لها نفس القوة ونفس الوزن بل أن بعضها لا يستحق أن ينشر أصلا لعدم ارتقائه إلى مستوى افتتاحية بأتم معنى الكلمة وربما لأجل ذلك قال وليام هاملتون William Hamilton محرر صحيفة ذي وول ستريت جورنال The wall street journal « من بين 22000 مقال افتتاحي كل أسبوع نلاحظ أن 21500 من هذه المقالات كان ينبغي ألا يصل إلى المطبعة أساسا. في: عبد العزيز شرف، فن المقال الصحفي، ص 8.

المراجع:

- 1- أبو زيد، فاروق . عبد المجيد، ليلي. (2000). فن التحرير الصحفي ، ، القاهرة : مركز جامعة القاهرة للتعليم المفتوح.
- 2- إمام، إبراهيم.(1970). دراسات في الفن الصحفي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- 3- جاد، سهير .(2003). وسائل الإعلام والاتصال الاقناعي ، تقدم عبد العزيز شرف، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- 4- حارص، صابر .(2006). فن كتابة المقال العمودي في الصحافة العربية،(ط1)، القاهرة العربي للنشر والتوزيع.
- 5- ديل كارنيجي.(بدون تاريخ) التأثير في الناس من خلال الخطابة ، ترجمة : رمزي نسسي ، وعظت فهيم صالح، القاهرة: دار الفكر العربي.
- 6- شرف، عبد العزيز .(2000). الأساليب الفنية في التحرير الصحفي ، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع .
- 7- شرف، عبد العزيز .(2000). فن المقال الصحفي، القاهرة : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع.

- 8- صابر محي الدين .(1989). المعجم العربي الأساسي، تقدم ، تونس: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم.
- 9- لعقاب، محمد (2004) الصحفي الناجح : دليل علمي للطلبة والصحفيين، الجزائر: دار هومه.
- 10- لعياضي نصر الدين .(1999). اقترابات نظرية من الأنواع الصحفية، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 11- مهنا، فريال.(1995). نحو بلاغة إعلامية معاصرة ، الجزء الأول، دمشق: منشورات جامعة دمشق.
- 12- Gauthier ,Gilles.(2002). " L'argumentation éditoriale : le cas des quotidiens québécois " **studies in communication sciences**, 2(2).
- 13- Godbout ,Laurent.(1989). **s'entraîner à raisonner juste**, Paris : entreprise modernes éditions : librairies, techniques.
- 14- Perelman , Ch. Tyteca, olbrechts.(1952). **Rhétorique et philosophie : pour une théorie de l'argumentation en philosophie**, Paris : presses universitaires de France.
- 15- Perelman , Ch. Tyteca, olbrechts.(1981).**La nouvelle Rhétorique: Traité de l'argumentation** , Lyon : presses universitaire.
- 16- Vignaux, Georges .(1976). **l'argumentation , essai d'une logique discursive** , Genève :librairie Droz.

تاريخ الاستلام: 2017/07/13 - تاريخ التحكيم: 2017/10/01 - تاريخ النشر: 2017/12/30

إستخدامات أساتذة علوم الإعلام والاتصال لشبكات التواصل الاجتماعي بجامعات

وهران، مستغانم، أدرار.

د. مولاي احمد

(الجامعة الإفريقية بأدرار-الجزائر)



الملخص:

تناولت هاته الدراسة محاولة علمية متواضعة للمساهمة حول واقع استخدامات وسائل التواصل الاجتماعي بالجزائر: الأساتذة والباحثين في أقسام علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية نموذجاً، ولتحقيق اهداف هاته الدراسة استخدمنا المنهج الوصفي التحليلي في جمع بيانات الجانب النظري، كما استخدمنا المنهج المسحي، وكان من ابرز ما توصلت اليه الدراسة أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يركزون على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في مجالات البحث العلمي مقارنة بالمجالات الأخرى.

الكلمات المفتاحية: شبكات التواصل الاجتماعي. الأساتذة الجامعيين. الجزائر.

Résumé:

Ces circonstances l'étude a porté sur une modeste tentative scientifique de contribuer à la réalité des usages des médias sociaux en Algérie: des professeurs et des chercheurs en matière d'information et des sciences de la communication, départements des universités algériens un modèle. Pour atteindre les objectifs de ces circonstances de cette étude, nous avons utilisé l'approche analytique descriptive dans la collecte des données théoriques. Comme nous l'avons utilisé la méthode d'enquête. Parmi les résultats obtenus, les professeurs de sciences de la communication (l'université d'Oran, Mostaganem, et Adrar) basant sur l'utilisations des médias sociaux dans les domaines de la recherche scientifique par rapport à d'autres domaines.

Mots-clés: Réseaux sociaux .Professeurs .Algérie.

مقدمة: أضفت بيئة الويب 2.0 خصائص جديدة مميزة للشبكات الإجتماعية جعلتها أكثر تفاعلية، فلم يعد الموقع مجرد بيانات عن الشخص فقط، بل أمكنه الإنضمام إلى شبكات عديدة داخل المجتمع الواحد، فإن الشخص يمكنه إشراك الآخرين فيما لديه من تسجيلات صوتية وصور فيديو، وأفكاره وخواطره ونشاطات شخصية، لذا فهي وسيلة سهلة ويسيرة للتعبير عن الآراء والمعتقدات، وتتنوع أهداف الشبكات الإجتماعية حسب الأغراض التي وجدت من أجلها، كالتعليم العالي والبحث العلمي، من خلال الخدمات التي تتيحها، ولهذا فمجال الإعلام والاتصال لم يبق في منى عن هذا التحولات، حيث إتجهت العديد من المؤسسات الإعلامية في العالم العربي إلى الإستفادة من تطبيقات الويب 2.0 في نشاطاتها، ثم إن تقنيات الويب 2.0 تتميز بالتفاعلية والمرونة، التي من شأنها أن تجعل الباحث والأساتذ متفاعلا ومشاركا لا مجرد مستقبل ومتلقي، ولهذا نحاول من

خلال هاته الدراسة تسليط الضوء على مدى إستخدام وسائل التواصل الاجتماعي لدى الباحثين الجزائريين في مجال علوم الإعلام والاتصال، كدراسة ميدانية لعينة عشوائية بأقسام علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية. تساؤلات الدراسة: تهدف هاته الدراسة إلى الإجابة على ما مدى استخدام أساتذة تخصص علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية (جامعة وهران، مستغانم، أدرار) لوسائل التواصل الاجتماعي؟ وما مجالات الإستخدم؟

هدف الدراسة: نهدف من خلال هاته الدراسة، إلى التعرف على مختلف مجالات استخدام شبكات التواصل الاجتماعي، من خلال واقع استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى أساتذة التعليم العالي بالجامعات المذكورة.

منهج الدراسة: إستخدمنا المنهج الوصفي التحليلي في جمع بيانات الجانب النظري، كما إعتدنا في هذا البحث على المنهج الوصفي، إضافة إلى المنهج المسحي في حصر مواقع التواصل الاجتماعي على شبكة الانترنت، ثم في وصف وتحليل هذه المواقع، وفي الجانب التطبيقي اعتمدنا في هذه الدراسة على استبيان موجه للأساتذة الباحثين.

1. الشبكات الإجتماعية: مجموعة من المواقع على شبكة الأنترنت، ظهرت مع الجيل الثاني للويب، تتيح التواصل بين الأفراد في بيئة مجتمع افتراضي يجمعهم حسب مجموعات إهتمام أو شبكات إنتماء (بلد، جامعة، مدرسة، شركة...)، كما تتيح للمستخدمين بناء موقع أو سجل شخصي، يحتوي على بيانات تعريفية بالمستخدم، تتفاوت في التفصيل من شخص لآخر (الاسم، الجنس، تاريخ الميلاد، مكان الإقامة، الديانة، والهوايات وغير ذلك)، مع إمكانية إضافة محتويات مختلفة للموقع (الصور، التسجيلات الصوتية، ملفات الفيديو، مذكرات خاصة لصاحب الموقع)، من أجل إشراك الآخرين في الإطلاع عليها والتعليق على محتواها، أصبح بالإمكان مشاركة الأصدقاء في الصور والفيديو والأحداث والمناسبات الخاصة (خليفة. م. 2009. الجيل الثاني من خدمات الإنترنت: مدخل إلى دراسة الويب 2.0 والمكتبات 2.0. www.cybrarians.info/journal/).

2.1 أنواع الشبكات الإجتماعية: تتنوع أهداف الشبكات الإجتماعية بحسب الأغراض التي وجدت من أجلها، فمنها ما هو عام لفئات المجتمع كافة، ومنها ما هو خاص بشرائح محددة أو أغراض معينة، مثل أن تكون لنشر معتقدات دينية أو عقد علاقات إجتماعية، والبعض منها أسس لخدمة المهتمين بمجال معين (المبرز، 2010، ص 07)، ويوجد نوعان من الشبكات الإجتماعية على العموم، الشبكات الإجتماعية العامة وهي التي يهتم أفرادها بالبحث، والتعرف إلى أشخاص جدد ومعارف جديدة، بغض النظر عن إهتماماتهم كالفيس بوك، والنوع الآخر الشبكات الإجتماعية الخاصة، والتي يبحث أفرادها عن أشخاص آخرين يمارسون الهوايات نفسها ولهم الإهتمامات نفسها كشبكة فليكر (الخنعمي، 2009، ص 234).

3.1 نماذج عن شبكات التواصل الاجتماعي: يتوافر على شبكة الأنترنت حاليا العديد من مواقع الشبكات الإجتماعية، التي يتزايد عددها بشكل مستمر (المبرز، 2010، ص 07)، نستعرض فيما يلي بعضها:

1.3.1. الفاييسبوك Facebook: في الرابع أكتوبر من فبراير عام 2004 تم إطلاق أحد أضخم مواقع شبكات التواصل الإجتماعي، وأكثرها إنتشارا وهو الفاييسبوك (facebook) (سعد، 2012، ص 442)، ويسر إنتشارها تفاعلها مع المستخدمين، وتعدد لغاتها وتطبيقاتها المتنوعة والمتطورة بشكل دائم (مجاهد، 2010، ص 12)، وجاءت فكرة إنشاء "الفايسبوك" من خلال حلم لأحد طلاب جامعة هارفارد، المولعين بالكمبيوتر، يدعى مارك جوكربيرج (Mark Zuckerberg)، عندما جلس أمام شاشة الكمبيوتر في حجرته بمساكن الطلبة، في جامعة هارفارد الأمريكية، وفكر جوكربيرج (Mark Zuckerberg)، ببساطة في إنشاء موقع لتسهيل عملية التواصل بين طلبة الجامعة، يعمل على تكوين الأصدقاء ويساعدهم على تبادل المعلومات والصور الشخصية ومقاطع الفيديو والتعليق عليها، ويسهل إمكانية تكوين علاقات في فترة قصيرة (عمامشة، 2012). التعليم الالكتروني والويب 2.0. (www.informatics.gov.sa/).

2.3.1. يوتيوب Youtube: يعتبر موقع تبادل وتقاسم الفيديوهات الشهير التابع لمؤسسة google ذات محرك البحث الشهير، تم تأسيس اليوتيوب "youtube" في فبراير 2005، بواسطة ثلاثة موظفين من شركة palpal هم تشادهيرلي (chad hurlry) وستيف تشين (steve chen) وجاود كاريم (karim jawed) ب سان برونو (san bruno) في ولاية كاليفورنيا بالولايات المتحدة الأمريكية، وفي أكتوبر 2006 أعلنت شركة google شراء الموقع (صالح، 2010، ص ص 46-81)، وبالتالي فالیوتیوب YouTube واحد من أسرع المواقع تطورا على شبكة الأنترنت (عمامشة، 2012).

3.3.1. الفلكر Flickr: الفلكر هو عبارة عن صفحة أو معرض صور شخصي على الأنترنت، بحيث يستطيع الآخرون أن يروا صورنا التي قمنا بتصويرها، ووضعها في هذه الصفحة، وبالإمكان إضافة التعليقات على الصور، ولحبي التصوير فإنها تفيدهم في عرض صورهم للعالم، ويمكن الحصول على أي صورة قد نحتاج إليها في عملنا أو الإستعانة بها أثناء شرح موضوع معين (صورا لشخص، رؤساء دول، مشاهير، صور نادرة لمعلم أثري أو حيوانات)، ويمكن عمل فلكر عن طريق زيارة الموقع على شبكة الأنترنت (عمامشة، 2012)، وبهذا تقوم فكرة الفلكر على المشاركة بالصور، فبعد أن تتم عملية تحميل الموقع بالصور، يمكننا أن نضع بطاقات تعريفية عليها وننظمها في البومات (الحايك). الشبكة الاجتماعية الجديدة في الويب 2.0. (www.informatics.gov.sa/).

4.3.1. تويتر twitter: وهو شبكة إجتماعية للأخبار القصيرة، ويمكنك متابعة التدوينات المصغرة من الأعضاء الذين تتابعهم.

5.3.1. المدونات الإلكترونية (weblogs, blog): مصطلح Weblog ابتكره يورن بارغر (Jorn Barger) في ديسمبر 1997، لوصف عملية تسجيل الويب أو logging the web، وبدأت في الظهور الفعلي على الأنترنت في 1999 (خليفة. الجيل الثاني من خدمات الإنترنت: مدخل إلى دراسة الويب 2.0 والمكتبات 2.0. (www.cybrarians.info/journal/)، والمدونات مواقع أنترنت يسرد فيها مؤلفها ما يريد الكتابة عنه،

وموضوعات أخرى، كما يمكن للزوار الرد على ما يكتب (العريشي، والغانم، 2011، ص ص 09-84)، وأهم ما يميز المدونة الإلكترونية أنها تزخر بالمشاركة والتفاعلية بين مؤلفيها وقارئها (منصور، 2009، ص ص 93-116).

6.3.1. التآليف الحر WIKI: كلمة Wiki في اللغة الإنجليزية هي إختصار لـ Wiki Wiki، وفكرة عمل الموقع الذي صممه والتي تتمثل في سرعة تحديث وتحرير الصفحات، إعتقادا على مشاركة الجمهور العام، هذا وقد دخل مصطلح الويكي إلى قاموس أكسفورد Oxford English Dictionary على الخط المباشر في 15 مارس 2007، وتشجع مواقع ويكي على العمل الجماعي لإثراء الموقع، فمعظم مواقع ويكي لا تطلب من المستخدم تسجيل بياناته ليكون عضوا في الموقع (عمامشة، 2012)، ومن بين أنواع المواقع يوجد مواقع الويكي (wiki sites)، وهي مواقع مفتوحة النصوص يمكن للزوار المشاركة بتعديلها أو الكتابة بها وإثرائها (العريشي، والغانم، 2011، ص ص 09-84)، وعندما نتحدث عن الويكي، أول ما يخطر ببالنا الويكيبيديا (Wikipedia) التي يصفها البعض بازدواجية الهوية، حيث أنها مشروع تعاوني على الأنترنت وموسوعة أو دائرة معارف (قشاشة. تطبيقات الويب 2.0 في المكتبات: الويكي. www.cybrarians.info/journal/).

7.3.1. ماي سبيس myspace: موقعها على الأنترنت www.myspace.com، تعد ثاني شبكة إجتماعية في الإستخدام بعد فايسبوك، لكنها لا تدعم اللغة العربية (مجاهد، 2010، ص 12)، هذا وتوجد شبكات إجتماعي أخرى البطاقات الإجتماعية (social tagging)، بيبو bebo، فريند ستر friendster، هاي فايف hi5، برف سبات perfspot، زوربيا zorpia، نيت لوج netlog، لينكدن linkedin .

2. إستخدام الأساتذة الباحثين للشبكات الاجتماعية بالجامعات الجزائرية: (أدرار، مستغانم، وهران): تتناول هذه الدراسة إستخدام الأساتذة والباحثين للشبكات الاجتماعية بأقسام علوم الإعلام والاتصال بجامعات أدرار، مستغانم، وهران، وبغرض التعرف على إشكالية الموضوع والوصول إلى نتائج عامة حول الموضوع حددت الدراسة كما يلي:

1.2. حدود الدراسة: لكل دراسة ميدانية مجال جغرافي أو مكاني، ومجال زمني محدد، بالإضافة إلى المجال البشري، ومن هذا المنطلق تتجسد دراستنا في مجموعة من المجالات الآتية:

- المجال الجغرافي: وهو المجال الجغرافي المتعلق بالموضوع الذي يجري فيه الباحث دراسته، وفي هذه الدراسة تمثل المجال الجغرافي بقسم علوم الاعلام والاتصال بجامعة وهران (ولاية وهران غرب الجزائر)، قسم علوم الاعلام والاتصال بجامعة مستغانم (ولاية مستغانم غرب الجزائر)، قسم علوم الاعلام والاتصال بجامعة أدرار (ولاية أدرار الجنوب الغربي الجزائري).

- المجال الزمني: وهو الوقت الذي إستغرقته الدراسة النظرية والميدانية، المتعلقة بموضوع البحث، وقد كان الوقت المستغرق في إجراء دراستنا النظرية بداية شهر أكتوبر 2014 بالتفكير في ملخص وموضوع الدراسة، وبعد رد

اللجنة العلمية للمؤتمر بالموافقة شرعنا في إعداد الاستبيان والجانب النظري للدراسة، حيث يمثل تاريخ 15 نوفمبر 2014 بداية توزيع الاستبيان على عينة الدراسة وهذا بعد تحكيم الاستبيان.

- المجال البشري: يتمثل في أفراد العينة التي تؤخذ من المجتمع الأصلي، من مجموع الأشخاص الذين تشملهم الدراسة، وفي هذه الدراسة تم إختيار عينة مقصودة تشمل الأساتذة الباحثين بأقسام علوم الإعلام والاتصال بجامعة وهران مستغانم وأدرار، فكان عدد الأساتذة الباحثين حسب المعلومات المسترجعة بواسطة أدوات جمع المعطيات، كالاتي: تم توزيع (61) إستبيانا في البداية، منها (30 إستبيانا) بقسم علوم الاعلام والاتصال بجامعة وهران، (25) إستبيانا) بقسم علوم الاعلام والاتصال بجامعة مستغانم، وفي الأخير (06 إستبيانات) على الأساتذة الباحثين بجامعة أدرار، وبعد إسترجاع الإستبيانات تحصلنا على (17 إستبيانا)، بقسم علم المكتبات بجامعة وهران، (15) إستبيانا) بجامعة مستغانم، أما بقسم علوم الاعلام والاتصال بجامعة أدرار إسترجعنا (05 إستبيانات)، وبالتالي وصل مجموع الإستبيانات المسترجعة 37 إستبيانا.

2.2. أدوات الدراسة: يعتبر الاستبيان هو الأداة الرئيسية لهاته الدراسة، حيث إستخدمناه من أجل التعرف على مدى إستخدام الباحثين واقع إستخدامات وسائل التواصل الاجتماعي بالجزائر من خلال الأساتذة والباحثين في أقسام علوم الإعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية نموذجاً.

- أسلوب جمع البيانات: قمنا بتوزيع الإستبيانات على عينة الدراسة وقد حاولنا الوقوف على عملية الإجابة من طرف أفراد العينة، ولكن نظراً لأن عينة الدراسة كانت موزعة جنوباً وغرباً، واجهتنا صعوبات في إسترجاع الاستبيانات.

3.2. التعريف بعينة الدراسة: شملت دراستنا أقسام علوم الاعلام والاتصال بثلاثة جامعات جزائرية هي جامعة وهران، مستغانم، أدرار، ونحاول فيما يلي التعريف بكل جامعة على حدى.

- **جامعة مستغانم:** أدمج التعليم العالي بمدينة مستغانم منذ سنة 1969 مع إنشاء المعهد التكنولوجي الفلاحي، في سنة 1978 تم إنشاء المركز الجامعي الذي بدأ في التكوين العالي في العلوم الدقيقة البيولوجيا والجدع المشترك للعلوم الطبية، في 07-07-1989 تم إنشاء جامعة عبد الحميد بن باديس بمدينة مستغانم عبر المرسوم التنفيذي رقم 220-98، في سبتمبر 1998 تم إنشاء كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية وهي تضم ميدانين، ميدان العلوم الاجتماعية ويتكون من علم النفس ويتكون من علم النفس وعلم الاجتماع والفلسفة، أما ميدان العلوم الإنسانية فيتكون من علوم الاعلام والاتصال وعلم المكتبات والتوثيق، وفي سبتمبر 2002 تم انشاء قسم علم الاعلام والاتصال الذي أصبح يطبق نظام ال.م.د. منذ سبتمبر 2006، وهو يضم 25 أستاذ يوظرون 930 طالب في مختلف المستويات والتخصصات، وسائل الإعلام والمجتمع، الإتصال السمي البصري والفضاءات العمومية، إتصال: الصورة والمجتمع، صحافة علمية، صحافة واتصال، اتصال سياحي.

- جامعة أدرار: نشأة أول نواة جامعية بولاية أدرار بموجب المرسوم رقم 86-118، بتاريخ 06-05-1986، والمتضمن إنشاء المعهد الوطني العالي للشريعة، ليتوسع إلى الجامعة بموجب المرسوم التنفيذي رقم 01-269، المؤرخ بـ 18-09-2001، يتبع قسم علوم الاعلام والاتصال الى كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية والعلوم الإسلامية.

- جامعة وهران: تقع في غرب الجزائر في ولاية وهران، تم إنشاؤها أول مرة في نوفمبر 1961 حيث كانت ملحقة بجامعة الجزائر، وفي 13 أبريل 1965 تحولت إلى مركز جامعي، وفي 20 ديسمبر 1967 حولت رسميا إلى جامعة، وتعتبر جامعة وهران من أهم وأكبر الجامعات في الجزائر، يتخرج منها سنويا آلاف الطلبة في جميع الإختصاصات من كل أنحاء الجزائر ومن الدول العربية والأجنبية أيضا، كما تساهم في التأطير العلمي والبيداغوجي للعديد من الجامعات والمراكز الجامعية بغرب الجزائر، تضم 09 كليات (الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، 2012، ص 08) ومعهد الصيانة والأمن الصناعي (معهد وطني)، مدرسة عليا لأساتذة التعليم التكنولوجي (مدرسة وطنية)، و 34 قسم و 82 مجال تكويني في جميع التخصصات.

4.2. عرض وتحليل بيانات الدراسة:

- مجتمع الدراسة: تمثل مجتمع الدراسة كما هو موضح في الجدول الموالي:

الجامعة	عدد الأساتذة	عدد الاستمارات الموزعة	عدد الاستمارات المسترجعة
جامعة وهران	30	30	17
جامعة مستغانم	25	25	15
جامعة أدرار	6	6	5
المجموع	61	61	37

الجدول رقم 01. يمثل مجتمع الدراسة.

- عينة الدراسة حسب الجنس: أظهرت الإحصائيات أن عينة الدراسة حسب معيار الجنس كما هو موضح في الجدول الموالي.

النسبة المئوية %	التكرار	الجنس	عدد
64.86	24	ذكر	37
35.13	13	أنثى	
100	37	المجموع	

الجدول رقم 02. يمثل عينة الدراسة حسب الجنس.

يمثل الجدول أعلاه التوزيع النسبي لعينة الدراسة حسب الجنس، حيث بلغت نسبة الباحثين الذكور 64.86 % من مجموع الأساتذة والباحثين الذين شملتهم الدراسة، وقد توزعت هاته النسبة بمختلف فئات عينة الدراسة حيث كانت نسبة الأساتذة والباحثين الذكور أكبر من الأساتذة والباحثات الإناث في مختلف أقسام علوم الاعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية التي شملتها الدراسة، حيث بلغت نسبة الأساتذة والباحثات الإناث 35.13 %، وهنا نلاحظ أنه رغم إكتساح المرأة لعالم الشغل، وإرتفاع عدد الإناث مقارنة بالذكور في الجامعات الجزائرية، الناتج عن ديمقراطية التعليم والمساواة بين المرأة والرجل، وعدم مواصلة الذكور للتعليم بسبب الرغبة في العمل

مبكرا، وأداء واجب الخدمة الوطنية الذي يكون عائقا أمام الطلبة الذكور والذين يكونون متفوقين أحيانا، وبالتالي يجرمون من مسابقات الماجستير التي تسمح لهم فيما بعد أن يكونوا أساتذة وباحثين بالجامعات، إلا أن عدد الأساتذة الذكور بأقسام علوم الاعلام والاتصال بجامعات (وهران، مستغانم وأدرار) بالجزائر يرتفع مقارنة بعدد الأساتذة من جنس الإناث، ومن هنا تكون الدراسة قد كشفت على أن جل الأساتذة والباحثين بجامعات (وهران، مستغانم وأدرار) بالجزائر هم من الذكور.

- **المؤهلات العلمية لعينة الدراسة:** تختلف المؤهلات العلمية للأساتذة والباحثين بأقسام علوم الاعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية التي شملتها الدراسة، إلا أن المستوى الأدنى للأساتذة والباحثين هو شهادة الماجستير، والتي تعتبر بمثابة الشرط الأساسي للتدريس بالجامعة، والجدول الموالي يوضح مؤهلات الأساتذة والباحثين الذين شملتهم الدراسة:

النسبة المئوية %	التكرار		
83.78	31	ماجستير	ب
16.21	6	دكتوراه	
100	37	المجموع	

الجدول رقم 03. يمثل عينة الدراسة حسب المؤهل العلمي.

يشير الجدول إلى التوزيع النسبي للأساتذة والباحثين في مجال علوم الاعلام والاتصال بالجامعات الجزائرية الذين شملتهم الدراسة حسب المؤهل العلمي، حيث بلغت نسبة الأساتذة والباحثين المتحصلين على شهادة دكتوراه في علوم الاعلام والاتصال 16.21 %، في حين بلغت بنسبة المتحصلين منهم على شهادة الماجستير في نفس التخصص 83.78 %، ومن هنا نستنتج أن الأساتذة والباحثين الجزائريين في مجال علوم الاعلام والاتصال بجامعات وهران مستغانم وأدرار تتباين مستوياتهم العلمية ما بين الحاصلين على شهادة دكتوراه والماجستير، وهذا ما سيسمح بدفع عجلة البحث العلمي في مجال علوم الاعلام والاتصال إلى الأمام، من خلال النسب والأعداد السابقة الذكر، التي توضح وجود نخبة من الباحثين على اختلاف مستوياتهم العلمية تعتبر قاعدة أرضية خصبة للبحث العلمي في مجال علوم الاعلام والاتصال بالجزائر.

- **عينة الدراسة حسب المهنة:** تختلف المؤهلات العلمية السابقة لأساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات عينة الدراسة تنبثق عنها بالمقابل رتب في مهنة التدريس بالجامعة حسب سلم الرتب، ولهذا يوضح الجدول الموالي مختلف رتب الأساتذة والباحثين الذين شملتهم الدراسة حسب مهنة التدريس.

النسبة المئوية %	التكرار		
8.10	3	أستاذ التعليم العالي	ب
18.91	7	أستاذ محاضر	
40.54	15	أستاذ مساعد	
32.24	12	أستاذ مؤقت	
100	37	المجموع	

الجدول رقم 04. يمثل عينة الدراسة حسب المهنة.

من خلال الجدول أظهرت الدراسة أن الأساتذة والباحثين الجزائريين في علوم الاعلام والاتصال بجامعة وهران مستغنام وأدرار، يشتغلون في رتب متنوعة بالجامعات الجزائرية حيث بلغت نسبة أساتذة التعليم العالي منهم 8.10 %، و 7 أساتذة محاضرين بنسبة 18.91 %، و 25 أستاذا محاضرا رتبة "ب" بنسبة 13.73 %، و 15 أستاذا مساعدا بنسبة 40.54 %، و 12 أستاذا مؤقتا بنسبة 32.24 %، ومن هنا نستنتج أن الأساتذة والباحثين الجزائريين في مجال علوم الاعلام والاتصال يشغلون رتبا متعددة في الجامعات الجزائرية، فتبين أن هناك إقبال على محاولة الوصول إلى المراتب العليا من خلال سلم التعليم العالي والبحث العلمي، وهذا ما يفسر أن هناك حركة من خلال الترقية من رتبة مساعد "ب" إلى مساعد "أ"، والمرتبطة أساسا بضرورة التسجيل في رسالة الدكتوراه بثلاثة تسجيلات، ثم الترقية إلى أستاذ محاضر "ب" والتي تشترط مناقشة رسالة الدكتوراه وهاته الأخيرة في حد ذاتها تتطلب نشر مقال علمي في مجلة علمية محكمة في التخصص، ثم التأهيل إلى رتبة أستاذ محاضر "أ" بعد سنة من المناقشة لرسالة الدكتوراه من خلال الأعمال العلمية التي يقوم بها الباحث، وهنا نستنتج وجود علاقة بين ممارسة البحث العلمي من خلال العملية التعليمية بالجامعة، ثم ارتباط البحث العلمي بالتدريس ورتبه.

- عينة الدراسة حسب أماكن العمل: إختلفت أماكن عمل عينة الدراسة جغرافيا، ويمثل الجدول رقم 05. عينة الدراسة حسب تلك الأماكن:

النسبة المئوية %	التكرار		
45.94	17	جامعة وهران	وهران
40.54	15	جامعة مستغنام	
13.51	5	جامعة أدرار	
100	37	المجموع	

الجدول رقم 05. يمثل عينة الدراسة حسب مكان العمل.

من خلال الجدول يتضح لنا أن نسبة 45.94 % من أساتذة علوم الاعلام والاتصال يشتغلون بجامعة وهران، ونسبة 40.54 % منهم يشتغلون بجامعة مستغنام، بينما نسبة 13.51 % من الأساتذة بجامعة أدرار، وهذه النسب نرجعها إلى قدم جامعة وهران تاريخيا، حيث أن أغلب الأساتذة العاملين بجامعة مستغنام تخرجوا من جامعة وهران، بل وجدنا منهم أساتذة مساعدين مسجلين لتحضير شهادة الدكتوراه بنفس الجامعة، وهو نفس الشيء الذي لمسناه بجامعة أدرار حيث أن ثلاثة أساتذة من مجموع عينة الدراسة بهاته الجامعة أستاذ تخرج من جامعة وهران وأستاذين مساعدين مسجلين لتحضير شهادة الدكتوراه بجامعة وهران، كما أن تخصص علوم الإعلام بجامعة أدرار حديث، بحيث تخرجت ثلاثة دفعات فقط في علوم الاعلام والاتصال إلى غابة اليوم مع بداية فتح الماستر هذا الموسم في تخصص الصحافة المكتوبة، وبالتالي فإن هذه النتائج طبيعية حيث أن قدم جامعة وهران بالنسبة لجامعتي مستغنام وأدرار هو السبب في ذلك.

- عينة الدراسة حسب استخدام الأنترنت: استخدام الحاسوب والأنترنت يكاد يكون من ضروريات البحث العلمي في يومنا بسبب الخصوصيات التي تتميز بها هاته التقنيات في مجال البحث العلمي بصفة عامة، ولهذا

نحاول من خلال الجدول الموالي معرفة مدى استخدام أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -أدرار، وهران، مستغانم- الجزائرية لشبكة الانترنت:

النسبة المئوية %	التكرار	
100	37	نعم
00	00	لا
100	37	المجموع

الجدول رقم 06. يمثل استخدام عينة الدراسة للإنترنت.

من خلال الجدول يتضح لنا أن هناك إجماع لأساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية على استخدام شبكة الإنترنت، حيث بلغت المسبة 100 %، وهذا مؤشر يدعو على الارتياح، حيث يعني هذا ارتباط الأساتذة والباحثين بكل ما هو جديد في مجال تخصصهم، كما يعزز إمكانية تبادل الخبرات في تخصص علوم الاعلام والاتصال بالجزائر والعالم العربي على حد سواء، وهو ما نطمح له من خلال هاته الدراسة، حيث أن استخدام الأساتذة والباحثين في تخصص علوم الاعلام والاتصال لشبكة الانترنت يمكنهم من الإطلاع عن ما هو جديد في التخصص، والإشكاليات الحديثة التي تعالجها مختلف الجامعات العالمية والعربية، كما يعد الإنترنت فضاء غير محدود بحيث يمكن الأساتذة والباحثين من الاتصال في أي وقت ومن أي مكان في العالم يتوفر فيه جهاز حاسوب مرتبط بالإنترنت، وهذا ما يؤكد أهمية الإنترنت بالنسبة للأساتذة والباحثين بكل أصنافهم في البحث العلمي، كما نستنتج أيضا إستعداد غالبية عينة الدراسة للتعامل مع الإنترنت والحاسوب في مجالهم البحثية.

- أماكن استخدام عينة الدراسة لشبكة الإنترنت: الاستخدام الكلي لأساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية، دفعنا إلى معرفة الأماكن التي يتم فيها هذا الإستخدام، بغرض التعرف على المكان المفضل لدى الأساتذة والباحثين في استخدام الإنترنت طرحنا هذا السؤال على الأساتذة والباحثين الذي شملتهم الدراسة فكانت النتائج كما هو موضح في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
35.13	13	الجامعة
24.32	9	بمقاهي الإنترنت
83.78	31	المنزل

الجدول رقم 07. يمثل عينة الدراسة حسب أماكن استخدامهم للإنترنت.

من خلال الجدول يتضح أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يستخدمون شبكة الإنترنت بالجامعات السابقة الذكر بنسبة 35.13 %، وهذه النسبة قليلة سببها هو الخلل الذي يتخلل شبكة الإنترنت المتاحة للأساتذة داخل الجامعات الجزائرية، والتي منها عينة الدراسة، حيث أنها غير كافية تماما لحاجيات الأساتذة، فنجد أن غالبية الأساتذة لا يمتلكون مكاتب خاصة بهم مرتبطة بشبكة الإنترنت، فتكتفي الجامعات عينة الدراسة بتخصيص قاعات للأساتذة خاصة بالإنترنت، لكن الشبكة بها بطيئة أحيانا ومنقطعة أحيانا أخرى، وهو ما جعل نسبة 24.32 % من الأساتذة والباحثين يستخدمون شبكة الإنترنت بمقاهي

خاصة بالإنترنت خارجة أسوار الجامعة، نظرا لما تقدمه لهم من حرية وخدمات يفتقدونها بقاعات الإنترنت داخل أسوار الجامعة، ولهذا تلجأ نسبة 83.78% من الأساتذة والباحثين إلى استخدام الإنترنت بمنزلهم، بسبب بعد قاعات الإنترنت عن أماكن التدريس، وهو ما يجعلهم يفضلون الاتصال بالإنترنت في المنزل، وهنا يمكن الإشارة إلى أن الحواسيب المعطلة التي تنتظر الصيانة والتجديد يتطلب إجراءات إدارية لإصلاحها وربطها بشبكة الإنترنت من جديد بالجامعة، كما قد تكون هاته الأجهزة سليمة لكنها أصيبت بفيروسات تسببت في عطلها، من خلال ما سبق يمكن أن نستنتج أن الأساتذة والباحثين في علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يستخدمون شبكة الإنترنت بأماكن مختلفة، لكن أغليبتهم يفضلون استخدام شبكة الإنترنت بمنزلهم، وهذا يظهر مدى إرتباط الأساتذة والباحثين باستخدام الإنترنت، في إعداد بحوثه سواء تعلق الأمر برسائل الدكتوراه والماجستير، أو بالبحث في مشاريع البحث بأنواعها، أو بإعداد البحوث للنشر والمشاركة في المنتقيات الدولية أو الوطنية.

- معدل استخدام عينة الدراسة للإنترنت: من خلال هذا السؤال نرغب إلى معرفة معدل استخدام الأساتذة والباحثين الذين شملتهم الدراسة لشبكة الإنترنت بعدما تعرفنا على أماكن استخدامهم لها، فكانت النتائج كما هو موضح في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
78.37	29	يومي
21.62	8	أسبوعي
00	00	شهري
100	37	المجموع

الجدول رقم 08. يمثل معدل استخدام عينة الدراسة للإنترنت.

يمثل الجدول معدل استخدام أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية لشبكة الإنترنت في اليوم والأسبوع والشهر، وقد أوضحت نتائج الدراسة أن أغلبية الأساتذة يستخدمون شبكة الإنترنت يوميا بنسبة 78.37%، أما استخدامهم الأسبوعي فقد بلغ نسبة 21.62%، في حين كان الإستخدام الشهري لشبكة الإنترنت بنسبة 21.62%، وهذه النسبة طبيعية جدا بالرجوع إلى الجدول السابق، حيث لا حظنا أن أغلبية عينة الدراسة يستخدمون الإنترنت بمنزلهم، وطبيعي أن الأستاذ الباحث الذي الإنترنت بمنزله سيقوم باستخدامها يوميا، من أجل الإطلاع عن كل ما هو جديد في موضوع بحثه، وطرح إستفسارات عن طريق الإتصال بالخبراء أو الزملاء أو الطلبة، أو إعداد بحوثه، كأن يعد مقالا للنشر أو للمشاركة في مؤتمر دولي أو ملتقى وطني، كما قد يستخدم الإنترنت أيضا في إعداد رسالته للدكتوراه، أو مشروع بحثه، وهذا ما يفسر إستخدام الأساتذة الباحثين للإنترنت بصفة يومية، حيث أن الباحث يجب أن يبقى على علم وإطلاع بكل ما هو جديد في مجال بحثه، وسيكون له ذلك من خلال إستخدامه لشبكة الإنترنت بصفة دورية.

- غرض استخدام عينة الدراسة للأنترنت: نحاول من خلال هذا السؤال معرفة غرض الأساتذة الباحثين بأقسام علوم الاعلام والاتصال في جامعات (وهران، مستغانم، أدرار) من استخدامهم لشبكة الأنترنت فتحصلنا على النتائج الممثلة في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
72.97	27	تصفح البريد الالكتروني
78.37	29	البحث عن المعلومات
45.94	17	نشر مقالات وأبحاث
29.72	11	تقاسم الصور والفيديو
62.16	23	الأخبار اليومية

الجدول رقم 09. يمثل أغراض استخدام عينة الدراسة للأنترنت.

من خلال الجدول يتضح لنا تباين الغرض من استخدام الأنترنت بالنسبة لأساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية، حيث بلغت نسبة الأساتذة الذين يستخدمون شبكة الأنترنت بغرض البحث عن المعلومات كمرتبة أولى 78.37 %، وهذا سببه حجم ونوعية المعلومات التي تحتويها شبكة الأنترنت التي أصبحت تشكل ملاذاً للأساتذة والباحثين في الحصول على المعلومات التي يحتاجونها، من خلال محركات البحث المتنوعة ومواقع كليات علوم الاعلام والاتصال في العالم والعالم العربي، إضافة إلى المكتبات الرقمية المتخصصة في علوم الاعلام والاتصال وقواعد المعطيات في هذا التخصص، ثم يأتي غرض تصفح البريد الالكتروني بنسبة 72.97 %، ويأتي غرض الإطلاع على الأخبار اليومية في المرتبة الثالثة بنسبة 62.16 %، من خلال مواقع الصحف التي تحولت إلى صحف إلكترونية، إضافة إلى مواقع التلفزيونات، ويأتي غرض نشر مقالات وأبحاث في المرتبة ما قبل الأخيرة بنسبة 45.94 %، وبالرغم من أهمية تقاسم الصور والفيديو بالنسبة لأساتذة علوم الإعلام والاتصال إلا أن استخدام شبكة الأنترنت لهذا الغرض كان في المرتبة الأخيرة بنسبة 29.72 %، وهو ما يستدعي ضرورة لفت انتباه الأساتذة الباحثين لهذه الغرض المهم من خلال شبكة الأنترنت، عن طريق أيام دراسية أو ملتقيات وطنية يستفيد منها الطلبة في الدراسات العليا في علوم الإعلام والاتصال بالجزائر، ومن هنا نستنتج أن غرض استخدام أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية للأنترنت يختلف من أستاذ لآخر، لكن يركز الأساتذة على البحث عن المعلومات في شبكة الأنترنت وتصفح البريد الالكتروني الذي يعد من خدمات الأنترنت.

- وسائل اتصال الأساتذة بالإدارة في الجامعة: نتحول من خلال هذا السؤال معرفة الوسيلة التي يتصل بها أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات - وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية بأماكن عملهم، فتحصلنا على النتائج المبينة في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
59.45	22	بالبريد الإلكتروني
37.83	14	ورقيا
18.91	7	بالموقع الإلكتروني للجامعة

الجدول رقم 10. يمثل وسائل اتصال عينة الدراسة مع مكان العمل.

من خلال الجدول نلاحظ أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يتصلون بأماكن عملهم بواسطة البريد الإلكتروني بنسبة 59.45 %، حيث لجأت أغلبية إدارات الجامعات والكليات والأقسام إلى إنشاء بريد إلكتروني خاص بالأساتذة يتم من خلاله إبلاغهم بمواقيت الاجتماعات والامتحانات وغيرها من المهام البيداغوجية، والبحثية، لكن يبدو أن هناك جامعات لا تزال تعتمد الطرق التقليدية في التعامل مع الأساتذة من خلال الورق، وهو ما يفسر نسبة 37.83 %، حيث أن الدعوات الرسمية لانعقاد اللجان العلمية والمجالس العلمية على سبيل المثال ترسل ورقيا بجامعة أدرار كما أن الاتصال بالأساتذة يكون عن طريق هاتف قسم علوم الاعلام والاتصال، وهو ما يجعل الأستاذ يقلع عن استخدام البريد الإلكتروني، وأخيرا لا يولي الأساتذة الباحثين إهتماما للمعلومات المعروضة بالمواقع الإلكترونية للجامعات إلا بنسبة 18.91 %، وهذا بسبب عدم فاعلية بعض مواقع الجامعات التي تحولت إلى صحف ويب جامدة، تقتصر على إعلانات مسابقات التوظيف فقط وإعلانات الملتقيات العلمية، إضافة إلى اعتماد الأساتذة على الوسائل السابقة الذكر، كما أن هناك بدائل ورقية عن الإعلانات والنشاطات التي تجري داخل الجامعات تعلق في أماكنها بأقسام الجامعات، ومن هنا نستنتج أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية، يستخدمون مجموعة من وسائل الإتصال مع أماكن عملهم لكن غالبتهم يفضلون الإتصال بواسطة البريد الإلكتروني ثم يأتي الورق في المرتبة الثانية، بينما تبقى مواقع الجامعات محل إهتمام الأقلية مما يدل على النقص الواضح في بعضها، مما يتطلب تصميم مواقع ويب تستهوي الأساتذة والباحثين لتصفحها، بالاعتماد على المعايير الدولية لتصميم مواقع الويب.

- استخدام عينة الدراسة لوسائل التواصل الاجتماعي: بعد ما تعرفنا على استخدام أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية للأنترنت، وغرضهم من استخدامها، حاولنا التساؤل عن استخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي، يمثل الجدول الموالي الإجابة عن هذا التساؤل:

النسبة المئوية %	التكرار	
97.29	36	نعم
2.70	1	لا
100	37	المجموع

الجدول رقم 11. يمثل عينة الدراسة حسب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

يتبين لنا من خلال الجدول أن نسبة 97.29 % من أساتذة علوم الاعلام والاتصال بعينة الدراسة يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي، وهذه النتيجة طبيعية ومتوقعة حيث أن أساتذة عينة الدراسة كلهم يستخدمون شبكة الانترنت، والتي من بينها مواقع وسائل التواصل الاجتماعي.

- أجهزة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي: للاتصال بوسائل التواصل الاجتماعي تستخدم مجموعة من الأجهزة حاولنا من خلال هذا السؤال معرفة مدى استخدامها من طرف عينة الدراسة فتوصلنا إلى النتائج المبينة بالجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
37.83	14	جهاز الكمبيوتر
72.97	27	الكمبيوتر المحمول
40.54	15	الهاتف النقال

الجدول رقم 12. يمثل عينة الدراسة حسب أجهزة إستخدام وسائل التواصل الإجتماعي.

من خلال الجدول يتبين لنا أن نسبة 72.97 % من أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية يستخدمون الكمبيوتر المحمول في استخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي، وهذا سببه استعمال الأساتذة للحواسيب المحمولة في التدريس وإعداد البحوث، وبالتالي استغلاله في الاتصال بالإنترنت عن طريق وسائل التواصل الاجتماعي، ثم إن خصوصية الكمبيوتر المحمول تجعل الباحثين يفضلونه عن الكمبيوتر الثابت، لكن رغم هذا نجد نسبة 37.83 % يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي بواسطة الكمبيوتر الثابت، ونسبة 40.54 % يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي بواسطة هواتفهم النقالة، ومن هنا نستنتج تنوع أجهزة الاتصال بالنسبة للأساتذة الباحثين الذين شملتهم الدراسة، وهو أمر يدعو على التفاؤل في ارتباط أساتذة عينة الدراسة بوسائل التواصل الاجتماعي بتجهيزات وطرق متعددة.

- كيفية تعلم عينة الدراسة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي: نحاول فيما يلي التعرف على الكيفية التي تعلم بها أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، فتحلنا على النتائج الممثلة في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
78.37	29	ذاتيا
13.51	5	بمساعدة الأصدقاء
8.10	3	دورات تدريبية
100	37	المجموع

الجدول رقم 13. يمثل كيفية تعلم عينة الدراسة لاستخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

نظرا لعدم تعقد طرق التسجيل واستخدام وسائل التواصل الاجتماعي وجدنا نسبة 78.37 % من الأساتذة الباحثين تعلموا استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ذاتيا، وهذه النسبة طبيعية ومقبولة، في ظل انعدام دورات تدريبية بالجامعات الجزائرية لتعليم الأساتذة الجامعيين، حيث تقل الأيام الدراسية أو الدورات التدريبية لتعليم الأساتذة استخدام وسائل التواصل الاجتماعي، وهذا ما تؤكد نسبة 8.10 % من الأساتذة الذين استفادوا من دورات تدريبية في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي قد تكون خارج الجامعة كما قد تكون خارج الوطن، أما نسبة 13.51 % من الأساتذة الباحثين الذين تعلموا عن طريق الأصدقاء فإننا نرجعها إلى الخصوصية في المعلومات، حيث يفضل البعض عدم إطلاع الآخرين على معلوماته الخصوصية في وسائل التواصل الاجتماعي، وبالتالي فإن غالبية أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية تعلموا كيفية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ذاتيا.

- الشبكات الاجتماعية المستخدمة لعينة الدراسة: بعدما تعرفنا على الطريقة التي تعلم بها الأساتذة الباحثون استخدام وسائل التواصل الاجتماعي نحاول التعرف عن ما يستخدمه الأساتذة منها فكانت النتائج كالتالية:

النسبة المئوية %	التكرار	
91.89	34	Facebook
29.72	11	LinkedIn
43.24	16	Twitter
45.94	17	Youtube
00	00	Myspace
2.70	1	Friendster
13.51	5	Blogs
5.40	2	Flickr
21.62	8	wiki

الجدول رقم 14. يمثل الشبكات الاجتماعية التي تستخدمها عينة الدراسة.

من خلال الجدول يتضح لنا أن الشبكة الاجتماعية فايسبوك تأتي في المرتبة الأولى من حيث الاستخدام بنسبة 91.89 %، وهذه النتيجة طبيعية حيث تفتح شبكة الفايسبوك مجالاً واسعاً للردشة والاتصال بمختلف التقنيات، مع إمكانية نشر المعلومات والتعليق عليها في نفس الوقت، وبهذا في تعد فضاء لفتح الحوار بكل حرية بين الأساتذة وزملائهم وبين الأساتذة وطلبتهم، مما يسمح بتنمية المهارات المهنية والبيداغوجية، كما يسمح بالاتصال خارج أسوار الجامعة في أي وقت، ثم تأتي في المرتبة الثانية شبكة تقاسم الفيديو يوتيوب بنسبة 45.94 %، وهذا من خلال الفيديوهات العلمية والترفيهية التي تتيحها شبكة اليوتيوب، ثم شبكة تويتر بنسبة 43.24 %، وبالرغم من أهمية شبكة لينكيندن التي تربط المختصين بعضهم البعض إلا أنها لا تحظى باهتمام أساتذة علوم الاعلام والاتصال إلا بنسبة 29.72 %، في حين تتدرج باقي الشبكات في الإنخفاض من حيث الاستعمال بداية بالويكي بنسبة 21.62 %، (المدونات) البلوج بنسبة 13.51 %، ثم الفليكر بنسبة 5.40 %، وأخيراً فراندستر بنسبة 2.70 %، أما شبكة مايستيس فإنها غير مستعملة تماماً من طرف الأساتذة، وبهذا اختلف استخدام شبكات التواصل الاجتماعي لدى أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية، مع تسجيل استخدام أغلبية الأساتذة لشبكة الفايسبوك.

- سبب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي: نسعى من خلال هذا العنصر للوصول إلى أسباب استخدام وسائل التواصل الاجتماعي من طرف أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية فكانت النتائج كما هو موضح في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
43.24	16	للتسلية والترفيه
83.78	31	للتواصل العلمي والدراسي
32.43	12	لبناء علاقات اجتماعية
40.54	15	التعرف على ثقافة الآخرين
81.08	30	للحصول على الأخبار فوراً

الجدول رقم 15. يمثل أهداف عينة الدراسة من استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

تنوعت أسباب ودوافع استخدام وسائل التواصل الاجتماعي لدى أساتذة عينة الدراسة حيث كان استخدامهم لوسائل التواصل الاجتماعي بغرض التواصل العلمي والدراسي بنسبة 83.78 %، والحصول على الأخبار فوراً بنسبة 81.08 % على التوالي، بينما يأتي في المرتبة الثانية استخدامهم بهدف للتسلية والترفيه بنسبة 43.24 % والتعرف على ثقافة الآخرين بنسبة 40.54 %، وأخيراً يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي في بناء علاقات اجتماعية بنسبة 32.43 %، وبالتالي نستنتج أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي للأغراض العلمية والإخبارية أكثر من الأغراض الثقافية كالترفيه والتسلية.

- تواصل الأساتذة مع الطلبة بوسائل التواصل الاجتماعي: تمكن وسائل التواصل الاجتماعي الطلبة الجامعيين من الاتصال بأساتذتهم خارج قاعات التدريس، وهو ما يسمح باستمرار الحوار والنقاش خارج أسوار الجامعة، مما يعطي فرصة للطلبة في طرح أسئلة على أساتذتهم قد لا تتاح لهم الفرصة للسؤال عنها داخل القاعات بدافع الاستحياء أو الخجل من الأستاذ، أو لضيق الوقت وانشغالات الأساتذة داخل الجامعة، ولهذا الغرض طرحنا هذا السؤال على أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية فتوصلنا إلى النتائج التالية:

النسبة المئوية %	التكرار	
75.67	28	نعم
24.32	9	لا
100	37	المجموع

الجدول رقم 16. يمثل تواصل عينة الدراسة مع الطلبة بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي.

وجدنا من خلال الجدول أن نسبة 75.67 % من أساتذة عينة الدراسة يتواصلون من طلبتهم بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي بينما نسبة 24.32 % لا يتواصلون بهاته الوسائل مع طلبتهم، ورغم أهمية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي التي تعتبر فضاء لتبادل الأفكار والمعارف خارج الجامعة حيث تتم مرافقة الطالب حتى خارج الجامعة علمياً وبيداغوجياً، كما تعطي فرصة للتفاعل الإيجابي الفوري، إلا أننا وجدنا نسبة من الأساتذة يفضلون الاتصال مع الطلبة داخل أسوار الجامعة بدون اللجوء إلى وسائل التواصل الاجتماعي، ورغم ذلك فإننا نخلص إلى أن غالبية أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يتواصلون مع طلبتهم باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

- استخدام الشبكات الاجتماعية في التواصل مع الأساتذة والمختصين: بعد ما تعرفنا على مدى تواصل أساتذة عينة الدراسة مع طلبتهم باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، نحاول فيما يلي معرفة مدى تواصل أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية مع زملائهم في تخصص علوم الاعلام والاتصال سواء داخل الجزائر أو خارجها، الجدول الموالي يوضح النتائج:

النسبة المئوية %	التكرار	
91.89	34	نعم

8.10	3	لا
100	37	المجموع

الجدول رقم 17. يمثل إستخدام عينة الدراسة للشبكات الاجتماعية في التواصل مع الأساتذة.

يتضح من خلال الجدول أن نسبة 91.89% من أساتذة عينة الدراسة يتواصلون مع زملائهم في تخصص علوم الاعلام والاتصال، بينما نسبة 8.10% لا تستخدم هاته الوسائل في التواصل، وهذه النتائج متوقعة حيث لاحظنا في العنصر السابق أن أغلبية الأساتذة الباحثين يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي في المجالات العلمية الدراسية، وبالتالي نستنتج أن معظم أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يتواصلون مع زملائهم عربيا وعالميا بوسائل التواصل الاجتماعي.

- أنواع مواقع التواصل الاجتماعي المفضلة: تأكيداً على معلومات العنصرين السابقين طرحنا هذا السؤال على أساتذة عينة الدراسة فكانت النتائج كما يلي:

النسبة المئوية %	التكرار	
89.18	32	العلمية المهنية
10.81	4	التي تربطك بأصدقائك وعائلتك
100	37	المجموع

الجدول رقم 18. يمثل نوع مواقع التواصل الاجتماعي المفضلة لدى عينة الدراسة.

من خلال الجدول وجدنا أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يفضلون وسائل التواصل الاجتماعي العلمية المهنية بنسبة 89.18%، على وسائل التواصل الاجتماعي التي تربطهم بأصدقائهم وعائلاتهم بنسبة 10.81%، وهو ما يستدعي إقناع الأساتذة بهذه الوسائل نظراً لأهميتها في التدريس والبحث العلمي، على أن يتم ذلك ضمن إطار علمي تغمره مبادئ العلم والتخلق بأخلاق البحث العلمي، وبالتالي وسائل التواصل الاجتماعي المفضلة لدى عينة الدراسة هي الوسائل العلمية والمهنية.

- مجالات التواصل بين الأساتذة: حاولنا من خلال هذا السؤال اقتراح مجموعة من الإجابات استخرجناها من واقع أساتذة علوم الاعلام والاتصال، وهي في نفس الوقت إجابات نهدف من خلال إلى تحديد مجالات التواصل بين الأساتذة بالعينة المدروسة فتوصلنا إلى النتائج المثلة في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
83.78	31	المؤتمرات، الملتقيات
8.10	3	إضافة دروس للطلبة بالفيديو
40.54	15	الإجابة على تساؤلات الطلبة
21.62	8	إجتماعات الأساتذة
29.72	11	إضافة إعلانات توظيف الطلبة والأساتذة
45.94	17	استرجاع معلومات لإعداد البحوث والدراسات
35.13	13	القضايا الاجتماعية العامة

الجدول رقم 19. يمثل مجالات تواصل عينة الدراسة بوسائل التواصل الاجتماعي.

يرتكز اهتمام أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية على المؤتمرات والملتقيات كمجال للتواصل باستخدام الشبكات الاجتماعية بنسبة 83.78%، وهذه النتيجة جد إيجابية ومتوقعة

حيث لاحظنا في العناصر السابقة أن اهتمام عينة الدراسة ينصب على الجانب العلمي، والذي من بينه المؤتمرات والملتقيات التي تعالج مختلف الإشكاليات في تخصص علوم الاعلام والاتصال، والتي من بينها إشكالية الإعلام الجديد ووسائل التواصل الاجتماعي التي يعالجها المؤتمر الذي نعد هذه الدراسة للمشاركة فيه إن شاء الله، ولهذا فإن الأستاذ اليوم يمكنه التعرف على مختلف المؤتمرات عالميا وعربيا في مجال تخصصه عن طريق الأساتذة والمتخصصين في المجال، كما يمكنه الحصول على إعلاناتها من خلال حسابات الجامعات على صفحات وسائل التواصل الاجتماعي وطرح انشغالاته مباشرة مع مصدر المعلومة، كما يستطيع تحميل وقائع المؤتمرات على شكل كتب ومطالعة توصياتها، ناهيك عن إمكانية مشاهدة المحاضرات مباشرة بالفيديو بواسطة شبكات تقاسم الفيديو التي من بينها اليوتيوب، كما لا يفوتنا أن نذكر أن البحث العلمي هو المهمة الثانية للجامعة بعد التعليم ومن بين مظاهر البحث العلمي المؤتمرات التي تنظمها الجامعات من حين لآخر لإيجاد حلول لمختلف مشكلات المجتمع الذي تتواجد فيه، ومن بينها ما تسببه وسائل التواصل الاجتماعي من مشكلات اجتماعية وأمنية عالميا وعربيا، بينما نجد نسبة 45.94% من عينة الدراسة يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي بغرض استرجاع معلومات لإعداد البحوث والدراسات والإجابة على تساؤلات الطلبة بنسبة 40.54% حيث يمكن للأستاذ الباحث اليوم أن ينطلق من حوار مع زميله أو مختص في مجال أو طالبه عبر وسائل التواصل الاجتماعي ليصل إلى مصادر المعلومات التي يبحث عنها في شبكة الأنترنت، وبالتالي تشكل وسائل التواصل الاجتماعي مفتاحا للوصول إلى مصادر المعلومات، أما القضايا الاجتماعية العامة فتشكل مجالا للتواصل بنسبة 35.13%، ومن غير المتوقع في هاته الدراسة إضافة الأساتذة دروسا للطلبة بالفيديو على وسائل التواصل الاجتماعي بنسبة 29.72% وهو ما يتطلب تشجيع الأساتذة على ذلك، مما يسهم في تنمية العملية التعليمية لدى طلبة الجامعات، بحيث يمكنهم استدراك محاضرات الأساتذة وإعادة متابعتها بالفيديو، مما يسهل عليهم إمكانية استيعابها، أما إجتماعات الأساتذة فكانت بنسبة 21.62% وهذا بسبب وجود خدمة أخرى للأنترنت تنوب عن وسائل التواصل الاجتماعي هي البريد الإلكتروني، وبالتالي نستنتج أن أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية يركزون على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في مجالات البحث العلمي مقارنة بالمجالات الأخرى.

- الصداقات العلمية بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي: بعد ما تعرفنا على مجالات تواصل أساتذة عينة الدراسة بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي، نتساءل عن مدى الصداقات العلمي التي كونها أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعات -وهران، مستغانم، أدرار- الجزائرية بوسائل التواصل الاجتماعي، فكانت النتائج كما يلي:

النسبة المئوية %	التكرار	
91.89	34	نعم
8.10	3	لا
100	37	المجموع

الجدول رقم 20. يمثل الصداقات العلمية لعينة الدراسة بواسطة وسائل التواصل الاجتماعي.

يبين الجدول أن نسبة 91.89 % من أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية كونوا صدقات علمية إنطلاقا من وسائل التواصل الاجتماعي، في حين أن نسبة 8.10 % لم تكون صدقات علمية بهاته الوسائل، وهاته النتائج جد متوقعة حيث أنها تؤكد مرة أخرى اتجاه الأساتذة الباحثين بجامعة عينه الدراسة نحو أهمية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي في المجال العلمي.

- **الإسهام في إثراء محتوى شبكات التواصل الاجتماعي:** نحاول من خلال هذا العنصر التعرف على مدى إسهام أساتذة عينه الدراسة في إثراء محتوى شبكات التواصل الاجتماعي فكانت النتائج كالآتي:

النسبة المئوية %	التكرار	
16.21	6	التأليف الحر الويكي
27.02	10	إضافة فيديوهات محاضرات، أعمال مؤتمرات
37.83	14	إضافة صور لتظاهرات علمية
78.37	29	التعليق على منشورات الأساتذة والطلبة

الجدول رقم 21. يمثل إثراء عينه الدراسة للمحتوى الرقمي بشبكات التواصل الاجتماعي.

تباينت إسهامات أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية في إثراء محتوى وسائل التواصل الاجتماعي حيث تمثل ذلك في التعليق على منشورات الأساتذة والطلبة بنسبة 78.37 %، في المرتبة الأولى وهذا من خلال شبكات التواصل الاجتماعي كالفيسبوك، ثم إضافة صور لتظاهرات علمية بنسبة 37.83 % في المرتبة الثانية، حيث يعتمد الأساتذة إلى إضافة صور حضورهم ومشاركاتهم العلمية في المؤتمرات على صفحات شبكات التواصل الاجتماعي وخصوصا إذا كانت هاته المشاركات دولية، كما يساهمون بإضافة فيديوهات محاضرات، أعمال مؤتمرات بنسبة 27.02 %، أما التأليف الحر الويكي فيساهمون فيه بنسبة 16.21 %، وعلى العموم فإن إسهامات أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية في إثراء محتوى شبكات التواصل الاجتماعي متنوعة، مع تركيزهم على تعليقات الطلبة والأساتذة بنسبة كبيرة مقارنة بالإسهامات الأخرى، وبالتالي فإن إسهامهم العلمية تبقى سطحية مما يتطلب توجيه الطلبة نحو مواقع لتلفزيونات وإذاعات وطنية وعالمية وعربية بالشبكات الاجتماعية.

- **صعوبات استخدام عينه الدراسة لوسائل التواصل الاجتماعي:** نحاول فيما يلي التعرف على مختلف الصعوبات التي تواجه استخدام أساتذة علوم الاعلام والاتصال بجامعة -وهران، مستغنام، أدرار- الجزائرية لوسائل التواصل الاجتماعي بهدف إيجاد حلول لها فتوصلنا إلى النتائج التالية:

النسبة المئوية %	التكرار	
2.70	1	عدم معرفة التسجيل بها
56.75	21	التخوف من نشر المعلومات الخصوصية
13.51	5	عدم التحكم في استخدامها
72.97	27	بطء الأنترنت

الجدول رقم 22. يمثل صعوبات عينه الدراسة أثناء استخدام وسائل التواصل الاجتماعي.

يواجه الأساتذة الباحثين بالجزائر العديد من الصعوبات في استخدام الأنترنت بصفة عامة، ولهذا إقترحنا مجموعة من الإجابات التي تمثل في نفس الوقت صعوبات استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على الخصوص فكان بطء

الأنترنت يشكل عائقا بنسبة 72.97 %، ثم يأتي التخوف من نشر المعلومات الخصوصية بنسبة 56.75 %، وهذا في ظل عدم تفعيل قانون الجريمة الالكترونية في الجزائر بشكل عملي، حيث رغم صدور القانون سنة 2009 لكن يبقى تطبيقه فقط على الحالات الخطير كالإرهاب، بينما كان عائق عدم التحكم في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بنسبة 13.51 %، وعدم معرفة التسجيل بها بنسبة 2.70 % فقط، وهذا أمر يدعو على الإرتياح حيث تتحكم نسبة كبيرة من الأساتذة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي كما يعرفون كيفية التسجيل بها، وبالتالي فإن الصعوبات التي تواجه الأساتذة الباحثين تحتاج إلى حلول محل مشكلة تدفق الأنترنت التي أصبحت تؤرق العامة والباحثين على وجه الخصوص، وأمن معلومات الباحثين على مواقع التواصل الاجتماعي.

- ثقة عينة الدراسة في المعلومات المتاحة على وسائل التواصل الاجتماعي: بعدما تعرفنا على الصعوبات التي تواجه الأساتذة في استخدام وسائل التواصل الاجتماعي نحاول التعرف على مدى ثقتهم في المعلومات المتاحة بها فتوصلنا إلى النتائج الممثلة في الجدول الموالي:

النسبة المئوية %	التكرار	
59.45	22	نعم
40.54	15	لا
100	37	المجموع

الجدول رقم 23. يمثل مدى ثقة عينة الدراسة بمعلومات وسائل التواصل الاجتماعي.

من خلال الجدول يتضح تقارب نسبة الأساتذة الذين يثقون في معلومات وسائل التواصل الاجتماعي بنسبة 59.45 %، مع من لا يثقون فيها بنسبة 40.54 %، وهذا سببه حرية التأليف في بعض وسائل التواصل الاجتماعي التي تعطي الحرية للجميع في أن يغير ويحذف ويكتب بها كالويكي على سبيل المثال، وهو ما يفقد بعض تلك المعلومات مصداقيتها خصوصا إذا كانت علمية، وهو ما يتطلب إحترام مجموعة من المعايير التي تضفي على المعلومات المتاحة بوسائل التواصل الاجتماعي صفة المصداقية، ولهذا فهناك مجموعة من الأسباب تدفع نحو عدم الاقتناع بمعلومات وسائل التواصل الاجتماعي نتعرف عليها في العنصر الموالي.

- أسباب عدم الثقة بالمعلومات المتاحة بوسائل التواصل الاجتماعي: نحاول من خلال هذا العنصر تحديد الأسباب التي تدفع عينة الدراسة إلى عدم الاقتناع بالمعلومات المتاحة على وسائل التواصل الاجتماعي فكانت النتائج كما يلي:

النسبة المئوية %	التكرار	
00	00	لست مقتنعا باستخدامها
29.72	11	تفتقد المعلومات للملكية الفكرية
45.94	17	صعوبة تحديد هوية مصدر المعلومات
18.91	7	مشكلة أمن المعلومات المتاحة

الجدول رقم 24. يمثل أسباب عدم ثقة عينة الدراسة بمعلومات وسائل التواصل الاجتماعي.

من خلال الجدول نلاحظ أن صعوبة تحديد هوية مصدر المعلومات كانت سببا في عدم الاقتناع بالمعلومات المتاحة على وسائل التواصل الاجتماعي بنسبة 45.94 %، ثم يأتي افتقار هاته المعلومات للملكية الفكرية سببا بنسبة 29.72 %، أما مشكلة أمن المعلومات المتاحة فكانت بنسبة 18.91 %، في حين لم نسجل أي أستاذ غير مقتنع باستخدام وسائل التواصل الاجتماعي، ومن خلال هاته النتائج نلاحظ أنها كانت تحت المتوسط، ولكن رغم هذا لا بد من التفكير في إيجاد حلول لها من أجل تشجيع الأساتذة الباحثين على استخدام وسائل التواصل الاجتماعي بأمان، مما يعطي المصدقية العلمية للمعلومات المتاحة عليها.

الختامة: خلصت هاته الدراسة إلى أن غالبية أساتذة علوم الإعلام والاتصال بعينة الدراسة يستخدمون وسائل التواصل الاجتماعي، هذا وقد تنوعت أجهزة الاتصال لديهم، كما أن غالبيتهم تعلموا كيفية استخدام وسائل التواصل الاجتماعي ذاتيا، وقد اختلفت أغراض الاستخدام بين العلمية والإخبارية أكثر من الأغراض الثقافية كالترفيه والتسلية، وفي التواصل مع طلبتهم وزملائهم عربيا وعالميا في مجالات البحث العلمي مقارنة بالمجالات الأخرى.

بييلوغرافيا:

- 1) الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية. (يوليو 2012)، (40)، س. 49، 08.
- 2) الحايك، هيام. الشبكة الاجتماعية الجديدة في الويب 2.0. مجلة المعلوماتية. (27) متاح في: www.informatics.gov.sa/
- 3) الختومي، مسفرة بنت دخيل الله. (2009، 09-11 ديسمبر). توظيف تطبيقات الويب 2.0 (web 2.0) في مؤسسات المعلومات والتحديات التي يمكن أن تحول دون الاستفادة منها: دراسة استطلاعية. قدم إلى المؤتمر العشرين للاتحاد العربي للمكتبات والمعلومات " نحو جيل جديد من نظم المعلومات والمتخصصين: رؤية مستقبلية " الدار البيضاء.
- 4) خليفة، محمود عبد الستار. (مارس، 2009). الجيل الثاني من خدمات الإنترنت : مدخل إلى دراسة الويب 2.0 والمكتبات 2.0. www.cybrarians.info/journal/. (18)، متاح في: www.cybrarians.info/journal/.
- 5) سعده، عماد إبراهيم. (2012، 07-10 ماي). استخدام الفيسبوك كأداة مساعدة في التعليم الإلكتروني. قدم إلى المؤتمر الدولي الأول لتقنيات المعلومات والاتصالات في التعليم والتدريب، الحمامات تونس.
- 6) صالح، عماد عيسى. (أفريل 2010). الاستخدامات المهنية لمواقع مشاركة الفيديو على شبكة الانترنت: اليوتيوب yuo tube (نموذج). مجلة اعلم، (06)، 46-81.
- 7) العريشي، جبريل بن حسن؛ و الغانم، منى. (مايو 2011). تقييم بوابات الجامعات السعودية المتاحة على الانترنت في ضوء المعايير الدولية. مجلة دراسات المعلومات. (11)، ص ص 09-84.
- 8) عماشة، محمد عبده راغب. التعليم الإلكتروني والويب 2.0. مجلة المعلوماتية. (24)، متاح في: www.informatics.gov.sa/.
- 9) قشاشة، أسامة، (مارس 2009). تطبيقات الويب 2.0 في المكتبات: الويكي. www.cybrarians.info/journal/. (18)، متاح على الخط في: www.cybrarians.info/journal/
- 10) المرز، عبد الله بن إبراهيم، (2010، 06-07 أبريل). الأمن والخصوصية في الشبكات الاجتماعية على الإنترنت: أساليب الحماية والأمن للأطفال والمراهقين. قدم إلى المؤتمر السادس لجمعية المكتبات والمعلومات السعودية حول " البيئة المعلوماتية الآمنة: المفاهيم والتشريعات والتطبيقات"، الرياض.
- 11) مجاهد، أماني جمال. (2010، 06-07 أبريل). الخصوصية وتطبيقات الويب 2.0 كيفية تحقيق المعادلة الصعبة. قدم إلى المؤتمر السادس لجمعية المكتبات والمعلومات السعودية حول " البيئة المعلوماتية الآمنة: المفاهيم والتشريعات والتطبيقات". الرياض.
- 12) منصور، عصام. (مايو 2009). المدونات الإلكترونية: مصدر جديد للمعلومات. مجلة دراسات المعلومات. (5)، ص ص 93-116.

تاريخ الاستلام: 2017/05/21 - تاريخ التحكيم: 2017/08/22 - تاريخ النشر: 2017/12/30

جون روجرز سيرل و السؤال المركزي في الفكر الفلسفي المعاصر

د. اسيا واعر

جامعة باجي مختار بعنابة - الجزائر



الملخص:

لقد دأب العقل الإنساني على التعقل و التفكير، فوجد نفسه يرسي بحوثا في قضايا شتى تمس ذاته، كما تمس انشغالاته، حتى تفتن إلى البحث في الأداة التي تحيل له هذه المعارف فراح يغوص في جزئياتها وابتدأ البحث في العقل: من خلال ضبط ماهيته، تحليل وظائفه، غاياته في إدراكه المعارف، وهل فعلا باعتماده يمكن أن نصل إلى الحقائق العلمية و المعرفية، واستمر البحث في هذه المباحث العقلية ضاربا في جذور الميتافيزيقا - بشكل أو بآخر - لحقب من الزمن. إلى أن جاء منظور سيرل للعقل و قفز بالبحث من مجاله الميتافيزيقي إلى المجال التجريبي و النورو بيولوجي. لم يعدّ البحث في العقل و في عملياته - المعرفة و الإدراك - مرتبطا في أي جانب منه بالجانب النظري وإنما أصبح مرتبطا بالجانب الإنزيمي و الفزيولوجي، و بهذا صرح سيرل أنّ - فلسفة العقل - هي بحق الفلسفة المعاصرة الواجب النظر فيها باعتبار أنها تشكل السؤال المركزي في الفكر الفلسفي المعاصر.

Résumé :

L'être humain pense toujours et il approfondit dans la recherche scientifique et métaphysique, ou il a discerné le problème de l'esprit et de la raison : comment s'aige ? avec quoi ? pourquoi ?.....extr.

L'analyse de cette étude était métaphysique pendent des siècles et des siècles, jusqu'à l'étude de "Jon R Searl" qui a été unique dans son analyse, dont il a mis une méthode radicale c'est une méthode expérimentale lié avec la neurobiologie.

Avec lui la recherche dans l'esprit et dans ses opérations n'est plus une recherche métaphasique, mais c'est une recherche physiologique, ou il déclare que "la philosophie de l'esprit" établir vraiment la question central dans la pensée philosophique contemporaine

1- مقدمة:

إنّ أهم ما يتميز به الإنسان عن باقي الكائنات هو امتلاكه لمملكة العقل، و التي يستطيع من خلالها معرفة ذاته و معرفة الآخر أيضا، بل يتجاوز إلى إدراك حقائق ترسندتالية خيل إليه في الكثير من المرات أنه عاجز عن معرفتها، ولو نتتبع مراحل تطور الفكر البشري نجده ينتقل من مرحلة إلى أخرى، وفي كل مرحلة يبدع و يؤسس لمعارف جديدة، معارف طالت جميع المجالات الإنسانية، فمن التفكير في هذا الكون إلى البحث عن سبب وجوده في هذه المعمورة، إلى البحث في إمكانية وجود حقائق معرفية علمية و في إمكانية امتلاكها، و كيف يتسنى هذا للذات الإنسانية، إلى كثير من القضايا التي أسس لها العقل و بحث فيها حتى وقف في فترة من فتراته يسائل نفسه

عن هذه الملكة و عن طبيعتها و غايتها و كيف لها أن تدرك و أن تنتقل به في كل مرة من طور إلى طور مغاير تماما عن سابقه، إنها مساءلة الذات عن العقل ، هذا الأخير الذي تنفرد به عن باقي الذوات و الكائنات الموجودة على سطح المعمورة، و المتأمل في الدراسات التي تناولت البحث و الدرس في العقل قد ظلت لحقبة من الزمن دراسات تطبعها الميثافيزيقا بشكل أو بآخر، إلى أن جاء الفيلسوف الأمريكي جون روبرت سيرل و قلب من موازين الطرح الكلاسيكي واضعا إياه جانبا، ولم ير فيه سوى أغاليط ردها العقل الإنساني عصر بعد عصر و آن الأوان أن نعطي دراسة العقل حقها في المجال الفكري الفلسفي

لأنه و حسب ما يعتقد أنّ فلسفة العقل هي بحق الفلسفة الوحيدة في الفكر الفلسفي المعاصر

2- في ماهية العقل:

العقل: "الحجر، النهي، ضد الحمق، و سمي العقل عقلا لأنه يعقل صاحبه عن التورط في المهالك، أي يجسسه، و قيل أنه التمييز الذي به يتميز الإنسان من سائر الحيوان" (ابن منظور، د-ت م4، ج34، ص3046).
و العقل -Raison- وردت في الفكر اليوناني من خلال جذرين أساسيين "هما: "لاقو" و "لوقوس" التي تعني جمع و ربط، و من المعروف أنّ "لوقوس" تطلق في آن واحد على الكلام و العقل" (جارجاني، ج. 1955: 13).

و هو مأخوذ من عقال البعير يمنع ذوي العقول من العدول عن سواء السبيل، و الصحيح أنه جوهر مجرد يدرك الغائبات بالوسائط و المحسوسات بالمشاهدة، هو جوهر مجرد من المادة في ذاته مقارن لها في فعله و هي النفس الناطقة التي يشير إليها كل أحد بقوله أنا، و قيل العقل جوهر روحاني خلقه الله تعالى متعلقا ببدن الإنسان، و قيل العقل نور في القلب يعرف الحق و الباطل ، و "قيل العقل جوهر مجرد من المادة يتعلق بالبدن تعلق التدبير و التصرف و قيل العقل قوة النفس الناطقة فصريح بأنّ القوة العاقلة أمر مغاير للنفس الناطقة و أنّ الفاعل في التحقيق هو النفس، و العقل آلة لها، هو ما يعقل به حقائق الاشياء قيل محله الرأس و قيل حله القلب" (الجرجاني، ع. 1958: 157).

وقد صنف إلى عقل بالملكة، عقل بالفعل، العقل المستفاد، فأما "العقل بالملكة فهو علم بالضروريات واستعداد النفس بذلك لاكتساب النظريات، و العقل بالفعل هو أن يصير النظريات مخزونة عند قوة العاقلة بتكرار الاكتساب بحيث يحصل لها ملكة الاستحضار متى شاءت من غير تجشم كس جديد لكنها لا يشاهدها بالفعل ، و العقل المستفاد هو أن يحضر عنده النظريات التي أدركها بحيث لا يغيب عنه" (الجرجاني، ع. 1958: 158)

ولقد خاض الفلاسفة في ضبطه و الوقوف على ماهيته (صليبا، ج. 1992: 84)، فمنهم من رأى أنه من قوى نوع الإنسان المفارقة و التي تصنف إلى عقل عملي و هو الذي يستنبط ما يجب فعله من الأعمال الإنسانية، وهو الذي يتم به جوهر النفس و يصير جوهرها عقليا بالفعل. و لهذا العقل مرات يكون مرة هيولانيا، و مرة عقلا بالملكة، و مرة عقلا مستفادا، و هذه "القوى التي تدرك المعقولات جوهر بسيط، و ليس بجسم، مفارق للمادة يبقى بعد موت البدن، و ليس فيه قوة قبول الفساد ، وهو جوهر أحدي ، وهو الإنسان على الحقيقة" (الفارابي، أ. 1910: 17).

وينفي أبو حامد الغزالي أن يكون هناك حدا جامعا للعقل لأنه اسم مشترك طلق على وجوه مختلفة لمعاني مختلفة، فأما الجماهير فيطلقونه على ثلاثة أوجه: الأول يراد به صحة الفطرة الأولى في الناس فيقال لمن صحة فطرته الأولى أنه عاقل وهنا يكون حده أنه قوة بها يوجد التمييز بين الأمور القبيحة و الحسنة، الثاني يراد به ما يكتسبه الإنسان بالتجارب من الأحكام الكلية فيكون حده أنه معاني مجتمعة في الذهن تكون مقدمات يستنبط بها المصالح و الأغراض ، الثالث معنى آخر يرجع إلى وقار الإنسان و هيئته و يكون حده أنه هيئة محمودة للإنسان في حركاته و سكناته و هيأته و كلامه واختياره" (الغزالي، أ. 1937: 183).

أما الفلاسفة فقد حدد الغزالي مفهومهم للعقل، بأنه "اسم مشترك يدل على ثمانية معاني مختلفة هي: العقل الذي يريده المتكلمون، و العقل النظري، و العقل العملي، و العقل الهيولاني، و العقل بالملكة، و العقل بالفعل، و العقل المستفاد، و العقل الفعال" (الغزالي، أ. 1937: 184)؛ و كلها تصب في تحديد وظائفه العلمية و المعرفية ومدى قيمة ما يصل إليه من نتائج.

3- العقل و المعرفة الإنسانية:

بالعقل تدرك الحقائق و تدرك المعارف في شتى مجالاتها أيضا، إذ يعتبر من أهم وسائل المعرفة الإنسانية وأبرزها، كما يعتبر سر تقدم البشرية وازدهارها، فمنذ أن وطأت قدما الذوات الإنسانية سطح المعمورة إلا وهي تعمل عقلها، كما بالعقل وحده استطاع الإنسان أن يأسس لحضارات إنسانية بلغت من الرقي و الازدهار ما يميز كل فترة من فتراتنا منذ فجر التاريخ إلى يومنا، إنه مخطط لإنتاج العقل البشري ميز كل حقبة زمنية عن أخرى لها من ميزات و خصائص ما تنفرد به و ما تستقل به أيضا وهذا ما فصل فيه السيد محمد بدوي في مؤلفه مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري أين حلل العمليات العقلية في كل مرحلة من مراحل تواجده (السيد، ب. 1995)

و هذا طبعا لا يتحقق إلا بالعلم و المعرفة، و لكن لا علم دون عقل يعمل على ضبط الماهية من خلال الوصول إلى معناها، "فالمعنى يمثل ماهية الشيء المدرك، أي طبيعته دون تمثيل لما تبدو فيه الماهية أو الطبيعة من الأعراض، ويحصل عليه العقل بتجريد الماهية عن المادة الشخصية و عن الأعراض الملازمة للمادة كالمقدار و اللون و الصوت و الرائحة والطعم و الحرارة و البرودة... (إلخ)، فالعقل يتصور إمكان تحققها في ما لا نهاية له من الأفراد، ولو لم تعرض فيه التجربة سوى فرد واحد لماهية واحدة، و بهذا يكون التجريد أساس العلم الذي هو وصول العقل إلى معنى الشيء" (كرم، ي. 2012: 13).

لم تكن الإنسانية أن تصل إلى ما وصلت إليه لولا العقل يوم أن رفض كل ما هو باطل و زائف و رفع راية العقل وهذا ما كان في عصر التنوير و ثورة العقل على الكنيسة و على كل ما يناهض العقل، حيث وضع فلاسفة عصر التنوير العقل في مواجهة التقليد و "أملوا بواسطة العقل أن يحققوا السعادة و التقدم في الصراع ضد الامتيازات و الجهل" (غنار، س-نلز، غ. 2012: 516)

لذا راح الإنسان يبحث في العقل : في طبيعته، عملياته، غاياته، يبحث في إمكانيته الوصول إلى هذه الحقائق المعرفية فعلا، هذا إذا كان لها وجود خارجي أصلا، لذا تنوعت المناهج من حسية تجريبية إلى عقلية إلى مثالية وكل وضع مشروعه و فلسفته التي يستطيع بها أن يحلل وظيفة هذه الملكة و الغاية من وجودها، إلا أننا نرى أنّ كل ما أتت به هذه المذاهب من تحاليل واستنتاجات لم تخل بشكل أو بآخر من طابع مثافيزيقي في احد جوانبها الأمر الذي لم يستسغه الفيلسوف المعاصر جون روبرت سيرل، ولم ير في هذا الكم الهائل من التراث الفكري سوى أكاذيب و إجحاف في حق العلم، فدراسة العقل لها نهجها الخاص النهج المغاير تماما عن ما قال به هؤلاء لأنهم لم يتفطنوا إليه يوما، لذا دعا سيرل دعوة صريحة تمثلت في شد انتباه العقول إلى السؤال المركزي في الفكر الفلسفي المعاصر و المتمثل في - فلسفة العقل -

4- فلسفة العقل لسيرل:

يدع سيرل إلى ضرورة النظر في مباحث فلسفة العقل و إلى اتخاذها كمركزية للمباحث الفلسفية في الفكر المعاصر ، وأنّ كل ما كان في تاريخ الفكر الإنساني من "تفسيرات و آراء سائدة في هذا المجال كالثنائية، و المادية و السلوكية والوظيفية و الحسائية و الظاهرية المصاحبية. هي آراء كاذبة" (سيرل، ج. 2007: 14).

يذهب سيرل إلى أنّ مباحث فلسفة اللغة تصدرت المباحث الفلسفية وأنّ أن نتقل بالبحث و الدرس في الحقل المعرفي الفلسفي من مجال اللغة إلى مجال العقل، أي وجب الانتقال من فلسفة اللغة إلى فلسفة العقل؛ ذلك لأنّ

استعمال اللغة ليس " سوى تعبير أولي عن قدراتنا العقلية الأساسية، ولن نفهم بصورة كاملة كيف تقوم اللغة بوظائفها إن لم نفهم أولًا نمط تأسيسها في قدراتنا العقلية " (سيرل، ج. 2007: 15).

لذا قال سيرل بمركزية السؤال الفلسفي في بداية القرن الواحد والعشرين وهو: كيف نفسر وجود الإنسان البارز كشخص واع و مسؤول و حر و عاقل و ناطق أو اجتماعي و سياسي في عالم مكون، وفق قول العلم، تماما من جسيمات مادية لا عقلية ولا معنى لها؟ من نحن و كيف نتكيف مع بقية العالم؟ ما العلاقة بين الواقع الإنساني و بقية الواقع؟ و في جملة واحد يمكن أن نمحور هذه الأسئلة حول سؤال واحد هو: ما معنى الإنسانية؟

و لتحليل كلّ هذا يجب أولًا أن نبتدئ بدراسة العقل، لأنّ هذا الأخير هو رابط الذات بالواقع الخارجي.

و إذا كانت الدراسات السابقة له دراسات كلاسيكية ترتبط بشكل أو بآخر بالمجال الميتافيزيقي، نجد رؤية سيرل ودرسه لمباحث العقل قد تجاوز الطرح الكلاسيكي له، أي تجاوز كل ما كان في جعبة البحث فيه و تناوله بنهج مغاير تماما فكيف ذلك؟

أ- في فيزيولوجيا العقل:

يمكن القول أنّ البحث في فيزيولوجيا العقل قد ابتدأ مع "فرانسوا جاكوب" و هذا بين في ما حواه مؤلفه "العبء الممكنات" أو في مؤلفات آخر أين جدد الدراسة وانتقل بها من البحث في التفكير و الإدراك والقراءة إلى البحث في الذات الإنسانية بذاتها كيف تصدر هذه السلوكات من خلال تحليل الجينوم البشري ليس هذا فقط، و إنما نجده قد اعتقد أنّه قد توصل إلى جوهر الأشياء من خلال توصله إلى الكيفية التي تتعاون بها الجينات حتى تجعل الحياة ممكنة.

و الأمر نفسه بالنسبة "لجون سيرل" ذهب "جون سيرل" إل أنّ مبحث - القصد - هو من أبرز مباحث فلسفة العقل بإطلاق، وما ميّز دراسته هذه أنّها كانت دراسة قائمة على المنهج التجريبي الواقعي يكون ممزوجا في بعض الأوقات بالمنهج التأملي التجريدي وهذا طبعا لاعتماده منهجه الخاص والذي يشير إليه في منتجاته الفكرية ألا وهو - إنزال الواقعة من سماء الخيال إلى أرض الواقع- أي يعتمد على دراسة واقعية ملموسة مجسدة في وقائع تدور فعلا في عالمنا هذا، لذا نجده وهو يحلّل مشكلة - القصد - يستخدم مصطلحات علمية تطبيقية أكثر منها فلسفية كدراسة المشكلة من خلال ما يوجد في الجمجمة، و تحليلها من زاوية - الترو بيولوجي... إلخ)، كلّ هذا وغيره ضمنه مؤلفه الذي كان حول مشكلة - القصد- (Searl, J. 1983)

أمّا ما جاء في تحليله لهذه القضية فيمكن حصره في بعض من النقاط التالية:

ب- مفهومه للمصطلح:

يحدد "جون سيرل" مفهوم القصد بقوله: "نستخدم كلمة القصد - intentionality - بوصفها مصطلحا تقنيا يعني تلك السمة التي تعد من خواص العقل حين يقصد نحو أشياء بعينها، يلتفت إليها و يتوجه نحوها، يفهمها فيمثل لها و يعبر عنها. و بهذا المعنى نجد أنّ الرغبات و المعتقدات - هي - أمور تتعلّق بالقصد العقلي، تصف قدرته على أن يصور و يعبر عن ... لأنه لكي يكون لدينا اعتقادا أو رغبة ما، يجب أن نؤمن بأنّ كذا و كذا هو ما نعتقد و نرغبه. وعلى هذا النحو الذي قصرنا عليه المصطلح نجد له صلة له خاصة بالقصدية (بمعنى نية أو اعتزام فعل شيء) فاعتزام الذهاب لمشاهدة الأفلام هو على سبيل المثال نوع من أنواع القصد العقلي نحو شيء يفهمه فيتمثله و يعبر عنه" (سيرل، ج. 2012: 28).

من خلال هذا التعريف نستنبط أنّ القصد عند "سيرل" خاصية من خواص العقل التي لا تتعلّق بالنوايا و إنّما هي التي يتوجه فيها إلى العالم الذي يكون خارج ذواتنا، فيتوجه إلى ما يحويه من موجودات، موضوعات، أوضاع و حالات محملا في ذلك بما لدينا من أفكار و معتقدات و مخاوف و رغبات عن هذا العالم، و موافقنا عنه و تعبيرنا عنه و الأشكال التي نتصوره عليها فنمثل له بها؛ وبهذا يرى "سيرل" أنّ مصطلح القصد يختلف تماما عن مصطلح القصدية التي تعني النية و اعتزام فعل شيء ما، فالقصدية هي نوع من أنواع القصد العقلي.

لم تكن مشكلة - القصد - أن تثير انتباه "سيرل" لو لم يستشكّل قضايا يرى أنّها جديدة بالبحث، فالأمر عنده أصبح يتعلّق بالبحث عن شذرات داخل الجمجمة كيف لها أن تكون واعية، أو كيف لها أن تخلق الوعي من خلال تفاعلاتها، و من الصعب أن نتصور كيف يمكن لشذرات من المادة داخل الجمجمة أن " تشير " إلى - شيء - أو تكون عن شيء

تجاوزها؛ إنّ الأفكار تشير إلى أشياء موجودة فعلا، و إلى شيء بعينه وهنا نتساءل: كيف سافرت الفكرة إلى الشيء المقصود أو إلى ذلك الشيء؟ ماهي الخاصية في الفكرة التي تمكنها من السفر إلى الشمس؟ (سيرل، ج. 2007: 13).

إذن هناك ذات و هناك وقائع خارجية فكيف تصل الفكرة من الذات إلى هذه الوقائع، كيف يحدث هذا الترابط بين الذات و الموضوع حتى تصل الفكرة للشيء، وهكذا إلى سائر الأشياء - هذا ما يدعوه "سيرل" بالحالات القصدية-، و بشيء من التفصيل إنّ الفكرة تكون حول شيء محدد كما لها مضمون تحويه، و السؤال المطروح هو: ما الواقعة الموجودة حول المادة الموجودة في الجمجمة و التي تجعلها تشير إلى شيء معين بذاته، و إذا كان

هذا الشيء قد حدث في الماضي فكيف تشير إليه خلفيا في التاريخ، فإذا كنت أعتقد أنّ "صلاح الدين الأيوبي" قد فتح القدس، ففكرتي هي عن "صلاح الدين" و لها مضمون و هي - القدس - ، ولكن ما الواقعة الموجودة حول المادة الموجودة في مجتمعي و التي تجعلها تشير خلفيا في التاريخ إلى فرد معين و تنسب فعلا معيناً إلى شخص فتح القدس؟؛ ثمّ كيف لنا أن نتأكد من دون ريب أنّ هذه العملية تحدث بصورة صحيحة؟. عندما نشير إلى شيء معين كيف يمكن أن نتأكد ومن دون ريب أنّ هذه العملية تحدث بصورة صحيحة، أي كيف يمكن أن نتأكد من أنّ أفكارنا تصل فعلا إليه وليس إلى شيء آخر، هذا عن المرئي فما بال تلك الأمور التي نفكر فيها و هي من صنع خيالنا لا أكثر.

إنّ أسئلة كهذه - حسب "سيرل" - "أسئلة لا يسألها سوى الفيلسوف، لأنّ الفلسفة تبتدئ وسط شعور من السرية و العجب عن أشياء يعتبرها أي شخص واضحة لدرجة أنّها لا تثير القلق" (سيرل، ج. 2007: 137). أمّا عن مشكلات القصدية فهي كالتالي:

ت- مشكلات القصدية:

ويحلّل "سيرل" مشكلات القصدية في ثلاث رئيسية هي:

■ كيف يمكن للقصدية أن تحدث على الإطلاق؟

■ لنفرض أنّ الحالات العقلية ممكنة، كيف يتحدد مضمونها

■ كيف يعمل جهاز القصدية بأكمله؟

ذهب "سيرل" إلى أنّ المشكلتين الأولى و الثانية كانتا قد أخذتا النصيب الأوفر في الفكر الفلسفي، إذ نجد أنّ معظم مباحث هذا الأخير تصب في قالب تحليلهما، أمّا المشكل الثالث فلحدّ الساعة لم يفتح مجاله أي أحد بعد وهذا ما سيقوم به - هو - في مشروعه الذي يخوض مباحث فلسفة العقل خوفاً؛ و الذي كان من منطلق سؤاله الفلسفي و طرحه للإشكال التالي: كيف لحالات من الوعي أن تحتل مكاناً داخل العالم المادي؟؛ فحسب رأيه "نحن نعيش في "عالم واحد لا في عالمين ولا ثلاثة، ولا أكثر و ما يوجد من علوم الكيمياء و الفيزياء و العلوم الطبيعية الأخرى قد وضعت ما لهذا العالم من ملامح أساسية غير أنّه من الواضح أنّ وجود ظواهر ليست من ضرب الفيزياء ولا الكيمياء قد أوقعنا في الحيرة، فكيف تحتل حالات من الوعي، أو من أفعال الكلام المفيدة مكاناً داخل العالم المادي" (سيرل، ج. 2012: 29)

فاستشكال قضية ارتباط أجزاء العالم المتنوعة كيف تتماسك و كيف يعوّل بعضها على بعض هو أشد ما يستهوي "سيرل" من القضايا الفلسفية . منظومة فلسفية جديدة بالبحث فيها إلاّ أنا نرى أنّ المجال لا يتسع لتحليلها.

ث- البنية الصورية للقصدية:

يرى "سيرل" أنّ البنية الصورية للقصدية تشكّل بنية حياتنا الواعية، بل هي بنية حياتنا العقلية، الواعية و اللاواعية على حد سواء، فعندما نفهم وضعاً ما و نجد أنفسنا فيه، عندما نقرر أن نقوم بفعل ما، أو حتى عندما نتذكر أمراً ما كلّ هذا يعتبر ظواهر للبنية الصورية التي يجب أن نفهمها حتى نفهم حياتنا. فحتى نفهم حياتنا علينا أن نفهم القصدية.

ذهب "سيرل" إلى أنّ البنية الصورية للقصدية تقوم أساساً على خمس نقاط تشكّل ركيزتها و ترسي دعائمها، و التي تتمثل في:

• المضمون القضائي و النمط النفسي:

تشير الحالات القصدية إلى وقائع خارجية و أخرى خيالية، هذه الحالات التي يجب أن تمتلك مضموناً تحدّد بها هذه الإشارة؛ و للحالات هذه مضامين و أنواع أيضاً ولا بدّ و أن نميز بين مضمون الحالة و نوع الحالة بذاتها، لأنّه وفي الوقت الذي يكون فيه المضمون واحداً تتعدد الحالات بحسب الأنماط النفسية، فالمضمون يشير إلى العالم بأنماط نفسية مختلفة - الخوف، الأمل، الرجاء، الرغبة... إلخ، فنقول مثلاً: نعتقد أنّ فلسطين ستتححر، نأمل أن تتحرر فلسطين، نخاف أن تتحرر فلسطين، نرغب أن تتحرر فلسطين؛ نلاحظ أنّ القضية واحدة أو لنقل أنّ المضمون القضائي واحد أمّا النمط النفسي فهو متعددة، لذا نكون بصدد حالة تتشكل من نمط نفسي معين كالمعتقدات، أو الرغبة... إلخ) رغم أنّ المضمون القضائي يبقى هو هو ولا يتغير.

• التوجه التناسبي:

ترتبط الحالات القصدية بالعالم بطرق مختلفة، إلاّ أنّ الحالة القصدية عليها أن تمثل كيف تكون الأشياء في العالم، و إذا ارتبطت الحالة القصدية بالعالم عن طريق الاعتقاد فهذا الأخير يكون مسؤولاً عن أن يتناسب مع العالم، أي عليه أن يمثل كيف يكون العالم، أمّا إذا ارتبطت الحالة القصدية بالعالم عن طريق الرغبة فهنا لا تمثل كيف تكون الأشياء و إنّما كيف تكون الأشياء في حالة الرغبة وهنا تكون مسؤولية العالم أن يتناسب مع الرغبة.

فعندما تكون الحالة العقلية مسؤولة عن تناسب واقعة مستقلة موجودة، بإمكاننا القول أنّ الحالة العقلية تمتلك توجهها عقليا تناسيبا نحو العالم، هي حالة تتحمل مسؤولية التناسب العقلي مع العالم، أمّا إذا انتقلنا إلى حالة الرغائب فهدف هذه الأخيرة ليس أن تمثل كيف تكون الأشياء و لكن تمثل كيف نريد أن تكون هذه الأشياء وهي في حالة الرغبة، لذا فالحالة العقلية تتناسب أو تفشل في مناسبة نمط وجود الأشياء في العالم؛ فمتى تناسبت نحكم عليها بالصدق و متى فشلت فإننا نحكم عليها بالكذب؛ أمّا عن الرغائب فهي ليست صادقة أو كاذبة كالمعتقدات، لأنّ هدفها ليس التلاؤم مع واقعة موجودة مستقلة و إنّما هي محاولة في تلاؤم مضمون الحالة القصدية مع العالم، و لذا نكون أمام توجه تناسبي مزدوج ، الأول هو التوجه العقلي التناسبي نحو العالم وهذا في الحالة العقلية، و الثاني هو التوجه التناسبي العالمي نحو العقل أو مسؤولية تناسب العالم نحو العقل وهذا ما إذا تعلّق الأمر بحالة الرغائب. و لكن توجد في بعض الأوقات حالات عقلية لا تمتلك توجهها تناسيبا وهذا لأنّ هدفها ليس التلاؤم مع الواقع (التوجه التناسبي للعقل مع العالم)، أو تلاؤم الواقع معها (توجه العقل التناسبي مع العالم) و لكن تفترض سلفا أنّ الواقع متناسب، و مادام أنّها تفترض أنّ الواقع متناسب و لا تقرُّ بهذا التناسب - كما هو في الحالة العقلية- أو تحاول إنشائه - كما هو في حالة الرغائب- فيعتبر هذا التوجه التناسبي باطلا.

• شروط الرضا:

كلّما كانت لدينا حالة عقلية ذات اتجاه تناسبي - لا باطل - فإنّ التناسب إمّا سيتحقق فتكون القضية صادقة أو الرغبة مرضية أو سينفذ القصد أو لا يتحقق التناسب فلا ينفذ القصد؛ فوفقا لظروف الحالة و في حالات مختلفة نستطيع القول أنّه حري إرضاء المعتقد أو الرغبة أو القصد، " ولا صلة لهذا المصطلح - الرضا - بمفهومه، لكنه يقصد به استيفاء شروط التعبير عما نقصد أن نرمي إليه من وراء الدلالة الحرفية للبنية اللغوية من قصد عقلي؛ على هذا النحو يفرض "سيرل" القصد العقلي على قصد اللّغة، متصورا المعنى من منظور نفسي أكثر منه معنى يتعلّق بدلالة التراكيب الحرفية، ومن ثمّ شغلت مشكلة المعنى موضعا محوريا من فلسفة "جون سيرل" إذ تأسست على فكرة القصد العقلي فكانت محور اهتمام فلسفته في مجال العقل ((سيرل، ج. 2012: 11).

• الإشارة الذاتية السببية:

يرى "سيرل" أنّ القصدية تعد من أشدّ الظواهر البيولوجية، بما فيها التجارب الإدراكية، و الذكريات كلّ هذه تتميز بالإشارة الذاتية، أي أنّ مضمون الحالة يشير إلى الحالة - يفرض شرط سببي - إذ تتطلّب شروط إرضاء الذاكرة ذاتها أن تكون الحادثة المتذكّرة سبب الذاكرة، كما تتطلّب شروط إرضاء القصد أن يكون القيام بالفعل

الممثل في مضمون القصد أيضا يتطلب أن يكون القصد ذاته سبب القيام بالفعل؛ ومن ثمّ علينا أن نميز بين الحالات التي تتميز بتوجه عقلي تناسبي نحو العالم التي تحوي حالات ذات الإشارة الذاتية سببها كالقصد و الإدراكات و الذكريات و أخرى التي لا تملك هذه الإشارة كالمعتقد و الرغبة.

إنّ كلّ حالة ذات إشارة ذاتية سببية تتميز بتوجه تناسبي و سببي في آن واحد

● شبكة القصدية و خلفية القدرات القصدية السابقة:

يذهب "سيرل" إلى أنّ الحالات القصدية عامة تتطلب خلفية من القدرات اللاقصديّة لكي تقوم بوظيفتها على ما يرام، فالحالات القصدية لا تحدث كوحدة منفردة و إنّما ترتبط بحالات أخرى إلى ما لا نهاية الأمر الذي يشكّل -الشبكة-، فإذا اعتقدنا مثلا أنّها تمطر، فإنّنا لا نستطيع أبدا امتلاك هذا المعتقد بصورة منفردة إذ يجب أن نعتقد بأنّ المطر يتشكّل من نقاط من الماء، و أنّ هذه النقاط شفافة، و أنّها تسقط من السماء نحو الأسفل إلى الأرض ولا تصعد من الأرض إلى الأعلى نحو السماء... إلى ما لا نهاية؛ فالمعتقد - تمطر- لا يكون إلّا وهو في -شبكة- من المعتقدات و حالات قصديّة أخرى؛ و إذا ما لاحقنا خطوط الشبكة فسوف نصل في نهاية الأمر إلى مجموعة من القدرات و طرق تعامل مع هذا العالم و ميول و قدرات و إمكانات نطلق عليها - الخلفية- .

يوصل "سيرل" تحليله لمفهوم القصدية من جميع الجوانب و من زوايا مختلفة - نرى أنّ المجال لا يتسع لتحليلها - محلّلا إياها و راسما بذلك هدفا أساسيا وهو أن "يفسّر كيف تنسجم الظواهر العقلية - الوعي- القصدية، السببية العقلية، و جميع حياتنا العقلية مع بقية الكون؟ كيف يوجد الوعي في الكون هذا الأخير الذي يتشكّل من جسيمات مادية في ميادين القوة؟ كيف يمكن للحالات العقلية أن تقوم بوظائفها سببها في هذا الكون"؟ (سيرل، ج. 2007: 188).

بحث "سيرل" في فلسفة القصد وهو يحاول أن يعطي تفسيراً للعقل كيف ينظر إلى الظواهر العقلية بوصفها جزءاً من العالم الطبيعي و تصوراً للعقل بجميع نواحيه: الوعي، القصدية، الإرادة الحرّة، السببية العقلية، الإدراك، الفعل القصدية،... إلخ) طبيعي بهذا المعنى؛ فحسب رأيه 'وجب و أنّ الأوان أن نعتبر الظواهر العقلية كجزء من العالم الطبيعي، تماما كما أنّ التحليق أو الهضم جزآن من الطبيعة" (سيرل، ج. 2007: 234).

5- خاتمة :

تعد دراستنا هذه بمثابة كشف الحجب عن أساسيات لعلم جديد بات يلوح قضاياه في الأفق إنّها قضايا -علوم الإنسان- الواجب درسها بعيدا عن منهج العلوم الإنسانية فبعد أن سيطرت هذه الأخيرة ولا تزال على الفكر

البشري لحقب من الزمن، نجد أنّ الدراسات الحداثية قد استشكلت رؤى حداثية بمنهج مغاير تماما لما ألفه الفكر البشري، لم يعد هناك مجال لدرس القضايا من جانبها الميثافيزيقي و النظر إليها على أنها قضايا قائمة بذاتها ومنفصلة عن الذات الإنسانية، لم يعد هناك مجال للبحث في الكليات وتحديد المفاهيم المجردة بقدر ما هي دعوة صريحة و جادة لإعادة النظر في تحليل هذه القضايا لكن هذه المرة درس ينطلق من باطن الذات الإنسانية وتحديدًا من خلال تفاعل أو تجاوب الأنزيمات و الجينات و إحداثها لهذه الظواهر، من خلال تطبيق المنهج التجريبي لا التجريدي، بهذا فقط نقرب من الحقائق الموضوعية الدقيقة و نقف على الأسباب المادية المؤدية لها، وجملة القول يمكن أن نحصر النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

1- وقف الاجترار الفكري الذي تحلى به الفكر الإنساني لحقب من الزمن، وهذا سواء في طوق الدراسات في المواضيع المجرد، أو في اعتماد المنهج الكلاسيكي الذي يؤول إلى نتائج نسبية لا مطلقة و بالتالي ضرب مصداقية هذه النتائج.

2- ضرورة طرح العقل السكولاستيكي واستبداله بالطرح الحداثي وهذا باعتماد المنهج الحداثي و مبادئه للوصول إلى نتائج أكثر يقينا و أكثر دقة.

3- درس القضايا من باطن الذات الإنسانية بمنهج العلم و التجربة، فعوض الاجتهاد في ضبط المفاهيم و تحديد التصورات للوصول إلى الحقائق الكلية نتقل إلى كيفية حدوث هذه القضايا و تفاعلها وهي مرتبطة بالعنصر الإنساني، وهذا انطلاقا مما يحدث في الجمجمة، الجينوم، الأنزيم... إلخ) بات لزاما فتح أفقا لمعرفة فلسفية جديدة هي - فلسفة العقل - هي فلسفة قائمة بذاتها ومنفصلة عن الفلسفات السابقة لها ، لها منهجا خاصا و آلياتها التي يزوج فيها بين المجرد و المحسوس إن لم نقل يجعل المجرد محسوسا.

-المصادر و المراجع-

- 1- ابن منظور، (دت). لسان العرب، ط جديدة. القاهرة: دار المعارف.
- 2- الجرجاني، الشريف. (1985). التعريفات، دط. بيروت: مكتبة لبنان.
- 3- الزيندي، عبد الرحمن. (1992). مصادر المعرفة في الفكر الديني و الفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام، ط1. المملكة العربية السعودية: المؤيد.
- 4- السبحاني، جعفر. (1429). نظرية المعرفة، دط. قم: مؤسسة الإمام الصادق
- 5- الغزالي، أبو حامد. (1927). معيار العلم في فن المنطق، ط2. مصر: المطبعة العربية.

- 6- الفارابي، أبو نصر. (1349). عيون المسائل في المنطق و مبادئ الفلسفة القديمة، ط1. حيدر آباد: دائرة المعارف.
 - 7- جارنجي، جيل. (2004). العقل، ط1. تونس: دار محمد علي
 - 8- سكيريك، غنار. تاريخ الفكر الغربي من اليونان القديمة إلى القرن العشرين، (2012). ط1. بيروت: المنظمة العربية للترجم.
 - 9- سيرل، جون. (2007). العقل مدخل موجز، د-ط. الكويت: عالم المعرفة.
 - 10- سيرل، جون. (2006). العقل و اللّغة و المجتمع، ط1. الجزائر: منشورات الإختلاف.
 - 11- سيرل، جون. (2012). بناء الواقع الاجتماعي من الطبيعة إلى الثقافة، ط1. القاهرة: المركز القومي للترجمة
 - 12- صليبا، جميل. (1982). المعجم الفلسفي، دط. دار الكتاب اللبناني: بيروت.
 - 13- محمد، بدوي. (1985). مخطط تاريخي لتقدم العقل البشري، دط. مصر: هيئة الكتاب.
- .INTENTIONALITY-AN an essay in the philosophy of)1983(JON R SEARL.
mind-, cambridge university press : united states America

تاريخ الاستلام: 2017/09/01 - تاريخ التحكيم: 2017/10/10 - تاريخ النشر: 2017/12/30

محلّ الحكم وأثره على صفة الحكم واختلاف الفقهاء

د. مريم عمار عطية

جامعة الملك خالد أبها - المملكة العربية السعودية



ملخص :

يعتبر محلّ الحكم من المصطلحات الرئيسية التي يتعلّق بها الحكم إلا أنّها عند التدقيق والنظر ليست ظاهرة ولا محدّدة، لأنّ هذا المصطلح يتداخل أحيانا مع المناط والعلة والمناسبة.

ولقد حاولت الباحثة ابتداء الوقوف على حقيقة المصطلح عند الأصوليين وتحديد مدلولاته لارتباطها بنوع الحكم التّكليفي وكذلك تحديد الفروق وتحديد أوجه الشبه بين المحلّ وفواتا وثبوتها لرفع اللبس أثناء تكييف المسائل الفقهيّة ولقد تعرضت الباحثة لمسائل مهمة ذات صلة بالموضوع تتمثل في جواز التعليل بمحلّ الحكم، وانفرد البحث بالتعرض لأثر فوات المحلّ على صفة الحكم واعتباره من أسباب اختلافات الفقهاء.

Abstract

The place of Islamic ruling is one of the main terms to which the provision relates, but when it is scrutinized and considered, it is neither apparent nor specific, because this term sometimes interferes with the: Appropriate Islamic governance , The hypocrites, reason .

The researcher has tried to identify the truth of the term among the fundamentalists and determine its significance because it is related to the type of the caste rule as well as to identify the differences and identify the similarities between the shop and the doubts and the ambiguity to clarify the confusion while adapting the jurisprudential issues. The researcher was exposed to important issues related to the subject: To the effect of the absence of the shop on the character of the ruling and considered one of the reasons for differences of scholars

المقدّمة:

لا يخفى على الباحث في علم الأصول أنّ معرفة الحكم الشرعي يعدّ ثمرة علم الأصول والفقّه على السواء وقد عرّف الأصوليون الحكم ومنهم ابن الحاجب بأنّه خطاب الشّارع المتعلّق بأفعال المكلفين بالافتضاء أو التّخيير أو الوضع، وإنّما قصدوا بالخطاب ذلك الوصف الذي يعطيه الشّارع لأفعال المكلفين من حرمة وكراهة أو إباحة أو ما ربطه الشّارع بين أمرين بأن جعل أحدهما سببا أو شرطا أو مانعا.

وليس يخفى أيضا عند الأصوليين أنّ من أبرز متعلّقات الحكم هو محلّه إذ أثبتت القواعد الدالة على أهمية المحلّ وجودا أو فواتا.

أهمية البحث : يستمدّ الموضوع أهميته من أهمية الحكم الشرعي وهذا انطلاقاً مما قرره الفقهاء الأصوليون من أنّ ثبوت الحكم متعلق بمحلّه بقاءً وزوالاً، كما أنّ تحرير مثل هذا البحث يمكن الباحث من تحديد محلّ الحكم من المصطلحات ذات الصلة والتي لها أهميتها القصوى في تحديد متعلّقات الحكم

إشكالية البحث:

يعتبر محلّ الحكم من المباحث المهمة للحكم الشرعي لكونه مرتبط ومتعلّق به، إلا أنّ الإشكالية تكمن في عدم ظهور حقيقة المصطلح بشكل منضبط، كما أنّ تعرّض الأصوليين للمسألة كان مقتضياً وسريعاً ويحتاج إلى مزيد تجلية وبيان، فماذا يقصد الأصوليون بمحلّ الحكم وما الفرق بينه وبين العلة؟ ومتى نحكم على المحلّ بالفوات أو الزوال؟ وما هو أثر الاختلاف في محلّ الحكم على الفروع الفقهية

أهداف البحث :

يهدف البحث إلى تحرير مصطلح المحلّ باعتباره لقباً وباعتباره مرّكباً، كما تسعى محاوره إلى تمييز المحلّ عن العلة والنسخ العقلي، كما يدقّق في معنى فوات المحلّ وزواله، وكيف يؤثّر ذلك على صفة الحكم وكيف يختلف الفقهاء في تكييفه .

منهج البحث :

المنهج الذي سلكته هو المنهج الاستقرائي الناقص وكذا المنهج التحليلي حيث تتبعت كلام الأصوليين في استعمالهم لمحلّ الحكم وطرق تكييفهم، وتناولت سبب اختلافهم في تحديد المفهوم وأثره على الفروع الفقهية .

الدراسات السابقة :

بالنسبة للدراسات السابقة فهي قليلة جداً منها ما تعرّض لمحلّ الحكم بشكل سطحي ومنها ما أصّل للجانب النظري فقط ومن أهمّ هذه الدراسات :

- 1- أثر ذهاب المحلّ في الحكم للدكتور علي جمعة، مجلة الواضحة، دار الحديث الحسنية، المغرب العدد 1، 2003م وما ميز هذا البحث إسهابه في المقدمات المنطقية والعرض والجوهر وكذا أنواع المفاعيل عند المدرسة الكوفية والبصرية باعتبار أنّ الفاعل يكون محلاً للحكم .
- 2- الضوابط الشرعية لوقف العمل بنصوص القرآن والسنة للباحث عزت روي، دار التدمرية، المملكة العربية، 2010م، ط1، والباحث تطرق في صفحة واحدة لمسألة فوات المحلّ واعتباره أحد عوامل تغيير الحكم
- 3- ثبوت الحكم في محلّ النصّ بالعلة، حسونة عارف عز الدين، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، مج 12، العدد 3 والحقيقة لقد اطلعت على البحث وهو لا

يتقارب مع موضوعي إلا في بعض الجزئيات فبحثه يتناول ثبوت الحكم بالعلة فهل الثبوت بالعلة المعرفة أم الباعثة ويقصد بمحل النص الحكم الذي ورد فيه النص بعينه .

4- محلّ الحكم عند الأصوليين للباحثة إيمان شجراوي وهي أصل رسالة دكتوراه تحت إشراف الدكتور عارف حسونة وقد كان بحثها متكاملًا من الجانب النظري إلا أنّ إضافاتي على البحوث التي سبقني تمثلت في حقيقة تكييف الفقهاء لمحلّ الحكم وأثر هذا الاختلاف على اختلافهم في فروع الفقه مدللة على ذلك ببعض الأمثلة الفقهية وكذا تحرير النزاع في علاقة فوات المحل بالنسخ العقلي .

المطلب الأول : محلّ الحكم المفهوم والمصطلحات ذات الصلة

أحاول في هذا المطلب أن أتناول مفهوم محلّ الحكم عند الفقهاء والأصوليين والمصطلحات ذات الصلة به

أولاً: تعريف المحل لغة

يختلف معنى المحلّ في اللّغة بين فتح الحاء وكسرها، فهو مصدر ميمي وهو المكان الذي يحلّ فيه وهو أحد ما جاء من المصادر على مفعّل كالمرجع (ابن سيده، ج4، ص60) أمّا بكسر الحاء فهو الوقت والأجل، يقول تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ البقرة آية 196 ، مكان نحره بمنى أو يوم النحر وقوله أيضا ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ الحج 33 ويقصد بها المكان والموضع (ابن منظور، مادة ححل، ص 163 الفيومي، ج1، ص 147 مادة ححل.) ويقع بالكسر أيضا على الموضع ومنه حديث عائشة قَالَ لَهَا: هَلْ عِنْدَكُمْ شَيْءٌ؟ قَالَتْ: لَا، إِلَّا شَيْءٌ بَعَثْتُ بِهِ إِلَيْنَا نُسَيِّئُهُ مِنَ الشَّاةِ الَّتِي بَعَثْتُ إِلَيْهَا مِنَ الصَّدَقَةِ، فَقَالَ: هَاتِ فَقَدْ بَلَغَتْ مَحَلَّهَا» أي وصلت إلى الموضع الذي تحلّ فيه، وقضيّ الواجب فيها من التصدق بها (ابن الأثير، ج1، ص431) ومحلّ الإعراب في النحو ما يستحقه اللفظ الواقع فيه من الإعراب لو كان معربا.

ثانياً: تعريف المحل اصطلاحاً

لم يتصدّ الأصوليون لوضع تعريف جامع مانع للفظه المحلّ، بالرغم من شيوع هذا اللفظ عند الفقهاء والأصوليين فمثلا جاء في كلام الرازي : «محلّ الحكم أصلا للأصل فتجوز تسميته بالأصل أيضا على ما هو قول الفقهاء وهاهنا دقيقة وهي أنّ تسمية العلة في محلّ النزاع أصلا أولى من تسمية محلّ الوفاق بذلك لأن العلة مؤثرة في الحكم والمحل غير مؤثر» (الرازي 5 ، 18) ويقول الغزالي في المستصفى : «حرّم الشرع شرب الخمر والخمر محلّ الحكم ونحن نطلب مناط الحكم وعلته» (المستصفى 1، 331) لذلك فإنّ الوقوف على دلالة هذا اللفظ يكون عن طريق استقراء الاستعمال، دون إغفال لورودها ضمن سياقاتها المبرزة لأهمّ خصائص المعرفّ ، وهو ما يُعرف بالتعريف بالرسم (الغزالي، 1998م، ص 246) غير أنّ الذي يجعلنا نتساءل هل أنّ استعمالات

الفقهاء لمصطلح المحلّ في مصادرهم له نفس المدلول عند الأصوليين؟ أم أنّ هناك اختلاف في الإطلاق؟
يمكننا معرفة ذلك بعد سرد المفاهيم المتداولة

ثالثاً: مفهوم المحلّ كلقب

استخدم الأصوليون لفظ المحلّ مطلقاً عن إضافته إلى الحكم ومضافاً، أمّا جملة المعاني التي دلّ عليها المحلّ في سياق الإطلاق عن الإضافة فإنّها دلّت على ما يأتي:

1- ما يقع عليه فعل المكلف

استخدم الأصوليون مصطلح محلّ الحكم في ضوء تعرّضهم لمسائل التعليل والنظر إلى الأصل الذي هو محلّ الحكم وكذلك كلامهم على جواز التعليل بمحلّ الحكم وجزئه الخاصّ، وكذا اشتراط كون الوصف المعلّل به قائماً في محلّ الحكم يقول الغزالي: «فإننا نقول حرّم الشارع شرب الخمر والخمر محلّ الحكم ونحن نطلب مناط الحكم وعلته فإذا تبينّت الشدّة عدّيناها إلى التبيد» (الغزالي، 1993م) ويؤكّد الزركشي هذا المعنى في الأصل بقوله: «وقال الفقهاء هو محلّ الحكم المشبّه به سواء اجمع عليه والمنصوص كالمحكوم به» (الزركشي، ج7، ص 95)

ولا يخرج مدلول الفقهاء إذا أطلقوا محلّ الحكم في العقود على ما يقع عليه العقد وتظهر فيه أحكامه وآثاره فقد يكون المحلّ عيناً مالية كالمبيع والموهوب والمرهون وقد يكون المحلّ عملاً كالإجارة والزراعة والوكالة وقد يكون منفعة كالعارية. فمحلّ العقد يختلف إذن باختلاف ما يقع عليه التعاقد يقول ابن قدامة في المغني: «المبيع إنما صار محلاً للعقد باعتبار صفة المالية فما يوجب نقصاً فيها يكون عيباً» (ابن قدامة، ج4، ص 113)

2- محلّ الحكم ودلالته على فعل المكلف

أطلق الأصوليون المحلّ على فعل المكلف الذي يعدّ من أقسام الحكم التكليفي لتعلّق الخطاب به ونجد ابن الهمام يصرح بأنّ ما يقع عليه فعل المكلف يطلق عليه محلاً تجوزاً، بل إنّ محلّ الحكم ليس إلا فعل المكلف جاء في التحرير ما يفيد هذا: «ثم استمرّ تمثيلهم أي الأصوليون محلّ الحكم يعني الأصل بنحو البر والخمر في قياس الذرة والتبيد عليهما في حكمهما تساهلاً تعورف، وإلا فليس في التحقيق محلّ الحكم الأصل إلاّ فعل المكلف كما يذكر لا الأعيان المذكورة» (ابن الهمام، ج3، ص125) ويتابعه أيضاً زكي الدّين شعبان بقوله: «الحكم الشّرعي له مصدر يصدر عنه وهو الله تعالى وله محلّ يتعلّق به وهو الأفعال التي تصدر من المكلفين ويكون الحكم وصفاً شرعياً لها» (شعبان زكي الدين، 1988م، ص 273).

3- محلّ الحكم ودلالته على الفاعل والزمان والمكان

يأتي المحلّ بمعنى الزمان والأجل والمكان

أ- معنى الأجل:

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾ البقرة، آية 196 فمعنى الآية لا تحلقوا رؤوسكم إلا إذا ذبحتم أو يقال حتى يبلغ الهدى محله أي وقت حلوله، لا المراد أن يذبح فعلا وللآية توجيهان: التوجيه الأول: أن يقال إن معنى قوله «حتى يبلغ الهدى محله» ليس هو أن يذبح الهدى بل أن يأتي وقت الذبح التوجيه الثاني: أن حتى يذبح وقال العلامة الدردير (الدردير، ج1، ص525) في كيفية صلاة العيدين من الشرح الصغير ومحل التكبير قبل القراءة ويقصد أجله وزمنه.

ب- المحل بمعنى الفاعل

يقول تاج الدين السبكي: «فإن قلت كل واحد لا بد له من محلّ فما محلّ وجوب الزكاة؟ قلت عند الشافعي محلّه المال وعند أبي حنيفة محلّه بدن المالك، لأنّ التّكليف عنده بالأدلة فقط والعبادات البدنية محلّها البدن عندنا وعندهم كالصّلاة والصّوم ولهذا إذا مات سقطت لفوات محلّها» (تاج الدين السبكي، ج1، ص201) هذه نقطة مهمّة أوّد الإشارة إليها وهي أنّ مصطلح المحلّ عند الفقهاء يأخذ مدلولات متغايرة لها أثر على الفروع الفقهيّة وليس معنى ذلك أنّ لفظ المحلّ يرد على سبيل الحقيقة أو المجاز بل إنّ السّياق الوارد يحدّد مدلوله، ومثل ذلك ما يقال في الخطابات المتوجّهة إلى الغافل والنائم والساهي والمكروه وكذا الخطابات المتعلّقة بخليفة المسلمين، أو بالأرقاء فالخليفة والرقيق محلّ للخطابات المتوجّهة إليهما. فقوله تعالى: ﴿فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ النور آية 33

فالخطاب موجه للأرقاء والمحل هنا بمعنى الفاعل وهو السيّد وهو بمعنى المفعول وهو العبد فالمخاطب الذي وجه له الأمر بالإعتاق هو فاعل وهو محلّ للحكم وكذا الخطاب الموجه لخليفة المسلمين بعد الخلافة الكبرى فقد فقد محلّه والخليفة محلّ بمعنى الفاعل الذي كانت توجه له الخطابات من تجييش الجيوش، وإدارة المال العام، والإذن في الولايات، وإقامة الجمع.

ج- المحلّ بمعنى المكان

ومن اعتبارات المكان محلاً للحكم ما كان عليه تقسيم الفقهاء للدار يقول ابن عابدين المراد بالدار: «الإقليم المختص بقهر ملك الإسلام أو الكفر» (ابن عابدين، 1992م، ج4، ص166)

رابعا: تحرير المقال في مدلول محلّ الحكم

مما سبق يتبين لنا أنّ استعمال الفقهاء لمحلّ الحكم لم يأخذ دلالة محدّدة بل إنّ المتأمل في عباراتهم يجد أنّهم يطلقونه على معان مختلفة تتحدّد من خلال السّياق، فقد يكون المحلّ كما مرّ معنا هو الفاعل المخاطب بالقيام بالفعل أو ما يقع عليه هذا الفعل أو ما يقع فيه الفعل من الزّمان والمكان فالمحلّ الذي يعنيه كلّ من

الفقهاء والأصوليين إذن هو كل ما توجه إليه خطاب الشارع بالطلب أو الوضع مما كان فاعلا أو مفعولا أو زمنا أو مكانا. فثمرة جهد الفقيه والأصولي هو معرفة صفة الحكم الذي توجه له خطاب الشارع من أفعال المكلفين وقد يستلزم هذا ارتباط الفعل بالأسباب والشروط والموانع.

المطلب الثاني : مسائل أصولية متعلقة بمحل الحكم

سأتناول في هذا المطلب جملة من المسائل التي تناولها الأصوليون والمتعلقة بمحل الحكم

أولا: التعليل بمحل الحكم

يعرف بعض العلماء العلة بأنها الوصف الظاهر المنضبط المناسب للحكم كالاسكار بالنسبة للخمر وكالقتل العمد بالسييف فإنّ علة القصاص الاعتداء المقصود بآلة من شأنها أن تقتل، كما عرفها بعضهم بأنها الوصف المتميز الذي يشهد له أصل شرعي بأنه نيط به الحكم (محمد أبو زهرة، ص 121)

ونعلم أنّ الأصوليين انقسموا في وجهة نظرهم للتعليل فطائفة منهم عللوا بالوصف الظاهر المنضبط المناسب، وفريق آخر عللوا بالوصف المناسب من غير أن ينظروا إلى انضباطه والوصف المناسب هو الحكمة من التشريع بالنص.

ولعل هذا هو الفارق بين العلة والحكمة، فإنّ الحكمة غير منضبطة كالمشقة في السفر والضرر في الشفعة ولكنّ الشارع ناط الحكم بأمر آخر منضبط هو مظنة تحقق الحكمة فيه.

1- تمييز القرافي لمحلّ الحكم عن العلة

يعرف القرافي محلّ الحكم بأنه ما وضع له اللفظ، وليس بينه وبين الحكم مناسبة (القرافي، 1973م، ص 406) ويؤكد القرافي على تمييزه بين اللفظين إثر تصديده للتمييز بين المحلّ والعلة القاصرة قائلا: «والمحلّ ما وضع اللفظ له، كوصف البرية مثلا إذا قيل عن البر اشتمل على نوع من الحرارة والرطوبة لاسم به مزاج الإنسان ملائمة لا تحصل بين الإنسان والأرز، فإن الأرز حار يابس يبسا شديدا ينافي مزاج الإنسان فحرم الربا، ومنع بدل واحد منه باثنين لأجل هذه الملائمة الخاصة التي لا توجد في غير البر، فهذا علة قاصرة لا محل، وأما وصف البرية بما هي برية فهو المحلّ». (المصدر السابق)

فالقرافي أراد بالمحلّ اللفظ الذي تواضع عليه أهل اللغة ليميزوا معرّفا بذاته عن غيره في حين أنّ العلة هي الوصف الذي اشتملت عليه هذه الذات مما يصلح أن يناط بها الحكم وهو الفرق الظاهر بين المحلّ والعلة.

2- التعليل بالعلة القاصرة

يتناقل الكثير من الباحثين أنّ العلة القاصرة محلاّ وربما هذا التناقل الذي نجده في كثير من الأبحاث الأصولية يخلّ من الدقة والتحقق، لذلك أحاول في هذه الجزئية كشف بعض اللبس الوارد

قال المحلّي العلة القاصرة: «هي التي لا تتعدّى محل النص» (جلال الدين المحلّي، ج2، ص241) ، وقال الاسنوي: «فالمتعدّية هي التي توجد في غير المحلّ المنصوص عليه كالسكر والقاصرة بخلاف ذلك» (الاسنوي، 1420هـ، ج3، ص103)

ولقد درج الأصوليون في كتب الأصول على أنّ العلة القاصرة لا يجوز تعديتها إلى غير محلّها الذي علّل به، ولكن هل فعلا يعدّ هذا هو الرأي المتعارف عليه والذي يقضي بأنّ قصور موضع التعليل يدلّ على عدم صلاحيتها المطلقة للتعدّي أم أنّ القصور لا يعني ذلك عند الجميع؟

حين نلاحظ الإمام القراني وهو يتصدّى لبيان الفروق بين العلة القاصرة وبين المحلّ، ويتابعه الإمام الطوّبي بنفس التّسق نجده يطلق هذه العبارة التي تحتاج إلى وقفة وتأمل وتمحيص: «فكلّ محلّ علة قاصرة وليس كلّ علة قاصرة محلاً» (القراني، ص 406، الطوّبي، 1407هـ، 1987م، ص 89)

فماذا يقصد بأنّ كلّ محلّ علة قاصرة وليس كلّ علة قاصرة محلاً؟ يبدو قصد الإمامان بأن كل محلّ علة قاصرة انحصار المحلّ بالعلة فإذا اتجه الرأي نحو تعليل حرمة الربا في الذهب والفضة بكونهما ذهباً وفضة فإنّ المحلّ والذي هو اللفظ الموضوع على الماهية صار علة ونفس الأمر لمن علّل حرمة الربا في البر لكونه برا (الرازي، 1997م، ج5، ص 285)

أما عبارة فكلّ علة قاصرة ليست محلاً، فهي اشتمال العلة على وصف غير المحلّ يناسب الحكم. ولعلّي وجدت من أقوال العلماء من اعتبرته دقيقاً وعميقاً وهو قول الإمام النووي الذي ينفي ذلك التقوّل والتحكّم بأنّ العلة هي ذات محلّ الحكم يقول رحمه الله: «ثم لغير المتعدّية فائدتان:

إحدهما أن تعرف أنّ الحكم مقصور عليهما فلا تطمع في القياس والثانية أنه ربما حدث ما يشارك الأصل في العلة فيلحق به، وأجابوا عن الفلوس بأن العلة عندنا كون الذهب والفضة جنس أثمان غالباً وإن لم تكن أثماناً» (النووي، ج9، ص 491). فهل معنى هذا أنّ الإمام النووي يثبت تعدّية العلة القاصرة دون غيره من الأصوليين ولعلّ قصور العلة على محلّها يكون لأحد الأسباب:

- أولها: كون العلة هي نفس محلّ الحكم وقد ضربنا مثلاً لذلك شائعاً وهو حرمة البر لكونه بر
- ثانيهما: أن تكون العلة هي جزء محلّ الحكم، كقول الأصوليين يحرم الخمر لكونه معتصراً من العنب
- ثالثها: كون العلة لم يعلم توفرها إلا في محلّ الحكم كقولنا يحرم الربا لكونهما أثمان للأشياء ولا نعلم أثمان غيرهما (ابن النجار، ج4، ص 51) وحتى يتم الجمع بين كلام الأصوليين وكلام النووي فمرادهم بالعلة التي هي محلّ الحكم تلك العلة التي لا يمكن أن تتجاوز مدلول المحلّ ذاتاً ووصفاً، أمّا كون العلة ليست محلاً يعني العلة الصالحة للتحقق في غير محلّ النصّ، كصلوح الفلوس إذا راجت كونها أثماناً، ووفق رؤية النووي فإنه لم يجعل

قصور غلبة الثمينة طبعي في الذهب والفضة بل جعل ذات القصور معللا بعدم التواجد في غير الذهب والفضة.

ثانيا: أثر فوات المحلّ على صفة الحكم واختلاف الفقهاء

1- المقصود بفوات المحل

الفوات في اللغة إذا قلت فاتي كذا، أي سبقي... وفاتي الأمر فوتا وفواتا: ذهب عني (ابن منظور، مادة فوت، ج2، ص69) ويذكر ابن فارس أصل الفوات فيقول: الفاء والواو والتاء أصل صحيح يدل على خلاف إدراك الشيء والوصول إليه (ابن فارس، 2001م، ص800 مادة فوت)

ونقصد بفوات المحل إذا كان مضافا لعقد من عقود المعاملات مثلا:

- التلف وهو أكثر الصّور شيوعا
- انقطاع محل العقد وتعذر حصوله ووجوده
- خروج محل العقد عن ملك صاحبه
- خروج منفعة محل العقد عن ملك صاحبه
- تغيير محل العقد

وفوات محل العقد إما أن يكون كلياً وذلك إذا فات جميع محلّ العقد، أو جزئياً وذلك إذا فات بعضه (ابن بلبان، 1998م، ص313) وقد عبر الأصوليون عن هذا الفوات بمصطلحات مختلفة منها ذهاب المحل، زوال المحل، سقوط المحل، عدم المحل، انتفاء المحل أمّا في كتب الشيعة الأصولية فإنهم عبروا عن المحل بالموضوع، أما فوات المحل فهو يرادف عندهم ذهاب الموضوع، زوال الموضوع، تغيير الموضوع.

2- المقصود بزوال المحل

امتناع إيقاعه في الخارج عملا مع استمرار بقائه تشريعا ثابتا عن الله إلى يوم القيامة

ومعنى هذا أنّ الحكم متى زال محله حقيقة أو حكما ذاتا أو صفة، فإنّه يتعدّر حالئذ تحقّقه وقيامه في الخارج على أن يبقى الحكم خطابا شرعيا ثابتا عن الله.

وأنبه أنّ زوال المحلّ عند الفقهاء كما مرّ معنا يأخذ معاني أوسع حتى مع وجود المحلّ، فقد يوجد المحل في القصاص ، ولكن يتعدّر أخذه لمصلحة الجاني كقطع يده ورجله من خلاف في الحراية، فإن حارب فإنّ الفقهاء لا يأخذون من الرجل واليد الأخرى، كما يكون المحلّ موجودا غير منعدم حقيقة كاليد الشلّاء في القصاص، فإنها غير صالحة لأنّها دون الحق في القصاص، وعلى هذا فإنّ زوال المحل يقصد به انعدام المحل ذاتا أو صفة على نحو يتعدّر معه تحقّقه في الخارج على وجهه المعتر شرعا.

لقد تبين لي من خلال البحث في هذا الموضوع أنّ الحكم الشرعي إذا فات محلّه، فإنّ هذا الفوات له أثر على اختلاف الفقهاء. والسؤال الذي يجب أن يطرح في هذا الباب هل أنّ فوات المحل يرفع الحكم في كل الصور أم أنّ هناك اعتبارات أقوى من المحل؟

ثالثاً: الإختلاف الفقهي الواقع في تكييف فوات المحل

كثير من الإختلاف الواقع بين الفقهاء راجع إلى تحديد مدلول المحل وبالتالي يختلف تكييفهم للمسألة ولتقريب هذه المسألة أعرض لمثال أو مثالين أحاول فيهما التركيز على الإختلاف الفقهي الواقع في تكييف محل الحكم

1- مسألة الصلّاة لمن لم يغب عندهم الشفق

هذه المسألة ظهرت في القرن السادس لأنّ أهل البلد لم يكونوا يجدون وقت العشاء ولم تتحقّق مدّته الفاصلة وهي غروب الشفق في الأوقات المعتدلة، والأقطار المتوسطة فهل تجب الصلوات الخمس والصوم وسائر العبادات على سكان هذه الأقطار؟

وهل يعد وقت الصلّاة محلاً لها باعتبارها مفعولاً فيه؟ وحركات الشمس محددات لهذا المحل وهو ما يعرف في الحكم الوضعي بالأسباب وهي ما جعله الشارع، أم أنّ وقت الصلّاة ليس محلاً وإنما هو علامة لوجوب قد استقر في ذمة المكلف بالخطاب الشرعي وعليه فإن لم ير وقت الصلاة فإن الصلّاة واجبة في ذمته.

والحقيقة أنّ هذه المسألة من المسائل التي تصدّى لها الفقهاء بالتأليف والرود خاصة علماء الحنفية فقد أظهرت هذه المسائل إشكالية تكييف المحل عند الفقهاء مما كان له الأثر الواضح على إختلافهم الواضح في وصف الحكم.

فقد أفتى برهان الدّين الكبير في أهل بلد كلّما تغرب الشّمس يطلع الفجر أنّ عليهم صلاة العشاء والصّحيح أنه لا ينوي القضاء لفقد وقت الأداء (ابن عابدين، ج1، ص 363)

أمّا في المحيط البرهاني فقد وردته الفتوى في زمنه وكان فيها أنّ لا نجد وقت العشاء في بلدتنا فإنّ الشّمس كما تغرب يطلع الفجر من الجانب الآخر هل علينا صلاة العشاء؟

فكتب في الجواب أنه ليس عليكم صلاة العشاء وهكذا كان يفتي ظهير الدّين المرغيناني (الزيلعي، ج1، ص 81) وجملة المسألة بتفصيلها في كتب الحنفية إلا أنّ الذي يجب أن أشير إليه أنّ مأخذ القول بالوجوب هو برهان الدين الكبير ومأخذ القول بعدمه هو الصدر الكبير برهان الأئمة وقد تعلل الموجبين للحكم بان الوقت ليس محلاً وحتى إن فات المحل ثبت الواجب في ذمة المكلف بموجب الخطاب في حين تعلل من أسقطها بأن وقت الصلاة محلاً للحكم فإذا سقط سقط الحكم معه .

2- فوات المحل في القصاص

تتعدد صور فوات المحل كما يلي :

- انعدام المحل وذلك بموت الجاني أو قتله أو سقوط العضو المطلوب في القصاص أو الحد
- عدم صلاحية المحل لإيقاع العقوبة كأن تكون اليد المراد قطعها شلاء فقد قال الفقهاء لا يجوز أخذها في القصاص لأنها دون الحقّ إن كان الحق قصاصا
- أن يكون المحلّ موجودا وصالحا للعقوبة ولكن يتعدّر أخذه بمعنى آخر كما لو كان أخذه يؤدّي إلى إعاقة الجاني إعاقة كاملة (محمد بن عوض المخلفي، 2005، ص 57، 58)
- من خلال صور فوات المحل فإنه يتبين أنّ المحل يطلق على الفاعل ، أو مكان العقوبة ، وإذا فات المحلّ بموت الجاني هل لأولياء القصاص مطالبة الورثة بالقصاص أو الدية؟
- لم يختلف الفقهاء في سقوط حقّ الأولياء في القصاص إجماعا لاستحالة استيفائه بسبب فوات محله إلا أنّ ثبوت الدية في مال الجاني هي محل اختلاف
- يرى الحنابلة والشافعية أنّ فوات محلّ القصاص أسقط عقوبة القصاص سواء كان الموت بسبب أو بأفة سماوية، ولكنه يؤدّي إلى وجوب الدية في مال الجاني إذا ترك مالا فيطالب أولياء المجني ورثة الجاني، أما إذا لم يخلف مالا فيسقط حقهم لتعذر استيفائه
- جاء في الإنصاف للمرداوي « وإن مات القاتل وجبت الدية في تركته وهذا هو الصحيح من المذهب نص عليه وجزم به في المغني والشرح »
- واحتج الحنابلة بأنّ الواجب في القتل أحد شيئين غير عين القصاص أو الدية فإذا تعذر أحدهما لفوات محله وجب الآخر، ولأن ما ضمن بسببين إذا تعذر أحدهما ثبت الآخر كذوات الأمثال (عودة ، ج2، ص156، 157،) في حين يرى الحنفية أنّ انعدام محلّ القصاص يترتب عليه سقوط عقوبة القصاص ولا يترتب عليه وجوب الدية في مال القاتل ، لأنّ القصاص واجب عينا جاء في بدائع الصنائع:«إن مات من عليه القصاص بأفة سماوية لأنه لا يتصور بقاء الشيء في غير محله، وإذا سقط القصاص لا تجب الدية عندنا لأنّ القصاص هو الواجب عينا» (الكاساني، 1986م، ج10، ص 4645) ولقد تابع المالكية رأي الحنفية في عدم وجوب الدية على الورثة وسقوطها بسقوط المحل.

إنّ هذه المسائل المتعلقة بالمحلّ وفواته في الحقيقة لها آثار كما نبتت على صفة الحكم كما أنّ اختلاف الفقهاء في تكييف المحلّ له آثار على المسائل الفقهية ، وأنا أرى والله أعلم أنّ سبب اختلاف الحنابلة والشافعية مع الحنفية والمالكية هو في تكييفهم لمحل الحكم حيث اعتبر الحنابلة أنّ للحكم محلين واجبين يقوم أحدهما

مقام الآخر إثر فوات أحدهما في حين يرى الحنفية والمالكية أنّ الحكم له محل واحد هو القصاص عينا فإذا فات سقط الحكم.

3- فوات محلّ العقد في المعاملات المالية

أثر فوات محلّ العقد يختلف من عقد إلى آخر كما يختلف في العقد الواحد ويرجع هذا الأثر المختلف فيه لطبيعة المحل الفئات فقد يكون أثره مثلا: فسخ العقد، أو عدمه كتلف كل المبيع قبل قبضه بجائحة سماوية كما إذا تلف كل مال عقد المضاربة والمشاركة.

وقد يكون أثره عدم لزوم العقد وإثبات الخيار للعاقدين بين فسخه وإمضائه كتلف كلّ المبيع أو بعضه بيد البائع كما يكون من أثره التضمين أو عدمه كتلف العين المرهونة أو المستعارة أو المودعة أو الموكل فيه بتعد أو تفريط ممن هي في يده.

ثالثا: علاقة فوات المحل ببعض المصطلحات ذات الصلة:

أحاول في هذا المبحث أن أتطرّق لبعض المصطلحات التي لها صلة بفوات المحل

1- الاستحالة:

هي تغيير طبائع الأشياء وأوصافها وانتقالها من حال إلى حال وهي مصدر من الفعل استحال¹ (الفيومي، ج1، ص157)

وبسبب تغيير ماهية الأشياء فإن الأحكام بلا شك تتغير لأنّ الشارع رتب الأحكام على أوصاف معينة فإذا استحالت تغيرت الأحكام، مثلها الخمر إذا استحالت خلا بنفسها فقد طهرت فحينئذ يحل أكلها بالإجماع لأنّ هذه الخمر لم تعد خمرا لاستحالتها خلا، لأنّ الحكم الذي كان مترتبا على الوصف قد تغير فيؤدي إلى تغيير الحكم (عزت روبي، 2010 م) وقد ذكرها علي جمعة أيضا ص 17

2- ضيق المحل

قد يضيق المحل دون أن ينتفي أو يذهب بالكلية مثل تعيين الواجب الكفائي¹ -ويقصد بالواجب الكفائي ما يطالب بأدائه مجموع المكلفين فإذا فعله بعضهم سقط الطلب عن الباقي وإذا لم يفعله أحد أثنوا جميعا كتغسيل الموتى والصلاة عليهم- إلى طائفة محتاج إليها لتحقيق الأفعال المأمورة بها، وينقلب عينا إذا كان المطالب به واحدا فإذا كان في البلد طبيب واحد كان إسعاف المرضى واجبا عينا عليه، ولا يعتبر هذا من قبيل زوال الحكم أو فواته بل يعدّ ضيقا في المحل يتّسع متى زال الضيق. (علي جمعة ص19)

3- الإلغاء

الإلغاء هو الإبطال وإلغاء العمل بالنصّ يقصد به إبطال العمل وتعطيله فإن كان هذا الإبطال من عند الله فهو

النسخ، وإن كان الإبطال مؤقتاً مرتبطاً بمصلحة فهو وقف وإن كان من الناس فهو حرام لأنه تعدد على حدود الله.

4- وقف النص

والوقف لغة هو الحبس، أما في الاصطلاح فيختلف معنى الكلمة حسب العلم الذي تناوله فهي في الفقه تختلف دلالتها عن الأصول وعن علم القراءات، والوقف عند الأصوليين معناه التوقف عن القول بأحد قولين أو رأيين أو العمل بأحدهما (الغزالي، 1993م، ج1، ص126) ويقصد الأصوليون بالوقف الوقف المؤقت أو التعطيل المؤقت ببعض نصوص القرآن والسنة، لعدم تحقق شروط العمل بالنص وبوجود الموانع عن العمل (عزت روي ص209). وفوات محل الحكم إذا كان كلياً أدى إلى وقف الحكم وقفا دائماً ومثاله من قطعت رجله إلى كعبه أو يديه إلى مرفقيه وقد سقط هذا الحكم بالكلية لذهاب محله (إيمان شجراوي، ص105) حيث إن المقطوع كان محلاً للحكم كغيره من أعضاء الوضوء وقد ذهب، وإذا كان تأثير ذهاب المحل بوقفه مؤقتاً فهو يلتقي مع معنى الوقف، كوقف صرف سهم المؤلفة قلوبهم زمن سيدنا عمر لعدم وجود أصحابه في أثناء خلافة أبي بكر وقد قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾ سورة التوبة آية 60

5- النسخ العقلي

يعرف الأصوليون النسخ بأنه: رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متأخر (ابن قدامة المقدسي، 2002م، ص87). ومثاله نسخ التوجه في الصلاة نحو بيت المقدس بأن صارت الكعبة هي القبلة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قَوْلٌ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ﴾ سورة البقرة آية 144. ويتفق النسخ مع زوال الحكم في أنّ كل منهما رفع للحكم إلا أنّ الرفع في النسخ هو رفع نهائي أما الرفع في الزوال فهو رفع مؤقت يعود متى عاد المحل. أما مقتضى الرفع في النسخ فهو إرادة الله سبحانه وتعالى لموجب أو لغير موجب في حين مقتضى الرفع عند فوات المحل هو الفقيه أو الحاكم لمصلحة أو لعدم تحقق صلاحية المحل للحكم. وقد تكلم الإمام الرازي على أن فوات المحل هو نسخ بالعقل وجاء عند قوله: «فإن قيل لو جاز التخصيص بالعقل فهل يجوز النسخ به قلنا نعم لأن من سقطت رجلاه سقط عنه فرض غسل الرجلين وذلك إنما عرف بالعقل» (الرازي، ج3، ص74).

ولقد عارض الأصوليون الرازي في ادعائه وكذا الإرموي لأنهم لا يقولون بجواز النسخ بالعقل مؤكدين على أنّ بقاء المحل هو شرط في ثبوت الحكم واستمراره، فلم يكن فوات الحكم بزوال محله نسخاً ولقد أحسن القراني الجواب إذ قال العقل ليس ناسخاً في حق من سقطت رجلاه، فإنّ الوجوب ساقط عنه وهذا ليس نسخاً لأنّ بقاء المحل

شرط وعدم الحكم لعدم سببه أو شرطه أو قيام مانعه ليس نسخا وإلا كان النسخ واقعا طول الزمان لطريان الأسباب وعدمها. (القرآني، ص 316)

الخاتمة :

- يعتبر محل الحكم في الأصول مركز مدار الفعل وقد تركزت استخدامات الأصوليين لهذا المصطلح في باب التعليل وإثر تناولهم للفرع والأصل في باب القياس .
- محل الحكم ليس هو علة الحكم فالشارع إذا حرم شرب الخمر ، فشرب الخمر محل الحكم ولكن يطلب مناط الحكم وعلته الذي هو الإسكار
- من خلال ما مرّ معنا يبقى اصطلاح محلّ الحكم عند الأصوليين يحتاج إلى ضبط وتحرير خاصّة أنهم استعملوا محلّ الحكم للدلالة على الفاعل المكلف للقيام بالفعل كما استخدموه لزمان الفعل ومكانه وما يقع عليه فعل المكلف وتوسّعوا به إلى فعل المكلف ومحلّ فعله .
- قد يكون محلّ الحكم ركنا وهو ما يسمّى بفعل المكلف وفي هذه الحالة يتوقف الحكم على المحلّ وجودا وعدمه وقد يكون شرطا وهو ما يسمّى بمحلّ فعل المكلف وهنا يلزم من انعدام المحل انعدام الحكم وما يثبت للشرط كأحد أقسام الحكم الوضعي يثبت للمحل كما يأخذ السبب والمانع نفس ما يأخذه الشرط من خصائص واعتبارات .
- الراجح عند الأصوليين جواز التعليل بمحل الحكم فيما إذا كانت العلة قاصرة

الهوامش

- 1 - من أبرز هذه القواعد: الحكم لا يتصور ثبوته بدون محله وأيضا استحالة ثبوته في غير محله، الشيء لا يبقى بعد فوات محله، التصرف المضاف إلى غير محله باطل، العقد يبطل بهلاك محله. ينظر ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير، 1983م، ط2، ج1، ص133.

قائمة المصادر والمراجع

1. الإسنوي، نهاية السؤل، دار الكتب العلمية، بيروت، 1420هـ، ج3.
2. ابن أمير الحاج، التقرير والتحبير، دار الكتب العلمية، 1403هـ، 1983م، ط2، ج1.
3. ابن بلبان، مختصر الإفادات، تحقيق محمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، 1419هـ، 1998م
4. إيمان عبد المنعم شجراوي، محل الحكم عند الأصوليين ، الجامعة الأردنية ،إشراف الدكتور عارف حسونة، 20016م
5. تاج الدين السبكي، الفتاوى، دار المعارف، دط، دت، ج1.
6. جلال الدين المحلي، شرح المحلّي على جمع الجوامع، مؤسسة مصطفى الحلبي، القاهرة، ج2.

7. الرازي، المحصول، مؤسسة الرسالة، 1418هـ، 1997م، ط3
8. الزركشي، البحر المحيط، دار الكتب العلمية، 1414هـ، 1994م، ج7.
9. الزيلعي، تبين الحقائق شرح كنز الدقائق، المطبعة الكبرى الأميرية، القاهرة، بولاق، ج1
10. شعبان زكي البن، أصول الفقه الإسلامي، مؤسسة علي الصباح، الكويت، 1408هـ، 1988م.
11. الطوفي، شرح مختصر الروضة، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، 1407هـ، 1987م، ط1.
12. ابن عابدين، رد المحتار على الدر المختار، دار الفكر، بيروت، 1412هـ، 1992م، ط2، ج4.
13. عزت روبي مجاور، الضوابط الشرعية لوقف العمل بنصوص القرآن والسنة، دار ابن حزم، 1431هـ، 2010م، ط1.
14. علي جمعة، أثر ذهاب المحل في الحكم، مجلة الواضحة، دار الحديث الحسنية، المغرب، ع1، 2003م
15. الغزالي، المستصفي، دار الكتب العلمية، 1431هـ، 1993م.
16. الغزالي، المنحول، بيروت، دار الفكر المعاصر، 1419هـ، 1998م، ط3.
17. ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، بيروت، دار إحياء التراث، 1422هـ، 2001م.
18. الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت، دط، ج1
19. ابن قدامة المقدسي، روضة الناظر وجنة المناظر، مؤسسة الريان، 1423هـ، 2002م، ط2.
20. ابن قدامة، المغني، مكتبة القاهرة، 1388هـ، 1968م، ج4.
21. القراني، شرح تنقيح الفصول، شركة الطباعة الفنية المتحدة، 1393هـ، 1973م.
22. الكاساني، بدائع الصنائع، دار الكتب العلمية، بيروت، 1406هـ، 1986م، ط2، ج10
23. محمد أبو زهرة، أصول الفقه، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، دت.
24. محمد بن عوض المخلفي، فوات محل القصاص في الشريعة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 2005
25. ابن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، دط، دت.
26. ابن النجار، الكوكب المنير، الرياض، العبيكان، دط، دت.

تاريخ الاستلام: 2017/01/15 - تاريخ التحكيم: 2017/04/09 - تاريخ النشر: 2017/12/30

جذور مبدأ الاستقلال لدى النخبة الوطنية التونسية

في جامع الزيتونة ما بين 1881 - 1920 م

أ.د. علي غنابزية

أ. كوثر هاشم

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي (الجزائر)



الملخص:

تتناول الدراسة دور النخبة الوطنية الزيتونية في العمل الوطني التونسي وفي بلورة مطلب الاستقلال ، في الفترة ما بين 1900 باعتبار أنّ مطلع القرن العشرين مثل بدايات الوعي والنهضة الوطنية في تونس ، وصولا إلى سنة 1920 عندما أسس الشيخ عبد العزيز التّعالبي الذي يعتبر رائد الحرية الوطنية التونسية الحزب الحرّ الدستوري التونسي .
الكلمات المفتاحية: مبدأ الاستقلال النخبة الوطنية، جامع الزيتونة. الحماية. الشعب التونسي

Abstract:

The study address the role of the national elite al-Zaytunah issues in the work of the Tunisian national, in elaborating the independence demand, in the period between 1900 since the beginning of the twentieth century, such as the beginnings of awareness of National Renaissance in Tunisia, access to the year 1920 when the foundations of Sheikh Abdul Aziz Ta 'allibi, which is considered the pioneer of freedom, Tunisian National Tunisian Constitutional Liberal Party.

Keywords :The principle of independence National elite; Zitouna Mosque, T Protection unisian people

مقدمة :

لم يكن جامع الزيتونة مؤسسة دينية تربوية يتلقّى فيها أبناء تونس تعليمهم فحسب، بل كان الملهم الروحي ، والمدافع القوي عن مقومات الهوية الوطنية التونسية، وانتمائها العربي والإسلامي، منذ تأسيسه في القرن الثاني للهجرة ، ومثل المؤسسة التي أنجبت العديد من الوطنيين التونسيين الذين تزعموا حركة المقاومة بمختلف أشكالها ضدّ الاحتلال الفرنسي، وساهم مساهمة فعّالة في تنوير الشعب التونسي وإصلاحه.

ولا شك أن النضال وجد له حجما معتبرا في فضاء الجامع، وتبلور من خلال النشاط الحثيث للطلبة والعلماء، وأثمر عملا وطنيا فعّالا، ارتقى إلى الفعل السياسي الجلي. فما هو دوره السياسي الحقيقي، وهل ساهم في بعث الحركة الوطنية، وما هي جهوده الفكرية في تنوير الرأي العام التونسي، ونشر قيم الوطنية، حتّى توصّل إلى ضرورة المطالبة بحقّ الشعب في التحرّر والاستقلال ؟

أولا: موقف جامع الزيتونة من الحماية والسياسات الفرنسية :

انطلاقاً من أسس ومبادئ الزيتونة، وقيمه الوطنية المستمدة من العروبة والإسلام، والداعية إلى ضرورة الاستقلال بالمقومات الوطنية عن كل ما هو أجنبي ودخيل، فقد رفض الانصياع لكل محاولات سلطات الحماية الفرنسية التي استهدفت تغريب وفرنسة المجتمع التونسي، لأن القيادة الفكرية خلال السنوات الأولى للاحتلال الفرنسي لتونس كانت خاضعة للمدرسة الزيتونية، المؤثرة في الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية، وهي الموجهة لأغلب التحركات الوطنية، والتجمعات الحزبية داخل المجتمع التونسي، وبذلك يعود النشاط الوطني لدى النخبة الزيتونية إلى بداية فرض الحماية، حيث احتج العلماء الزيتونيون على إمضاء معاهدة باردو في 12 ماي 1881، واتفاقيات المرسى في 08 جوان 1883، والتي صادق البرلمان الفرنسي عليها؛ وكرد فعل منها على هذا الاحتجاج، قامت سلطات المحتل الفرنسي بفصل البعض من وظائفهم، بينما اختار آخرون الهجرة للعمل خارج الديار، من أجل حشد التأييد وتعبئة رأي العالم الإسلامي في انتظار الفرصة المواتية للعودة إلى أرض الوطن، ومن بينهم الشيخ صالح الشرفي⁽²⁾ (شتره، خير الدين. (2009). الطلبة الجزائريون بجامع الزيتونة 1900 - 1956، ج 3، الجزائر، دار البصائر للنشر، ص 62)، ومحمد الخضر حسين⁽³⁾ (المرجع السابق، ص 34)، وإسماعيل الصفايحي (المرجع السابق، ج 1، ص 710) وغيرهم.

كانت فرنسا متيقنة من خطر جامع الزيتونة عليها، وعلى سياساتها في تونس لذلك وقفت في سبيل إصلاح حالة الجامع، وتحديث مناهجه وأساليبه منذ إعلانها الحماية 1881، وارتكزت مخططاتها على عرقلة تطوير الثقافة القومية، ومضايقه اللغة العربية حتى لا تكون أداة النهضة الفكرية، والثقافية في البلاد التونسية، ومنع الزيتونيين من تقلد الوظائف الإدارية بحجة أنهم ليسوا مثقفين ثقافة فرنسية، وإلى جانب ذلك شنت سلط الحماية حملة دعائية مغرضة من خلال صحفها لتأليب الرأي العام الفرنسي، والعالمي على الجامع الأعظم وحرجه، ووصفتهم بالجمود والتصلب والحمول، وفي الوقت ذاته لجأت إدارة الاحتلال إلى مناصرة البدعة والخرافة، فأغدق على أصحابها بالأموال، وأيدتهم معنوياً، ومنحتهم مكانة ومهابة، ولقوا بذلك التأييد والمساندة على حساب العلماء الزيتونيين المسلحين بالثقافة العربية والإسلامية والإصلاح، والرافضين لاستمرار الحماية، ومطالبين بتغيير الوضع (فلاحي، رابع. (2008). جامع الزيتونة و الحركة الإصلاحية في الجزائر 1908 - 1954. رسالة ماجستير، جامعة منتوري بقسنطينة، الجزائر. ص 111-112). ورغم ما واجهته النخبة الزيتونية من مضايقات من الاحتلال إلا أن ذلك لم يثن من عزمها، ولم يحد من مقاومتها للاحتلال، حيث عادت بعلمائها

⁽²⁾ صالح الشرفي: من أصول جزائرية، ولد بتونس، التحق بالزيتونة سنة 1881 ونال منه شهادة التطوع سنة 1888، تولى التدريس سنة 1894 ثم مدرسا بالمدرسة العصفورية سنة 1897، ونظرا لنشاطه السياسي المكثف تعرض لمضايقات السلطات الاستعمارية مما اضطره للهجرة إلى إسطنبول سنة 1906، كانت له أنشطة سياسية، وتعليمية مكثفة في المشرق العربي، ودور كبير في النضال المهجري الجزائري التونسي بأوربا أثناء الحرب العالمية الأولى.

⁽³⁾ محمد الخضر حسين: من أصل جزائري، ولد بنفطة التونسية، ثم انتقل مع والده إلى تونس العاصمة ودخل الزيتونة حيث تحصل على شهادة التطوع، و في سنة 1904 أصدر مجلة السعادة العظمى وتولى القضاء في بنزرت، ثم درس بالجامع الأعظم والمدرسة الخلدونية، هاجر مرغماً إلى دمشق ثم مصر سنة 1922، أين درس بجامع الأزهر وأنشأ جمعية الهداية الإسلامية، ونال عضوية هيئة كبار العلماء الأزهرين، وأصدر عددا من المجلات منها: نور الإسلام - لواء الإسلام، كما اختير إماماً لمشيخة الأزهر، وتوفي بالقاهرة سنة 1958.

وطلبتها بقوة إلى مسرح العمل الوطني منذ العشريّة الأولى للقرن العشرين، وبرز ذلك جليًا من خلال معارضة الزّيتونيين لإجراءات بلدية مدينة تونس، بخصوص الرّفْع في سعر الماء الصّالح للشرب واعتبرتها مخالفة لأحكام الشريعة الإسلامية. (شترّة ، خير الدين: ج1 ، المرجع السابق ، ص 711). فضلا عن موقفهم الجريء من أحداث مقبرة الزّلاج ، عندما حاولت بلدية تونس تسجيل المقبرة التي كانت قانونيًا وقفًا من أوقاف المسلمين، ومن مسؤولية "جمعية الأوقاف " غير أنّ هذه الأخيرة أبلغت البلدية بأنّها غير قادرة على الإشراف عليها خاصّة أنّها لا تتمتع بأيّ وقف يضمن لها دخلا لتسيير شؤونها ، فعمد مسؤول البلدية إلى تقديم طلب إلى المحكمة العقارية المختلطة في 26 سبتمبر 1911 موقعا من كاهية رئيس البلدية لتسجيلها، (المرزوقي ، محمد و الجيلاني ، بن الحاج يحيى. (1974). معركة الزّلاج . (ط2). تونس. الشركة الوطنية للتوزيع. ص 17- 18) وفي 07 نوفمبر دعي سكان العاصمة تونس لحضور عمليّة التّسجيل فاحتشد ما بين 2000 و3000 تونسي مندّدين، ومتنفضين رافضين أن تصبح الزّلاج أرضا في قبضة المحتلّ الفرنسيّ، (بن جابو ، أحمد. (2011). المهاجرون الجزائريّون و نشاطهم في تونس 1830 – 1954 . أطروحة دكتوراه ، جامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، الجزائر، ص 219) لكن سرعان ما تحوّلت إلى أحداث دامية بسبب إطلاق أحد مسؤولي الشرطة الفرنسيّة الرصاص، فقتل به أحد التونسيين ممّا أثار بقيّة المحتشدين، واختلط الحابل بالنّابل، واشتبك الطّرفان، حتّى راح ضحيتها عدد من التونسيين، زيادة عن الجرحى والمتهمين الذين بلغ عددهم أكثر من 800 تونسي قدّموا للمحاكم، منهم 72 شخصا مثلوا أمام المحكمة الفرنسيّة الجنائيّة في قضية واحدة بتهم متعدّدة كالقتل، والمشاركة فيه، ومحاولة القتل، والسّرقة والإخلال بأمن الدّولة وغيرها، (المرزوقي ، محمد و الجيلاني بن الحاج يحيى. المرجع السابق . ص 38) وكلّها كانت تهما واهية مزبقة لفتتها سلط الحماية لهم انتقاما منهم على معارضتهم لها، ومواجهتها في يوم الزّلاج. لقد كان جامع الزّيتونة معقلا لاحتجاجات التونسيين على تسجيل المقبرة، عندما كتبت المعلقات على الأبواب تدعوا السكّان إلى التجمّع أمامها، (شترّة ، خير الدين. ج1 المرجع السابق. ص 711) احتجاجا على ضمّها، لذلك حملت السّلطات الفرنسيّة، حركة الشّباب التونسي - التي كان يتزعمها علي باش حمبة⁽⁴⁾ - (الزمرلي، الصّادق . (1986). أعلام تونسيون . تقديم وتحقيق : حمادي الساحلي . (ط1). بيروت. دار الغرب الإسلامي ، ص ص 141 – 144) مسؤوليّة الحوادث فعطّلت جريدتها التونسي، وأعلنت الأحكام العرفيّة في البلاد التي بقيت تحت الحكم العسكري منذ 1911 إلى غاية 1922. (ثامر ، الحبيب . هذه تونس . مطبعة الرسالة ، ص 84).

ورغم الآثار العميقة والآلام التي خلّفتها هذه الأحداث في نفوس التونسيين إلا أنّ تلك الأحداث قد بيّنت أنّ روح المقاومة قد ولدت في الجماهير بعد أن كانت لا تشعر بها إلا النخبة المثقفة وحدها، (جوليان، شارل أندري.

⁴ علي باش حمبة : ولد سنة 1876 ، من أصول تركية من منطقة الأناضول ، كان جدّه رئيسا لجد الأتراك، فورث عنه حبّه لنفوذ وللنظام، تعلّم بالمدرسة الصّادقية وتخرّج منها ، ثمّ أصبح وكيلها ، كما تمكّن من إعداد الإجازة في الحقوق والنجاح فيها، أنشأ جمعية قداماء الصّادقية سنة 1905 ، وأصدر جريدة التونسي بالفرنسية سنة 1907 ، وأشرف على تحريرها كما ترأس حركة الشباب التونسي الوطنيّة ، ورغم تشبّعه بالثقافة الفرنسيّة إلا أنّه عرف بنزعة التحرّرية ومعاداته للاستعمار، توفّي سنة 1918 .

(1976). إفريقيا الشمالية تسير (القوميّات الإسلاميّة و السيادة الفرنسيّة) . ترجمة المنجي سليم وآخرون ، تونس. الدار التونسية للنشر ، ص 89) ، إذ لم تلبث أن برز صوت معادي للأجانب في تونس خاصّة منهم الجالية الإيطاليّة التي كانت تتمتع بمكانة هامة في شركة الترام للنقل، التي كان يتقاضى فيها العامل التونسي أجرا زهيدا مقابل ما يتقاضاه العامل الفرنسي والإيطالي، (مناصريّة ، يوسف. (2014). دور النّخبة الجزائريّة في الحركة الوطنيّة التونسيّة بين الحربين العالميّتين . الجزائر، دار هومة ، ص 45) ، لاسيما بعدما تسبّب سائق إيطالي في قتل طفل تونسي يوم 09 فيفري 1912، يومئذ قرّر التونسيّون مقاطعة ركوب الترامواي، وتزامن ذلك مع تأثرهم بما كان يحدث في الجارة طرابلس التي احتلّها الطليان منذ 1911، وطالب العمّال منهم بالمساواة في الأجور بينهم وبين بقية العمّال الأجانب.(جوليان ، شارل أندري . المرجع السابق . ص 90) وأصرّ التونسيّون على موقفهم، وشجّعهم على ذلك خطب أئمة المساجد، وشيوخ الزوايا، والتّقوا حول جريدة التونسي،⁽⁵⁾ (الشريف ، محمّد الهادي . تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال ، ترجمة : محمد الشاوش ومحمد عجينة . (ط3). تونس. دار سراس للنشر، ص 113) لسان حال حركة الشّباب التونسي والصّحف الإسلاميّة الأخرى، وتألّفت لجنة للدّفاع عن حقوقهم على رأسها العديد من الشّخصيّات الزيتونيّة منهم عبد العزيز الثّعالي⁽⁶⁾ (شترّة ،خير الدين. ج 3 . المرجع السابق ، ص 24) ، وعلي باش حامية ، وحسن قلائي⁽⁷⁾ (شترّة ،خير الدين. ج 3 . المرجع السابق ، ص 84) ومحمّد نعمان، إضافة إلى الأستاذ الفرنسي أوغوست ديستري (August Destrée)⁽⁸⁾ (مناصريّة ، يوسف. المرجع السابق ، ص 45) غير أنّ الإدارة الفرنسيّة اعتبرت مقاطعة التونسيين لشركة النّقل الفرنسيّة، ومساندة الزيتويّين وجماعة الشّباب التونسي لهم، مؤامرة سياسيّة ضدها، فردّ عليها علي باش حامية مخاطبا كاتب الحكومة العام قائلا : "إني أتساءل لماذا يراد الزجّ بفرنسا في أمور لا علاقة لها بمصالحها ... لن نرضى إذا ما ناقشنا أعمال إدارة الحماية أو شركة خاصّة مسؤولة عن مصلحة عموميّة... بأن يعترض علينا بدعوى أنّنا نكسر شوكة فرنسا في هذه البلاد" (المرجع السابق ، ص 46).

اعتبرت فرنسا ذلك تحدّيا لها من قبل النّخبة التونسيّة المثقفة، ورأت ضرورة التخلّص من زعمائها، فسارعت بإصدار أوامر نفي كلّ أعضاء اللّجنة طبقا لقرار أصدرته في 13 مارس 1912، فنفي عبد العزيز الثّعالي على إثره إلى فرنسا (جغام ،حسن أحمد. (1989). أئمة اجتمعت في إنسان . تونس. منشورات دار المعارف ، ص

⁵ جريدة التونسي: اللسان التاطق باسم حركة الشّباب التونسي التي ظهرت سنة 1907، و ترأّسها المحامي ذو الثقافة المزدوجة العربيّة والأوربيّة علي باش حبة .

⁶ عبد العزيز الثّعالي: من أصول جزائريّة ، ولد بتونس سنة 1874، زبوني الثقافة ، ساهم في تأسيس عدة صحف منها سبيل الرشاد 1895 والاتحاد الإسلامي 1909 ، زار العديد من دول العالم، ومثّل تونس في مؤتمر الصلح 1919 وأصدر كتاب تونس الشهيدة، عرف بأفكاره التحررية ونزعه المعادية للاستعمار، أسس الحزب الحر الدستوري التونسي، ثم نفي إلى المشرق سنة 1923 ، و لم يعد إلى تونس إلا سنة 1937.

⁷ حسن قلائي: من أصول جزائرية ولد سنة 1880 بقصر البخاري، هاجرت عائلته إلى تونس بعد احتلالها ، درس الحقوق بالجزائر وتحصل على البكالوريا من معهد الحقوق بتولوز سنة 1902، و لما رجع إلى تونس اشترك مع علي باش حبة في تأسيس حركة الشباب التونسي ، وجريدة التونسي سنة 1907 ، ترأس جمعية الآداب المسرحيّة ثم الخلدونيّة وساهم في تأسيس الحزب الحر الدستوري التونسي ، توفي سنة 1966.

⁸ أوغوست ديستري : هو مدير جريدة " بريد تونس " (Le Couriere de Tunisie) والصّديق الشّخصي لعبد العزيز الثّعالي .

7)، ومحمد الخضر حسين المدرّس بجامع الزيتونة، والمدرسة الصادقية، وعلي باش حجة الذي استقرّ بالأستانة حتّى وفاته، (مناصريّة، يوسف. المرجع السابق، ص 46) كما أعلنت حالة الحصار على البلاد، وصادت الصحف والمجالات التّونسيّة كالإتحاد الإسلامي و le tunisien والمشير ومرشد الأُمّة والصّواب، (المدني، أحمد توفيق. (2010). حياة كفاح. ج 1. الجزائر. عالم المعرفة، ص ص 81، 82) وبفعلها الظالم، شلّت الحركة الفكرية، والسياسية في البلاد التّونسيّة.

ثانيا : دور النّخبة الزيتونيّة في إيقاظ الحسّ الوطني التّونسي :

إنّ نشأة الحركة الوطنيّة التّونسيّة كرّد فعل منظم، لها مطالب ووسائل إبلاغ، قد ارتبطت بإرث الحركة الإصلاحية قبل فرض الحماية، بفضل الدّور الكبير الذي قام به الوزير خير الدين التّونسي ذو التّكوين الزيتوني العربي الإسلامي الذي نجح في إنشاء المعهد الصّادقي الذي أسّسه في 13 جانفي 1875 (Guellouz, Azzedine, et autres : Histoire générale de la Tunisie. (2010). t.03, Tunis, Sud éditions, p 420.)، وإصلاح التّعليم بالزيتونة إلى أن تمكّن من إصدار دستور 1861 (Ibid, p 414) الذي اعتبر إعلانا لحقوق الإنسان والمبادئ الديمقراطيّة. (عبد الله، الطاهر. الحركة الوطنيّة التّونسيّة رؤية شعبية قومية جديدة 1830 – 1956. (ط2). دار المعارف للنشر، تونس : ص 23). إنّ اهتمام الحركة الإصلاحية بعصرنة التّعليم، ونشره جعلت منه إحدى أهمّ شروط نهضة البلاد التّونسيّة، ولما تشكّلت نواة الحركة الوطنيّة، جمعت بين إشعاع المؤسّستين التّعليميتين جامع الزيتونة، والمعهد الصّادقي 1876، والمدرسة الخلدونية 1896 من جهة، وتطوّر الصحافة (الحاضرة 1888 – 1911) وبداية عمل الجمعيات (جمعية قدماء الصادقية 1905) من جهة أخرى، (الشّايبي، محمد لطفي. (2007، 21 أوت). تفاعل التّعليم و الصحافة و الجمعيات مع الحركة الإصلاحية. جريدة الصّباح، تونس) الأمر الذي أدّى إلى إيقاظ الرّوح الوطنيّة لدى الفرد التّونسي، وتحوّلت فيما بعد إلى حركة مطلبيّة للحقوق والحريّات، توجت بتبني مطلب الاستقلال.

وبالرغم من جمود أساليب الدّراسة ومناهجها في جامع الزيتونة إلّا أنّه كان أشبه بخليّة النحل، اشتهر بالكثير من الشّخصيات العلميّة والأدبيّة، تشدّ إليه الرّحال من الأقاليم خاصّة من أقطار بلاد المغرب التي كانت تعاني من ويلات عدوّ مشترك، (شترّة، خير الدين: ج 1، المرجع السابق، ص 252). كما أنّ ذلك لم يمنعه من أن يوجّه الحركة الوطنيّة التّونسيّة بروحه وتعاليمه، وقيمه ومبادئه العربيّة والإسلاميّة، لأنّ جلّ المتفهمين التّونسيين هم من خريجي الزيتونة، والذين تقلّدوا عدّة مناصب في الدّولة كمعلّمين للغة العربيّة أو قضاة أو موظّفين في المحاكم، أو محامين أو عدول موثّقين، وحتّى من رجال الشّرطة والحرس الوطني، فضلا عن الإداريين والأدباء والشّعراء والكتّاب، وكذا رجال النهضة الإصلاحية كلّهم كانوا من ثمرّة الزيتونة أمثال الشّيوخ : سالم بوحاجب، والشّيخ قبادو⁽⁹⁾ (الزمري، الصادق. المصدر السابق. ص 36 وما بعدها.)، والشّيخ بيرم الخامس⁽¹⁰⁾ (الزمري،

⁹ الشّيخ قبادو: ينحدر من أسرة تونسية شريفة النسب، ولد سنة 1812، كان شاعرا و متصوفا و مريبا توفي سنة 1871.

الصادق. المصدر السابق . ص ص 87 - 91) ، وغيرهم (عبد الله، الطاهر. المرجع السابق . ص 220). كما أنّ قادة الحزب الحرّ الدستوري التونسي (القدم) وفي مقدمتهم عبد العزيز الثعالبي كانوا زيتونيين النشأة والتوجه . غير أنّ زعماء الحركة الوطنية، والمشرفين على تسيير جامع الزيتونة لم يسعوا حقّ السعي لإصلاح المنظومة الزيتونية وعصرنتها (المرجع السابق . ص 221) ، على الرغم من انتقاد البعض لأساليبه التقليدية في التعليم وعلى رأسهم عبد العزيز الثعالبي ، وذلك أثناء فترة دراسته بالجامع حين انتقد كتب التدريس، ودروس مشايخه، واعترض عليهم في عدّة مسائل (بو الخضر ، مسعودة مسعود. (1995). عبد العزيز الثعالبي و دوره في الإصلاح الإسلامي . (ط1). بيروت: المكتبة العصرية. ص 33) لأنه أصبح مقتنعا بأنّ التعليم الزيتوني لم يعد متوافقا مع ما يتطلبه المجتمع التونسي من حيوية ، وروح العصر، وبقي التعليم الزيتوني على حاله، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى عدم توقّر المدرّسين الأكفاء للقيام بتلك المهمة ، ووقوف الاستعمار حجر عثرة في سبيل تطوير الزيتونة (عبد الله، الطاهر. المرجع السابق . ص 221) ونهضة المجتمع التونسي .

وفي إطار محاولة إصلاح الزيتونة تمّ تأسيس المدرسة الخلدونية في 22 ديسمبر 1896 (الجابري، محمد صالح. (1983). النشاط العلمي و الفكري للمهاجرين الجزائريين بتونس 1900 - 1962. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، ص 69) ، على يد جماعة من محرّري جريدة الحاضرة - التي تأسست سنة 1888 - وثلة من خريجي المعهد الصادقي الذين تلقوا ثقافة عصريّة وتعرفوا على أفكار المصلحين التونسيين (العيادي، توفيق . (2005) . حركة الشباب التونسي 1907 - 1912 . تونس عبر التاريخ ، (ج 3) ، مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية. تونس: ، ص 65) ، وكانت الخلدونية تابعة للزيتونة، ومتعاونة معها بغية تحقيق نهضة ثقافية أحسن بالبلاد يدرس فيها طلبة الزيتونة مختلف العلوم العصريّة، (بن عاشور، محمد الطاهر. (2006). أليس الصبح بقريب . التعليم العربي الاسلامي دراسة تاريخية وآراء إصلاحية . (ط1). تونس: دار سحنون للنشر والتوزيع ، ص 102) وتنتهي بالإحراز على شهادة البكالوريا العربية التي تهيئ الطلبة للالتحاق بالجامعات العربية في المشرق، ومن ثمّ يمكن إمداد الجامع بمدرّسين قادرين على تحقيق الإصلاح المنشود (عبد الله، الطاهر. المرجع السابق . ص 222).

احتفل رسميًا بتأسيسها في 15 ماي 1897، بحضور الوزير الأكبر، والمقيم العام، والكاتب العام للحكومة، ومدير التعليم العمومي، وبالمناسبة ألقى الشيخ سالم بوحاجب⁽¹¹⁾ (الزمري ، الصادق. المصدر السابق . ص ص 169 - 175) وهو أحد رموز الزيتونة، والحركة الإصلاحية درسا افتتاحيا حول تفسير آية " وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ

¹⁰ بريم الخامس: ولد بمدينة تونس في مارس 1840 ، ينتمي إلى أسرة تونسية شريفة، التحق مبكرا بجامع الزيتونة ، كان مولعا بالسياسة منذ صغره و متأثرا بأفكار الوزير خير الدين الذي عهد إليه سنة 1874 بالإشراف على إدارة الأوقاف ثم عضوا في المدرسة الصادقية 1875 ، والإشراف على المطبعة الرسمية ، فأصدر صحيفة الرائد التونسي، توفي سنة 1889.

¹¹ سالم بوحاجب: ولد عام 1827، وهو أحد رواد الإصلاح، كان قاضيا ومدرسا، وشاعرا ولغويا بارعا، وإماما خطيبا، وأول المجددين للخطاب الديني، بما يتماشى مع قضايا العصر، ونقد المعاملات، والإشارة إلى المسائل السياسية، وكان من رجال خير الدين التونسي، والمساندين لإصلاحاته، توفي سنة 1924 .

كَلَّمَهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ" (سورة البقرة ، الآية 31) ، فذكر بماضي الإسلام المجيد في ميدان العلم والتعلم وبيّن منزلة العلوم الكونية في نظر الدين الإسلامي ، وكيف تقهقر المسلمون بسبب ابتعادهم عنها (كرّم ، عبد المجيد، 2008). العمل الوطني من الاحتلال إلى الحرب العالميّة الأولى، موجز تاريخ الحركة الوطنية التّونسيّة (مقاربة) 1881 – 1964 ، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنيّة جامعة متّوبة. تونس: ص 27) ، كلّ ذلك من أجل توعية وتنوير العقل التّونسي وتنبهه لما يحاك ضده، وضدّ هويّته الشخصيّة.

ترأس المدرسة الخلدونيّة محمد الأصرم⁽¹²⁾ (الزمري ، الصادق. المصدر السابق . ص ص 177-185) الذي كان من أبرز الناشطين فيها، إذ كانت تقدّم فيها محاضرات، ودروس شملت مختلف ميادين المعرفة والثّقافة، يليقها أساتذة تونسيّون وأجانب، وأشهرهم الشّيخ سالم بو حاجب والأستاذ محمد البشير صفر⁽¹³⁾ (المصدر السابق . ص ص 121-131) الذي كان متّصلاً بحركة الإصلاح الإسلامي (الجابري ، محمد صالح. المصدر السابق . ص 70) وزعمائها حيث التقى بالشّيخ محمد عبده⁽¹⁴⁾ (شريف، رضا . 2011). تجربة التجديد والإصلاح في فكر ابن باديس ومحمد عبده. الجزائر: مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع ، ص 14 ، 15) أثناء زيارته لتونس في سبتمبر 1903 حيث ألقى محاضرة بالخلدونية حول "العلم والتّعليم"، وبزعم النهضة الوطنيّة المصريّة مصطفى كامل، وقد بلغ عدد مقالاته بجريدة الحاضرة ثمانية وخمسون خطبة أو افتتاحية في السياسة، والفلسفة، والتّاريخ، وكانت دروسه بجمعية "الخلدونية" إيقاظاً للهمم وتحريكاً لها، (الشابي ، محمد لطفي. المرجع السابق .) وفضحا للسياسة الاستعماريّة حتّى أصبحت تلك الدّروس معهداً تتلقّى فيه التّوجيهات القوميّة قبل التّوجيهات العلميّة، الأمر الذي أدّى إلى التحاق الطّلبة الرّيتونيين بها، ولقيت مساندة، ودعمًا من بعض كبار المسؤولين الفرنسيين أمهم المقيم العام روني مبي (René Millet) الذي عرف باحترامه للثقافة العربيّة الإسلاميّة، (كرّم ، عبد المجيد. المرجع السابق ، ص 27). في حين أنّ أساتذة الجامع الأعظم انقسموا إلى فريقين بين مؤيّد ومعارض لها ولتوجهاتها، (العيادي، توفيق. المرجع السابق ، ص 65) ولم يقتصر موقفهم على ذلك فحسب، بل ناصبوا العداة و أسموها " الخلدونيّة " تهكّماً واستصغاراً من شأنها، ولقبوا أساتذها البشير صفر ب" البشير كفر". (كرّم، عبد المجيد. المرجع السابق ، ص 27).

¹² (محمد الأصرم: أصيل مدينة القيروان، ولد سنة 1858 ، تعلّم بالمعهد الصادقي وتابع دروس جامع الرّيتونة، ثمّ سافر إلى فرنسا لاستكمال دراسته ، و بعد عودته إلى تونس كان من بين الذين كلّفهم الوزير خير الدّين مهمّة الإشراف على دواليب إدارة البلاد، حيث عيّن مدرّساً بالمدرسة العلويّة، ثمّ تقلّد منصب مدير إدارة الغابة، ثمّ بعد تأسيس المدرسة الخلدونيّة 1896 كان من أساتذتها ونشاطها، شارك في المؤتمر الاستعماري المنعقد بمرسيليا 1906 أين عرّف بالقضية التّونسيّة، درّس بالمدرسة العليا للغة والآداب العربيّة، وبالمدرسة الصادقيّة، توفّي سنة 1925 .

¹³ (البشير صفر: ، ولد سنة 1865 بتونس، تعلّم بالمدرسة الصادقية، وحظي برعاية من خير الدين، ثمّ سافر إلى فرنسا لاستكمال دراسته، وبعد عودته إلى تونس انتسب إلى الإدارة ، وكان أحد مؤسسي الخلدونيّة 1896 ، وأحد محاضريها في التاريخ الإسلامي والإفريقي، ونشر دراساته في جريدة الحاضرة، ولكنه ابتعد عن تونس، وعين والياً على سوسة، ففرغ لدراساته التاريخيّة، وألف كتابه "مفتاح التاريخ" توفّي سنة 1917.

¹⁴ (محمد عبده: هو محمد عبده بن حسين خير الله ، ولد سنة 1266 هـ / 1849 م بمصر ، و توفّي في 1323 هـ / 1905 م ، يعتبر من أهمّ رجال الإصلاح في التاريخ الحديث، وله العديد من المؤلفات في هذا الجانب.

والأمر ذاته بالنسبة للمتعبين من المعمرين الذين رأوا في هذه المدرسة خطرا كبيرا، وأنها ليست إلا مركزا من الدعاية للجامعة الإسلامية التي تهدف إلى توحيد المسلمين تحت راية السلطان العثماني لمجابهة التوسع الاستعماري الأوربي، وأنها سوف تحدث استفاقة في أوساط التونسيين، وتعلمهم يطالبون فرنسا بحقوقهم، فكثفوا ضغطهم على المقيم العام روني مبي حتى يتخلى عن دعمه لها (العيادي، توفيق. المرجع السابق، ص ص 65-66).

لم تكن الصعوبات التي واجهتها المدرسة الخلدونية من عزيمة القائمين عليها فازدهرت وتواصلت فتفتحتها على محيطها وإشعاعها، وأضافت إلى تعليمها العادي دروسا ليلية للأميين، وأسست لها شهادات في التعليم التطبيقي كالمهندسة

والطوبوغرافيا، وفتحت مكتبة أمها أكثر من 4500 قارئ سنة 1905، وهكذا أصبحت الخلدونية بمثابة جامعة شعبية حقيقية تلبي رغبة التونسيين المعروفة في العلم والتعلم وتحبب مخططات الاستعمار، غير أن ضيق مقرها وتواضع إمكاناتها المادية لم يمكن الخلدونية من استيعاب أكثر من 150 طالبا مقارنة مع طلبة جامع الزيتونة الذين تجاوز عددهم الـ 700، لذلك ارتفعت الأصوات منادية بضرورة إصلاح التعليم الزيتوني محاكاة لما هو عليه الحال في الخلدونية (كريم، عبد المجيد. المرجع السابق، ص 28).

لقد أدخلت الخلدونية حيوية ملحوظة على الساحة الفكرية التونسية في مطلع القرن العشرين، ولكن الواقع بين أن حركة الإصلاح والتحديث في تونس مازالت تحتاج إلى روافد أخرى تدعمها وتشد من أزرها، فتقرر بعث "جمعية قدماء الصادقية" سنة 1905 (نفسه، ص ص 28-29).

تأسست الجمعية الصادقية في 23 ديسمبر برئاسة خير الله بن مصطفى⁽¹⁵⁾ (الزمري، الصادق. المصدر السابق، ص ص 319-323)، غير أن علي باش حمة الذي تولى وكالة أحباسها كان هو المسير الفعلي لها، والمشرف على معظم أنشطتها، وخاصة منها الثقافية كتنظيم المحاضرات والدروس، حتى أصبحت جامعة شعبية تضاهي الخلدونية، خاصة أنها دعت إلى الأخذ بالأفكار العصرية والتحديث (العيادي، توفيق. المرجع السابق، ص 66).

وأغلب الذين ساهموا في تأسيسها - رغم ثقافتهم المزدوجة، وتشبعهم بروح الثورة الفرنسية - كانوا من قادة الحركة الإصلاحية الذين تعلموا في الزيتونة، وتخرجوا من المعهد الصادقي، ونشطوا في الخلدونية، أمثال خير الله بن مصطفى، وعلي باش حامة الذي كان أنشط عضو فيها، وهو الذي حرر التقرير الأول لإنشائها، وعبد الجليل الزاوش⁽¹⁶⁾ (شتر، خير الدين: ج 3، المرجع السابق، ص ص 44-45). وأحمد الغطاس⁽¹⁷⁾ (الزمري

¹⁵ خير الله بن مصطفى: من مواليد سنة 1867، ذو أصل تركي، تعلم بالمدرسة العلوية، ثم عين مدرسا بالمعهد الصادقي، ثم مترجما عدليا لدى المحكمة المختلطة بتونس، ترأس جمعية قدماء الصادقية سنة 1905، وشارك في تحرير جريدة التونسي، ساهم في عدة إصلاحات في مجال التعليم، توفي سنة 1925.

¹⁶ عبد الجليل الزاوش: ولد بتونس سنة 1873، من أصل جزائري من عائلة معروفة بخدمتها للعائلة الحسينية، التحق بمعهد سان شارل في مرحلته الثانوية، أين تعلم النظم الأجنبية، للتحق في سنة 1897 بكلية الحقوق بباريس ليحصل عام 1900 على الإجازة، ويعود إلى تونس حيث مارس أنشطة سياسية واقتصادية متنوعة، منها والياً على سوسة 1917 وشيخ مدينة تونس 1934، ووزيرا للعلم والاستشارة عام 1935، ثم وزيرا للعدل 1936، ليستقل منها سنة 1943، مع تشكيل الوزارة الوطنية التي ألفها محمد المنصف باي، توفي في 14 جانفي 1947.

، الصادق. المصدر السابق . ص ص 187 - 190) ، وحسين بوحاجب ، وحسن قلائي وغيرهم (كريم ، عبد المجيد. المرجع السابق ، ص 29).

نشطت الجمعية الصادقية نشاطا مكثفا ، حيث قدمت بين أبريل 1906 وأفريل 1907 : 48 محاضرة ، منها 27 بمقر الجمعية ، و 57 بمختلف أنحاء العاصمة تمحورت حول مواضيع متنوعة ، وقد تميّزت الصادقية عن الخلدونية بتفتّحها أكثر على الحضارة الغربية بحكم ثقافة المشرفين عليها، فاستدعت لإلقاء محاضراتها كتابا فرنسيين معروفين مثل حول برازون (Jules Brazon) وشارل جينيو (Charles Géniaux) وغيرهم، وهدفت من ذلك إلى الاستفادة من تقدّم المعرفة لدى الأوربيين، وتبليغ صوت التونسيين إلى الفرنسيين بلغتهم (المرجع السابق ، ص ص 29-30).

ولتأكيد توجههم الوطني ، وتجذّرهم في حضارتهم استدعى مسؤولو قدماء الصادقية شيوخا زيتونيين معروفين لإلقاء مسامرات (محاضرات) في مقدمتهم الشيخ محمد الطاهر بن عاشور⁽¹⁸⁾ (الجابري ، محمد صالح. المصدر السابق . ص ص 65-66) الذي تحدّث عن أصول التقدّم ، والمدنيّة في الإسلام والشيخ محمد النخلي⁽¹⁹⁾ (المرجع السابق . ص ص 64-65) عن دولة المأمون، والشيخ محمد الخضر حسين عن الحرّية في الإسلام ، كانت كثيرا ما تتخلّلها نقاشات ، ومساجلات حول تجاوزات الإدارة الاستعمارية ووضعيّة التونسيين المتردّية وحقوقهم المهضومة رغم أنّ القانون يمنع على الجمعيات الخوض في المسائل السياسيّة ، والدّينيّة (كريم ، عبد المجيد. المرجع السابق ، ص 30) ، وهي مواضيع مهمّة كانت عبارة عن دعوة مبطنّة للتونسيين لأخذ العبر من التاريخ الإسلاميّ ، والاستفادة منها ، خاصّة حقّ الإنسان في الحرّية ، وهو الحقّ الذي تكفله الديانات السماويّة ، ومختلف القوانين الوضعيّة .

لقد مهّد العمل الثقافي والتربوي إلى جانب العمل الصحافي الطّريق لانبعث النشاط السياسي انطلاقا من سنة 1906 بقيادة نخبة متخرّجة أساسا من المعهد الصادقي ، والكليات الفرنسيّة أطلق عليها اسم " حركة الشباب التونسي " التي ظهرت سنة 1907 بإصدارها لجريدة التونسي (le tunisien) الناطقة بالفرنسيّة برئاسة علي باش حمبة (الشريف ، محمد الهادي. المرجع السابق ، ص 113) ، ثمّ انظّم إليه عبد العزيز الثعالبي الذي أصبح من أنشط مرّيديه ، وما لبث أن أصدر الطّبعة العربيّة من التونسي سمّيت "الإتحاد الإسلامي " في 19

¹⁷ أحمد العفّاس: ولد سنة 1875 ، من أسرة برجوازيّة ، درس مرحلته الثانوية بمدرسة القديس لويس بتونس، واستكمل دراسته بفرنسا أين تحصّل على الإجازة في الحقوق، وبعد عودته إلى تونس سنة 1897 عزم على المساهمة في تحضنة بلاده فانضم إلى المدرسة الخلدونية ونشط فيها ، ويعتبر أول محام تونسي تخرّج من الجامعات الفرنسيّة ، توفي سنة 1926.

¹⁸ محمد الطاهر بن عاشور : ولد بتونس العاصمة 1879 ، وهو من كبار علماء جامع الزيتونة ، تلمذ على يديه الكثيرون ، كان له دور كبير في تطوير مناهج التعليم الزيتوني وإصلاحها ، تقلّد عدّة وظائف علميّة وإداريّة ، ومن أشهر مؤلفاته : التّحرير والتّوير، مقدّمة شرح الحماسة للمرزوقي ، أليس الصّحّ بقريب ، أصول النّظام الاجتماعي في الإسلام ، شرح ديوان بشار والتّابعة الدّيباني. توفي بتونس سنة 1973.

¹⁹ محمد النخلي: ولد بالقيروان سنة 1869 ، شاعر و فقيه من أعلام مدرّسي جامع الزيتونة ، تميّز بنظرته الإصلاحية وشدّة تأثره بأراء محمد عبده وجمال الدّين الأفغاني. وتوفي بتونس العاصمة سنة 1924.

أكتوبر 1911 (خالد ، أحمد. (2001) . الزعيم عبد العزيز الثعالبي و إشكالية فكره السياسي. تونس: الدار العربية للكتاب ، ص 47) ، وترأس بنفسه تحريرها (الثعالبي ، عبد العزيز . (1975) تونس الشهيدة . (ط1). بيروت: دار القدس ، ص 11) ، وتركزت مطالب الحركة على مجموعة من الأصعدة أهمها الصّعيد السياسي بالدفاع عن سياسة "التشريك (Association)"⁽²⁰⁾ من خلال تمثيل التونسيين بالمجلس الشوري الذي أحدث سنة 1891 ، وعلى الصّعيد الاقتصادي بالمساواة بين الفرنسيين ، وعلى الصّعيد التربوي بالتركيز على مؤسسات تعليم مزدوج باللغتين العربيّة والفرنسيّة، والمناداة بإجبارية المرحلة الابتدائية ومجانيتها، أما الصّعيد القضائي فمن خلال إصلاح الهياكل القضائية .

ويتبيّن من خلال ما سبق أنّ الحركة لم تدرج مطلب أو قضية الاستقلال في برنامجها، نظرا لطبيعة موازين القوى من جهة وهشاشة المرحلة من جهة أخرى، فإنّها ساهمت في الترويج لحملة من الأفكار الجوهرية التي ستمكّن الحركة الوطنية في فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى من تراكم رصيد مرجعي متنوّع وفي مقدّمة هذه المبادئ : التمسك بدستور 1861 ، والمطالبة بإعادة إحيائه، مع أنّ هذا المطلب لم يرد في برنامج 1907، بل أثير في مناسبات عديدة لمطالبة سلط الحماية بضمانات سياسية ، وقانونية تكفل حقوق التونسيين.

وتكمن أهميّة الحركة في أنّه كان لها السبق في بلورة نظرة حديثة للانتماء الوطني بتحديد المصطلحات الدالة على الهوية الوطنية، تتلاءم مع روح العصر، وتجديد الخطاب السياسي التونسي بمفاهيم جديدة في اللّغة السياسية المتداولة مثل مصطلح " الشعب التونسي" (الشابي ، محمد لطفى. المرجع السابق) ، ومصطلح " الأمة التّونسيّة" (الشريف ، محمد الهادي. المرجع السابق، ص 113).

ونتيجة تزايد وتيرة نشاط حركة الشّباب التّونسي خاصة عقب أحداث الزّلاّج 1911 والتّرامواي 1912 اعتقلت سلط الحماية الفرنسيّة سبعة من قادتها، أهمهم علي باش حامية والشيخ عبدالعزيز الثعالبي، وأبعدتهم خارج البلاد، وأوقفت جريدتهم ونظمت حملة إرهاب واعتقالات واسعة بين السكّان، وفرضت حالة حصار عام على البلاد التّونسيّة، الشّيء الذي جعل نشاط الحركة يبرز في المهجر بقيادة الأخوين علي ومحمد باش حامية والشّيخان صالح الشريف وإسماعيل الصفايحي، حيث استقرّ علي باش حامية زعيم الحركة نهائيا بالآستانة (مناصرية ، يوسف. المرجع السابق، ص 46)، أين تقلّد خطّة مستشار الحكومة التركية، واضطلع بمهام تنسيق نشاط الوطنيين التّونسيين في المهجر بوصفه رئيس " لجنة تحرير المغرب العربي" سنة 1916 (الشابي ، محمد لطفى. المرجع السابق). وهكذا بدأ مفهوم الاستقلال يتبلور لدى الحركة الوطنية.

ثالثا : النخبة الرّيتونيّة وتبّي مبدأ الاستقلال :

²⁰ أي إشراك العنصر التونسي في تسيير شؤون بلاده.

بدأت المقاومة الشعبىة التونسية للاحتلال الفرنسي منذ الوهلة الأولى، وفي طليعة المقاومين رجال الزيتونة، المؤمنين بضرورة الدود عن الدين والوطن، وبمشروعىة الجهاد، وكان أبرزهم الشيخ المكى بن عزوز⁽²¹⁾ (شترة ، خير الدين: ج3 ، المرجع السابق ، ص ص 74) وهو أحد شيوخ جامع الزيتونة الذي عرف بروحه الثورىة الرافضة للمستعمر، لذلك كؤن مجموعة من الشبّاب التونسي الثوري وقاوموا الاستعمار، وبسبب نشاطه المعادي تم نفيه ، فتوفي بتركيا، ولكن أفكاره لم تمت ، إذ تبنّاها ثلّة من الشبّاب الوطني المتحمّس - كان من بينهم عبد العزيز الثعالبي - وسرعان ما اجتمعوا وأسّسوا جريدة بالفرنسيّة للدفاع عن مصالح التونسيين أسموها " المستقبل العربي " ، وأخرى بالعربىة باسم " حبيب الأمة " (عبد الله ، الطاهر: ج3 ، المرجع السابق ، ص ص 30-31) ، ثمّ " سبيل الرّشاد " التي صدر عددها الأوّل في 16 ديسمبر 1895" (خالد ، احمد، المرجع السابق ، ص 45) تبتى فيها مؤسسها عبد العزيز الثعالبي مبدأ الإصلاح والتوجيه، على غرار جريدة الحاضرة الأسبوعىة التي كانت أوّل جريدة عربىة غير رسمىة بتونس كان يديرها فرسان الفكر الإصلاحى البشير صفر ، وسالم بوحاجب و محمد السنوسى(المرجع السابق، ص 21).

ورغم انتهاج التونسيين للعمل الإصلاحى في شتى المجالات الفكرية والعملية، إلا أنّ محاولاتها باءت بالفشل بسبب تصلّب الإدارة الفرنسيّة الذي اتّضح جليًا بعد أحداث الزّلاج، والترامواي وخنق الحرّيات ، وإبعاد الوطنيين ، الأمر الذي أدّى بالوطنيين التونسيين إلى الإعراض عن مبدأ الإصلاح ، وسياسة التشريك إلى المطالبة بحقّ الاستقلال والتحرر .

لم تحدّ السياسات الاستعمارية من عزيمة رجال الحركة الوطنىة التونسية الذين واصلوا نشاطهم في الدّاخل والخارج ، حيث استمرت تحركات زعيم حركة الشبّاب التونسي علي باش حامية في عاصمة الدّولة العثمانيّة ، إذ أشارت الوثائق الأرشيفية الألمانية إلى مخطّطه في تحرير المغرب العربي بحدّ السّلاح ، ولئن لم يتمّ تحقيق هذا المشروع بحذافيره فإنّ الرّجل شارك إلى جانب محمد العتّابي من المغرب الأقصى في المؤتمر الإسلامى المنعقد بستوكهولم سنة 1917 ، والذي ضمّ ممثلين عن جميع البلدان الإسلامية المحتلّة ، وأقرّ مطلب استقلال المغرب الأقصى (الشّاببي ، محمد لطفي . المرجع السابق) ، أمّا أخوه محمد باش حامية فقد تحوّل إلى سويسرا حيث استقرّ بجنيف ، وأصدر مجلّة المغرب *La Revue du Maghreb*

(Rodd, Balek. (1922). *La Tunisie après la guerre*. Paris: publication du comite de l'Afrique française, p 69) الشهريّة والنّاطقة باللّغة الفرنسيّة التي أعلنت منذ عددها الأوّل سنة 1914 بصريح العبارة عن

²¹ المكى بن عزوز : هو محمد المكى بن مصطفى بن عزوز ، ولد بنفطة سنة 1854 ، تعلّم في الزاوية الرحمانىة ، التي أنشأها والده ، ثمّ انتقل إلى جامع الزيتونة ، إلى أن أصبح من كبار علمائه ، وبسبب مضايقات الاستعمار هاجر إلى الأستانة ، حيث عبّن مدرّسا للحديث والفقه حتى وفاته سنة 1915 ، ومن آثاره : " قواعد الإسلام " ، " الفتوحات الرئاسية " ، " هيئة التاسك " ، " ديوان شعري " .

"إفلاس سياسة التشريك" التي كانت تنادي بها جريدة "التونسي" (خالد، احمد، المرجع السابق، ص 136) ثم طلبت بكل وضوح في السنة الموالية (1917) وباسم الشعب التونسي إصدار دستور يمنح ضمان الحقوق والحريات الفردية وإصلاحات سياسية واسعة، (الشابي، محمد لطفي، المرجع السابق) كما أقرت توجهها المغربي ببناء علاقات نضالية بين بلدان المغرب العربي، وإرساء مشروع وحدة نضال شبان المغرب العربي، والتخطيط لعقد مؤتمر للتونسيين والجزائريين، غير أن المشروع أحبط بحملة من الصحافة الاستعمارية، غير أن الفكرة بقيت قائمة في ذاكرة الشيخ عبد العزيز الثعالبي خلال إقامته بالأستانة، وسعى لتحقيقها على أرض الواقع (خالد، احمد، المرجع السابق، ص 136-137).

ولئن كان لقيام الثورة البلشفية (أكتوبر 1917) تأثير على مواقف الوطنيين التونسيين، فإن موقف المجلة النضالي من أجل تحرير الشعوب قد تدعم إثر الإعلان عن مبادئ الرئيس الأمريكي ولسن (Wilson) الأربعة عشر التحريرية في مؤتمر السلام في سبتمبر 1918 (Rodd Balek : op .cit , p 68) الذي عقد بقصر المرايا بفرساي في فرنسا، فانتقلت توجهات النخبة التونسية من فكرة الدستور إلى فكرة الاستقلال. وهو يهيب بالضمير العالمي ليعترف له بحقّه في العيش حرًا مستقلاً، ولم يقتصر عمل محمد باش حامية على إدارة "مجلة المغرب" بل شمل إنجاز عدّة مؤلفات دعائية باللغة الفرنسية منها: العذلية التونسية (جنيف 1917)، الشعب الجزائري التونسي وفرنسا (جنيف 1917)، مناورة فرنسية: الإصلاحات الأخيرة بالجزائر (جنيف 1918)، الحماية الفرنسية بتونس (جنيف 1918)، كما شارك في أشغال المؤتمر الثالث للقوميات المضطهدة المنعقد بلوزان من 27 إلى 29 جوان 1916 وعرض فيه مطالب مسلمي الجزائر وتونس (الشابي، محمد لطفي، المرجع السابق).

ويعدّ الشيخ صالح الشريف من أبرز قادة الحركة الوطنية في المهجر أثناء الحرب العالمية الأولى، إذ كلفته الحكومة التركية بالقيام بمهمة خاصة في ألمانيا صحبة الشيخين إسماعيل الصفايحي ومحمد الخضر حسين، تمثّلت في الاتصال بأسرى الحرب المغاربة من التونسيين والجزائريين والمغاربة، وتنظيمهم ضمن فرقة واحدة تزوّد بالسلاح والذخيرة، وترسل عن طريق الغوّاصات إلى طرابلس الغرب، وكذلك بادر بتكوين "لجنة استقلال تونس والجزائر" ببرلين للدفاع عن قضايا الشعوب المغاربية، ومن مؤلفاته الدعائية أيضاً: حقيقة الجهاد (بارن 1916) تونس والجزائر (بالاشتراك مع إسماعيل الصفايحي برلين 1916)، حجج دامغة حول وجوب خروج الفرنسيين من تونس (الشابي، محمد لطفي، المرجع السابق)، كل ذلك يدلّ على مدى تجذّر فكرة الاستقلال لدى الوطنيين التونسيين، وسعيهم الحثيث لنشره، والتّعريف بالقضية التحريرية للشعب التونسي.

وأمام هذا النشاط المكثّف للوطنيين التونسيين في المهجر اندلعت مقاومة قبائل الجنوب التونسي التي استجابت لدعوة السنوسي الجهادية، لكنّ القوّات الفرنسية سيطرت على الوضع الداخلي من جديد، وذلك دفع النخبة

الوطنية التونسية إلى تطوير نضالها، وتنظيمه في إطار حزب قانوني يكون هدفه الأول، والأساس هو مطلب الاستقلال.

ولما انتهت الحرب العالمية الأولى، أرسل الوطنيون التونسيون الشيخ عبد العزيز الثعالبي إلى باريس في 10 جويلية 1919 لعرض القضية التونسية على مؤتمر الصلح، مثل غيره من زعماء الشرق محاولا إقناع الرأي العام الفرنسي لتلبية مطالب التونسيين، فرغ عريضة طالب فيها بإنصاف الشعب التونسي، وحقه في الاستقلال (محفوظي ، محمد (28، 1952، نوفمبر). ماذا يجب أن تعرف عن المشكلة التونسية تاريخها - تطورها - كيف حلها ؟ مجلة المنار، ع 12 ، ص 4) ، وأثناء إقامته هناك اتصل الثعالبي بمعية المحامي أحمد السقا، بالأحزاب الفرنسية ونشر كتاب " تونس الشهيدة " الذي أصدره دون ذكر اسمه بعنوان: " La Tunisie Martyre " (Rodd) (Balek : op .cit , p74)، سنة 1920 حمل فيه الاستعمار الفرنسي مسؤولية حالة البؤس ، والفقر التي آل إليها الشعب التونسي وأبرز من خلاله مطالب التونسيين.

وبينما كان الشيخ الثعالبي وصديقه أحمد السقا يحاولان في باريس استمالة المتحررين الفرنسيين للمسألة التونسية، التف الوطنيون الذين مكثوا بالعاصمة التونسية حول بعضهم، وكثروا الاجتماعات فيما بينهم، وحرروا العرائض التي وجهوها إلى باريس لمساندة الثعالبي، في الوقت الذي أثار مشروع الإدارة الفرنسية الزامي إلى انتزاع قطع أرض من الأوقاف الخاصة سخط جميع الوطنيين، وتسببت في تحقيق الوحدة بين الشبان التونسيين المتحررين معظمهم من الجامعات الفرنسية، وبين شيوخ جامع الزيتونة، فما إن وصل كتاب تونس الشهيدة إلى تونس حتى تبني زعماء الحركة الوطنية التونسية فكرة الدستور، وجعلوها أهم مطلب من المطالب الواردة في البرنامج الذي وضعوه بعد جهد جهيد، وعندما اطلع عبد العزيز الثعالبي على ذلك البرنامج صادق عليه، وتقرر تقديمه إلى الباي، والمقيم العام ، ورئيس مجلس الشيوخ، ومجلس النواب في فرنسا (القصاب ، أحمد .(1986). تاريخ تونس المعاصر 1881 - 1956 .ترجمة حمادي الساحلي.(ط1). تونس : الشركة التونسية للتوزيع ، ص 504).

وفي 16 جوان 1920 انتظم في مقر الإقامة العامة حفل استقبال رسمي بمناسبة قدوم السيد دي كاستيون سان فيكتور (de kasttion san victor) المقيم العام بالتيابة ألقى أثناءه الشيخ محمد الصادق التيفر أحد مدرسي جامع الزيتونة خطابا باللغة العربية احتج فيه احتجاجا صارما على تدخل فرنسا في شؤون البلاد الدينية (قضية الأوقاف الخاصة) ، واتخذ فيه موقفا مواليا للمطالب الوطنية، وطالب الشيخ أمام أسمى المسؤولين الفرنسيين منح دستور لتونس. وبعد يومين تولى الشيخ الصادق رئاسة الوفد الذي قدم المطالب الدستورية إلى الباي محمد الناصر، في حين قدمه الشيخ الثعالبي في باريس إلى رئيس مجلس النواب ومجلس الشيوخ ، والذي تضمن 08 نقاط أساسية (نفسه . ص ص 504-505).

وبذلك تشكلت على الساحة السياسية التونسية أربعة اتجاهات؛ الأول اتجاه ثوري دعا إلى الاستقلال الكامل، ومعاداة الفرنسيين علانية ، و قد مثله محمد باش حامبة الذي كثيرا ما حاول التأثير على عبد العزيز

التعالبي لاتباعه وتحريضه على المطالبة بحق الاستقلال التام، وألح عليه في مراسلاته على حث التونسيين على الإعلان عن رفضهم لسلطة الحماية والتصريح بالانفصال عن فرنسا، لأن سياسة الرجاء، والتسامح لم تعد تجدي نفعا " وأن زمن العمل في الخفاء قد ولى وراح، ويجب المطالبة بالاستقلال صراحة دون مراوغة، والإعلان عن الهدف للشعب (الاستقلال)، وهو الطريق السليم لأن فرنسا مازالت تعتبرنا شعبا مغلوبا على أمره، رغم ما ضحينا به من أجلها". (مناصريّة، يوسف). (1986). الحزب الحر الدستوري التونسي 1919 - 1934. رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، ص 53) والاتجاه الإصلاحية الذي نادى بالمساواة بين الفرنسيين، والتونسيين، وتحقيق حكم ذاتي في إطار الجمهورية الفرنسية، ومثله حسن قلاّتي، والاتجاه الثالث اتجاه معتدل سعى إلى النهوض بالتونسيين في إطار سلط الحماية ومثله فرحات بن عياد، وعلي كاهية والشاذلي القسطلبي، أما الاتجاه الرابع فهو الاتجاه الواقعي المرن، ومثله عبد العزيز الثعالبي، ومحمد الرياحي، وابن يحيى، وقد استغل أصحاب هذا الاتجاه ظروف نهاية الحرب فطالبوا بالاستقلال ثم عدلوا عن هذه السياسة لما رأوا عدم جدواها، وسلكوا بدلا من ذلك منهج الإصلاح (نفسه . ص 56).

كان الاتجاه الذي سلكه عبد العزيز الثعالبي واقعيًا، عربيًا إسلاميًا في أصله، ولم يكن أصحابه يؤمنون في قرارة أنفسهم بسياسة التعاون مع الفرنسيين، إنما آمنوا منذ البداية بالاستقلال الكامل، وقد ظهر ذلك جليًا في محافظتهم على أصالتهم العربية الإسلامية التي تمثلت في سياسة عبد العزيز الثعالبي، وتركت أثرا على باقي الاتجاهات فسارت في ركابه، لكن الآية انعكست بعد ذلك، فرضخ الاتجاه الواقعي إلى الاتجاهين الآخرين الإصلاحية والمعتدل، وسار على منوالهما، وصارت مبادئهم قدرا مشتركا، وبذلك أصبح الاتجاه الرابع واقعيًا مرنا بعد أن كان ثوريًا متصلبًا". (مناصريّة، يوسف الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق، ص 57) ونلمس هذا التحوّل جليًا واضحا في أهداف برنامج الحزب الحرّ الدستوري التونسي السياسية .

ولعلّ ما ساهم في ذلك فشل الحزب الاشتراكي الفرنسي في انتخاباته شهر أكتوبر 1919 (نفسه . ص 53)، وهو الحزب الذي علقت عليه النخبة التونسية بعض آمالها، لأنه كان متعاطفا مع القضية التونسية، فكانت هزيمته ضربة قاصمة لهم خاصة بعد فشل الوفد التونسي وتمهيش مطالبه، ومطالب بقية المستعمرات في مؤتمر التسوية بعد الحرب العالمية الأولى واقتناعهم أنّ مبادئ ولسن، إنما هي حكر على شعوب أوربا وقومياتها لا على شعوب المستعمرات المستضعفة، وأنّ مجرد التفكير في المطالبة بحق تقرير مصيرهم، وإنصافهم هي ضرب من الخيال، فضلا عن تشتت قادة الحركة الوطنية التونسية بين مختلف أنحاء العالم، واختلاف إيديولوجياتهم وأفكارهم من جهة، وتعدت الإدارة من جهة أخرى، الأمر الذي أدى إلى بروز آراء مختلفة، حاول عبد العزيز الثعالبي - الذي أصبح زعيم الوطنيين التونسيين الأول - أن يوفق بينهم .

أسس عبد العزيز الثعالبي الحزب الحرّ الدستوري التونسي على مبادئ تقضي بإنقاذ تونس من نير العبودية، وإنهاء الوضع المأساوي عن الشعب التونسي، ومن أجل تكريس حقّه في التحرر مثلما هي كلّ الشعوب الحرة،

والمطالبة بنظام دستوري، وتأليف حكومة وطنية مسؤولة أمام الشعب، باعتبار أن تونس كان لها دستورا معلنا منذ 1861 فطالب الدستوريون بعودة العمل به ، وهو سرّ اختيار الحزب للتسمية بالدستوري (عقيب، محمد السعيد). (2010). الحزب الحر الدستوري التونسي (القديم) 1934 - 1956 . رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، ص 31) ، واعتمد الحزب في أرضيته على اتفاقية باردو " ماي 1881 " التي نصّت على أن يسيّر التونسيون بلادهم بمساعدة فرنسا التي تكفني بالإشراف والحماية الخارجية، (مناصريّة ، يوسف الحزب الحر الدستوري التونسي، المرجع السابق ، ص 54) أي المطالبة بالحكم الذاتي للبلاد التونسية ، كما طمحوها من خلال الدستور إلى الفصل بين السلطات ، والضمان لاحترام الحريات ، ومنح نواب الشعب حقّ المشاركة في الحكم ، وقد قامت إيديولوجيّة الإصلاح عند عبد العزيز الثعالبي على أنّ التراث العربي الإسلامي هو مصدر التشريع الملائم للبلاد التونسية والعربيّة، وأنّ العرب أمة واحدة، ولا بدّ لها أن تتوحد، فرسم الحزب هدفه لإنقاذ الشعب التونسي من الاستبداد، ونيل الحقوق والحريات كباقي الشعوب الحرة. (عقيب، محمد السعيد. المرجع السابق ، ص 31).

لقد مثلت الأفكار الإصلاحية، ورصيد حركة الشباب التونسي الأرضية الصلبة لإيديولوجيّة الحزب، خاصة أنّ أغلب الدستوريين كانوا من الزيتونيين، (عقيب، محمد السعيد. المرجع السابق ، ص 31-32)، فكانت المطالبة بالاستقلال الذاتي كمرحلة أوليّة تمهيدا لتبني مطلب الاستقلال التام ريثما تحين الفرصة، وهو ما توجّه به المؤتمر الوطني التونسي " مؤتمر ليلة القدر " الذي شاركت فيه مختلف أقطاب الحركة الوطنية التونسية حتّى سمّي بمؤتمر الاستقلال 1946 ، حيث أجمع الحاضرون لأول مرة على المطالبة بالاستقلال، ووضع حدّ لنظام الحماية، ورفض كلّ الإصلاحات الإدماجيّة التي تكرّس مبدأ السيادة المزدوجة .

- الخاتمة :

لقد تبين - مما سبق ذكره - المكانة التاريخية للزيتونة ونخبها الفاعلة، ودورها في صياغة مطلب الاستقلال الوطني خلال الفترة المدروسة من الحقبة الاستعماريّة لتونس، ويمكن استخلاص ذلك في النقاط التالية :

- رغم المناهج العتيقة لجامع الزيتونة في بعض الفترات، إلّا أنّ الفضل الأوّل يرجع إليه في محافظته على المقومات العربيّة والإسلاميّة للبلاد التونسية ، وأمدّ تونس بخيرة رجالها الذين تربوا على مبادئ الوطنيّة والإسلام، وتزعموا حركة النضال المسلّح ، والسّياسي ضدّ الهيمنة الاستعماريّة الفرنسيّة ، دفاعا عن السيادة الوطنيّة.

- لعب جامع الزيتونة دورا فعّالا في الحركة الوطنيّة، وتجلّى ذلك في مواقفه من سياسات سلطة الحماية منذ بدايتها سنة 1881 خاصة تلك التي استهدفت تغريب وفرنسة كلّ ما هو تونسيّ، وتعبئة الجماهير التونسيّة ومساندتها خاصة في مطالبها الإصلاحية .

- احتضنت المؤسسة الزيتونية القضية الوطنية، وساهمت إلى جانب المدرسة الخلدونية، والجمعية الصادقية في إيقاظ الروح الوطنية، وترسيخ مفهوم الوطنية لدى التونسيين التي تركز أساسا على ما يميز المجتمع التونسي من خصوصية ذاتية أهمها اللغة العربية، والدين الإسلامي وهما عماد الهوية الوطنية لتونس.
- إن التفتح الذي عرفت به النخبة الوطنية التونسية - لاسيما عند نشطاء الخلدونية والصادقية - يعكس صورة من صور المواجهة الثقافية، وإثبات القدرة على المطالبة بالاستقلال، وعلى تسيير شؤون بلادهم دون أي وصاية خارجية، وما دلّ على ذلك تفعيل شيوخ الزيتونية للمحاضرات، وما تبعها من نقاشات سياسية، رغم الحظر المفروض عليهم.
- لقد مهدت العملية الإصلاحية في الميدان الصحفي والتربوي والثقافي، والتي قادها الزيتونيون، إلى تكثيف العمل السياسي الوطني الذي أسفر على ميلاد حركة الشباب التونسي بزعامة علي باش حامبة، ثم المطالبة بحقوقهم، وانتهت بالإعلان عن الحزب الدستوري، الذي قاد المسيرة السياسية من اجل التحرر والاستقلال.

تاريخ الاستلام: 2017/07/15 - تاريخ التحكيم: 2017/09/01 - تاريخ النشر: 2017/12/30

الازدهار الاقتصادي لبلاد الشام في العصر الأموي 40 هـ - 132 هـ

أ. بن دراجي بشرة

جامعة باتنة - 1 - (الجزائر)



الملخص:

تعتبر بلاد الشام من المناطق التي شهدت تعاقب العديد من الحضارات، ومنها الحضارة العربية الإسلامية التي تركت بصماتها في جميع الميادين، خاصة في الميدان الاقتصادي. وفي هذا البحث نتناول بالدراسة و التحليل الازدهار الاقتصادي في بلاد الشام خلال العصر الأموي، وكذا العوامل التي ساعدت على ازدهار، و إبراز أهم مظاهره الاقتصادية على الرغم من الحركات الثورية التي شهدتها الدولة الأموية في تاريخها. **الكلمات المفتاحية:** بلاد الشام ، الازدهار الاقتصادي ، الدولة الأموية ، الثورات.

abstract

The Levant is one of the regions that witnessed the succession of many civilizations, including the Arab-Islamic civilization, which left its mark in all fields, especially in the economic field.

This study deals with the economic prosperity of the Levant during the Umayyad period, as the factors that helped to flourish and highlight its most important economic manifestations despite the revolutionary movements witnessed by the Umayyad state in its history.

Keywords: The Levant , economic prosperity, Umayyad state, revolutions.

مقدمة

تحتل بلاد الشام مساحة واسعة من الأراضي التي تقع شرق البحر الأبيض المتوسط والتي تتكون من أربع مناطق هي سوريا و الأردن و لبنان و فلسطين ، ولها مكانة فريدة في التاريخ بفعل التعاقب الحضاري إلى الفتح الإسلامي في عهد الخلافة الراشدة ، ثم تأسيس الدولة الأموية متخذة دمشق عاصمة لها والتي أضحت من أعظم عواصم العالم ، لقد حقق الأمويون ازدهارا ملحوظا في جميع الميادين و خاصة في المجال الاقتصادي ، على الرغم من الثورات المتعددة التي واجهتها السلطة الأموية.

أمام هذه الوضعية نطرح الإشكالية الآتية كيف تمكن الأمويون من تحقيق الازدهار الاقتصادي رغم استمرار الثورات؟ ولإجابة على هذه الإشكالية نطرح مجموعة من التساؤلات ولعل أهمها:

1 - ما هي العوامل المساعدة على الازدهار الاقتصادي في بلاد الشام؟

2 - فيما تتمثل مظاهر ازدهاره؟

3 - إلى أي مدى أثرت الثورات على الجانب الاقتصادي؟

تعتبر بلاد الشام من المناطق التي تحتل موقع جغرافي هام ساهم في نقل مقومات الحضارة من جميع جوانبها للعالم، ولذلك فهي منطقة عامرة على مدى فترات التاريخ. (بني سلامة، م. 2003: 4) دخلت بلاد الشام في الحكم الاسلامي بعد أن فتح القادة الأربعة يزيد بن أبي سفيان وأبي عبيدة بن الجراح و شرحبيل بن حسنة وعمرو بن العاص الذين وجههم أبي بكر الصديق لبلاد الشام سنة 12 هـ / 635 م واستكمل فتح كل الشام في عهد سيدنا عمر بن الخطاب. (13 هـ - 23 هـ)

لقد قسم المسلمون بلاد الشام إلى أربعة أجناد ، جند دمشق وحمص و الأردن وفلسطين و أضيف لها جند قنسرين حيث تولى معاوية بن أبي سفيان الأردن ، ثم ضم إليه ولاية دمشق لما توفي أخيه يزيد ثم ولاه سيدنا عثمان الشام كلها، و جعل ولائها تابعين له .(الزركلي خ 2002: ج 7، 261) وبعد مقتل سيدنا علي تولى معاوية بن أبي سفيان حكم الدولة الإسلامية ، بعد مبايعة الحسن بن علي متخذاً دمشق عاصمة لها (ابن الأثير، 1973: . ج 3، 261). و هنا بدأت بلاد الشام تشق طريقها نحو البناء و التطور خاصة في الميدان الاقتصادي رغم الثورات المتعددة .

1 - الموقع الجغرافي الفلكي : تقع بلاد الشام في الجهة الجنوبية الغربية لآسيا، يحدها من الغرب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) و من الشرق بادية الشام من أيلة إلى الفرات وجنوبا حد مصر وتيه سيناء ورفح ، ويتفق الاصطخري مع ابن حوقل و المقدسي في تحديد أقسامها فيرون أنها فلسطين و الأردن و دمشق وحمص وقنسرين ، و يضيفون إليها الجبال و الشراة (الإصطخري إ. دت ، 23) ترتفع على مسافة 691 م عن سطح البحر، تقدر مساحتها حوالي 1,033,006 كلم مربع، وتتضح الصفة البارزة في تضاريس الشام، التي تخترقها كثير من الجبال و السهول الخصبه تتناوب الأراضي المنخفضة و الأراضي المرتفعة من الشمال إلى الجنوب تحاذي بعضها البعض، (رحال ع ، 2000: 12) وفي هذا الصدد أوضح المقدسي المظاهر التضاريسية كالاتي فالصف الأول يلي بحر الروم وهو سهل رملي منعقدة ممتزجة يقع فيه من البلدان الرملة وجميع مدن السواحل ، والصف الثاني الجبل مشجر ذو قرى وعيون ومزارع يقع فيه من البلدان بيت جبريل و ايليا ونابلس و اللجون وكابل وقدس والبقاع وأنطاكية.

والصف الثالث الأغوار ذات قرى وأثمار ونخيل ومزارع ونيل ، يقع فيه من البلدان أيلة وتبوك وصغر و أريحاء و بيسان و طبرية و بانياس، والصف الرابع سيف البادية وهي جبال عالية باردة معتدلة مع البادية ذات قرى وعيون وأشجار ، يقع فيه من البلدان مآب وعمان و أذرعات ودمشق وحمص وتدمر وحلب.

وتقع الجبال الفاصلة مثل جبل زيتا وصديقا ولبنان و اللكام ، في الصف الثاني وسرة الأرض المقدسة في الجبال المطلة على الساحل (المقدسي. 1980 ج 1 ص 171)

ومنه تنحصر بلاد الشام بين دائرتي عرض 29° و 37° شمالاً، وبين خطي طول 31° و 59° شرقاً.

2 - العوامل المساعدة على الازدهار الاقتصادي : تتمثل العوامل المساعدة على الازدهار الاقتصادي في بلاد الشام في ما يلي:

1 العوامل الطبيعية: بالإضافة إلى الموقع الجغرافي لبلاد الشام هناك عدة عوامل طبيعية أخرى منها أ/ المناخ يسود سواحل بلاد الشام مناخ البحر الأبيض المتوسط المعتدل و الممطر شتاء و الجاف صيفا، أثر ذلك في تحديد الإنتاج الزراعي كما و نوعا .

أما في المناطق المرتفعة تخضع للمناخ الجبلي ، في حين يظهر المناخ القاري في المناطق السهلية بينما يسود المناخ الصحراوي في البادية ومنه تتناقص الأمطار كلما ابتعدنا عن الساحل.(حسين ف. 1984 ص 19) ب/ التربة: إن الرواسب النهرية التي جرفتها السيول من السفوح الجبلية المجاورة للمناطق الساحلية أدت إلى تكون تربة خصبة و متنوعة (وهي ص م. 2012. ص 221).

ج/ وفرة المياه: تتوفر بلاد الشام على عديد من مصادر المياه منها:

- الأنهار: تعد الأنهار من أهم مصادر الري في بلاد الشام منها نهر العاصي الذي يستغله السكان في الشرب و ري مزرعاتهم (البديري دت . ص 7)

بالإضافة إلى نهر بردي الذي ينبع من عين الفيحة ومن عين الزيداني ، التي ينبع منها نهر الزيداني حتى يلتقي بنهر بردى وبذلك يشكلان روافد لنهر بردى ، الذي يتفرع قبل دخوله دمشق إلى سبعة فروع هي كالآتي :

- نهر يزيد سمي بذلك نسبة إلى يزيد بن معاوية الذي أمر بإنشائه.

- نهر ثورا نسبة إلى أحد ملوك الروم (ثورة) حيث أنشئ في عهده وسمي باسمه.

- نهر بليناس نسبة إلى الحكيم اليوناني .

- نهر قنوات تسمى بذلك لكثرة القنوات التي تتفرع عنه لتغذية مدينة دمشق بالمياه.

- نهر مزنة نسبة إلى قرية المزنة وكان اسمه المنزة لما بها من صحة الهواء .

- نهر داريا نسبة إلى قرية داريا (شمس الدين ، م : 198).

- نهر الأعوج ينبع من جبل الشيخ ويصب في بحيرة الهيجانة جنوب دمشق .

نهر الأردن: الذي يعد من أهم أنهار بلاد الشام في ري المزرعات ويسمى نهر الشريعة ينبع من بانياس ثم يصب في بحيرة طبرية. (ابن شداد: الأعلام ، ص 84) .

نهر الفرات: ويسمى أحد الرافدين وحما يمر نهر الشام بسميساط ومنبج و يمر بنصيبين و الرقة و الرحبة و العانة و الحديثة (ابن حوقل ، م 22)

نهر طرابلس: ينبع من جبل لبنان ويصب في البحر المتوسط يسقي بساكنها.

استطاع السكان و الفلاحون في دمشق الاستفادة من وفرة المياه الأنهار و فروعها التي تغطي كل غوطة دمشق .

نهر العاصي: ينبع من البقاع اللبناني المحصور بين سلسلتي جبال لبنان الغربية و الشرقية من منطقة تسمى اللبوة من بلدة بعلبك ويجري إلى غاية حمص (شمس الدين، م، 207) .

د - البحيرات: تتوفر بلاد الشام على العديد من البحيرات منها:

- **بحيرة حطين:** التي تتجمع فيها مياه الأمطار تستغل في ري المزروعات.

- **بحيرة الحولة:** تقع في مجرى نهر الأردن ، حيث تصب فيها منابع نهر الأردن الرئيسية ثم يخرج منها النهر نحو الجنوب (شمس الدين، م، 201) .

هـ - الأمطار: تكثر الأمطار في فصل الشتاء و الخريف و الربيع ، علما أنها تتذبذب كميتها من سنة إلى أخرى، وبفضل وفرة مياه الأنهار و الأمطار خفف من تأثير المناخ القاري الجاف حيث تتراوح كمياتها بين 800 و 200 ملم (حسين ف ، 1984 : 19) .

لقد اهتم خلفاء بني أمية بإنشاء العديد من مشاريع الري ، التي لعبت دورا كبيرا في الحملات الاستزراعية الكبرى خاصة التي قام بها معاوية بن أبي سفيان ، فأرست بذلك للدولة الفتية قواعد مالية و أنقذت الخزينة من أزمتها وقد تتابعت الحملات الاستزراعية في خلافة عبد الملك بن مروان وابنه الوليد، حتى بلغت ذروتها في عهد هشام بن عبد الملك (102 هـ - 125 هـ) وواليه خالد بن عبد الله القسري. حيث تجلّى في حفر الأنهار و شق القنوات منها أبار و قناة الرملة تدعى بردة ، التي بناها سليمان بن عبد الملك في فلسطين ، وإقامة السدود وأحواض المياه و القنوات ونصب آلات مقاييس المياه (طهوب ص، 2009: 156. 157) و بذلك رعت الدولة تأمين وصول المياه إلى الأرض الزراعية من خلال كرى و حفر الأنهار ، و شق الترع و القنوات و سد البثوق، و تحملت النفقة عليها، منها أبار الرملة وقناتها (ياقوت ، ح ، ج3 ، 69) إن كانت النفقة على ذلك مما يلزمها .

و - السهول: تتوفر بلاد الشام على سهول واسعة تتمثل في غوطتها الشرقية و الغربية ذات التربة الخصبة ساهمت في زيادة الإنتاج الزراعي. (وهي ص، م، 2012 : 221) حيث ساعدها احتراق نهر بردى لها (البكري، أ ، ج1 ، 380)، و من أهم السهول الساحلية الممتدة من الإسكندرونة شمالا، حتى غزة جنوبا الذي يبلغ طوله 1800 كلم ، ويرتبط مع سهول اللاذقية و جبلة ، وبانياس ، وسهل عكار يتميز بترتبه السوداء يضيق ويتسع في امتداده من طرطوس شمالا إلى طرابلس جنوبا ومن وادي النصارى شرقا في حمص إلى البحر المتوسط غربا.

2 - العوامل البشرية و المادية: تتمثل في ما يلي

أ - اليد العاملة: تتوفر بلاد الشام على يد عاملة كبيرة بحكم عدد السكان المتمركزين فيها منذ القديم وازداد عدد السكان عند استقرار الحكم الإسلامي في العهد الأموي وانتقال العديد من القبائل العربية هناك (كرد م ، ع ، كرد غوطة دمشق 1984 : 17) .

ب - وفرة الأموال: توفرت لخزينة الدولة الأموية مصادر عديدة من الأموال منها الزكاة ، و الجزية ، و الخراج وهذا الأخير يأتيها من الأراضي التي تركت في يد أصحابها منذ الفتح وفرضت عليها ضرائب معلومة حيث بلغت

مداخليل العراق في عهد معاوية خمسة آلاف ألف (البلاذري، أ، ج 2 ، 358) و في عهد عبد الملك بن مروان كان خراج الأردن المئة ألف وثمانين ألف دينار، وخراج فلسطين ثلاث مئة ألف وخمسين ألف دينار، وخراج دمشق أربع مئة ألف دينار، وخراج حمص مع قنسرين و الكور التي تدعى اليوم العواصم ثمان مئة ألف دينار (البلاذري، أ، ج 1، 230) كل ذلك مكن الدولة الأموية من تطوير الاقتصاد.

ج - وفرة المعادن : تتوفر بلاد الشام على العديد من المواد الأولية الخام منها الحديد ، تتركز مناجم الحديد في جبل لبنان وبيروت (الإدريسي، م ج 1 ، 119) أما الفضة في اللاذقية شمال بعلبك و مصياف وعلى ضفاف العاصي ، وتشتهر دمشق و اللاذقية بوفرة النحاس ، أما معدن الذهب يتواجد في أنطاكيا كما تعتبر كل من تدمر ، و جيروود ، و حماه ، و الخليل مناطق غنية بمادة الملح (علي، م ك، 163) هذه المواد المعدنية ساعدت على ظهور عدة معامل صناعية .(بني سلامة ، ج، م 2003 : 207) تعتمد على الفحم الحجري المحلوب من حلب و البادية القارة ، والمعرة ، كما تتوفر أراضي بلاد الشام على الطين والرمل الأبيض كالإسفيداج - الذي يصنع منه الزجاج - (ياقوت، ح، ج 1، 426) ، ومادة الجير بلونيه الأبيض و الأحمر ومادة الرخام التي تتركز خاصة في بيت جبريل ، و بالأغوار. (المقديسي، م، 1980: ج 1، 167)

3 - مظاهر الازدهار الاقتصادي:

1 الزراعة: تعد الزراعة عصب الحياة الاقتصادية في بلاد الشام ، ورغم انعدام الاستقرار السياسي حاولت الدولة الأموية توفير الأمن للمزارعين و التجار و الصناع وأصحاب الحرف المختلفة ، فدفعت عنهم أذى الخارجين على الدولة و المنشقين عنها ، وعملت على حمايتهم من تعدياتهم ليعطوا أفضل ما يقدرون عليه . حيث أمرت عمالها باحتساب الإساءة إليهم ، و حذرهم عاقبة الظلم و الجور على العمران ، وفي هذا الصدد قال زياد بن أبيه لعمال الخراج في ولايته " أحسنوا إلى المزارعين ، فإنهم لا تزالون سمانا ما سمنا" (ابن قتيبة ، ع. 1997 ج 1، 63)

أ - الأساليب الزراعية: يعتمد الفلاح في بلاد الشام على تقسيم الأراضي التي بيده إلى شطرين ، فيزرع شطرا ، ويريح شطرا ، و يتعاهده بالحرث لتفرغ الشمس باطن الأرض ، ثم يزرعه في القابل ويريح الشطر الذي كان به الزرع ؛ هذا دأبهم ، (النويري، ش، 2004: ج 8 ، 187) وهذه الطريقة متبعة في حمص و حماه و حوران وكذلك في دوما لإراحة الأرض ، ومن أجل كسب محصول جيد ووفير من القسم الذي ترك دون زراعة عند زرع ، (فالح ص، ح، 1984: 79). و الذي يعرف في الوقت الحاضر بالدورة الزراعية ، كما مارس أهل الشام التطعيم وهو التركيب بجميع أشكاله ويذكر أبو البقاء أنه كان بالغوطة أشجار تحمل الواحدة منها أربع فواكه. كذلك الكرمة الواحدة تطرح العنب الأبيض و الأسود و الأحمر (أبو البقاء 1920 : 359) كما حاربوا الآفات الزراعية ، إذ قاموا بالدودة التي تهاجم شجر العنب عندما تتكون العناقيد بواسطة مادة الحميرية حيث كانوا يدهنون سيقان الكروم لمنع الدودة من الصعود للشجر ، وذكر ابن حوقل أن البحر الميت يقذف مادة تسمى الحميرية يلقحون به كروم فلسطين (ابن حوقل، م، 1992 : 190)

فعلى ضوء العوامل السابقة واهتمام الدولة الأموية ارتفع الانتاج الزراعي وتنوعت المحاصيل الزراعية أدت إلى تحقيق الاكتفاء الذاتي وتصديرها للمدن القريبة و البلدان المجاورة .

ب - المحاصيل الزراعية : تنتج بلاد الشام مختلف المنتوجات الزراعية منها:

- **الحبوب:** تتمثل في الشعير و الحنطة و القمح وتعتبر منطقة حوران مطمورة الحبوب في الشام (فالح ،ص ح،1984: 121) و الذرة و الأرز و البقلاء والبسلة و الجلبان و اللوبيا و الحلبة و السمسم و القرطم (القلقشندي،أ، 1987: ج4 ، 90)، التي تتركز زراعتها على سفوح جبل قاسيون (ابن طولون،م،1980: 43) و أنطاكية (علي م،ك، ج4، 150)

- **الخضروات:** شاعت في بلاد الشام زراعة الخضروات وكانت تتركز في سفح قاسيون وحلب الذي كان يمون دمشق طوال السنة بأنواع الخضروات و البقول التي تتكون منها السلطات ، كالسلق و البراصيا و الكراث و السبانخ و الكزبرة و البقدونس و الخس الصيفي و الشتوي و الفجل(ابن عساكر علي 1995: ج2 ، 404)، كما تزرع القثاء ما يستطاب ويستحسن ، غيرها من المزروعات كالقلقاس والملوخيا والباذنجان واللفت والجزر والهلبيون والقنبيط والرجلة والبقلة اليمانية ، وغير ذلك من أنواع الخضروات المأكولة (القلقشندي،أ ، 1987: ج4 ، 90)

- **الأشجار المثمرة :** تعتبر بلاد الشام من المناطق الغنية بالأشجار المثمرة كالتين الذي تنتشر زراعته في غوطة دمشق والقابون و قرية المزة وبرزة وحلب وصفد وجبل عامل و مدينة الرملة، و أطرابلس و من أشهر أصنافه الملكي والميسوني و السلطاني وتوجد بها ما يقارب ستة عشر صنفا و يستهلك طازجا ، وما يزيد عن الحاجة أثناء المواسم يتم تخفيفه وتصديره إلى المدن و البلدان الخارجية ، (أبو البقاء،م 1920 : 32) و أشجار الفستق التي اشتهرت به حلب ودمشق و الرملة و معرة النعمان (ابن حوقل،م 1982: 184) ، أما أشجار كروم العنب والرمان والبرقوق والمشمش والخوخ والتوت والفرصاد والقراصيا تزرع في الشويكة (ابن عساكر،علي 1995 ج 2، 404)

كما تنتشر بدمشق و حلب و جبل عالية زراعة التفاح وهي على أنواع يبلغ 23 صنفا ومذاقا (أبو البقاء،م،1920: 201) ويمثله أشجار الخوخ على 11 صنفا ، أما الكمثرى و الأترج يزرع في صور(أبو البقاء،م، 207 ، 211) ، أما السفرجل مع كونها أكثر أنواعا وأبهج منظرا ويزيد عليه فواكه أخرى، كما تزرع أشجار الزيتون غاية في الكثرة ومنه يعتصر الزيت وينقل إلى أكثر البلدان ، تتركز في دمشق، و المزار ، و الشويكة ، وبأغوارها تتركز أشجار الحمضات خاصة الليمون والكباد والنارنج (القلقشندي،أ،1987:ج4 ص 90) و أشجار الكرم ذات الأصناف العديدة أشهرها الزيني و البلدي و الأحمر الداراني و الحلواني و الأسود في دمشق و الغوطة (كرد علي،ك،م، 180) .

أما أشجار المشمش تنتشر في غوطة دمشق وحماه و أنواعه غنية عن التعريف ذكر البدري إحدى وعشرين صنفاً للمشمش أشهرها حموي ، سندياني ، أوسي ، عربي ، خراساني ، كافوري ويعد الحموي أشهر وألذ الأصناف طعماً وأغلاها ثمناً (وهي، ص، م، 2012: 229) ، أما في حلب يزرع في أرضها القطن والسمن والبطيخ والخيار والدخن والكرم والمشمش والتفاح والتين (القزويني: ز، ج 1 ، 72). أما أشجار الكروم (العنب) تنتشر زراعته في جبل عامل وبقية التابعان لصفد (شمس الدين، م، 211) بالإضافة لأشجار الآحاص و البرقوق التي تتركز في المزة و اللوان ، كما تنتج البطيخ الذي يزرع في داريا ودمشق و المرج (أبو البقاء، م، 213 - 223).

- النباتات الزهرية : تشتهر الشام بزراعة النباتات الزهرية مثل الزيزفون و الورد الجوري على ست أنواع و النرجس و الياسمين و المنثور و السوسن و الأقحوان و الآس و شقائق النعمان في قرية منين شمال جبل قاسيون (أبو البقاء، م، 343 345) ، و الریحان في دمشق التي وصفها ابن بطوطة في رحلته "أنها جنة المشرق و عروس المدن قد تحلت بأزهار الرياحين و تجلت في حلال سندسية من البساتين" ، (ج 1 ، 37) كما تكثر الأزهار في جبل الطابور في الناصرة و القرنفل في حلب (حسين ف، 1974: 132)

2 - الصناعة: استطاعت بلاد الشام بفضل ما توفر لها من مواد أولية زراعية أو معدنية من إقامة العديد من الورشات الصناعية ومن أشهرها:

أ - الصناعات الغذائية : اشتهرت بلاد الشام بصناعة الزيت المستخرجة من الزيتون وهي على نوعين الزيت الصافي يستعمل للاستهلاك ، أو لإنارة المساجد حيث يستهلك المسجد الأموي لوحده في كل سنة ألف قنطار (شمس الدين، م، 200) ، ضف إلى ذلك المربيات و المخلات حيث تركزت في أغلب المدن الشامية وبالأخص دمشق و حماه وبيروت و نابلس و المزة وهي نفسها مناطق تمدها بالمواد الأولية الزراعية .

ب - صناعة الصابون: تتركز صناعة الصابون خاصة في دمشق وحلب و أنطاكية وحيفا و نابلس التي اشتهرت بجودتها حتى عرف بالصابون النابلسي ، و يصدر إلى سائر البلاد المصرية وجزائر البحر الرومي (كرد، م، علي ج 4 ، 157 ، 159)

ج - صناعة قصب السكر: تتركز صناعة قصب السكر أو ما يعرف حالياً بتكريره في أنطاكية ويافا و عكا و منطقة الأغوار وقد زاد عن حاجة السكان حيث ذكر كرد علي أنه يحمل إلى الأفاق (ج 4 ، 174)

د - صناعة ماء الورد: عرفت بلاد الشام بصناعة أنواع عديدة من ماء الورد منها الورد النصيبي و ماء القرنفل الذي تتركز صناعته في دمشق و حلب و يصدر إلى الحجاز و مصر و الهند و بلاد السند والصين و ما وراء ذلك. (شمس الدين، م، 198)

هـ - الصناعة المعدنية : ازدهرت صناعة السيوف في الشام خاصة دمشق وبلبك و القدس حتى عرف بالسيوف الدمشقي و الدروع و الضبور و المجانيق وكل ما تحتاجه الدولة في حروبها أو لمتطلبات الفتوح في مشرق الأرض و مغربها ، (ديورنت، و، 2013: ج 13، 108) .

و- صناعة الزجاج : تعد من الصناعات القديمة في بلاد الشام لوفرة المادة الأولية حيث ورثوا تقنيته صناعته من البيزنطيين واستمر إلى العصر الإسلامي خاصة في دمشق و الخليل .

ز- صناعة الروائح العطرية: اشتهرت بلاد الشام بصناعة الروائح العطرية لاهتمام الناس بزراعة الورد مثل الدمشقيين و في أريحا وأصبحت من الصناعات المطلوبة ليس عند الخلفاء و الأمراء بل من خارج الديار الإسلامية (شمس الدين، م، 207)

ح - صناعة الخشب: عرفت بلاد الشام بالصناعة الخشبية قبل الفتح الاسلامي وازدادت الطلب عليها من المجتمع حيث تستغل في تلبية حاجيات السكان الضرورية هذا من جهة ومن جهة أخرى اهتمام الدولة بتطوير أسطولها البحري خاصة في عهد معاوية بن أبي سفيان الذي ألح على ضرورة بناء العديد من السفن للوقوف في وجه الروم ، فتم بناء دار لصناعة السفن في كل من عكا وطرابلس و اللاذقية و بيروت و صور وكان جبل لبنان مصدرا هاما للأخشاب (ك، م، علي، ج 5، 37).

ك - الصناعة النسيجية أو الحياكة : من أهم المناطق الشامية المشتهرة بالصناعات النسيجية التي تتركز في رصافة الشام التي بناها هشام بن عبد الملك ومن أهم أنواع المنسوجات الشامية (محمد، ص، ع، 2003: 107) جباب ، و خميسة ، و السراويل و البردة ، و الربطة ، و البرنس وهذه الأخيرة كانت ذات شهرة كبيرة ، وكان خلفاء بني أمية يكسون الناس الخبز إلا الأصفر و الأحمر، و يكسونهم ما سوى ذلك من الألوان و يدخرون الأحمر و الأصفر لأنفسهم (محمد، ص، ع، 2003: 11) ، بالإضافة للقטיפه التي كانت من بين أعطيات الدولة للرعية (البلاذري، أ، أنساب الأشراف ج 2، 313) مما يبين على رفاهية المجتمع في ذلك العصر.

وهناك العديد من الصناعات الأخرى كصناعة الحلبي و أدوات الزينة و صناعة الأواني النحاسية المنتشرة في كثير من المدن الشامية مما يدل على مدى تطورها و ازدهارها.

3 - التجارة: عرفت التجارة في بلاد الشام نشاطا متزايدا لوفرة الإنتاج الزراعي و الصناعي مما دفع بالسلطة الأموية لتوفير وسائل النقل البري من إبل و خيل و بغال ، حيث كان التجار يقودون قوافل تخرق بلاد الشام إلى أنحاء العالم الإسلامي ، أما النقل البحري فكانت السفن بأنواعها تخرق البحار شرقا و غربا يفرغون تجارتهم في الموانئ البحرية و ينقلون منها موارد جديدة بحركة تجارية ترد إلى الموانئ وكانت تنقل برا إلى الأسواق الداخلية و الخارجية.

ومن مظاهر الازدهار التجاري توفر العديد من الأسواق و المتاجر و الحوانيت (ياقوت، ح ج 3 ص 312) حيث تتركز أهم الأسواق في مدينة غزة الواقعة جنوبا ، و مدينة جفار التي تتوسط بين فلسطين و مصر كما

ضمت رفح و العريش وكانت جميعها عامرة وذات حركة كبيرة يردها التجار في البر و الحر ليلا ونهارا (ابن حوقل، م 1992: 152) ، ومدينة أيلة المطلة على البحر الأحمر فكانت تعتبر الميناء الجنوبي لبلاد الشام ، بالإضافة إلى بصرى الشام التي تعد بحق ملتقى تجار العالم (الأصفهاني،أ، 201) بالإضافة إلى مدينة طرابلس و عكا و اللاذقية التي هي قواعد للأساطيل البحرية التجارية (مؤنس،ح،2008:ج2،275) وبالتالي أصبحت بلاد الشام مركزا تجاريا هاما في العالم الإسلامي وكادت تحتكره في عهد الدولة الأموية (إسماعيل،أ،1994: 326) . وما يدل على هذا التطور التجاري سكك الدنانير والدرهم في عهد عبد الملك بن مروان حيث ضربها من فضة خالصة وكان الناس قبل ذلك يتعاملون بدرهم الفرس والروم (القلقشندي،أ،1987:ج1، 483) مما مكنتهم من التحكم في المعاملات التجارية تصديرا و استيرادا. كما منح الاستقلال الاقتصادي للدولة

أ - الصادرات : تتمتع الدولة الأموية بخيرات وفيرة زراعية وصناعية دفعتها إلى تصديرها نحو الأسواق الخارجية سواء نحو المناطق القريبة مثل الحجاز و العراق و مصر و شمال إفريقيا و البعيدة مثل الصين و الهند . ومن أهم صادراتها المنتوجات الغذائية المنقولة من فلسطين مثل: الزيت و القطن و الخروب و الملاحم و الصابون و الفوط و الجبن و القطن و التفاح و القرنيش و المرايا و قدور القنادل و الإبر ، و النيل و التمور و الجبوب و الخرفان و العسل و المطارح والسبح و الكاغد و البز و الأرز. ومن حماه وحمص الألبسة و البلعسية و الحبال و من صور السكر و الخزر و الزجاج المخروط و المعمولات.

ومن مآب قلوب اللوز. و من دمشق المعصور و البلعيس و الديباج و دهن البنفسج و الصقريات و الكاغد و الجوز و القطن و الزبيب وماء الورد و زهره إلى الحجاز و الهند و السند (المقدسي،م،1980: 147) ومن حلب القطن و الثياب، وكانت موانئ عكا وبيروت وطرابلس و اللاذقية و خمس مدن داخلية منها الرملة و دمشق ، و حماه ، و أنطاكيا، وحلب هي حلقة الربط بين تعاملات الأمويين وبلاد اللاتين (ك،م علي 242 ، 243)

ب - الواردات: تستورد الدولة الأموية الكثير من السلع على الرغم من غنى أسواقها بما تحتاجه وهذا يدل على وفرة المواصلات ، و رفاهية المجتمع في بلاد الشام مما سهل ورود سلع عديدة من البلدان البعيدة

- فمن الشرق يجلب من الهند جلود النمر و الياقوت الأحمر و الأبنوس و جوز الهند ومن الصين الفرند و الحرير و الكاغد و المداد و البراذين الفرة و السروج (الجاحظ،ع، 1935: 25، 26).
- ومن الغرب أي بلاد الروم يجلب الخدم و الجوارى و الغلمان و الديباج و الخز و الفراء إلى سواحل البحر بأنطاكيا (ك، م ع، 243) و أواني الفضة و الذهب.
- ومن البلاد العربية كاليمن البرود و الأدم و الزرافات و الجواميس ، ومن مصر الثياب الرقاق و القراطيس و دهن البلسان ومن المعدن الزبرجد الفائق (الجاحظ،ع، 1935: 27).

4 - أثر الثورات على الجانب الاقتصادي: ما إن تأسست الدولة الأموية سنة 40 هـ / 660 م تحركت الثورات وكانت بداية القلاقل في عهد معاوية بن أبي سفيان حيث حاول الخوارج أن يثوروا من جديد على الخلافة ، وبحلول عام 45 هـ / 665 م نجح في إخماد ثورتهم وعاد الاستقرار الداخلي للدولة خاصة في الشرق بفضل واليه زياد بن أبيه الذي قدم البصرة سنة 45 هـ فضبط الأمر لمعاوية في جهة الشرق (الطبري، م1987: ج2، 122) وظلت الأوضاع على حالها لتشق طريقها نحو خدمة الاقتصاد إلى غاية وفاته سنة 60 هـ / 680 م، ومما ساعده على ذلك هو الفترة الطويلة التي تولاها معاوية في الشام كوالي في عهد الخليفة عمر بن الخطاب حيث ولا دمشق وبعلبك و البلقاء ، ثم أفردت له الشام كلها في عهد خلافة عثمان بن عفان (ابن سعد، م، 1968: ج10، 59) حيث كسب مؤيدين له مكنته من الاهتمام بالجانب الاقتصادي. لتظهر حركات ثورية جديدة في عهد ابنه يزيد منها حركة الحسين بن علي في الكوفة ثم حركة عبد الله بن الزبير لكن لم تدم خلافة يزيد سوى أربع سنوات حيث توفي سنة 64 هـ / 684 م تاركا ابن الزبير دون قتله (ابن الأثير، ع 185، 192).

رفض معاوية الثاني تولي الخلافة و انتهى بانفراد بني أمية الفرع المرواني بالخلافة لكن خلافته لم تدم إلا شهور حيث توفي سنة 65 هـ / 685 م ليتولى ابنه عبد الملك بن مروان الذي ورث خلافة منقسمة بين الشام حيث مزاحمة عمرو بن سعيد الأشدق (70 هـ / 687 م) له و في العراق مصعب بن الزبير (71 هـ / 690 م) و في الحجاز عبد الله بن الزبير (73 هـ / 692 م) ثم حركة عبد الله بن الأشعث سنة (83 هـ / 702 م) في الكوفة ليتمكن من إعادة الاستقرار للخلافة (ابن كثير، إ، 1988: ج8، 286).

والسؤال الذي يمكن طرحه: ما مدى تأثير الثورات على الجانب الاقتصادي ؟

على ضوء ما ذكر سابقا نستخلص أن هذه الثورات كانت بعيدة عن بلاد الشام التي كانت مركزا للحكم مما مكن حكام بني أمية من السيطرة على الوضع و التوجه نحو تطوير الاقتصاد ، وهذا يعود للقوة العسكرية التي كانت تتمتع بها الدولة حيث تمكنت من بسط قوتها على أراضيها زد على ذلك ولاء القبائل الساكنة بالشام ، و ولاء الولاة القيمين عليها، واستدلالنا في ذلك عند بداية الدعوة العباسية بقيادة محمد بن علي بن عبد الله بن عباس لرجال الدعوة العباسية حين اختارهم للدعوة وأراد توجيههم إلى خراسان قال : «...وأما أهل الشام فليس يعرفون إلا آل أبي سفيان وطاعة بني مروان...» (ابن قتيبة، أ، ج1، 88) .

تعد سنة 83 هـ / 702 م مقدمة للازدهار الاقتصادي الذي بدأ تعرفه الدولة الأموية بفضل الفتوحات الكبرى التي شهدتها في الشرق و الغرب حيث عسكر المسلمون على نهر الأربد ، فأحيوه ، وبمثله على باب الرستن ، حيث أقطعوه للمقاتلة وساهموا بالتالي في إحياء الأرض وكذلك على باب حمص، وصار ملكا لأهلها ، لا خراج عليها ، وتؤدي العشر (ابن قدامة، ع، ج3، 343، 5، 344) وحصل مثل ذلك في أراضي حول حمص وعلى نهر العاصي وقد ساهم إقطاع التوطين الذي مارسه الأمويون في الساحل الشامي خاصة في خلق ملكيات عربية للأرض (حسين، ف، ص، 1984: 1984: 16) مما ساهم في زيادة الإنتاج ، حيث غذته كثيرا

الفتوحات الإسلامية الواسعة، فضلاً عن أن ربوعها شملت الكثير من المراكز الزراعية بفضل (موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، 1996: 82) إقطاع الأراضي و إحيائها في ربوع بلاد الشام حيث شجع الوليد بن عبد الملك (48هـ - 69 هـ / 668 م - 715 م) و أخوه مسلمة على إحياء الأرض و زرعها وحفر الآبار فيها، والواقع أن الأمويين أسهموا من بيت مال إلى جانب رؤوس الأموال الفردية مساهمة فعالة في إحياء الأرض وزراعتها ، فعمر بن عبد العزيز (61 هـ - 101 / 781 م 720 م) لم يكن يتوانى عن القيام بصرف الأموال من بيت المال في سبيل إحياء أرض الصوافي و زرعها ، وبهذا أصبح بيت المال الأموي بمثابة بنك التسليف (حسين، ف، ص 1984: 154) كما اهتموا بالصناعية التي أغنت وأثرت اقتصادها ومكناها أن توسعها ، كما أتاح لهذا التطور الزراعي و الصناعي نمو حركة تجارية ضخمة بين ولاياتها بدون عوائق، جعلت نقل البضائع والمتاجرة بها سهلاً ويسيراً، فازدهرت الحركة التجارية في الدولة (موسوعة سفير للتاريخ الإسلامي، 1996: 82 ، 88) وأصبحت متحكمة في أغلب الطرق التجارية الأساسية في العالم القديم، وسيطرت من ثم على الحركة التجارية .

وحسب رأينا لولا هذه الحركات المناوئة للدولة الأموية لكان التطور الاقتصادي أكثر ازدهاراً مما كان لأن إخماد الثورات السابقة الذكر تحتاج إلى رؤوس أموال و أسلحة وتجنيد قوة بشرية التي ستكون عبء على الخزينة التي من المفروض أن تهتم بتحقيق الرفاهية الاجتماعية من خلال توفير مختلف حاجيات السكان الصناعية و الزراعية .

الخاتمة : مما سبق ذكره نستنتج ما يلي

- ساهم الموقع الجغرافي والظروف الطبيعية و البشرية لبلاد الشام في الازدهار الاقتصادي في العصر الأموي .
- اعتماد خلفاء بني أمية على ولاة أقوياء أكفاء فرضوا الأمن و الاستقرار في ربوع الخلافة عام و الشام خاص .
- ازدادت مساحة الدولة جراء الفتوحات مما خدم الجانب الاقتصادي للدولة وعزز بذلك الازدهار الاقتصادي لبلاد الشام .

- تمكن الأمويون من فرض الاستقرار و توفير الأمن للفلاحين من أجل خدمة الأرض فازداد الإنتاج الزراعي والصناعي، وزاد عن حاجة الدولة مما دفعها لتصديرها للمدن القريبة و البلدان البعيد بفضل توفر وسائل النقل المختلفة من برية وبحرية .

- إن أغلب الحركات المناوئة للدولة كانت بعيدة عن مركز الخلافة - دمشق - ومحيطها بلاد الشام ولذلك فإن تأثيرها لم يوقف حركة التنمية الاقتصادية.

قائمة المصادر:

1 - ابن الأثير: عز الدين علي بن محمد بن عبد الكريم الجزري أبو الحسن ، (دت) الكامل في التاريخ، (دط) ، دم.

- 2 - ابن بطوطة: محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي (د ت) أبو عبد الله رحلة ابن بطوطة، د.ط. دم .
- 3 - ابن سعد: محمد بن سعد أبو عبد الله البصري (1968) الطبقات، (ط 1)، بيروت، دار صادر.
- 4 - ابن شداد : محمد بن علي بن إبراهيم عز الدين أبو عبد الله (1991) الأعلاق الخطيرة في ذكر في ذكر أمراء الشام و الجزيرة (ط 1) سوريا ، وزارة الثقافة
- 5 - ابن طولون محمد الصالح (1980) القلائد الجواهرية في تاريخ الصالحية (ط 2). دمشق مطبوعات مجمع اللغة العربية .
- 6 - ابن عساكر: علي بن حسن هبة الله أبو القاسم ثقة الدين، (1984) تاريخ دمشق (ط 1) دمشق دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع .
- 7 - ابن قتيبة عبد الله بن مسلم بن قتيبة أبو محمد الدينوري، (دت) عيون الأخبار ، (دط)، دم.
- 8 - ابن قدامة :عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (1985) المغني، (ط 1)، بيروت دار الفكر.
- 9 - ابن كثير : إسماعيل بن عمر بن كثير أبو الفداء (1988) البداية و النهاية (ط 1)، دار إحياء التراث العربي.
- 10 أبو البقاء محمد البدري المصري دمشقي (1922) نزهة الأنام في محاسن الشام ، القاهرة المطبعة السلفية .
- 11 - الإصطخري : إبراهيم بن محمد أبو إسحاق الفارسي الإصطخري (دت) المسالك و الممالك، (دط)، دم .
- 12 - الأصفهاني : أحمد بن محمد بن الحسين أبو علي المرزوقي. (دت) الأزمنة و الأمكنة. (د ط)، دم.
- 13 - البكري: أبو بكر بن محمد شطا الدمياطي (دت) المسالك و الممالك، دط ، دم
- 14 - البلاذري :أحمد بن يحيى بن جابر (دت) فتوح البلدان (دط)، دم .
- 15 - البلاذري أحمد بن يحيى بن جابر (دت) أنساب الأشراف (د ط)، دم .
- 16 - الجاحظ :عمرو بن بحر أبي عثمان البصري (1935) التبصر بالتجارة (ط 2) مصر المطبعة الرحمانية.
- 17 - الطبري: محمد بن جرير أبو جعفر (1987) تاريخ الأمم و الملوك،(ط 1) بيروت دار الكتب العلمية.
- 18 - القزويني بن محمود زكريا بن محمود بن محمد القزويني ، (دت) آثار البلاد و أخبار العباد، دط، دم
- 19 - القلقشندي: بن علي أحمد (1987) صبح الأعشى في صناعة الإنشا (ط 1). دمشق دار الفكر.
- 20 - محمد بن علي أبي القاسم الموصلبي الحوقلي الغدادي (1992) . صورة الأرض. دار مكتبة الحياة للطباعة و النشر.
- 21 - محمد بن محمد المقدسي (1980) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (دط)، دمشق وزارة الثقافة والإرشاد القومي.
- 22 - محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الإدريسي (دت) : نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، دط ، دم .

- 23 - محمد شمس الدين أبو عبد الله أبو طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي شيخ الربوة (1895) نخبة الدهر في عجائب البر و البحر مطبعة الأكاديمية الإمبراطورية مدينة بطربورغ .
- 24 - النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (2004) نهاية الأرب في فنون الأدب، (ط1) بيروت، دار الكتب العلمية
- 25 - ياقوت الحموي أبو عبد الله (دت) معجم البلدان، بيروت دار الفكر.
- المراجع :**
- 1 - بني سلامة جميل محمود (2003) دمشق في العصر العباسي خلال الفترة 132 هـ - 264 هـ / 749 م 877 م رسالة دكتوراه الجامعة الأردنية.
- 2 - حسين فالخ صالح فالخ (1974) الحياة الزراعية في بلاد الشام في العصر الأموي رسالة ماجستير، جامعة الاردن.
- 3 - ديورانت ول وايريل (2013) قصة الحضارة دار الجيل، الناشر المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم
- 4 - طهوب صلاح (2009) العصر الأموي، عمان الأردن دار أسامة للنشر و التوزيع.
- 5 - عاطف رحال. (2000) تاريخ الشام الاقتصادي في العصر الأموي بيروت، بيسان للنشر والتوزيع و الإعلام.
- 6 - عبد الشافي محمد عبد اللطيف (2011) موسوعة السفير للتاريخ الإسلامي العصر الأموي، (دط) القاهرة، سفير.
- 7 - علي أحمد إسماعيل (1994) تاريخ بلاد الشام منذ ما قبل الميلاد حتى نهاية العصر الأموي (ط3) دمشق، مطبعة جوهرة الشام .
- 8 - العلي صالح أحمد (2003) المنسوجات العربية في العصور الإسلامية الأولى، (ط1). بيروت، لبنان شركة للمطبوعات و النشر.
- 9 - علي محمد كرد (1984) غوطة دمشق، (ط3) بيروت دار الفكر المعاصر.
- 10 - علي محمد كرد خطط الشام (ط2) بيروت مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.
- 11 - مؤنس حسن، (1987) أطلس تاريخ الإسلام، (ط1) القاهرة، الزهراء للإعلام العربي.
- 12 - وهبي صالح محمود (2013) كانون الثاني حزيان التطور الزراعي الصناعي في غوطة دمشق وأثره في الحياة الاقتصادية خلال القرنين العاشر و الثامن عشر. مجلة دراسات تاريخية (117 - 118) 210 - 242 .

تاريخ الاستلام: 2017/05/14 - تاريخ التحكيم: 2016 /08/11 - تاريخ النشر: 2017/12/30

المرسوم المشيخي 22 أفريل 1863 في الجزائر و المواقف المختلفة منه

د. نورالدين ايلال

جامعة البليدة - العفرون - الجزائر



ملخص

منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر في 05 من شهر جويلية 1830، بدأت السلطات الاستعمارية تكشف عن نواياها ودسائسها لقلوب الجزائر في قالب فرنسي تحكمه وتسيره أيادي أجنبية ضاربة بقوة وبعرض الحائط آهات وصيحات الأهالي لوعودها الزائفة . ولتحقيق مشروعها الاستعماري، عمدت بالدرجة الأساس على وضع ترسانة من القرارات والقوانين والمراسيم التي استهدفت الأرض منها مرسوم 1830/9 /21 وقانون 22 جويلية 1834 تلاهما قراري 1844 و 1864 وقرار 16 جوان 1851. واتضح أكثر سياسة فرنسا الاستعمارية اتجاه العقار منذ صعود نابليون الثالث الى سدة الحكم بعد قيام الامبراطورية الفرنسية الثانية (1870/1852) ليولد أثناء ذلك مرسوم 22 افريل 1863 المشين الذي ميز هذه الفترة . ولذا سأحاول في هذه الورقيات إبراز طبيعة هذا المرسوم والمواقف المختلفة منه المتحفظة، المتخوفة والمؤيدة له من خلال موقف العسكريين، موقف مجلس الشيوخ ، المدنيين الكولون، موقف الصحافة وموقف رجال القانون وفي الأخير موقف الأهالي

الكلمات المفتاحية: - المرسوم المشيخي - الملكية - الامبراطورية الثانية - مجلس الشيوخ - نابليون الثالث.

Abstract :

Since the conquest of Algeria in July 1830, colonial France has begun a severe and savage pursuit of its objectives (colonization). To arrive at this, it has made various laws and decrees to get hold of the Algerian land.

Among the governmental texts are the decrees of September 21st 1830, the decrees of July 22nd 1834, the decrees published in 1844, 1846 and the law of June 16th 1851

During the second empire (1852-1870), colonial France proceeded to a new law affecting the land. It is the law of the senatus consulte of April 22nd 1863, the theme of our article in which I give an overview of this law and its content . Finally, I speak about the various positions towards this law such as the position of the members of the French parliament, the military, the colonists of Algeria, the jurists, the natives and the French press, the metropolitan and the regional press.

مقدمة: كانت الأرض من أهم المسائل التي ارتكز عليها التنظير الاستعماري الفرنسي في الجزائر لما تمكنه من تقديم خدمات كبيرة للاستيطان، والإدارة، والمشروع الاقتصادي الرأسمالي الاستعماري في الجزائر خاصة منذ صعود نابليون الثالث الى سدة الحكم وقيام الإمبراطورية الفرنسية الثانية (1852-1870).

قبل الشروع في دراسة ما عرف بالمرسوم المشيخي الصادر في 22 افريل 1863، رأينا بأنه من الواجب إعطاء صورة قلمية عن ترسانة القوانين التي استهدفت الأرض قبل صدوره. يعود أول قرار استهدف الأرض إلى 21 سبتمبر 1830 الذي يسمح بمصادرة الأملاك الوقفية وأملاك البايلك و ذلك في عهد الجنرال كلوزيل "Clauzel". (Ageron (Ch.R).1974 :22) تبعه مرسوما آخر صدر في 22 جويلية 1834 الذي أعلن أن الجزائر من الأملاك الفرنسية في شمال افريقية وبيح للإدارة الفرنسية التصرف في تلك الممتلكات بكل حرية مطلقة وكأنها صاحبة الأرض فتوسعت بذلك حركة الاستيطان منذ تولية الجنرال بيجو (Bugeaud) في 20 ديسمبر 1840 والذي أصدر بعد أقل من سنة قرارا مؤرخا في 12 أفريل 1841 فاتحا الباب أمام الرأسماليين.. (Julien, Ch.A).1964 :240)

لم تغلت البلاد من صور النهب حيث صدر قرار 1844 و 1846 اللذان يسمحان بمصادرة الأراضي غير المزروعة والتي لا يملك أصحابها وثائق الحياة.. (Julien, Ch.A).1964 :240- 241)، تبعها قانون عقاري صدر في 16 جوان 1851 الذي يقسم الأحوال العقارية حسب الترتيب الفرنسي الشيء الذي أضر كثيرا بالأهالي الذين فقدوا ممتلكاتهم (Julien, Ch.A).1964 :415)

بعد هذه الإطالة على ترسانة القوانين التي استهدفت الأرض قبل 1852، صدر عن مجلس الشيوخ الفرنسي أهم قانون عقاري منذ قيام الإمبراطورية الفرنسية الثانية والصادر في 22 أفريل 1863 (B.O.Du G.G.A. 1863 : 415) والذي يعد من أهم التشريعات التي أقرها نابليون الثالث (Napoléon III) والذي دافع عنه الجنرال آلارد (Allard) الناطق الرسمي باسم مجلس الحكومة الفرنسي و عند عرض مشروع هذا القانون للمناقشة والاقتراع في الفترة ما بين 11 و 13 أفريل 1863 لقي هذا الأخير تجاوبا كبيرا من المتحمسين للسلب والنهب.

- فصول المرسوم المشيخي: تضمن سبعة (7) فصول ، وأهم ما جاء في كل منها إجمالا نذكر:

الفصل الأول يقر و يعترف بالأراضي التي يقيم فيها العرب (أراضي الأعراش) وتثبيت مسألة الملكية التي تمت بين الدولة (البايلك) وأهل البلاد في السابق.

الفصل الثاني يتضمن كيفية تطبيق وتنفيذ المرسوم، ويتلخص ذلك في ثلاث عمليات أساسية وهي:

1. تحديد الأراضي التي يقيم فيها الأعراش.

2. تقسيم أراضي القبائل والأعراش، وتوزيعها على الدواوير في كل المناطق التي تخضع لهذا المرسوم.

3. تشكيل الملكية الفردية بين أفراد الدواوير وفق النصوص والأوامر الإمبراطورية.

الفصل الثالث وأهم ما جاء فيه هو الحرص على تنفيذ توصيات الهيئة العليا بوضع إدارة عمومية تضمن السير الحسن للعمليات المرتبطة بهذا المرسوم والمذكورة في الفصل الثاني.

الفصل الرابع ويتضمن الإبقاء على دفع الرسوم بالنسبة للمقيمين في تراب الأعراش لصالح خزينة الدولة .

الفصل الخامس خاص بحماية حقوق الدولة للأراضي والملاك بالرجوع الى قانون 16 جوان 1851 الذي يحدد أملاك الدومين ، وينتزع الملكية لفائدة المصالح العمومية.

الفصل السادس يميز انتقال الملكية من الأفراد بداخل العرش إلا بعد الانتهاء من تشكيل الملكية.

الفصل السابع يبقي تدخل الدولة في شؤون الملكية لحاجة ومنفعة عامة حسب ما جاء في قانون 16 جوان

1851. (Pouyanne (M). 1900 : 8).

أما عن أهدافه، فان الدارس للرسائل التي بعث بها نابليون الثالث الى بيليسييه (Pellissier) في 6 من شهر فبراير 1863 ، (Yakono (Xavier). 1993 :159) ونص الرسالة التي بعثها راندون وزير الشؤون الحربية الى الحاكم العام ماكماهون (Mac-Mahon) في 21 مارس 1866 بما في ذلك ما جاء في أدبيات القادة العسكريين يكشف عن الكثير من هذه الأهداف والنوايا الاستعمارية من وراء هذا القانون.

يحمل هذا المرسوم أهدافا ظاهرية وأخرى باطنية، فبالنسبة للأهداف الظاهرية تهتم بتنظيم الحياة الزراعية وبكل ما يرتبط بها، وتوسيع التراب المدني وإقامة الضريبة العقارية لدعم الخزينة ، وتحويل سكان الأعراس الى ملاك للأرض والانتفاع منها.

أما عن الأهداف الخفية فكانت أخطر لأن الغرض الأساس في هذا المرسوم هو تفتيت ملكية القبائل الثائرة والتي تريد أن تغلق ترابها في وجه العنصر الفرنسي، وفي هذا الصدد يعترف بيرك (Berque) بالنوايا الدسيسة لمرسوم 1863 ، فيرى بأن المرسوم المشيخي يعمل على تهدم التنظيم العتيق للقبيلة لأن هذه الأخيرة قوانينها وتاريخها وعاداتها وتقاليدها ، فيؤدي ذلك إلى تقلص مساحة المراعي ثم تعزل عن بعضها البعض لتنتهي الحياة تدريجيا بداخل القبيلة (Berque, (A). 1986 :48). ثم ينتهي الحال إلى خلق فراغ قيادي الذي لا يملأه سوى الوجود الاستعماري وذلك بإضعاف زعماء القبائل والأعراس وكذا الأعيان الذي يطلق عليهم بيرك تسمية " القضاة المحليين " .

وفي هذا السياق، كتب راندون الى الحاكم العام ماكماهون رسالة مؤرخة في 12 مارس من عام 1866 مما جاء فيها بتصرف: " يجب تكثيف الجهود لإتباع سياسة متحفظة وحكيمة هدفها إبطال النفوذ الذي تتمتع به العائلات الجزائرية منذ أجيال عديدة والأسر الارستقراطية " (Berque(A). 1986 :28). وإلى جانب ذلك تكريس الوجود الفرنسي بمنح أراضي واسعة للكثير من الأجانب يستثمرونها لأغراض متعددة حسب طبيعة ونوعية الأرض، والحيلولة في ابتزاز واغتصاب الأرض وتحويلها إلى غير أهلها (Ageron (Ch. R). 1974 : 257).

المهم، أنه بعد الإعلان عن فكرة المملكة العربية ، وإلغاء وزارة الجزائر والمستعمرات 1860، بدأت المعارضة تتحرك بشكل كبير حيث وجدت أرضية خصبة للتعبير حيث كانت هذه الأخيرة تدعو إلى عودة النظام المدني، وتشكيل مجلس استعماري يكون فيه للمعمرين مقاعد للتمثيل النيابي، فكان محركو هذه المعارضة من العمال المطرودين إلى الجزائر بعد ثورة باريس 1848 ، والمطرودون أيضا في عهد الإمبراطورية الفرنسية الثانية من الجمهوريين والديمقراطيين. ويذكر كولو (Collot) بأن بوارد الغضب والاستفزاز التي شعر بها أوروبيو الجزائر تعود في حقيقة الأمر إلى رسالة الإمبراطور المتبوعة بالمرسوم المشيخي محل الدراسة ، ومن نتائج ذلك تحرك العديد

من الأطراف الذي أدى الى ظهور العرائض، والدعاية وغيرها من الوسائل. (Revue Africaine. 1868 : 354).

في مقال له بعنوان: " مسألة الملكية حسب فقهاء القانون الإسلامي " يقول فايسات : " إن قوانين المحكمة شبيهة بمبادئ العقيدة التي تنبثق منها القوانين والتي تقر بمشروعية كل هبة يمنحها الحكام ، أو القائمون على الأمر، وأن هذه الهبة تتحول إلى حق من حقوق الحيازة ، ولقد طبق هذا المبدأ في كل من الجزائر والمغرب ، ولا نزال نجهد الكثير عن كيفية تشكل الملكية، وسعيا منه لتوضيح هذه المسألة استند الى آراء بعض المشايخ والقضاة من بينهم أبو الحسن البشريني قاضي المغرب، والشيخ البرزولي قاضي تونس، والشيخ المجاحي قاضي تلمسان . وحسب ما يذهب إليه صاحب المقال فإن كل هؤلاء الشيوخ يجمعون على أن البحث في أصول الملكية أو ما تم بيعه من قبل من طرف الأمراء وغيرهم من الحكام قد ينجر عنه عدة مشاكل وهم بذلك يعترفون بحق حيازة الأرض بصفة التمليك ، سواء عن طريق الإرث أو عن طريق الهبة، أو نحو ذلك. (Revue Africaine. 1868 : 354).

إيماناً منها للوصول إلى الملكية ووضع اليد على أراضي الأهالي بكل أمان، وظفت السلطات الاستعمارية في الجزائر عدة شخصيات من مشايخ، وأئمة ، وقضاة للتعريف بهذا المرسوم وتوضيحه. ومن بين الذين اعتمدت عليهم الإدارة الاستعمارية نجد الشيخ محمد بن عبد الله الزحاي حريج الأزهر، وشيخ مدرسة تلمسان في مقال له بعنوان " تنبيه أكيد لمن عساه يغفل عن فائدة التحديد " جاء فيه: " إن القانون الجديد الذي وضعته الدولة الفرنسية في التحديد، لا شك أنه قانون مفيد ، وعمل صالح سديد ليس على فائدته مزيد، ولا ينكرها إلا جاهل بليد أو متجاهل مريد أو خصم ألد الخصام عنيد وهي تحصين الأملاك من طوارئ الاستدراك والاستهلاك وحسبك فيها فائدة عظيمة" (لونيبي، إ، 1994، 224)

قبل استقرار الوضع، وبعد عرض المشروع (مرسوم 22 أبريل 1863) للمناقشة والإثراء ظهرت عدة مواقف أثارت جدلاً واسعاً خاصة حول المادة الأولى منه والتي تنص على أن الأعراس معترف لها بملكية الأرض التي يقيمون فيها. فالتمتعن للآراء والمواقف المختلفة للأوروبيين في الجزائر أو بفرنسا يفهم بأن سياسة الإمبراطور جلبت له عداء العسكريين والكولون بما في ذلك الصحافة والأهالي، ولم يتمكن الكثير من إخفاء مواقفهم ولم تسلم سياسة الإمبراطورية من الانتقادات، فيرى الكاتب هنري برنشويغ (Henri Brunchwig) بأن كلام

نابليون الثالث حول ما يعرف بالمملكة العربية غير واضح وغير مفهوم، فلم يكن لديه برنامج جاد ومدروس حيث كتب إلى بيرسينيه (Persigny) : " إن الجزائر شبيهة بكرة المحكومين معلقة بقدم فرنسا فكان المرسوم المشيخي يعمل على مسح أراضي الأهالي " (Le Monde, 1960 : 02) .

موقف أعضاء مجلس الشيوخ: إن المناقشات التي دارت داخل مجلس الشيوخ الفرنسي لم تكن تحمل بشارة الخير التي كان ينتظرها الأهالي أصحاب الأرض الذين كانوا يعيشون تحت طائلة سياسة الإدارة الدخيلة والمظالم التي مورست في حقهم، وإنما انصب الجدل حول الدفاع عن الدخلاء الأجانب وتحصين المصالح الفرنسية. ففي جلسة يوم 13 أفريل صرح الكونت فرديناند بارو (Ferdinand BARROT بما يلي: " عبر خريطة الجزائر ، يمكنني أن أضع أصبعي فوق عدد كبير من المناطق حيث أنشأت الثروة بفعل الكولون" (G.G.A.1867 : 166).

ومن الشخصيات التي أطفأت ثورة المعمرين الكونت كازابيانكا (Le Conte Casabianca) الذي وعد بمنح 900.000 هكتار للأوروبيين، وميشال شوفالي (Michel Chevalley) (14) الذي كان من بين المعجبين الكبار بالنظام الأمريكي الخاص بكيفية بيع الأراضي حيث انتقد هذا الأخير قانون 1863 فيما يتعلق بالاعتراف بملكية الأهالي، ويبدو أنه من دواعي الحماس لهذه الفكرة هو ما حققه الرجل الأبيض من مكاسب بجيازته على العديد من الأراضي في العالم الجديد على حساب الهنود الحمر، واعتبر ما يحدث في الجزائر سخاء لا شعوريا من فرنسا (Ganiage.1945 : 215) . إن المعارضة التي لقيها في البداية لم تنته بعد، بل توجد في عمق كل الهجومات ضد الحكومة (Revue des Deux Mondes. 1869 : 187) ، وبسبب ضغوط العسكريين تم إصدار قانون 07 جويلية 1864 والذي يعيد السلطة للحكام العامين العسكريين على الحكام العامين المدنيين للعمليات الثلاث (عمالة وهران- عمالة الجزائر- عمالة قسنطينة) ببروز دور المكاتب العربية ورؤساء الأهالي حيث أصبحت هذه المكاتب تمارس مسؤوليات متعددة كالحراسة، والمراقبة والتوجيه السياسي، والديني، والمالي، والعسكري ليقبل دورها في عهد ماكماهون.

موقف العسكريون: أما عن العسكريين فلم يكن موقفهم جديدا أو غريبا بالنسبة لسياسة الإمبراطور بل ظهر منذ إلغاء وزارة الجزائر والمستعمرات سنة 1860 الأمر الذي فسح المجال للمدنيين بل أن فكرة المملكة العربية في ذهن نابليون وفي نظر العسكريين دائما معناه التخلي على هؤلاء وتهميشهم باعتبار أنهم كانوا الأداة الرئيسية

لتنفيذ سياسة الإمبراطورية منذ قيامها سنة 1852. ومن بين هؤلاء بيليسييه الذي لم يخف مزاجه السئ حيث ظل مستصغرا أصحاب الأرض وميالا لسياسة الاستيطان ، ففي جواب له ردا على رسالة الإمبراطور المؤرخة في 25 نوفمبر 1861، ضم هذا الأخير صوته إلى بقية المحابن لسياسة التغيير لصالح المعمرين حيث صرح في رسالته هاته بما يلي: " يجب أن يكون العربي المسلم الذراع ولا يمكن في أي حال من الأحوال ان يكون رأس الاستيطان" (Spilmann, (G). 1975 : 52-87). وبذلك كان موقف العسكريين واضحا ، ولم يلق مرسوم 1863 تجاوبا كبيرا، ففي إحدى جلسات المناقشة الخاصة به، تكلم الجنرال شارون (General Charon) باسم المعمرين مطالبا بإدارة خاصة ، وتمثيل كولونيالي شبيه بما يتمتع به للعديد من الرغبات (271 : 1863 G.G.A.) الانجليز في مستعمراتهم (151 : 1961 Revue de Paris). وفي تقرير سري لعام 1870 ، كتب الجنرال فولغرون (Voulgrenat) بأن المرسوم المشيخي هو نتاج فطنة سياسية طرحت قمة غضب حقيقي لأنه جاء مخيبا.

موقف المعمرون: إذا كان العسكريون قد انتقدوا محتوى المرسوم المشيخي، فكان للمعمرين أيضا موقفهم وآرائهم، فخلال إحدى جلسات مجلس الشيوخ المنعقدة في 24 مارس 1863، تلقى هذا الأخير حركة احتجاج واسعة مصحوبة باستياء وتذمر كبيرين بحجة غياب أي فصل أو فقرة تعينهم في نص القانون. وخوفا على مصيرهم ومستقبلهم، رأى البعض منهم بأن هذا المرسوم سيقطع الطريق أمامهم . ومن بين الذين دافعوا عن هؤلاء ، الدكتور فارني (Warnier) الذي انتقد هذا المرسوم واعتبره بمثابة ميثاق الملكية العربية يفرض على ضباط المكاتب العربية عملا ضخما وجهدا إضافيا (237 : 1863 (A) Warnier) .

لم يخف الكولون مطالبهم وأمانيتهم الواسعة، فبقدر ما تلهفوا على الأرض، انتقدوا حتى التركيبية العضوية في مجلس الشيوخ، فأروا بأن غياب من يمثلهم في هذه الهيئة هو تهميش لهم ودعم للعسكريين. وفي هذا المضمار صرح المحامي أندريو (Andrew) في جريدة " بريد الجزائر" العدد الصادر يوم 10 جوان 1863 ، " إن غياب الحقوق السياسية والحرية بما في ذلك غياب مشاركة المواطنين في قضاياهم وانشغالاتهم كان الجرح العميق للمستعمرة (192 : 1943 (M) Emerit) . فكان للسانسيمونيين أيضا دور في تحريك المعارضة نحو الاتجاه الذي يحقق لهم الأهداف التي تنتهي إلى تشكيل الثروة والإقلاع بالمشاريع الاقتصادية التي أشير إليها في رسائل الإمبراطور وزيارته إلى الجزائر.

فحصا لمحتويات العرائض التي تلقتها إدارة مجلس الشيوخ ، وحسب المصادر الأجنبية فإن مطالب المعمرين الخاصة بالأرض، انقسمت إلى قسمين، اتجاه يدعو إلى الاستقلالية ، وآخر يدعو إلى الاندماج. فأصحاب النزعة الأولى كانوا ينادون باستقلالية إباحية لا حدود لها حيث كانت ترى بأن مصالح البلاد ستكون مصادرة إذا ما أنشئ مجلس استعماري مستقل يصوت على الميزانية ثم يعرضه على الهيئة التشريعية، ومن بين المتحمسين لهذا الرأي المحامي أندريو، وألكسندر لومبرت (Alexandre Lombert). أما الاتجاه الثاني المتحمس لفكرة الاندماج يمثلها وارني، وجول دوفال، وآخرون حيث يرى هؤلاء بأن الجزائر هي امتداد لفرنسا مثلما كانت عليه مرسلها بالنسبة لباريس قبل إنشاء خطوط السكة الحديدية (194 : 1945). (Ganiage. 1945).

مهما يكن، فإن السانسيونيين المتحمسين لربط الجزائر قلبا وقلبا بفرنسا عبروا عن مواقفهم المتباينة ، فكانت نظرة المقيمين بفرنسا وعلى رأسهم انفتين (Enfantin) على عكس نظرة المقيمين في الجزائر، فقد تحمست الفئة الأولى للجانب المالي والصناعي عن طريق تدعيم سياسة الاستيطان الرأسمالي، أما الفئة الثانية فكانت تدعو إلى دعم سياسة المعمرين، فكان الدكتور فارني الناطق الرسمي باسم هؤلاء في الجزائر لكن اسماعيل عربان الذي كان مستشارا للإمبراطور دعا إلى احتفاظ العرب بالأرض لأنهم أكثر ارتباطا بها في الزراعة والرعي، ومن بين السانسيونيين الإندماجين نجد دوفال الذي ذهب إلى القول باستحالة فصل الجزائر عن فرنسا فهي جزء لا يتجزأ منها إذ قال: " ستكون الجزائر مملكة فرنسية وليس مملكة عربية ، مستعمرة فرنسية وليس أوروبية، حامية فرنسية وليس معسكرا فرنسيا" (195 : 1945). (Ganiage. 1945).

في سنة 1864، أرسل المعمرون مندوبين، وممثلين عنهم إلى فرنسا لعرض مطالبهم لكن الإمبراطور رفض استقبال هؤلاء وبقيت مطالبهم دون رد (430 : 1964). (Julien. 1964). سبقها بنحو عامين عريضة تحمل توقعات 2000 من المعمرين توضح مطالب استقلالية، وأخرى إندماجية أودعتها في مكتب الاستعلامات . (Julien. 1964 : 430)

إن الموقف السلي للإمبراطور من المندوبين ومن العريضة زاد في هيجان أوروبيو الجزائر فظهرت الاحتجاجات التي أصبحت تحارب علانية سياسته (103-102 : 1884). (Gastu (M).

مهما قيل بشأن موقف المعمرين تجاه مسألة الأرض فهم يتفقون في أن الأرض هي مصدر ثرائهم وموطن استقرارهم، فحملوا العسكريين مسؤولية الأزمة الاقتصادية التي حلت بين (1868-1869)، ويرجعها آخرون

إلى طبيعة النظام الفرنسي المطبق في الجزائر وأن الشيوعية العربية أي الملكية المشتركة للأرض هي إحدى أسباب المجاعة. (Ageron). 1974 : 34).

احتواء لغضب المعمرين، تضمن تقرير لجنة مجلس الشيوخ على لسان الكونت كازايبانكا عدة وعود يؤكد فيها عطف الأوروبيين على مواطنيهم وحماية الإمبراطور لهم، وأن مساعدات كبار الدولة لن تحيب آمالهم وطموحاتهم الواسعة في الجزائر (Estoublon (l). 1896 : 274).

موقف الصحافة: لقي هذا المرسوم أصداءه في أوساط الإعلام الفرنسي فعبرت الصحافة الفرنسية عن موقفها من المرسوم المشيخي الصادر في 22 أبريل 1863 في العديد من المرات، كما طرحت انشغالات الكولون في الجزائر وشكت أحوالهم، سواء تعلق الأمر بصحافة المتروبول مثل صحيفة الوقت "Le Temps" التي كان يديرها كليمون ديفرنوا "Clement Duvernois" وصحيفة الصحافة "La Presse" التي كان يرأسها آنذاك تولغوي "Toulgoet" الذي كان محافظا في عمالة قسنطينة، وصحيفة فرنسا لصاحبها جون كوهين.

إلى جانب الصحافة الميتروبولية، كتبت أيضا الصحافة الجهوية عن الموضوع، من بينها جريدة بريد مرسيليا "Le Courrier de Marseille"، ويومية تطور ليون "Le progrès de Lyon" (Rey - (A). 1977 : 215). ويبدو أن الصحافة المعادية لسياسة نابليون الثالث بشأن الملكية قد لقيت تأثيرا من قبل المعمرين الرأسماليين والعسكريين، فقد كانت هذه الأخيرة تدعو إلى حركة العرائض مدعومة بذلك المعمرين، ومدافعة عن حقوقهم المزعومة في الجزائر. ومن بين الصحفيين الذين أبدوا موقفا معتدلا من هذا القانون، سوزان ديستارن، وهنريات شاندي اللتان رأيتا في قانون المرسوم المشيخي حماية للملكية الجماعية للأعراش، والعمل على تطبيقه يتطلب عملية مسح دقيقة، وطويلة كما أنه يرمي إلى سياسة التعاون مع الأهالي أصحاب الأرض (Revue de Paris . 1961 : 1435).

موقف رجال القانون: لم يسلم هذا المرسوم من الانتقادات التي أبدتها رجال القانون والمحامون، فخلال مناقشات اللجنة الإدارية في جلستها سنة 1893، حذر رجلان وهما مدير المصالح المالية في الحكومة العامة بالجزائر وهو السيد ماليي الحامي، والسيد مارسان من المخاطر المحتملة التي قد تنعكس عن عملية إلغاء حقوق التصرف في أراضي الأعراش، فاعتبر الأول عدم قابلية هذا النوع من الأراضي للتصرف مجرد ضمان ظريفي، وعدم تبصر، وغفلة

من المشرع الذي سن مرسوم 1863، واعتبرها في نفس الوقت اغتصابا ونهباً ، بينما راح الثاني مؤكداً بأن التحول السريع من الملكية الجماعية إلى الملكية الفردية سي طرح أزمة عقارية خطيرة.

ومن بين الذين كتبوا في مسألة العقار وأبدوا انتقاداتهم وملاحظاتهم عنه، رئيس محكمة سيدي بلعباس موريس بويان (Maurice Pouyanne) الذي دافع عن سياسة النهب محللاً قانون 1863 بما في ذلك قانون 1887 المكمل للأول، فنظر إلى مسألة العقار برؤية مادية فلا نقاش حسب رأيه بخصوص الملكية في بلد فقير مثل الجزائر فعمليات تحديد الأراضي مكلفة جداً ، إشارة منه إلى عجز أصحاب الأرض الشرعيين عن دفع تكاليف تحديد الأراضي، ووضع التحوم مما يجعل هؤلاء يفقدون أراضيهم بقوة الأشياء لفائدة الرأسماليين والميسورين أو لفائدة الدومين ليتصرف فيها. أما مواطنه روب (Eugene Robe) انتقد هو الآخر قانوني 1851، وقانون 1863 ودعا إلى النظر في الأصول التاريخية (المرجعية التاريخية) بخصوص كيفية تشكل العقار بالنظر إلى تاريخ العرب والبحث عن كيفية تشكل القبائل العربية وعلاقة ذلك بالملكية إيماناً منه بعدم شرعية حيازة الأراضي التي تقيم فيها تلك الجماعات السكانية والتي حازت عليها بواسطة الغزو.

موقف الأهالي: كان للأهالي أصحاب الأرض أيضاً موقفهم وإن بدا أحياناً متكتماً، لقد غدا هؤلاء بين الأمل والتخوف، ولعل سنوات القهر والحرمان التي مرت بها الجزائر في عهد النظام الملكي (1830-1848)، وفي عهد الجمهورية الفرنسية الثانية (1848-1852) كان لها وقعها على المجتمع الجزائري برمته تحكمه سياسات وإن اختلفت زماناً إلا أنها أكدت وأوضحت النوايا الحقيقية للسلطات الاستعمارية .

انطلاقاً من وحي التجارب التي مر بها الإنسان الجزائري فإن فترة حكم نابليون الثالث (1852-1870) قد أراحت البعض كما شوشت على البعض الآخر، فكثيراً ما وضع الأهالي الثقة في سياسة الإمبراطورية ، فعلى الرغم من المشاكل والأزمات التي لحقت بالبلاد كان غالبية الجزائريين يأملون في الاستقرار وسبل توفير الراحة، وضمن استمرارهم وارتباطهم بالأرض.

أشارت العديد من التصريحات، والخطب، والتقارير بما في ذلك الرسائل التي بعث بها كبار الدولة الفرنسية إلى العناية التي ستوليها الإمبراطورية بشأن كيفية حيازة الأرض، وغرس الحضارة وغيرها من المفاهيم التي لم يكن يفهمها المجتمع الجزائري. ومن بين المواقف التي تثير الاستغراب، خطاب رئيس مجلس الحكومة باروش (

Baroche) الذي جاء فيه : " إنني لا أنكر وجود صنيع كرم لفائدة العرب فذلك ليس رقة منا، وإنما عمل شجاع، وسياسة سخية" ((G.G.A. 1863 : 544).

آمن الكثير بما كان بخلد السياسة الاستعمارية الظالمة من رغبة ملحة لتكريس الملكية ونقلها عنوة بطريقة قانونية وظالمة. فبتطور الوضع اتضح للأهالي أنه لم يتغير شيء أمام التجاوزات التي قام بها رؤوساء المكاتب العربية ومنحت المعمرين فرصة للتملك كما منحهم أيضا فرصة للتهجم على النظام العسكري واتهمته بأنه كان وراء ثورة أولاد سيدي الشيخ 1864 ومقاومة جبل عمور والظهرة 1865.

إن لم يكن موقف الأهالي واضحا في ستينيات القرن التاسع عشر، فخلال فترة الجمهورية الفرنسية الثالثة، بدأت العزائم تتحرك بظهور إرهابات النهضة، فظهرت عدة عرائض ومراسلات كشفت عن المواقف الصريحة لأعيان الجزائر من مسألة الأرض في الكثير من المناسبات، من بينها رسالة بعث بها شيخ قبيلة الى عضو في البرلمان الفرنسي مما جاء فيها بتصرف : " إننا منذ قرون نملك، ونشغل أراضي الجزائر كلها، وعندما احتلتم البلاد وعدتمونا باحترام أملاكنا، وبعدما وضعتم أيديكم على أرض البايك وكل هذا من حركم، وضعتم عليها معميرين أوروبيين ، ثم عندما زاد عدد هؤلاء عمدتم إلى تنصيبهم على الأراضي التي كان لنا فيها حق الاستغلال والانتفاع " (قنان، ج. 1994 : 186 - 187).

وفي مقال آخر بعنوان " من وضعنا " (قنان، ج. 1994 : 186)، يشكو صاحبه من أنواع الاستغلال التي يعيشها الناس في الريف. إلى جانب ذلك، عثر على رسالة أخرى تمثل جوابا للقايد يحي الشريف (34) للجنة البرلمانية الفرنسية مؤرخة في 28 جويلية 1891 تتضمن خمسة فصول ، ما يهمننا الفصل الأول الذي يتضمن شأن ترتيب التملك، والأحوال المقررة لها في القوانين الصادرة في 1863، 1873، و1887 الذي تطرق فيها إلى المشاكل التي لقيها المسلمون أصحاب الأرض لما تسببت فيه من أضرار وأعمال شاقة بسبب تجاوزات المسؤولين القائمين على عمليات تحديد الأرض. (قنان، ج. 1994 : 186).

مهما يكن من أمر، أن مسألة الملكية وطرق انتزاعها من أصحابها بطرق قانونية أثار ضجة كبيرة، ويبدو أن القائمون على العملية قصد إنجاحها تفننوا لاحتواء معارضتهم بتقديم إحصائيات تطمئن هؤلاء وتسكت ثورتهم. فصرحت الحكومة العامة بوجود 900.000 هكتار من الأراضي لصالح الاستيطان، وأعلنت عمالة

الجزائر(الأخبار، 1863 : 25) على أن الأهالي المقيمين في منطقة التراب العسكري خصصت لهم مساحة قدرها 2295 هكتار توزع على الشكل التالي:

- 1320 هكتار تخصص للنشاط الزراعي .

- 375 هكتار لرعي الأبقار.

- 600 هكتار لرعي الأغنام.

مهما اختلفت الآراء بخصوص الملكية فإن المستفيد واحد، والخاسر الملايين من أصحاب الأرض الأهالي لأن النوايا الحقيقية لهذا القانون هي فرنسة الأراضي الجزائرية وتأليب الأقلية الرأسمالية والميسورة على الغالبية من السكان أصحاب الأرض الشرعيين.

هذه نظرة على قانون السلب والنهب الذي جيء به في صورة مهذبة لاغتصاب الأرض وابتزاز الأهالي في العراء، وترجمة حية لسلسلة السياسات التسلطية الظالمة والتي تضاف إلى قاموس الغطرسة والعجرفة الاستعمارية التي باشرت فيها فرنسا الاستعمارية منذ الاحتلال.

مصادر المقال:

باللغة الأجنبية.

1. EMERIT (Marcel).1943.Les méthodes coloniales de la France sur le second empire .Revue africaine, 397. 398 T III et IV.
2. ESTOUBLON (Robert) et LEFEBURE (Adolphe). 1896. Code de l'Algérie annoté (1830-1895).Alger. Jourdan librairie éditeur.
3. GASTU (M). 1884. Le peuple Algérien. Paris, Challamel Aimé éditeur.
4. WARNIER (Auguste). 1863. L'Algérie devant l'empereur. Paris. Imprimerie de Dubuisson.

المراجع العربية:

1. قنان جمال.1993. نصوص سياسية جزائرية في القرن التاسع عشر (1830-1914 ديوان المطبوعات الجامعية..).
- الجزائر ،

المراجع الأجنبية:

1. AGERON (Ch.R). 1974. Les Algériens musulmans et la France (1870-1914), T II,. Paris. Publications universitaires de France.
2. BERQUE (A). 1986. Ecrits sur l'Algérie, réunis et présentés par Jacques Berque. Paris
3. GANIAGE (Jean). 1945. Histoire contemporaine du maghreb de 1830 à nos jours. Paris
4. JULIEN (Ch.A). 1964. Histoire de l'Algérie contemporaine (1827-1871). Paris. Publications universitaires de France.
5. POUYANNE (Maurice). 1900. La propriété foncière en Algérie. Alger. Jourdan
6. REY- GOLDZEIGUER (Annie). 1977. Le royaume arabe, la politique algérienne de Napoléon III (1861-1870). Alger. Société Nationale d'Édition et de Distribution.
7. SPILMANN (Georges). 1975. Napoléon III et le royaume arabe d'Algérie. Paris
8. YAKONO (XAVIER). Histoire de l'Algérie de la fin de la régence Turque à l'insurrection de 1954. Paris. Edition de l'Atlantrophe.

الدوريات والمجلات والجرائد:

بالعربية:

1. جريدة الأخبار. 1863. 2. جانفي الموافق ل 4 شعبان 1279، 3575.

بالأجنبية:

1. Bulletin Officiel du Gouvernement Général de l'Algérie. 1863. Paris
2. Gouvernement Général de l'Algérie. 1863. Statistiques et documents relatifs au sénatus consulte sur la propriété arabe, Alger
3. Gouvernement Général de l'Algérie. 1867-1872. Statistiques générales de l'Algérie. Paris. Imprimerie nationale.
4. Le Monde. 1960. 04 novembre.
5. Revue Africaine. 1868
6. Revue des deux mondes. 1869. Septembre. Paris
7. Revue de Paris. 1961. Septembre

تاريخ الاستلام: 2017/06/22 - تاريخ التحكيم: 2017/10/17 - تاريخ النشر: 2017/06/30

الرواية الشفوية وموقعها من التاريخ المحلي

د. موسى بن موسى

جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي - الجزائر



ملخص :

التاريخ المحلي جزء من الكتابة التاريخية، التي لم تعد ضامرة، غير أن الرواية الشفوية آلية من آليات التاريخ المحلي، ومن هنا يمكننا البحث عن موقع الرواية الشفوية من هذا النوع، خاصة أن المجتمعات العربية ما لبثت أن تركزت إلى عدم الكتابة، رغم ما شهدته القرون الوسطى، التي تميز فيها المجتمع العربي الإسلامي من تفوق حضاري كانت القراءة والكتابة من أهم مكانيزومات التحضر، لكن بحلول القرون الحديثة تراجع المجتمع العربي عن الريادة فحلت الرواية الشفوية محل الكتابة، مما جعل التاريخ يشهد محطات فراغ لم ولن يعوضها إلا الرواية الشفوية، من هنا جاءت المداخل لتجيب على الاشكالية التي تدور حول :

Abstract

Local history is part of historical writing, which is no longer atrophic, but the novel oral mechanism of local history mechanisms, and here we can look for the oral narrative of this kind site, especially that Arab societies was soon left to the lack of writing, though witnessed centuries In the Arab World, where the Arab Islamic society distinguished from cultural superiority, reading and writing was one of the most important places in urbanization, but by the modern centuries Arab society had retreated from leadership. The oral novel replaced writing, making history witness vacuum stations. intervention to answer Al Dilemma revolves around

مقدمة :

الكتابة التاريخية عالم يعج بالتطورات من خلال الآليات والميكانيزمات المستغلة، نتيجة الحاجات الفردية أو الجماعية في إطار الأعمال الانفرادية والمجتمعية تبعا للتطورات الحضارية والمحتاجة دوما إلى ابتكار الأساليب والمناهج، لإبراز الصور والمسائل المراد إيضاحها وفقا لما تتطلبه تلك القضايا المراد دراستها، ومن بين هذه الوسائل الكتابية تظهر المذكرات كأسلوب كتابي يفرض نفسه للتعبير على مكنونات كامنة لدى كاتبها، وفقا لما قد قاموا به من أعمال إلى جانب الملابس، التي اكتسفتهم وفقا لصيرورة الأحداث، ذلك من خلال السرد الروائي والقصصي الأحجوي، خاصة إذا ما كان صاحبها أميا أو غير مؤهل للكتابة، هذا ما يجعل العملية اشبه ما تكون رواية شفوية يحاول صاحبها

إملاؤها عن طرف ثاني، ليس بالضرورة طرفاً مؤهلاً لذلك. ومن هنا يتحتم علينا ضرورة الوقوف عند طبيعة المذكرات والآليات المتحكم فيها حتى نستطيع أن نتبين جاهزية المذكرات في ابداء مواقف تجاه قضايا متنوعة، لأن تكون ضمن الوسائل المساهمة في كتابة التاريخ، انطلاقاً من السردية أو الشفاهية تبعاً لثقافة صاحبها. إضافة إلى حجم المقروئية، التي من خلالها تتباين جدية الكتابة التي تبرز رصانة الرواية من عدمها؛ لاعتمادها في الكتابة التاريخية. ومنه يمكن الوقوف عند الإشكالية المتمثلة في :

موقع الرواية الشفوية في تأسيسها لكتابة التاريخ المحلي.

أولاً - موقع الرواية الشفوية في الكتابة التاريخية :

إن السبق الحضاري الذي عرفته أوربا خلال القرون الحديثة جعلها تسير التطورات الحاصلة في مجال المعرفة، ومن بينها الكتابة التاريخية، رغم تفوق العالم الإسلامي في هذا النوع من الكتابة، انطلاقاً من علم الحديث، وما وصل إليه هذا العلم من مناهج استقراء وكتابة عمادها الرواية والسند، ومن ثمة صارت الكتابة التاريخية فناً وعلماً يحتاج إلى مهارة عالية، هذا بدوره شجع الأوربيين في اقتناء المخطوطات، خاصة التي تعنى بالتاريخ وجغرافيا الأقاليم، كل ذلك من أجل التعرف على العالم عن قرب، لكن هذا الاستحسان سرعان ما تحول إلى مهارات ذاتية الغاية منها الاعداد للتحكم في الآخر من منطلق المكتسبات القبلية التي استحوذ عليها الأوربي في اطار الصراع الحضاري المادي في نطاق حوض الحضارات الإنسانية؛ أي حوض البحر الأبيض المتوسط.

ومنذ العصر الحديث صار الاهتمام بالتاريخ مطلباً حضارياً، وباتت الكتابة أمراً ضرورياً، مما ساهم في تنوع الكتابات، كان من أهمها الرواية التي اشتغل بها الساسة لتخليد الأعمال والبطولات والانجازات المحققة على جميع الأصعدة والميادين، ومن هذه المنطلقات صارت الرواية شكلاً من أشكال الكتابة التاريخية، لما قدمته من مساهمات جاد في التعريف بالعديد من الأحداث والملابسات التاريخية، دون أن نتناسى السلبيات والإخفاقات التي وقعت فيها الرواية، مما جعل البعض منها لا يتعدى كونها كتابة روائية لا ترقى إلى تأسيس كتابة تاريخية جادة تساهم في تزويد المكتبات بكم هائل من الكتابات ذات الدلالات المعرفية المتنوعة، في مقدمتها التاريخ.

ومن هذه المنطلقات باتت الرواية ركن من أركان الكتابة التاريخية، لما قدمته من معلومة ساعدت في فهم العديد من الظواهر والإشكالات المستعصية الفهم والتأويل. إضافة لما تقدمه من تسهيلات للقارئ في فهم العديد من الأحداث من خلال ربطها ببعضها البعض قصد الوصول إلى استنتاجات تاريخية قريبة من الحقيقة المراد الوصول إليها تبعاً للوسائل الكتابية المستعملة في الرواية البحثية، أو الرواية الموجهة من قبل صائغيها. وهذا ما يجعل الرواية تتموقع ضمن مجال معرفي لا يمكن الاستغناء عليه، لما تقدمه من معلومات تتراوح قيمتها وأهميتها من حين لآخر، ومن هنا فإن الرواية الشفوية تحتل موقعا هاما في ظل غياب الكتابات المتخصصة تبعا للمجتمعات البشرية. أما الموقع الذي تحتله الرواية بالنسبة للتاريخ المحلي لا يمكن تحديده إلا إذا وقفنا على التاريخ المحلي وأبعاده ومجالاته.

ثانيا - مبررات ظهور التاريخ المحلي :

إن النسق التاريخي الذي ظهر فيه هذا اللون كان نابع من الانفتاح على مختلف العلوم الاجتماعية، والاحتكاك المتواصل بها، قصد النأي بالتاريخ من انغلاقه التخصصي وانفتاحه على تساؤلات ومناهج العلوم الاجتماعية الأخرى (محمد حبيدة، 1993، ص 77، 81). بل حتى العلوم التطبيقية، وبالخصوص علمي الاجتماع والاقتصاد، إذ أصبح المؤرخون الجدد يدركون بكيفية متزايدة أهمية المناهج المستعملة في علوم اجتماعية أخرى كالأنثروبولوجيا في دراسة المجتمعات القبلية (الحسين عماري : موقع ستار تايمز، <http://www.startimes.com/?t=22564970>). ومن ناحية أخرى ظهر وعي لديهم بأن التاريخ لن يكون اختصاصا علميا بمعنى الكلمة إلا إذا اعتمد على الأرقام أي أصبح تاريخا كميا، كما استقر الاعتقاد لدى المؤرخين الجدد، بأن التاريخ الحقيقي الواجب الوقوف عليه يوجد على مستوى القاعدة، وأن دراسة تاريخ المجتمعات من خلال حاجياتها ونشاطاتها اليومية أخصب وأفيد من دراسة التاريخ السياسي وحده (محمد المنصور : (1989)، ص 25). وإذا كان هذا هو النسق التاريخي الذي ظهر فيه هذا الاتجاه، فما هي الأهمية التي اكتسبها والأهداف التي سعى إلى تحقيقها التاريخ المحلي؟

ثالثا - الحاجة إلى الكتابة في التاريخ المحلي :

عرفت المستغرافية (ينظر موقع إجابات، موقع إلكتروني، http://www.ejabat.com/?qa=34827&qa_1) الجزائرية مراحل مختلفة، تميزت كل مرحلة منها بملامح وخصائص معينة سواء من حيث اختلاف المواضيع المدروسة، أو من حيث تعدد الرؤى والاتجاهات والمقاربات والأدوات المنهجية الموظفة. وقد عرف البحث التاريخي خلال العقود الأخيرة، ولا سيما منها الفترة الممتدة منذ الثمانينات تراكما مهما، ورصييدا متنوعا لا يستهان به، وفي هذا السياق، تسعى هذه المداخلة إلى الوقوف وقفة تأمل تجاه هذا النوع من الكتابة التاريخية، التي تميزت بتوجه الإنتاج التاريخي نحو

التاريخ الاجتماعي من خلال اعطاء الدراسة المونوغرافية أهمية كبرى، هذا التوجه الذي اعتبر من طرف أحد الباحثين بمثابة " قاطرة تتصدر عملية تحديث الذاكرة الجامعية (الحسين عماري : موقع ستار تايمز، <http://www.startimes.com/?t=22564970>)"، من منطلق الحفاظ على الذاكرة الجماعية انطلاقا من الجزئية الإقليمية، ورغبته في التجديد اعتمادا على مجموعة من الآليات والميكانيزمات، كتوسيع مفهوم التاريخ، وتطوير مجال المصادر، والانخراط في سياق العلوم الإنسانية (عبد الرحمن السبتي : 1989، ص 43)، للوصول لكتابة تاريخية علمية شاملة تختلف كلياً عن التاريخ الكولونيالي.

رابعا - أهداف التاريخ المحلي :

إن الأهداف التي يسعى التاريخ المحلي تبرز من خلال اقتناع أصحاب هذا الاتجاه بأن الكتابة في تاريخ الدول والمجتمعات - على غرار ما يكتب في بلدان أخرى متقدمة - لم يتأتى إلا عن طريق البحث المونوغرافي، إذ أن أحسن طريقة لجمع المصادر المادية ولا مادية من الوثائق والمستندات، والروايات الشفوية، والاستفادة من النصوص القديمة، هي تحديد مواضيع الأبحاث في مجالات زمنية أو مكانية ضيقة، حتى يتسنى تعميق وتوسيع البحث والتحري، ذلك لا يتم إلا بشكل مرحلي، ويتم فيما بعد عندما تكون كل مناطق البلاد قد تمت مسحها وتغطيتها، وكل الفترات التاريخية قد شملها هذا البحث بأعمال أشمل (محمد مزين : 1988، ص 61)، وهذا ما عرفه المفكر عبد الله العروي قائلا : « دون مفهوم المبحث لا يستقيم لا منطقيا ولا عمليا مشروع التاريخ الشمولي. » (عبد الله العروي : 1992، ص 190). وبالإمعان في هذه الأهمية التي حظي بها التاريخ المحلي، فقد أولى البحث التاريخي لاسيما منه الجامعي أهمية خاصة للدراسة المونوغرافية لتحقيق مجموعة من الأهداف نذكر منها :

- التخلص من التعميمات التي تسبب فيها الدراسات التاريخية لأي بلد ما بأكمله أو لبعض المناطق الواسعة، والقيام بفحص للإمكانات التي يمكن أن توفرها أنواع مختلفة من المصادر والوثائق المحلية، والبحث عن عناصر التركيبية للبنية الاجتماعية والاقتصادية التي قلما تبرزها الكتابات التاريخية الإخبارية (أحمد التوفيق : 1978، ص 9)، ومراجعة عدد من الانعكاسات التي برزت في المجتمع المغربي من خلال الدراسات الكولونيالية، وتخطي الحوليات التقليدية من جهة، والإلتقاطات الإثنوغرافية من جهة أخرى إلى إقامة بناء بحثي متوافق يتم على ضوء فهم العلاقات السياسية بين الحكام والرعية باعتبارها ثمرة الأسس الاقتصادية والتكوينات الاجتماعية (أحمد التوفيق : ص 10، 11).

- الاقتناع بأن الدراسة التاريخية لبلد ما بطريقة علمية ومضبوطة، لن تتأتى إلا إذا جزء هذا التاريخ إلى وحدات زمنية ومكانية تسمح باستغلال المصادر والوثائق المحلية (محمد مزين : 1986، ص 11).

- تناول وتعرض هذه الدراسات والبحوث لبعض الإشكاليات، كالعلاقة بين المدينة والريف، والحضر والبادية، ومعايشة كل واحدة منها للأخرى على الميادين والمستويات الاجتماعية والاقتصادية، والفكرية والسياسية مقارنة

بوضعها في إطار التطورات العامة للبلاد (محمد مزين : 1986، ص 11 .)، وعلاقة المجتمع القروي والدولة قبل الاحتلال (عبد الرحمن المودن : 1995، ص 20.).

- محاولة بعض الأعمال المونوغرافية الاستفادة من الكتابات الكولونيالية بعد الكشف عن جانبها الإيديولوجي، والتوصل من خلال بعض الوثائق الرسمية إلى بعض جوانب الوضع المحلي، والكشف عن المهمل في الكتابة التاريخية التقليدية، بدءاً من الحياة اليومية للمجموعات القروية الطرفية، إلى التيارات التي اخترقت البادية المغربية عشية الاحتلال (عبد الرحمن المودن : 1995، ص 22).

خامسا - مكانة التاريخ المحلي من الكتابة التاريخية :

وإذا كانت هذه هي أهمية وأهداف هذا اللون الاتجاه، فما هي إذن الوضعية التي يوجد عليها؟ لتتبع الوضعية التي يوجد عليها البحث في التاريخ المحلي سنقوم بتسليط الضوء على الخصوصيات والآليات المتحكمة في تطور البحث في هذا المجال من خلال ملامسة ومعايشة مسألة المصادر من حيث وضعيتها الحالية وإشكالية توظيفها، ثم سنبين الإكراهات التي تعترض سبيل الباحثين في هذا الحقل المغربي، وأخيرا سنقدم بعض الاقتراحات العملية التي من شأنها أن تساعد على الاهتمام بهذا التوجه وتمكن من توظيفه كأداة للبحث والدراسة.

سادسا - الآليات والمميزات المتحكمة في تطور دراسة البحث في التاريخ المحلي :

إن المميزات والآليات المتحكمة في تطوير البحث في هذا المجال تكمن في :

مسألة المادة المعرفية :

ويقصد بها كل الموارد التي بإمكانها تقديم المساعدة لتقريب آليات الاحاطة بالظاهرة محل الدراسة، حيث يمكن في العديد من المصادر المحلية المكتوبة أو الشفوية، فالمصادر المحلية مادية كانت أو شفوية هي ركيزة هامة في الكتابة التاريخية المحلية، مما جعلها على المستوى المنهجي تبلور موقف إزاء قضية مواكبة المناهج التاريخية المعاصرة، حيث يعتبر أن الاطلاع على أساليب الكتابة المعاصرة وعلى مكتسبات العلوم الإنسانية قد يساعد على إغناء قراءة المصادر من الوثائق (محمد المنصور : ص 14.) وغيرها، لما تتيحه للتاريخ من مجالات التركيب، وما تفتحه من آفاق (محمد مزين : 1986، ص 14.) للدراسات والبحوث، بل إن بعض المختصين يروا أن التاريخ لا يتخذ الصفة العلمية الصرفة إلا عندما يستعين منهجيا بعلوم إنسانية واجتماعية أخرى (محمد وقيد : أكتوبر 1999، ص 22.)، وعلوم تطبيقية بنسب أقل، مما جعل ميشيل دي سرطو يقول : « إن العملية التاريخية - أي عمل المؤرخ - أصبحت بمثابة نقد وتمحيص لمناهج العلوم الأخرى الطبيعية والبشرية. » (عبد الله العروي : ص 194.)، ورغم استمرار إيمان المؤرخين الجدد بأهمية الوثيقة الرسمية (عبد الرحمن المودن : ص 17.) في بلدان المغرب العربي، فإنهم يدركون جيدا أنه لا بد من الاعتماد كذلك على المصادر المادية ولا مادية غير الرسمية مخطوطات كانت أو وثائق خاصة، للحصول على صورة

أكثر قربا من الوضع المدروس وأكثر توازنا من الصورة التي تقدمها لنا الوثائق الرسمية وحدها، هذه القناعة بأهمية المصادر غير الرسمية، إضافة إلى التوجه المتعدد التخصصات للتاريخ الجديد، كل ذلك يسمح بالكشف عن عدد كبير من الوثائق المحلية من جهة، والإقبال على تحقيق المخطوطات ونشرها من جهة ثانية (محمد المنصور : ص 26)، ومن هذه المصادر :

- كتب الأنساب والحوالات الوقفية، والنوازل الفقهية :

وهي مصادر تكمن أهميتها في مساعدة الباحث على فهم الوضع الاجتماعي والإطلاع على المشاكل المادية والمعنوية التي عرفها البحث محل الظاهرة المدروسة (محمد مزين : 1986، ص 20 - 24)، وكتب رحلات الحج أو الحجازية، التي مكنت بعض الباحثين من الوقوف على بعض جوانب الحياة التجارية والدينية والاجتماعية بالمجال المدروس (عبد الرحمن المودن : ص 16).

وإلى جانب اعتماد المؤرخين حديثي العهد على المصادر غير الرسمية، ساهموا كذلك في إعادة الاعتبار للوثائق الأجنبية إذ لم يعد ينظر إليها كمصدر ثانوي مساعد، بل أثبتت بعض الدراسات المنجزة أن تلك الوثائق الأجنبية إذا ما استعملت بما ينبغي من الحيلة والحذر - وهذا ما يعبر عنه د. أبو القاسم سعد الله بالغنائم المسمومة. - والانتباه لدلولاتها ذات التأثير الغربي، قد تحتل مكانة أساسية في الكشف عن بعض الجوانب أو الحقب التاريخية التي لم تحظ باهتمام كاف من طرف المصادر المحلية التقليدية (محمد المنصور : ص 27)، كما تولى كتب الرحلات الاستكشافية أهمية بالغة في دراسة التاريخ المحلي الجهوي، أو الإقليمي لاسيما خلال القرن 19م لبلدان المغرب العربي، حيث كانت تلك الرحلات تدخل في إطار مخططات سياسية عسكرية شكلت فيها معرفة المجال المرحلة الأولى واللازمة لأي احتلال لاحق، إلا أن أدق المعلومات وأصحها حول التاريخ المحلي عبر المصادر الأجنبية ترد في الوثائق والمراسلات العسكرية والدبلوماسية (عبد الرحمن المودن : ص 12)، كما يمكن انفتاح التاريخ على مناهج العلوم الاجتماعية الأخرى، لتجاوز وتخطي المفهوم الضيق للوثيقة التاريخية الذي يرى أن التاريخ لا يكتب إلا حيث توجد الوثائق المكتوبة (رضوان مبارك : 1993، ص 95).

- الروايات الشفوية :

وهي كل الأعمال المروية على صعيد الميادين العديد في مختلف ميادين العلوم أدب تاريخ ... إلخ، وهي مصدر من المصادر التي جاءت في سياق كونها من النتائج المتحصل عيها من خلال الانفتاح الذي عرفه التاريخ، ذلك من خلال إقبال المؤرخين على استعمال الروايات الشفوية المحفوظة والمتوارثة، كمصدر من المصادر التاريخية (محمد المنصور : ص 27)، لا سيما بعد اقتناعهم أن أي تاريخ اجتماعي لا يبحث فيه الدارس عن الأخبار من أفواه الرجال المعاشين لتلك الحقبة محل الدراسة، يكون بالضرورة ناقصا من جهة ما (عبد الرحمن المودن : ص 15)، وعليه فإن

الفهم الجيد لتاريخ الحياة اليومية، لا يمكن أن يتم دون اللجوء إلى البحث الميداني، لكون الثقافة الشفوية باتت تحتل مكانة رفيعة، واهتمام متزايد ضمن المصادر التاريخية، في ظل غياب الوثائق المكتوبة، حيث أصبح النص الشفوي يشكل الذاكرة الجماعية لفئة اجتماعية معينة، ويندرج في هذا النسق : التاريخ المروي، والأساطير، والحكايات، والأمثال والأراجيز ... إلخ (الحسين عماري : المقال الإلكتروني .)، ثم توجب الإدراك بأن وعي المجتمعات بتاريخها وهويتها لا ينحصر في ما تحكيه من سرديات وأمجاد، وما تفتخر به من أحداث ووقائع مادية، فكلها مجتمعة لا تتعدى كونها إحدى الملاحم التي تتشكل منها الكتابة التاريخية.

وقد نوهة عدة دراسات حديثة بقيمة الرواية الشفوية، وما تقدمه للدراسات التاريخية، حيث استطاعت إلقاء الضوء على جوانب نظرية مثل الذاكرة، والهوية، والأمة، والمجتمع وأن قيمة الرواية الشفوية لا تظهر فقط على مستوى الأحداث والتفاعلات الماضية التي تترجمها بدقة، بل تتجاوز العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر (الحسين عماري : 2014، ص 01 .)، فهي إذن ذاكرة نابضة بالحياة، وتاريخ حافل بالأحداث، وتتابع توثيقي لحياة وأعمال فئات طرفية، كما تبرز أهمية الرواية الشفوية كمصدر تاريخي أصيل من مصادر المعرفة التاريخية، في ما تتيحه للباحث من إمكانيات تجعل منها نصا لا يقل مكانة وأهمية قيمة عن باقي النصوص الأخرى، فهي المكمل الأساسي للنصوص والوثائق الأركيولوجية، لكونها تقوم بتغطية ما يعثرها ويشوبها من نقائص، كما بإمكانها أن تقدم وجهات نظر متباينة (الحسين عماري : المقال الإلكتروني .)، وهي مصدر تاريخي أساسي يمكن اعتماده في إعادة صياغة وبناء ماضي الشعوب والأمم التي تفتقر إلى أرصدة مكتوب، حيث يعتبرها " دراماني زكاري " بقوله (Dramani ZAKARI) : « وتقدس الكلمة وتعيش في عالم الإشارة وفي مضمون الذاكرة الجماعية. » (: DRAMANI ZAKARI : ISSIFOU 1981, p 23-25).

- الطقوس والفلكلور :

إن الجوانب المتعددة للحياة تفرض تنوع وتباين في السلوكيات يمكن ترجمتها على أشكال تعبيرية أخرى تجاهلها محترفو التاريخ لأمد طويل، باعتبارها لا تنتمي إلى مجال اختصاصاتهم، كالأحتفالات والمواسم وما يرافقها من طقوس وفلكلور، والأعياد الوطنية والدينية، التي تساعد في بناء وعي تاريخي يختلف من مجموعة اجتماعية إلى أخرى، وتمثل ملجأ وملاذا بالنسبة للجماعات المقهورة؛ أي مهمشي التاريخ ومن بينا الجماعات الطرفية، التي يتم تغييبها ونفيها من الكتابة التاريخية المؤسساتية الرسمية (بيير نورا : 2004، ص 107 .)، كما استفادت الدراسات المونوغرافية من انفتاح أولي على بعض العلوم الأخرى كالأنثروبولوجيا (الحسين عماري : المقال الإلكتروني .) والاستغرافيا، ذلك من خلال الاستنارة ببعض أدواتها، لفهم ممارسات يومية طقوس كانت أو فلكلور، أو علاقات بين القبائل، أو بين هذه الأخيرة ومن يمثل السلطة، مما أثبت قيمتها كأداة لإثراء وتفعيل البحث الاجتماعي والتاريخي (عبد الرحمن المودن :

ص 22.)، لأن التاريخ ليس فقط نبش في الوثيقة المكتوبة، بل أيضا تحقيق وتقصي، والتحقيق والتقصي يستلزمان النزول إلى الميدان محل دراسة الظاهرة التاريخية، والثقافة الشعبية ميدان بما تحويه من فلكلور، فكما يقول بول فين (Paul Fein) : « حتى وأنت تتجول في السوق قد تلتقط إشارات تاريخية. » (محمد حبيدة : 1999، ص 177.) لذلك يتوجب على الباحث أن ينزل مباشرة إلى الميدان لمعايشة ودراسة تلك المجتمعات عن كتب (محمد حسين ذكروب : 29-30 /أكتوبر، 1999، ص 109).

- توظيف المناهج العلمية المختلفة :

إن حاجة الدراسة التاريخية للمناهج العلمية صارت ضرورة تحتّمها دقة النتائج المتوصل إليها في كل دراسة، لأن قراءة المجتمعات الإنسانية على ضوء منهج علم التاريخ؛ أي استقراء الواقعة الحضارية الاجتماعية من خلال الكتب والوثائق والأرشيف، لا تكتمل إلا باعتماد المناهج الأخر؛ أي القراءة الاثنولوجية الراهنة لدلالات ومعاني البنية الثقافية عبر تفكيك وتحليل رموز عناصرها المتوارية، هكذا إذن يلتقي علم التاريخ والأثنوبولوجيا (محمد حسين ذكروب : ص 104.)، واستغرافيا وغيرها من العلوم، مما يجعل انفتاح التاريخ على العلوم الاجتماعية والإنسانية والتطبيقية ضرورة عملية، للمساهمة في بلورة الرؤية لدى الباحث عندما يستعين بأليتها وتقنياتها ليصنع من خلالها مصادر توثيق جديدة، مما يلزمه القيام بالمقابلة، ووضع استمارة ليخرج من عمله بمادة جديدة، وفقا لخصائص منهج المقابلة، كما يستعين بأساليب تلك العلوم، لاسيما منها أسلوب العينة، والأسلوب الكمي، ومنه فبدل أخذ مجموعة كاملة بعين الاعتبار، يعتمد جزءا منها فقط يمثل المجموع، وبخصوص الأسلوب الكمي، فهو لا يستغني عن الوثيقة، لكنه يحاول العثور فيها على معطيات متشابهة ومنسجمة بإمكانها أن تشكل حلقة أو حلقات توصل الدراسة إلى بعض الأهداف المرجو الحصول عليها ضمن الدراسة محل البحث، ولعل أهم مساهمة يقدمها المنهج الكمي للوثيقة التاريخية والمؤرخ هي ضمان الموضوعية، كما يمكن للمؤرخ الاستعانة بمنهج تحليل المحتوى من خلال تحليل المتن محل الدراسة، وتعميق الدراسة الباطنية من خلال النقد الداخلي للوثيقة بالاستعانة بأساليب علماء النفس والاجتماع لتحليل نصوص المقابلة، والملفات الصحافية، والتصريحات والخطب والآراء المتضاربة، والرموز والتراكيب، بل يذهب البعض إلى إمكانية تجاوز هذا المستوى بمحاولة قراءة ما بين السطور من خلال تمحيص العبارات والتصريحات الواردة في النص (محمد حسين ذكروب : ص 94 - 97.)، ومنه فتجدد التاريخ في فضوله ومناهجه والتنوع الهائل للمصادر التاريخية، كل ذلك سمح للمؤرخ بإمكانية التعامل مع هذه المصادر حسب اختياراته وقدراته ومعالجتها من مواقع متعددة وميادين مختلفة: اقتصاد، سوسيولوجيا، إثنولوجيا (محمد حبيدة : ص 22.) استغرافيا... إلخ.

سابعا - محاذير كتابة التاريخ المحلي :

إن تمكن الاستغرافية لدول الحديثة الاستقلال من تجاوز خطوة هامة تمكنت على إثرها من اماطة اللثام عن وثائق جديدة شكلا ومضمونا، وعن منطلقات نظرية منبثقة من واقع تلك الدول، وعلى رأسها دول المغرب العربي، وعلى الرغم من تلك المكتسبات المحققة، فإن الباحث في التاريخ المحلي تعترض سبيله عدة عقبات وإكراهات يعتبره غالبية المؤرخين ومن بينهم الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله من بين الأسباب الرئيسية التي تجعل الخوض في هذا المجال البحثي غير مجدية، وهذه العقبات والإكراهات يمكن حصرها في :

- إمكانية التمييز في هذه المحاذير بين ثلاث معضلات هي :

أ - مشاكل مرتبطة بانفتاح التاريخ على العلوم الاجتماعية والتطبيقية.

ب - معوقات تحول دون تحقيق تعاون مهم بين التاريخ مع العلوم الاجتماعية والتطبيقية.

ج - إكراهات ذات ارتباط بالدراسة المونوغرافية في حد ذاتها (الحسين عماري : المقال الإلكتروني).

فبخصوص النقطة الأولى؛ أي الانفتاح، ورغم التطور الكمي والكيفي الذي عرفته المناهج المعتمدة في كتابة تاريخ غالبية دول المغرب العربي خلال العقود الأخيرة، فقد تبلورت مواقف تعتبر أن مواكبة المناهج التاريخية المعاصرة مضرب من الترف الذي لا يلائم وضع المؤرخ بدول المغرب العربي، خاصة المؤرخ الجزائري الذي لا يزال يعاني من قلة وسائل العمل الأساسية، وغياب الظروف المطلوبة من حيث التجهيز والاعتمادات (محمد مزين : 1988، ص 61).، إضافة للوضع السياسي الراهن، كما نقف على إشكالية أخرى، وهي التي تعاني منها العلوم الإنسانية ومنها التاريخ، وهي اكسابها الصفة العلمية (محمد مزين : 1988، ص 59، 60).، وإن كانت بعض الدراسات ترى أن بلوغ كل واحد من هذه العلوم إلى صفة العلمية يكمن في تعامله مع العلوم الأخرى، ونفس الشيء بالنسبة للتاريخ الذي سعى منذ زمن ليس بالقصير إلى بلوغ هذه الصفة، وبات لاغنى له عن التعاون مع باقي العلوم الإنسانية الأخرى، واستثمار معطياتها وتقنياتها في البحث لبلوغ جوانب هامة من الموضوعات التي يدرسها (محمد الكتاني : 2004، ص 11).

أما فيما يتعلق بإكراهات الوجهة الثانية ذات الصلة بحدود مساهمة العلوم الاجتماعية والتطبيقية في تقدم البحث التاريخي وإمكانية تحقيق تعاون بين الطرفين، فيمكن أن نجملها في النقاط الآتية :

- مشكل منهجي يبرز على مستوى المفاهيم التي هي من أهم أدوات العلوم الاجتماعية والتطبيقية التي من شأنها أن تساعد المؤرخ على توسيع نطاق طرح الأسئلة على النصوص (محمد وقيدي : ص 22 - 24)، هي مفاهيم صناعة غربية غير موائمة من حيث الصلاحية لمعالجة واقع المجتمع الجزائري كمثال، مفاهيم الدولة، الثورة، أنماط المعيشة، نمط الإنتاج، البورجوازية ... إلخ، ليس لها نفس المدلول في بقية المجتمعات الأخرى، وبالأخص المجتمعات الغربية، مما يطرح إشكالية تحديد وضبط هذه المفاهيم ومنطلقات التفكير، في ظل تباين المدارس التاريخية وتنوع اتجاهاتها في فهم الماضي أو في إعادة بنائه بناء متينا، وقد يكون هذا سبب في جعل بعض الباحثين الجزائريين الذين يحاولون أنجز

دراسات مونوغرافية مهمة يتحفظون في استعمال عدد من هذه المفاهيم، في حين اقترح البعض الآخر حلا وسطا للاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية الغربية، وهو الاحتفاظ بالتقنيات وتوظيفها في مجتمعا، رغم أنها ذات سموم، غير أنها بالإمكان أن تساعد على تقدم البحث التاريخي الجزائري - وبناء مفاهيم تستجيب لخصوصية المجتمع الجزائري بوضعها في إطار زمني ومكاني، إضافة لارتباط التاريخ ارتباطا وثيقا بالزمن لأنه يدرس الماضي، والزمن السوسولوجي يختلف عن زمن المؤرخ، فزمن الأول متعدد، كل حقيقة اجتماعية تفرز زمنها، بينما الزمن التاريخي يسير في اتجاه لاينعكس ولا يتوقف، وبذلك يتبين أن الاستفادة من مناهج العلوم الاجتماعية والتطبيقية تواجه عقبة أساسية، إذ كلما عدنا إلى الماضي كلما تضاءلت قيمة تلك العلوم بالنسبة للمؤرخ، سواء على مستوى استحضار الوثائق والإحصائيات، أو على مستوى تباين المفاهيم والقيم، إضافة إلى نسبية النماذج وضيق النظريات، فالعلوم الاجتماعية والتطبيقية تتطلع إلى تأسيس نظريات وارساء قوانين، لكن لا الإنسان ولا المجتمع مبنيان مثل النظرية، فحيث وجود الإنسان، وهو كذلك في التاريخ، لا مجال لوضع قوانين ونظريات، ذلك أن التاريخ أوسع من أن تحيط به نظرية (رضوان مبارك : ص 95 - 105 .).

- قصور الأسلوب الكمي، بالرغم مما حققه هذا الأسلوب من تقدم في مجال البحث التاريخي، لاسيما من حيث ضخامة المعطيات العددية، غير أنه يضطرنا لتساءل هل تشكل الأرقام والإحصائيات معطى موضوعيا؟ ألا يمكن أن تكون ذات صلة بآراء أو تقييم أو نتيجة لمجموعة معقدة من القرارات والتدابير؟، ومنه فإننا نجد أن هذا الأسلوب يضعنا أمام حقيقة تكمن في كون أن المنهج الكمي عندما يتجاهل الجوانب الكيفية والإنسانية في التاريخ، لا يمكن أن يكون إلا ناقصا (رضوان مبارك : ص 104 - 105 .).

- عودة الاهتمام بالحدث، حيث كان الانفتاح على العلوم الاجتماعية والتطبيقية نتيجة وسببا في آن واحد لتجاوز التاريخ الإخباري، والاهتمام بالحدث، غير أنه في ما بعد تبين أن التاريخ لا يمكنه أن يركز اهتمامه على البنيات ويتغافل الحدث الذي لا تستطيع العلوم الاجتماعية والتطبيقية إدماجه ضمن اهتمامها، مع أنه جزء هام في حياة الأفراد والمجتمعات (الحسين عماري : المقال الإلكتروني .). وترتبط ظاهرة عودة الحدث بالمجتمع المعاصر الذي أصبح يفرض الحدث على مستوى عام عن طريق وسائل الإعلام (رضوان مبارك : ص 105 .) والوسائل التكنولوجية.

- خطورة تحول التاريخ إلى علوم اجتماعية، مما أسس للتخوف من أن يؤدي تهافت المؤرخين على مناهج العلوم الاجتماعية وتبنيها دون تفكير وتمحص، إلى ضمور الطابع التاريخي في تلك الدراسات، حيث يصبح هناك تاريخ اقتصادي، وتاريخ ديمغرافي أو ديمغرافية تاريخية، وتاريخ اجتماعي، وبالرغم من المخاوف إلا أنه يمكن القول أن المكسب الجديد الذي حققه التاريخ من خلال انفتاحه على العلوم الاجتماعية يظهر على مستوى التقنيات والمناهج

بالأساس، ومع ذلك فإن المؤرخ مطالب بأن يضع في اعتباره طبيعة مادته، وأن يتسلح بالنظرة الجدلية، ويعتبر تلك العلوم علوماً مساعدة وليست علوماً تحل محل التاريخ، فإن لم يراع المؤرخ ما سبق فإنه يقع في طائل التنازلات بدل أن يحقق مكاسب. (رضوان مبارك : ص 106 .) .

الخاتمة :

إن الناظر لتطور العلوم الإنسانية يتأكد له أن الحاجات المتعددة للإنسان من منطلق الارتقاء بالوسائل والطرائق المتاحة يمكنه الاستفادة مما هو ممكن ومتاح، والتاريخ المحلي كملح من ملامح الكتابة التاريخية التي ما لبثت تفرضه المتطلبات الحضارية لتقييد خطى العاملين المحليين، الذين تضاءلت حجوماتهم أمام تراكم الكتابات العامة حول الجوانب المتعددة للحياة بجميع مستويات التحضر بالنسبة للحواضر من حيث التحولات على صعيد الميادين المتعددة، فمن هنا باتت الكتابة في الجانب المحلي ضرورة حضارية تفرضها الضرورات الكتابية لتمتمة المشروع الحضاري لكل أم من منطلق الفراغات التاريخية، فعليه جاءت المذكرات كآلية من الآليات الكافلة لتغطية النقص في مجال الكتابة التاريخية، وبالخصوص التاريخ المحلي.

قائمة المراجع :

- 1 حبيدة، محمد : (1993) " مدرسة الحوليات، مفاهيم التحليل البروديلي "، مجلة أمل، عدد3، السنة الأولى، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- 2 عماري، الحسين : " البحث في تاريخ الجهة : تساؤلات وملاحظات منهجية "، مقال إلكتروني، موقع ستار تايمز، <http://www.startimes.com/?t=22564970>
- 3 المنصور، محمد : (1989)، الكتابة التاريخية بالمغرب خلال ثلاثين سنة (1956-1986) ملاحظات عامة البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 14، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- 4 Histographie الاستغرافيا ما يسميه العروبي بالتاريخيات هو مقابل كلمة اسطوغرافيا التي تعني بالمعنى الضيق، مجموع النتائج التي توصل إليها الدارسون للكتابات التقليدية كالحوليات والمذكرات والطبقات والسير..وقد ميز فيها العروبي ثمانية أنواع. موقع إجابات، موقع إلكتروني، http://www.ejabat.com/?qa=34827&qa_1.
- 5 عبد الأحد السبتي : (1989)، " التاريخ الاجتماعي ومسألة المنهج " ملاحظات أولية. البحث في تاريخ المغرب حصيلة وتقويم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة ندوات مناظرات رقم 14، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- 6 مزين، محمد : (1988)، " منهج كتابة التاريخ القومي إشكالية تاريخ المغرب العربي، مجلة الوحدة، العدد 42، السنة الرابعة، الرباط.

- 7 العروي، عبد الله : (1992)، مفهوم التاريخ الألفاظ والمذاهب، ج1، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت.
- 8 أحمد التوفيق : (1978)، مساهمة في دراسة المجتمع المغربي في القرن التاسع عشر (1850-1912)، ج1، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، المغرب الأقصى.
- 9 مزين، محمد : (1986)، فاس وباديتها مساهمة في تاريخ المغرب السعدي 1549-1637، ج1، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.
- 10 عبد الرحمن المودن : البوادي المغربية قبل الاستعمار قبائل إيناون والمخزن بين القرن السادس عشر والتاسع عشر، ط1، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، سلسلة رسائل وأطروحات رقم 25، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب الأقصى، 1995.
- 11 محمد وقيدي : (أكتوبر 1999)، " التاريخ بين العلم والمنهج "، مجلة أمل، عدد 21، السنة السابعة، المغرب الأقصى.
- 12 مبارك، رضوان : (1993)، " التاريخ وعلوم المجتمع، مجلة أمل، عدد3، السنة الأولى، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.
- 13 عماري، الحسين : (أيام 12-13-14/01/2009)، " الرواية الشفوية مصدر من مصادر كتابة تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء، مداخلة تمت المشاركة بها ضمن الندوة الدولية حول " آداب وثقافات إفريقيا " برحابي كلية الآداب والعلوم الإنسانية بنمسك، ومعهد الدراسات الإفريقية بالرباط.
- 14 ZAKARI, DRAMANI : (1981)، ISSIFOU : L'Afrique Noire dans les relations Internationales au XVI, Analyse de la crise entre le MAROC et le sonrhaï, éditions karthala, PARIS.
- 15 بيير نورا : (2004)، التاريخ والذاكرة، ترجمة محمد حبيدة، من أجل تاريخ إشكالي، ترجمات مختارة، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، بالقنيطرة، ط الأولى، مطبعة النجاح الجديد، الدار البيضاء.
- 16 محمد حسين ذكروب : (29-30 /أكتوبر، 1999)، " زمن الأتاي قراءة في كتاب " من الشاي إلى الأتاي... العادة والتاريخ " لعبد الأحد السبتي وعبد الرحمن الخصاصي "، مجلة أمل، عدد 21، السنة السابعة، 2000، ندوة الجمعية المغربية للبحث التاريخي.
- 17 محمد الكتاني : (2004)، " العلوم الإنسانية بين واقعها الإشكالي وآفاقها المرجوة "، مجلة دراسات، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، أكادير، عدد11، 2003، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا

د. عثمان منادي

جامعة سوق اهراس - الجزائر



ملخص:

كان دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا أهم حدث عرفته البلاد بحيث أعطى للسكان منهجا جديدا في الحياة يختلف كل الاختلاف عن الحياة الوثنية التي كانوا يعيشونها، فالباحث في مجال الحياة العلمية سرعان ما يدرك أنها كانت أهم مظهر للتطور الذي أحدثه وصول الإسلام واخرج حواضرها وقراها من الجهل والخرافات والعبودية للطبيعة القائمة على مصادر الخوف والتبعية . إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا قد تعددت و تطورت مع القرن السابع حتى غدت مع بداية القرن الرابع عشر ميلادي نموذجا خاصا في هذه الأقاليم، إذ يرجع الفضل إلى الحركة والنهضة العلمية التي شهدتها تلك الحواضر في إخراج القارة بأكملها من عزلتها الحضارية التي عاشتها طيلة القرون التي سبقت الإسلام حتى عرفت بالظلام.

Summary:

The spread of Islam into western Africa was the most important event in the region as it gave the population a new approach to life that was very different from the pagan life they lived in. The researcher quickly realizes that it was the most important manifestation of development brought about by the arrival of Islam and drove its cities and villages from ignorance, superstition and slavery to nature based on elements of fear and dependence.

The manifestations of scientific life in the cities of western Africa have multiplied and developed with the seventh century until the beginning of the fourteenth century AD and became a special model in these regions. Thanks to the movement and the scientific renaissance witnessed by these cities in the removal of the entire continent from the isolation of civilization, which lived through the centuries before Islam until I knew dark

مقدمة :

عند ظهور الإسلام في القرن السابع الميلادي كانت أكثر مناطق غرب إفريقيا متخلفة، يغلب عليها النظام الوثني ويسودها الاضطراب السياسي ، والاختلال الاجتماعي القائم في ظل حكم مملكة غانة المترامية الأطراف . وبوصول الإسلام إلى حدود غرب السودان عبر الشمال والشرق ، أوجد حالة من الوعي لتلك الأقاليم وأنتجت حضارة جديدة تشتمل على نهضة علمية اعتمدت على الأصول الإسلامية ونحلت من علوم العرب الذين أوصلوا تلك الحضارة .

وتهيأت الأسباب التي أعطت لهذه النهضة بعدها المكاني والزمني، فانتشرت في الحواضر المتاخمة للصحراء انطلاقاً من أقاليم توات وسلجماسة وولاته نحو الحواضر الجنوبية الغربية بل ساهم هذا الإشعاع الجديد في خلق حواضر جديدة بفضل ازدهار التجارة، وتوافد عدد كبير من السكان والقبائل بعضهم جاء لغرض نشر الدعوة الإسلامية، وأخذت تلك الحواضر في السودان الغربي تنمو وتزدهر بالرغم من البطء في هذه العملية.

ومع بداية القرن الثامن الهجري، الرابع عشر الميلادي أضحت حواضر غرب إفريقيا نموذجاً من الحياة العلمية إلى كانت سائدة في البلاد الإسلامية الأخرى .

فكان لهذه النهضة بعدها الإفريقي المتناغم مع ما جاء به العرب والمسلمون من الشمال الذي أخذ يتفاعل داخل المجتمع الإسلامي السوداني فأنتجت المدارس والكتاتيب والجامعات مثل مسجد سنكري وأضحت تنبكت من حواضر البلاد الإسلامية التي نالت القدر الكافي من الشهرة في البلاد الإسلامية فنشطت العلوم، وارتحل الطلبة إلى مدارس فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة والحجاز وانتقل الكثير من العلماء من تلك المناطق الإسلامية إلى بلاد السودان الغربي ليؤكدوا إن الإسلام دين العلم والحضارة و أنهم جاؤوا لنشر هذه الرسالة فأخرجوا الإفريقي من إطار العصبية والقبلية الضيقة، والعادات والتقاليد القديمة إلى حياة جديدة أساسها العلم، فظهر سلوك جديد للناس وتوجه نحو الحياة العلمية التي كان أهم مظاهرها انتشار اللغة العربية والمذاهب الإسلامية وتنوع مناهج ومواد التدريس وهو ما سأتناوله في هذا البحث .

إن الدراسة التاريخية للحياة العلمية ليست نظاماً سياسية، أو اسر حاكمة تظهر وتختفي وإنما هي عملية تربوية تعليمية فكرية ترتبط بحياة العلماء و المفكرين الذين يقضون حياتهم في محراب الفكر إلى آن تنمو الحضارة وتنعكس على سائر الحياة بالتقدم والازدهار.

وفي هذا البحث سأتناول مظاهر الحياة العلمية موضحاً:

- مؤسسات التعليم ووسائله من مساجد ومكتبات، وكيف كانت الرحلة في طلب

في طلب العلم ، وماهي الأجازات العلمية الممنوحة للطلبة ؟

- كيف انتشرت اللغة العربية كلغة علم ؟

- وهل كان لانتشار المذاهب الإسلامية دور في ترسيخها ؟

- وما هي مراحل التعليم، وطرق التدريس ومواده ؟

- وأخيراً ما هو مستوى التعليم في تلك الحواضر مقارنة بما هو سائد في سائر

الأقطار الإسلامية وعموم غرب إفريقيا ؟

المبحث الأول: مؤسسات التعليم ووسائله:

1-المساجد:

من المعلوم ان المسلمين في كل زمان ومكان كانوا يتخذون من المساجد والأماكن الملاصقة له مراكز لتعليم صبيانهم ، القراءة والكتابة ولم تكن البلاد السودانية استثناء عن ذلك .
وقد لاحظ الرحالة هذا ومنهم حسن الوزان وأكدوا أن مسلمي السودان استخدموا المساجد أماكن للتعليم (عز الدين، 2003) .

لعب المسجد دورا هاما في حياة المسلمين عامة والتعليم خاصة ، فقد كان المسجد عبر قرون مدرسة وبيت الجماعة ودار الضيافة (البغدادي، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم، 1981)
اهتم التجار والدعاة والأمرء في حواضر غرب افريقيا لأمر بناء المساجد كوسيلة لتوطيد الاسلام في الاقاليم الجديدة ، ونجد الكثير من الرحالة والمؤرخين الذين ناولوا ،بناءه ورواده وأهميته ودوره .

بدأ أهل السودان الغربي يهتمون بالتعليم منذ ان اخذ الاسلام يشق طريقه إليهم وازداد مع هذا الانتشار والتوسع بناء المساجد في الحواضر الاسلامية ن حتى أضحي المسجد جزءا من الظاهرة العمرانية للحواضر الافريقية .

كان لكل حاضرة مسجدها الكبير الذي يجمع فيه السكان وقد نظمت المدن الاسلامية من حيث تخطيطها لتلائم حياة الطوائف الاجتماعية ، وفقا للأغراض الاقتصادية ،من ذلك بناء الحوانيت التي تبيع الكتب والعطور ، ثم تستدير الأبنية الأخرى حول المسجد لقوم فيها أعمال التجارة والصناعة (قداح، 1974) ،
وتكون القبائل المهاجرة الى حواضر الغرب الاسلامية من العرب والبربر (السعدي، د ت)، قد ساهموا بالقسط الوافر في إدخال صورة جديدة للمساجد في سرعة إنجازها وإعطائها الصورة المفضلة لها .

إن تقدم الاسلام في الفترة ما بين القرن 14 والقرن 16 قد دعا السلاطين الى بناء عدد كبير من المساجد لإستعاب العدد الهائل من المصلين والمتعلمين وتنافس التجار والحكام والخيرين على بناءها وكان هؤلاء يتباهون بالإنفاق ، على صيانتها وترميمها وهماهو القاضي العقاب بن محمود بن عمر أقيت انفق في ترميم المساجد الثلاث (المسجد الكبير ، مسجد سنكري ن مسجد سيدي يحيى لا يعرف نهايته الا الله تعالى، كان ينفق يوما سبعا وستين (67) مثقالا الاثنا ، وقد نافسه في الإنفاق الحاج الأمين (السعدي، د ت) .

يعتبر بناء المساجد عمل جماعي يساهم فيه كل سكان المدينة ، حيث يختار الأعيان والعلماء موقع بناء المسجد ن ويشترك الشباب في العمل بنقل مواد البناء ، والنساء يحملن الماء ، ويحضر بعضهم الملائم وبعد هذا عملا خيرا لا يتقاضى عليه العمال أجرا وعادة ما يتبرع الأغنياء والتجار بالمال او المواشي لإعداد الطعام اللازم للعمال ، وأحيانا يصاحبه الاحتفال على الطريقة الافريقية .

عند البناء يراعى ارتفاع المسجد الذي يتراوح بين 3.5 الى 5متر وطوله الذي يصل الى عشرات الأمتار وذلك حسب عدد السكان ، وعدد الأبواب ودرجة الإنفاق عليه (قداح، 1974).

إن مساحة المسجد ومئذنته والمساحات المحيطة به تختلف من حضارة الى اخرى ، فغالبا ما يكون في كل حضارة مسجد جامع يتمتع بمساحة كبيرة ومئذنة يتراوح علوها بين المتر الى الثلاثة أمتار وفناء واسع به أشجار (قداح، 1974).

أما في القرى ، فتنشر المصليات ذات الأشكال المختلفة مربعة أو مخروطية الشكل الخارجي مسقوفة بالأغصان ن والقش أمامها مساحة كبيرة للصلوات في الهواء الطلق .

أما أهم مساجد حواضر غرب إفريقيا فان المصادر التاريخية تشير الى عدة مساجد أهمها في تنبكت ن مثل الجامع الكبير الذي بناه منسى موسى عند عودته من الحج عام 1327 (Barth H , 19845-1855).

أعيد ترميمه في عهد أسكيا داوود ووسع (السعدي، د ت) وقد وصف هذا المسجد الرحالة هنري بارث عندما زاره في القرن 19 م ، ووصف طوله وعرضه ومساحته (Barth H , 19845-1855).

ويعد مسجد سنكري الذي يقال ان امرأة غنية بنته ثاني اكبر المساجد في حواضر غرب إفريقيا ن ويجعل متى بني ، وأعيد بناؤه عام 989م/1581م، من طرف الحاج العقاب بن القاضي محمود ، اخذ مقاسه وطوله وعرضه من الكعبة الشريفة خلال حجه الى مكة .

ولق كانت المساجد تضيق بالمصلين منذ أيام ابن بطوطة الذي زار المدينة في منتصف القرن الثامن الهجري ، الرابع عشر الميلادي ، اذ يقول ان يوم الجمعة إذا لم يبكر الناس الى المسجد لا يجد المتأخرون أين يصلون (عمر موسى، 2003).

وكانت المساجد الكبرى بمثابة جامعات (El mouloud , s d) معاهد تعليمية كبرى ، ومراكز ثقافية وتربوية حققت الأهداف المنوطة بها ، فتتلمذ فيها القضاة والأئمة والفقهاء والعلماء ، ولم تكن أوضاع المساجد والتعليم هذه لتختلف عن سائر مدن بلاد السودان الغربي ، عن حال تنبكت آن ذاك ، فكل حاضرة لها دورها الثقافي والعلمي الذي ساهم في تنشيط الحياة العلمية .

كان للمسجد حرمة لدى السكان، بلغت درجة الاحترام والتقدير حيث كان من كان يستجير بالمسجد أو دار الخطيب لا يناله شر ولو كان من السلطان (السعدي، د ت) . كما كانت القبور تبنى بجوار المساجد وحوله، وتلك عادة اهل المغرب فالمغاربة لا يدفنون أمواتهم إلا في رحاب مساجدهم وجوامعهم (جنيدى، 2010) .

ويبدو أن اغلب هذه المساجد بغاو وجني وغيرها لم تبقى آثارها قائمة الى اليوم ، وذلك راجع الى عامل البيئة والمواد التي تشيد بها المساجد فهي مبنية بالطين المجفف والأخشاب والقش ، وهي مواد لها مدة حياة لا تكون في الغالب طويلة على عكس المساجد المبنية في الأقطار الاسلامية الأخرى ، والتي تعد الصخور المعدلة أهم ركائزها .

2- الكتب والمكتبات:

من المعروف ان المكتبات من أهم وسائل التعلم فهي مصدر من مصادر المعرفة تحفظ فيها العلوم و الثمار خيرات السابقين فتجعل حياة من يعتمد عليها امتداد لحياة السابقين ، وبقدر ما يعتمد على ذلك تتفاضل الامم ويقاس تقدمها من هنا كان اهتمام المسلمين بالمكتبات ودور العلم كي تسهم في تطور الحركة العلمية (حسن أ.، 2001) .

إن الباحث في مجال الحياة العلمية في عصر من العصور يجد المؤشر على تطويرها يربط بكتب وتراث العلماء ومدى شيوع ثقافة الكتاب والمكتبات ولذلك كان إقبال السكان حواضر الغرب الإفريقي على اقتناء الكتب وإنشاء المكتبات من المؤسسات الفاعلة في دفع ازدهار هذه الممالك ، وبناء حضارة خاصة بها وقد تبين ان الدعاة والفقهاء والتجار كانوا يحملون معهم الكتب ولعل اقلهم حظا ذلك الذي يحمل معه مصحف القرآن الكريم ولذلك لا عجب ان نجد المكتبات من المؤسسات الفاعلة في دفع ازدهار هذه الممالك ، وبناء حضارة خاصة بها وقد تبين ان الدعاة والفقهاء والتجار كانوا يحملون معهم الكب ولعل اقلهم حظا ذلك الذي يحمل معه مصحف القرآن الكريم ولذلك لا عجب ان نجد ان المكتبات الضخمة الخاصة والعامة توجد في المساجد والقصور وبيوت الأعيان والعلماء ، فكان التأثير واضحا من قبل القبائل العربية والبربرية التي استقرت في تلك البلاد. لقد انتشرت المكتبات التي اقتناها العلماء والأثرياء وكانت تصرفات طلبه العلم كوجه من أوجه عمل الخير، والبعض عدها صدقة جارية.

واشتهر على العلماء أنهم كانوا لا ييخلون بكتبهم عن الراغبين في الاستعارة منها وكانت تدور حركة نسخ نشطة ليحصل عن طريقها بعض الناس على نسخ من الكتب التي يريدونها (أحمد ش.، د ت) .

فقد دخلت حواضر الممالك الاسلامية ، كتبها في مخلف العلوم الخاصة بالثقافة العربية الاسلامية ففي عهد مملكة مالي كان السلاطين يتسابقون لاقتناء الكتب الدينية منهم منسى موسى ن فبعد عودة هذا الأخير من

رحلته الى الحج الشهيرة وأثناء مروره بالقاهرة اشترى عددا من الكتب الدينية للمذهب المالكي ونقلها معه الى بلاده من اجل تعزيز الحياة الثقافية بها (المقريزي، 1997م)

ومما ساعد على كثرة الكتب رغم عدم ابتكار المطابع ما كان يتسم به المرابطون على الثغور من نسخ للكتب بالمجان مما أدى إلى وجود المخطوطات وسهل على المتعلمين وجود الكتب (زينون، 1988) ، بالإضافة إلى تعلم أهل المنطقة فنون الخط وصناعة الورق وان كان على الطريقة التقليدية وكانت المخطوطات والكتب تباع بأسعار أعلى من أسعار السلع التجارية الأخرى (جوزيفين، 1983م).

وفي عهد مملكة سنغاي ازداد الاهتمام أكثر بالكتب والمكتبات وهذا راجع الى رسوخ الاسلام أكثر خاصة لدى الطبقة الحاكمة ، وأعطى سلاطين المملكة أهمية كبيرة للكتب ، فكان من مواطنيهم ناسخ لنقل المخطوطات وشراء الكتب بأغلى الأثمان ، فقد بلغ حب الملك غاو للكتب ان اشترى قاموسا بمبلغ ثمانين مثقالا (قداح، 1974). وجاء في الفتاش أن الاسكيا داوود اشترى نسخة من القاموس بثمانون مثقالا .

إن هذه المعلومات التاريخية لتدل على مدى ازدهار الحياة العلمية ، وإقبال الناس على شراء الكتب ونسخها وهو ما أدى إلى ثراء المكتبات الخاصة بأمهات الكتاب حتى تكونت الأسر والعائلات الكبيرة (طاهر، 1975)، التي ارتبط اسمها بالمكتبات العامرة الموجودة بمساكنهم الخاصة ، حتى أصبح هذا التقليد شائعا وازداد تجذرا مع ظهور الزوايا والطرق الصوفية حيث مثل شيوخها وزعمائها مصدر الفتوى وخزانة العلم والكتب .

إن تجارة الكتب كانت أكبر تجارة في إمبراطورية مالي ، ثم سنغاي وقد ازدهرت الثقافة الاسلامية وكانت جامعة سنكري تخرج علماء في آداب اللغة العربية والعلوم ، وتشير الروايات التاريخية الى ان الكتب التي كانت مصدر رزق وسلعة تجني منها الأرباح إذ يقول حسن الوزان "وبياع هنا (أي تنبكت) الكثير من الكتب المخطوطة التي تأتي من بلاد البربر ويجني من هذا البيع ربح يفوق كل بقية السلع (السعدي، د ت) .

إن هذه الروايات تدل على كثرة العلماء والمتقنين وعادة ما يرتبط هذا بتوفر الكتب والمكتبات تشير المصادر التاريخية انه بعد الغزو المغربي لمملكة سنغاي كان احمد بابا التنبكتي صاحب كتاب نيل الابتهاج بتطريز الديقاج مكتبة ضخمة تضم مخلف التأليف (الوزان، 1983) ، و بها ذخائر عديدة من الكتب ، نُهبت معها ستة عشر مائة كتاب ، ولا ندري هل هذا العدد الهائل صحيح أم مبالغ فيه ، ومهما يكن فان العدد قد ينقص أو يزيد لكنه يجعلنا ندرك ان الكتب متوفرة والمكتبات عامرة خاصة لدى العلماء قدوة الأمة ، فكانت عملية التبادل والإعارة سائدة ومشهورة في حواضر الغرب الإفريقي إذ يروي السعدي ان الطالب يقصد العالم يطلب كتبها فيعطيهها له من غير معرفة (السعدي، د ت)، وهذا ما يؤكد تشجيع العلماء لطلبة العلم أو ربما العرف السائد آنذاك الذي يذم

البخيل في تقديم المساعدة لطالب العلم احتوت المكتبات على المخطوطات كما أشار الى ذلك حسن الوزان (الوزان، 1983) ، فكان سكان الحواضر ينسخون الكتب الأصلية التي لا يملكونها وبأعداد كبيرة إذ تعذر شراؤها (ديبوا، 2003) ، وها هو احمد بابا التنبكتي الذي كان من أعظم مؤرخي السودان الذي وضع في ما قيل (70) كتابا في مختلف العلوم والفنون وكان يملك مكتبة تحتوي على ألف وست مائة (1600) عنوانا (العربي، 1983م) .

أما عن محتويات الكتب فهي إسلامية في عمومها تتناول السيرة النبوية والأحاديث مثل صحيح البخاري ومسلم وكتب السيوطي وكتب الفقه على المذهب المالكي خاصة ، مثل رسالة ابن أبي زياد القيرواني بالإضافة إلى كتب الأدب والشعر والكتب الجغرافية والتاريخية والكتب العلمية البحث في الفلك والطب (ديبوا، 2003) .

وقد ذكر بول مارتي المتخصص في دراسة الاسلام في افريقيا الغربية سلسلة من الكتب العربية التي وجدها في مطلع القرن العشرين في المكتبات الاسلامية نذكر منها على سبيل المثال كتاب الجواهر الحسان لأحمد بابا التنبكتي ، وشجرة اليقين للشيخ أبي الحسن الأشعري وشرح بانة سعاد لكعب بن زهير ، وكتب العالم السيوطي وكتب مولد النبي لسعيد بن جبير وكتاب مقامات الحريري وكتاب المصباح المنير ومقصورة ابن دريد وألفية ابن مالك وقطر الندى ، وإحياء علوم الدين للغزالي وموطئ مالك (قداح، 1974)

ان الباحث في تاريخ الكتب والمكتبات يجد السبب في اهتمام سكان الغرب الإفريقي بها ، وهو حث الاسلام على طلب العلم ، الذي اكتسب قداسة وارتبط بحسن إسلام المرء ولذلك لا عجب في ان نجد هذه المكتبات موصولة بالمساجد والزوايا والقصور.

3- الارتحال لطلب العلم :

تعتبر الرحلة من مميزات جهود المسلمين في طلب العلم ن وكان العلماء يحثون الطلبة عليها فكان الطالب يترك بلده بعد ان يحصل على ما لدى علمائها ن فيتوجه الى مراكز العلم المنتشرة في أنحاء العالم الإسلامي ، ويكابد مشاق السفر وأخطاره ، ولكن هذه المشاق وتلك المخاطر لم تقف حائلا دون تلك الرحلات التي ملأت بطون الكتب ، وكم من عالم ارتحل ، وربما قطع آلاف الأميال ، وكان البعض منهم ينتهز موسم الحج فيسير معهم ، او يعرج على العلماء للتزود منهم وقد بدأ الكثير منهم تلك الرحلات ولم يبلغوا العشرين (البغدادي، تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم، 1401-1981) .

اتسع نطاق انتشار الاسلام في حواضر السودان الغربي وهم يحملون ما تعلموه ، وانتشر العلماء والفقهاء والدعاة في تلك الحواضر من مدارس القيروان وفاس وتلمسان وغيرها ، فكان هذا مما دفع طلبة العلم وعلماء

السودان الغربي للحصول على العلوم من مواطنها وكان طلبة العلم أنشط الناس للرحيل وأصبرهم على العناء ، فكان الحرص على لقاء الشيوخ والعلماء والأساتذة المشهورين والغرض الأول من الرحلة فلم يكن طالب العلم يكتفي بقراءة مصنفات الاساتذة وحدهم وانما كان لابد ان يقرأها عليه ويسمعها منه حتى يعتبر ثقة في مادته وحجة في علمه ، وبذلك كانت الرحلة ضربا من ضروب التحقيق العلمي .

كان بعض الطلاب والعلماء من اهل السودان يقومون برحلات الى المراكز العلمية في البلدان الإسلامية مثل فاس والقيروان والقاهرة كما اشرنا الى ذلك سابقا ومن العلماء الذين ذهبوا الى فاس للتزود بالعلم كاتب السلطان منسى موسى ، وكذلك عبد الرحمان التميمي الذي ذهب الى فاس للتمكن من العلم ثم رجع الى تنبكت (السعدي، د ت) ، وكذلك كان الحال في ارتحال طلبة العلم الى القاهرة حيث خصصت لهم أماكن لاستقبالهم ، فكان في الأزهر تسعة عشر رواقا منها رواق يخص الأفارقة (الجندي ، د ت)، ومنهم من يسميه رواق التكرارة نسبة الى بلاد التكرور ومن العلماء من اشتهروا بارتحالهم طلبا للمزيد من العلم مثل عبد العزيز التكروري (السعدي، د ت)، والعاقب بن عبد الله الانصمي (بابا التنبكتي، 2000) ، والعاقب بن محمود بن عمر بن محمد أقيت (السعدي، د ت) .

وكانت رحلات الحجيج لأهالي حواضر غرب افريقيا فرصة لطلبة العلم والعلماء لزيادة التحصيل ويذكر احمد بابا في نيل الابتهاج عدد من العلماء الذين ادوا فريضة الحج والتقوا العلماء هناك منهم السيوطي وغيرهم (بابا التنبكتي، 2000) وهكذا نجد ان الارتحال لطلب العلم كان سمة بارزة في الحياة العلمية في حواضر غرب افريقيا ، فكان طالب العلم والعالم لا يثنيه طول المسافة ، ولا مشقة السفر فالرحلة مدرسة قائمة بذاتها ، تعلم الطالب صفات الصبر ، وفن التعامل مع الآخرين ، والقدرة على مواجهة المصائب وحلها ن وكسب العلم كانت الغاية الكبرى.

وبفضل هذه الرحلات استمرت الوحدة الثقافية والتواصل العلمي والحضاري بين غرب افريقيا وباقي الأقطار الإسلامية ، وبفضلها أيضا كان استمرار تبادل الأفكار بين سكان الحواضر نفسها ، فقد كانت المسافات بينهما بعيدة .

والرحلة من الناحية العلمية ساهمت في تمكين الدين الاسلامي ، والاستخدام الواسع للغة العربية ، ولقد كان الطلبة يتلقون العلم وهم سائرون في ركاب الرحلة مع الشيوخ كما ان هؤلاء الشيوخ ، من كانوا يعقدون مجالس الدرس للطلبة من اهل الحواضر التي يمرون بها وما الأذكار التي كانت تردد خلال الرحلة الا بيانا على ذلك حقا ان الارتحال يمثل مصدر إعجاب للباحث خاصة إذا درسها بالنسبة للعالم الاسلامي عامة ، مثل رواية الحديث

الذين كانوا يقطعون الأميال للتأكد من صحة حديث واحد ، لذلك ندرك ان العلم مسافة طويلة كلما ازداد الباحث المسير كلما ازداد علما وشغفا في نفس الوقت .

4- الإجازات العلمية:

يقصد بالإجازة العلمية إقرار الأساتذة بأهلية الطالب بعد إتمام فترة زمنية يتعلم فيها فنا من الفنون او علما من العلوم ويقع النطق بذلك ، أو يحرر على ورق تدفع للطالب المتخرج ، فيمنح إجازة او صريحا برواية كتب ، لا تسمى تفصيلا كان يقول له : (إنني أجزيت لك ..) (سيزكين، 1989)

وكانت هناك شهادات خاصة بحفظ القرآن وأخرى بالحديث ، وهناك شهادات عامة تشمل عدة مواد أو فنون أو مهارات الى جانب العلوم الدينية .

وكان نظام الشهادات معروفا في حواضر غرب افريقيا خاصة في عهد مملكة سنغاي ، إذ كان الأستاذ كلما لمس احد طلبته مكننا كافيا في مادة من المواد التي درسها عنده ، أعطاه إجازة بخط (زبادية، مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين، 1971) .

وهناك شهادات تعطى فردية ، بمعنى أن الطالب يستطيع الحصول على شهادة من الأستاذ ، في المواد التي يتقنها الأستاذ ، ويتعاطى تدريسها ، ولكنه يبقى طالبا في مواد أخرى ، وبناء على هذا فإن الشهادات كانت على شكل انطباع يسجله الأستاذ على مذكرات الطالب في مادة او أكثر ، وهنا يراعي الأستاذ مدى الكفاءة التي يكون الطالب قد حصل عليها (جندي، 2010)، وفي يوم التخرج ، يمنح الطلاب العمام ، والعمامة ترمز إلى النور الإلهي والحكمة والمعرفة والسلوك الأخلاق العالية .وهي تمثل الخط الفاصل بين المعرفة والجهل، مما يعني أن الطالب ملزم بتبادل المعارف والخبرات مع إخوانه (Jackson, s.d.).

وكان العلماء المغاربة في السودان الغربي يلزمون الطلبة بالحصول على الشهادة ، بحيث يتأجل تخرج الطالب إذا لم يتحقق له النجاح ويعود من جديد للتعلم (محمد سلطان، 1999) ، والطالب الناجح هو ذلك المواظب على واجباته الدينية واولقات الدراسة ، والمجتهد في حفظ ما طلب منه وعادة ما يكلف الأستاذ طلبته المتفوقين بالإجابة عليه، أو إلقاء الدروس ثم يصدر شهادته عليه (السعدي، د ت) وكان تلك الشهادات تعطى عادة في حفل ، يقيمه اهل الطالب الناجح ، وهذه الشهادة العلمية التي تحصل عليها الطالب تؤهله لان يعمل بإلقاء الخطب ، أو الإمامة ، أو بأن يعمل المتخرج كمساعد للقاضي ، أو نائبا له أو كاتبا في مصلحة حكومية ، أو نسخ الكتب ، أو تعليم القراءة ، وقد تنتهي بالعمل في القضاء وتولي مهامه (جندي، 2010).

المبحث الثاني: مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا:

انتشار اللغة العربية:

من المعروف أن انتشار اللغة العربية في مناطق العالم الإسلامي ومنها غرب إفريقيا ، كان مرتبطا بدخول الإسلام إليها وانتشاره فيها ، وفي نفس الوقت أشارت الدراسات أنه منذ إدخال الحروف العربية بدأت عملية أسلمة إفريقيا (Constant , 2002) .

و إذا كان الإسلام قد وصل إلى جزء من منطقة إفريقيا جنوب الصحراء في وقت مبكر، منذ عهد مملكة غانا الإسلامية، فإنها ازدادت انتشارا في الفترة بين القرنين (8-10هـ/14-16م) و يرجع ذلك إلى تجدر الإسلام لدى الحكام و المحكومين وكذلك إلى بلوغ العرب مراكز القرار في تلك الدول ، كتابا ووزراء، ومستشارين وأصحت لغة المراسلات ، كما ذكر العمري انه ورد كتاب إلى سلطان مصر بالخط المغربي في ورق عريض السطر إلى السطر (العمري، 2001)، وقد لعب التجار والدعاة واستقرار الجاليات العربية البربرية دورا حاسما في انتشار الفقه العربية والبربرية دورا حاسما في انتشارا اللغة العربية وازداد عدد المسلمين الأفارقة ، واكتسبت اللغة العربية مساحة من التقديس عندهم (دياب، 1970) وقد ساعد على إقبال سكان حواضر غرب إفريقيا على اللغة العربية أنها لغة الدين الذي آمنوا به والقرآن الذي يرددون بعض آياته في عبادتهم، ثم الجدل والنشاط الذي أبداه العرب في تعليم اللغة العربية للأفارقة وفتح الكتابات.

فإذا ما أضفنا إلى ذلك المساواة التي بسطها الإسلام على من اعتنقه من السودانيين بحيث يكون الجميع متساوي في الحقوق والواجبات ، والأخلاق الفاضلة التي جاء بها العرب أدركنا بالفعل أن اللغة العربية بلغت مكانة مهمة وكان لها الفضل الكبير في انتشار الإسلام والتعليم وكل العلوم المتصلة بهما من نحو وصرف وتفسير القرآن وفقه وأدب وتاريخ وغيرها (ابن خلدون، 1992) ، فسار القانون الإسلامي أو الشريعة والمعتقدات والممارسات ، جنبا إلى جنب مع اللغة العربية نحو الأمية (Lisa , 2010) .

وكانت فكرة التمييز بين الحروف العربية عن طريق النقط التي ابتكرت في القرن الهجري الأول كد اكسب الحرف العربي مرونة جعلته قادرا عن التعبير عن أصوات الكثير من اللغات غير العربية (الخليفة، 1980) .

ساعد وجود العرب والبربر في أغلبية مدن وقرى بلاد السودان على انتشار اللغة

العربية نتيجة الزواج والمصاهرة (ابن بطوطة، 1980) ، فكان من عاداتهم أن يقوم رجال من العلماء في تلك المناطق بتعليم الناس القرآن العظيم وتفقيهم في الدين .

وعلى يد هؤلاء المعلمين الأوائل انتشرت علوم الدين ، وتقرب الناس إليهم للاستفادة منهم والأخذ عنهم ، سواء رغبة في فهم الدين ليؤهلوا للاندماج في هذا المجتمع الجديد أو طمعا في مكانة دنيوية ، وبهذا وجدت

عوامل مشجعة لتعلم اللغة العربية (فهمي، 1405هـ) وغدت اللغة العربية مع توسع الإسلام في كثير من مناطق غرب إفريقيا وحواضرها بالخصوص لغة التجار والعلم والثقافة والإدارة ولغة التخاطب بين القبائل المختلفة الألسن واللهجات وأصبح الحرف العربي يستعمل في كتابة اللغات المحلية، وتأثرت بنحو اللغة العربية وصرفها وأوزان شعرها (hunwik, s.d.) .

واقترضت اللغات السودانية الكتابة بالعربية وأخذت الكلمات والأسلوب والنموذج و ساهم العلماء في انتشار العربية التي أصبحت لغة الأفكار لدى السود ،ويعود سبب الاندماج في أن أصل بعض الكلمات السودانية سامية تعود إلى تأثير العهد الفينيقي والقرطاجي منذ أن كان البحث عن العبيد والتبر و ريش النعام .

وهكذا يتضح لنا أن انتشار اللغة العربية كان واسعاً، فالمعارف تدرس وتستوعب باللغة العربية وكذلك الكتابات الرسمية والثقافة، رغم أن دروس المساجد تقدم باللهجات المحلية العامة، لكن طلاب العلم يدرسون بالعربية، وهذا ما يفسر وجود آلاف الكلمات العربية المستخدمة في بلاد سنغاي في شتى مظاهر الحياة الدينية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية (ابراهيم كرده، 2007) وما كان للعربية أن تبلغ هذه الدرجة لولا الإسلام الذي كان واسع الانتشار من قرون طويلة وهذا يقودنا إلى القول أن الإسلام كان ذا دور حاسم في تعريب المنطقة لسانا (عمر موسى، 2003) .

2- انتشار المذاهب الإسلامية:

أ- المذهب المالكي:

انتصب المذهب المالكي بصفة نهائية في الشمال الإفريقي انتقلت سيادته لإفريقيا الغربية منذ القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، وذلك بحكم مالكية التجار والدعاة والفقهاء الذين دخلوا بلاد السودان واستقروا وعملوا على نشر الإسلام فيها (عوض الله، 1979) .

ومنذ دخول المرابطين إلى مملكة غانة بعد سيطرة أبو بكر بن عمر على عاصمتها سنة 469هـ / 1070م واعتناق سكانها الإسلام ، عم المذهب المالكي السودان الغربي ، وأصبح هو المذهب السائد ببلادها، فدولة المرابطين قامت على أساس نشر الإسلام على المذهب المالكي، فعبد الله بن ياسين مؤسس الدعوة المرابطية من تلاميذ أكبر علماء القيروان مركز المذهب المالكي في تلك الفترة ، وبفضل المرابطين دخل الإسلام غانة ودخلت معهم مؤلفات وكتب المالكية حيث أصبحت هي الكتب المتداولة في بلاد السودان مثل كتب القاضي عياض منها كتاب الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، وترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام من في مالك ، وموطأ

الإمام مالك ، والمدونة الكبرى للفقهاء والقاضي سحنون، ورسالة لأبن أبي زيد القيرواني ودرست هذه الكتب في جني تنبكت (السعدي، د ت) .

وفي عهد مملكة مالي كان المذهب المالكي هو السائد وأشار الملك منسى موسى وهو في مصر انه مالكي المذهب ، واشترى من هناك بعض الكتب في الفقه المالكي (السعدي، د ت) .

وقد قامت مالي على أساس تجانس عنصري وروحي ، فأغلب قاطنيها من قبائل متعايشة على المذهب المالكي والقوة الرئيسية فيها هي رجال الدين (الغربي، د ت)

وتوافد على المملكة عدد كبير من علماء المالكية بعد عودة الملك منسى موسى من حجته سنة 724هـ / 1324م جلبهم معه من الحجاز ومصر (هاشم، علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين، 1982)، كما استقر بمالي عدد من علماء المالكية منهم الفقيه أبو عبد الله الكومي الموحي والشاعر والمهندس أبو إسحاق الساحلي المعروف بالطويجين وغيرهم ن ويذكر العمري في هذا الصدد : "وجلب إلى بلاده الفقهاء من مذهب الإمام مالك رضي الله عنه ، ولقي بها المسلمين ، وتفقه في الدين " (ابن خلدون، 1992).

وفي عهد مملكة سنغاي كانت المالكية أكثر تداولاً خاصة بين العلماء والفقهاء منهم : محمود بن عمر أقيت ، (ولد سنة 868هـ/1463م) كان قاضياً بتنبكت وكان يقوم بتدريس مدونة الامام سحنون ورسالة ابن أبي زيد القيرواني (بابا التنبكتي، 2000).

ومخلوف البلبالي (ت 940هـ/1533م) الذي اطلع على رسالة ابي زيد في الفقه ومحمد بن محمود ابي بكر الوتكري التنبكتي (ت 1002هـ/1593م)

احمد بابا : " لازمه أكثر من عشر سنين فقرأت عليه بلفظي مختصر خليل و ابن الحاجب قراءة بحث وتحقق وتحرير ختمتها عليه وختمت عليه الموطأ قراءة تعتم ، وحضرته كثيراً في المنتقى والمدونة شرح المحلي ثلاث مرات (السعدي، د ت) ، والفقيه عبد الله بن محمود أقيت (ت 1006هـ/1598م) الذي عاصر الغزو السعدي لسنغاي وتوفي بمراكش ودفن بها سنة 1006 وهو متخصص في الفقه واهتم بدراسة خليل والرسالة

ب-المذهب الإباضي :

رغم انتشار وسيادة المذهب المالكي في السودان الأوسط والغربي بعد القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي ، كان المذهب الإباضي موجود في بعض المناطق التي يكثر فيها العرب و البربر ، وقد لاحظ ابن بطوطة أثناء رحلته في مملكة مالي ومروره بقرية تسمى زاغري ، تقيم فيها فئة من الخوارج الإباضية يطلقون عليهم

"صغغو" وكان اهل السودان يطلقون على المالكية من البيض اسم " توري " (ابن بطوطة، 1980) ودخل المذهب الإباضي الى المنطقة مع الطلائع الأولى للمسلمين من التجار والدعاة ، وكان حكرا على جماعات الخوارج انطلاقا من دولهم في تيهرت وسجلماسة ، بالإضافة إلى سيطرة تلك الجماعات الخارجية على المداخل الصحراوية على بلاد السودان ، يقول اليعقوبي : " أن أهل زويلة إباضية " (عمر موسى، 2003)

يذكر الإدريسي أن تجار ورجلان يتجولون في السودان إلى غانة وونقارة وهم وهيبة إباضية (الادريسي، 1983) .

وباختصار أن المذهب الإباضي دخل إلى السودان الغربي في وقت مبكر ومع طلائع المسلمين الأوائل ، وانتشر بعد ذلك ، وبعد سقوط الدولة الرستمية بدأ نفوذهم يتقلص ، وخلال القرن الخامس الهجري عم المذهب المالكي بلاد المغرب خاصة بعد انفصال بن زيري على الدولة الفاطمية بالقاهرة ، ثم قيام الدعوة المرابطية وتوسع المرابطين في غانة عم المذهب المالكي بالمغرب وأصبح تواجد الإباضية في مناطق محدودة جدا 3-انتشار التعليم:

لقد حظي التعليم في .حواضر غرب إفريقيا برعاية كبيرة من الحكام والأهالي نظرا لما كان يتمتع به العالم من تقدير و احترام بين الحكام (ابن بطوطة، 1980) وكان النظام التعليمي السائد في السودان الغربي لا يختلف عن سائره في المغرب والمشرق إذ علمنا أن المذهب الغالب هو المذهب المالكي وبالتالي العامل الجغرافي بين الإقليمين كان الأكثر تقاربا .

ومما يدل على اهتمام ملوك السودان الغربي بالتعليم ،.أن اغلب هؤلاء كانوا يرسلون طلاب العلم إلى بلاد المغرب للتزود بالعلم ،فقد أرسل سلطان مالي منسى موسى بعثات ثقافية إلى مدن المغرب الإسلامي وخصوصا مدينة فاس لمتابعة الدراسة والتحصيل العلمي ،واشتهر في زمنه فقيه هو ((كاتب منسى موسى)) الذي أرسله هذا السلطان ليتابع حلقات العلم المقدمة في فاس ، ثم رجع إلى بلاده وقد تمكن من مادته العلمية وبدا يدرس في المدارس السودانية (السعدي، د ت) .

كما اهتم ملوك .سنغاي اهتماما كبيرا بالإسلام ونشره ، واللغة العربية وتعليمها ، وأسسوا مراكز للعلم في كل أرجاء الإمبراطورية ، وعلى رأسها مدينة تنبكت حاضرة العلم والعلماء في غرب إفريقيا لعدة قرون ، في عهد مملكة مالي و سنغاي معا ،فكان بها أكبر نسبة من العلماء و القضاة ولهم رواتب منتظمة من الدولة ،وفيها مكاتب كبيرة

وحلقات العلم في المساجد وكانت بذلك تنبكت اقرب إلى الجامعة في العصور الحديثة (يعقوب، 2010) وقد ساهم توفر المدرسين و العلماء و مؤسسات التعليم في ازدهار الحركة العلمية في غرب إفريقيا ، كما ساهمت الكتب في ترسيخ .تقاليد فضلها ،فقد قدر أحمد بابا التنبكتي مكتبته بألف كتاب وستمائة مجلد (بابا التنبكتي، 2000) وهذا الكم يعطينا انطباع بالمكانة التي حظي بها التعليم في .حواضر غرب إفريقيا ،وقد لا تكون هناك مبالغة في العدد الهائل من التلاميذ وحفظة القرآن في تنبكت وغيرها من المدن ذات الدور السياسي و الاقتصادي في القرن العاشر هـ /السادس عشر م(عمر موسى، 2003)

إن الحركة الفكرية والعلمية في حواضر غرب إفريقيا لم تقتصر أو تتأخر عن مثيلاتها في مراكز العلم مثل فاس أو تلمسان أو القاهرة بما يعطي لهذا الإقليم من العالم الإسلامي الدور الذي لعبه في نشر الثقافة الإسلامية ورسوخها إلى اليوم في إفريقيا جنوب الصحراء عامة ومع اعتناء علماء وطلاب السودان الغربي بالقرآن وحفظه وتفسيره وما يتعلق بباقي العلوم الإسلامية ثم العلوم العقلية والمهن الحرة (الوزان، 1983) .

ازدهرت الحياة العلمية وكثرت الكتابات والمساجد وتنوعت العلوم وازداد عدد الفقهاء والقضاة والأدباء في حواضر غاو وجني و تنبكت من أهلها أو من سكنوها (بوعزيز، 2001)

فقد كان مستوى المدارس الإسلامية ،يضاهي مستوى المدارس الإسلامية الأخرى ، و لربما يزيد عنها في بعض النواحي ، فقد روى السعدي أن فقيها اسمه عبد الرحمان التميمي جاء من الحجاز بصحبة السلطان منسى موسى صاحب مالي فأقام في تنبكت زمنا ،ولما رأى رجالها وعلمائها يتفوقون عليه غادرها إلى فاس لتحسين مستواه العلمي (السعدي، د ت).

كما رحل عدد من علماء السودان الغربي إلى حواضر العالم الإسلامي ،ومن أشهرهم احمد بابا التنبكتي الذي درس في فاس ودرس في مساجدها ،وكذلك الحال للعلماء الذين هاجروا إلى غرب إفريقيا ،وأشهرهم الشيخ عبد الكريم المغيلي ،وقد اشرنا في الفصل السابق انه كان في الأزهر رواق خاص عرف بالرواق التكروري بالإضافة الى الكتب التي كانت تستقدم مع التجار والحجاج إلى حواضر غرب إفريقيا كلها تدل على المستوى اللائق الذي عرفته الحياة العلمية فقد عرف السودانيون الرحلة الى طلب العلم وتنوع مراحل التعليم وأماكنه وبرز العلماء وتنوعت مناهج ومواد التدريس واهم الآباء بتدريس أبنائهم وبلغ التعليم نفس المستوى الذي بلغه في جامعات قرطبة وتونس وتلمسان والقاهرة (ماركوف و تيمسوفسكي، 1969) .

لقد احدث الدين الإسلامي نشاطا ثقافيا وحمل اللغة العربية على الانتشار في أوسع نطاق وظلت المدارس القرآنية نبراسا لتقاليد اجتماعية (قداح، 1974) وصنعت حواضر غرب إفريقيا تاريخا مشرفا خلال عدة قرون

قبل الاستعمار الأوروبي الذي أعاد حضارة السودان الغربي إلى نقطة البداية وحاول تغيير البنية الحضارية له وتشويه التاريخ .

خاتمة :

عرف التاريخ الثقافي لحواضر غرب إفريقيا نشاطا كبيرا للمساجد التي بنيت في مناطق مختلفة ، كان لها دور عظيم في نشر الوعي العلمي والثقافي ، وعلّة ترسيخ مقومات الشخصية الإسلامية ، والحفاظ عليها والمسجد مدرسة دينية ، ودار للتهذيب والضيافة ، ومركز يجمع بين العلماء والطلبة وهو مركز إشعاع علمي وحضاري يقوم على تدريس مختلف العلوم الدينية والعقلية ، في مختلف المراحل التعليمية

ولقد استمر بناء المساجد والاهتمام بها مع مختلف السلاطين والحكام ، وفي معظم أقاليم السودان الغربي ، وهي بذلك تمثل جزء مهم من الحياة العلمية والثقافية منذ دخول الإسلام إليها وخاصة في الفترة محل الدراسة .

ولعل الكتب والمكتبات تمثل عاملا ومظهرا أساسيا لتقييم مدى انتشار التعليم ومنتوجه ، فالبرغم من صعوبة توفر الورق أو قلة الناسخين ، فإن عدد المجلدات التي نسخت أو ألّفت لتدل على مدى النشاط الذي عرفته كتابة ونسخ المؤلفات حتى عد بعضها بالآلاف كما أشرنا في هذا الفصل وكان الارتحال لطلب العلم سمة العالم الإسلامي ، كله ، ولم يكن السودان الغرب ليشذ عن هذا بالرغم من السفر ، وبعد المسافة التي تصل إلى آلاف الأميال

وهو ما يفسر قلة الطلبة الذين توجهوا إلى حواضر المغرب والمشرق الإسلاميين ولم يولي طلبة العلم للشهادات المتحصل عليها اهتماما ، فكان الطلبة يتنافسون في حفظ القرآن والحديث ، وكانت الأسر تكرمهم بإقامة الحفلات ، وترعاهم في مرحلة الطفولة

و إذا كان الحكم على ازدهار الحياة العلمية والثقافية في عصر من العصور يقوم على تقدم العلوم فإن حواضر غرب إفريقيا قد عرفت عناية العلماء بالعلوم الشرعية واللغة العربية وآدابها ولكن عنايتهم بالعلوم العقلية كالطب والفلك والحساب والهندسة وغيرها كان قليلا ذلك أن ما كان متداولاً من هذه العلوم والفنون لم يكن يخرج عن تقليد السابقين ولم يكن ممارسوه بالاستقلال العقلي وروح الابتكار والتجديد الذي يمكن ان نقرانه مع ما كان سائدا في بغداد أو قرطبة أو فاس لكن إذا ما قورن مع ماضي السودان الغربي قبل الإسلام فإننا نقول دون تفكير أن حواضر غرب إفريقيا عرفت ازدهارا علميا كبيرا وخاصة في الفترة بين القرنين (08-10هـ/14-16م).

ورغم اتساع التعليم وكثرة المدارس والكتاتيب ،وارتفاع عدد الطلبة وكثرة حفظة القرآن وتمسك السودانين بتعاليم الدين الإسلامي ،فان هذه الحواضر كانت تفتقر إلى معهد رئيسي كبير يللم شتات المثقفين في القرى والأرياف ،فكان القليل الذي يستطيع السفر إلى فاس أو القيروان وغيرها طلبا للعلم والتبحر فيه .
وعليه ظلت المدارس الموجودة في حواضر الممالك الإسلامية بغرب إفريقيا تحتفظ بخصائصها المستقلة عن المدارس المجاورة ولا تربطها علاقات تنظيم أو تسيير

وعليه بالقدر الذي كثرت فيه المدارس بالقدر الذي لم تبرز فيه جامعات كبرى ، ولم يكتب لواحدة أن تتفوق على الأخرى ، إذا استثنينا من هذا حاضرة تنبكت التي كانت بحق تشبه إلى حد بعيد الجامعة الكبرى في غرب إفريقيا هذا ما جعل الحكم على الحياة العلمية في غرب إفريقيا بمنظور أندلسي أو عربي أوروبي ،وما شهدته هذه المناطق من تطورات يجعلنا لا نزن الأحداث والتطورات بميزان العدل فعلينا قبل الحكم أن ندرس كيف كانت إفريقيا وكيف تطورت وما هي المدة الزمنية المستغرقة لبناء الحياة العلمية وتقاليدها وهل ساعدت الظروف التاريخية والتطورات السياسية مملكة مالي وسنغاي على التطور الحضاري الكافي لنقارنه بحضارة الأندلس مثلا أم أن الكثير منها – التطورات التاريخية والسياسية – كانت تعيق التواصل الحضاري ،هـ وما هي الظروف الطبيعية المحيطة ،وهل كان النظام القبلي دافع للفكر أم تراجع بسبب تمسكه بالقيم التي ظل الإفريقي يقدها ،حتى روى لنا الرحالة كابن بطوطة ،وحسن الوزان بعضا منها ،غاية في الغرابة وبعدا عن الحياة الإسلامية

إن هذه الأسئلة تحمل الإجابة عليها في نظر الباحث دعوة له إلى المزيد من الدراسة والتعمق ، وما استخلصه أن الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا وما شهدته يعد قفزة ايجابية ،وطورا كبيرا خاصة في الفترة محل الدراسة .

قد يكون دخول الإسلام إلى غرب إفريقيا أهم حدث عرفته البلاد بحيث أعطى للسكان منهاجا جديدا في الحياة يختلف كل الاختلاف عن الحياة الوثنية التي كانوا يعيشونها
لكن الباحث في مجال الحياة العلمية سرعان ما يدرك أنها كانت أهم مظهر للتطور الذي أحدثه وصول الإسلام واخرج حواضرها وقراها من الجهل والخرافات والعبودية للطبيعة القائمة على مصادر الخوف والتبعية
إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا قد تعددت و تطورت مع القرن السابع حتى غدت مع بداية القرن الرابع عشر ميلادي نموذجا خاصا في هذه الأقاليم .
إذ يرجع الفضل إلى الحركة والنهضة العلمية التي شهدتها تلك الحواضر في إخراج القارة بأكملها من عزلتها الحضارية التي عاشتها طيلة القرون التي سبقه الإسلام حتى عرفت بالظلام .

وقد فتحت هذه الحركة العلمية أبواب الاحتكاك والتفتح على العالم الخارجي خاصة المغرب والمشرق الإسلاميين فتدفقت العلوم على حواضر غرب إفريقيا وتحرك الطلبة والعلماء بحثا عن التفقه في علوم الدين ومعرفة العلوم العقلية التي توصل إليها المسلمون ويمكن أن نلخص الأفكار في النقاط التالية :

أولا : ان انتشار اللغة العربية كان في اغلب الأحيان مساير لانتشار الإسلام ،وباعتبارها لغة الدين الذي اعتنقه غالبية السكان واليه يرجع الفضل في دفع الحركة العلمية إلى المزيد من الانجازات وساهمت بدور فعال في تلاحم الحضارتين العربية والإفريقية واحتلت العربية مكانة مرموقة بين الأفارقة وتنافسوا لاكتساب مختلف المعارف فكانت هي المحرك الأساسي بعد الدين الإسلامي لتتقدم حواضر غرب إفريقيا في مختلف المجالات .

ثانيا : يعتبر التعليم بمختلف مراحلها في المساجد أو الكتاتيب في الحواضر أو في الأرياف من أهم عوامل تجذر الحضارة الإسلامية من جهة ومعلما من معالم الحضارة السودانية من جهة ثانية وان كان لا تختلف عن مناطق العالم الإسلامي الأخرى ،فتكونت تقاليد راسخة حول المعلم والطالب ووقت الدراسة والإجازات العلمية وساد التنافس بين العائلات للاهتمام بأبنائهم وخاصة في مجال تحفيظ القرآن .

ثالثا : لقد تنوعت مناهج الدراسة ومقررات العلوم الشرعية والعقلية فقد عرف طلبة الحواضر الإفريقية كل العلوم التي عرفتها المراكز الإسلامية الأخرى ،ونبع علماء فاقوا شهرتهم حدود السودان الغربي إلى فاس وتلمسان والقيروان والقاهرة والحجاز

وأود أن أشير هنا إلى تأخر في مجال العلوم العقلية إذ لم تذكر الكتب الجديد الذي جاء به الأفارقة ، فكان اهتمامهم بمعرفة مبادئ أولية في علم الحساب لاحتياجاتهم له في مجال التجارة وعد النقود وتقسيم الموارث وعرفوا القليل من علم الفلك لمعرفة الاتجاهات والمسالك والطرق وقليل من الطب والصيدلة لمواجهة الأمراض المعروفة في تلك المناطق، وشيء من علم الكلام وعلوم أخرى لم تلقى الازدهار الذي عرفته اللغة العربية والعلوم الدينية .

رابعا : إن اقل ما يقال عن مستوى التعليم أنه ساهم في محو الأمية التي عرفتها القبائل الإفريقية بيداوتها ووثنياتها وخضوعها للطبيعة والصراعات الطائفية والأباطيل والخرافات، ولم أجد في الكتب التي تناولها في دراستي هذه ما يشير إلى نسبة الأمية ، لكن استطيع التأكيد أنها كانت ضعيفة، بحكم أن السكان كانوا مسلمين ، وان المسلم عليه أن يؤدي الصلاة، ولا يستطيع فعل ذلك إلا إذا حفظ شيئا من القرآن ، ولا يحفظها إلا إذا تعلم على يد مدرس .

إن مظاهر الحياة العلمية في حواضر غرب إفريقيا بكل عناصرها تبعث على الإعجاب لما وصلت إليه من تطور، ساهم الدين الإسلامي واللغة العربية والطلبة والعلماء والحكام والعائلات في تنشيطه وجعله عنصراً من عناصر حضارة الحواضر في غرب إفريقيا .

قائمة المصادر والمراجع:

- عزالدين عمر موسى: دراسات اسلامية غرب إفريقية، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 2003.
- الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم، تلخيص وترتيب سامي الصقار، ط1، دار المريخ، الرياض 1401-1981.
- نعيم قداح: حضارة الإسلام وحضارة أوروبا، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، 1974.
- عبد الرحمان السعدي: تاريخ السودان - وقف على طبع هوداس - مكتبة أمريكا والمشرق - باريس .
- عبد الحميد جنيدي: مدينة تنبكت ودورها الحضاري خلال القرن 10هـ/16م، مذكرة ماجستير، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، 2010..
- حسن أحمد محمود: الاسلام والثقافة العربية في افريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، 2001
- أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي، دار الفكر العربي، القاهرة .
- تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقرئ: 845هـ/1441م السلوك لمعرفة دول الملوك - ج2 تحقيق محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، 1418هـ/1997م.
- محمد محمد زيتون: القيروان ودورها في الحضارة الاسلامية ط1، دار المنار بالقاهرة 1408-1988.
- جوز يفين كام: المستكشفون في افريقيا، ت السيد يوسف نصر، ط1، دار المعارف، القاهرة، 1983.
- احمد طاهر، فصول من الماضي والحاضر، ط1، دار المعارف، القاهرة 1975.
- فليكس ديوا: تنبكت العجيبة - ترجمة عبد الله عبد الرزاق إبراهيم - مراجعة شوقي عطا الله الجمل - المجلس الأعلى للثقافة - القاهرة - 2003، ص 230.
- إسماعيل العربي: الصحراء الكبرى وشواطئها، ط1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- الخطيب البغدادي: تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم. تلخيص وترتيب سامي الصقار . ط1. دارا لمريخ. الرياض 1401 - 1981، ص 65 .
- أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج، دراسة وتحقيق محمد مطيع، ج2، ط1، وزارة الأوقاف و الشؤون الدينية، المملكة المغربية، 1421هـ/2000.
- فؤاد سيركين: محاضرات في تاريخ العلوم، ط1، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض 1399/1989.

- عبد القادر زبادة : مملكة سنغاي في عهد الاسيقيين 1493-1591 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع -الجزائر -1971 . ، ص147.
- عبلة محمد سلطان: العناصر المغاربية في السودان الغربي-دورها السياسي والحضاري منذ ظهور المرابطين حتى نهاية دولة سنغاي- رسالة دكتوراه-مركز البحوث والدراسات الإفريقية- جامعة القاهرة -1999..
- يوسف الخليفة أبو بكر: الحرف العربي و اللغات الإفريقية ، مجلة المنظمة العربية للتربية و الثقافة و العلوم ، تونس 1985. ص 171.
- ابن بطوطة : رحلة ابن بطوطة (المعروف ب: تحفة النظار في غرائب الأمطار) دار بيروت للطباعة والنشر -بيروت - 1400هـ/1980م ، ص 681 .
- عبد السلام عبد العزيز فهمي : نصاب الصبيان ومسيرة ستة قرون في تعليم اللغة العربية للمسلمين غير الناطقين بها ط1 جامعة ام القرى ،المملكة العربية السعودية 1405
- محمد فاضل علي باري سعيد ابراهيم كردية : المسلمون في غرب افريقيا تاريخ حضارة ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت 2007.
- جمال زكريا قاسم : العلاقات العربية الإفريقية دراسة تاريخية للأثار السلبية ، للاستعمار ، مجلة الدراسات الإفريقية ،القاهرة ، العدد 547 ، 1977 ، 06.
- حسن عيسى عبد الطاهر : الدعوة الاسلامية في غرب افريقيا وقيام دولة الفولاني. ط1، القاهرة 1991.
- عبد العلي الود غيري : اللغة العربية : الماضي والحاضر والمستقبل ، www.biblioislam.net .12.11.2010.
- حسن احمد منصور : الإسلام والثقافة العربية في إفريقيا، ط1، دار الفكر العربي ،القاهرة ، 2001 .
- زينب احمد هاشم : زينب احمد هاشم : علاقة مصر بالدول الإسلامية في حوض نهر النيجر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين ، رسالة ماجستير ، قسم التاريخ ، معهد البحوث والدراسات الإفريقية القاهرة ، 1982، ص 144.
- الشيخ الأمين محمد عوض الله : العلاقات بين المغرب الأقصى والسودان الغربي في عهد السلطنتين الإسلاميتين مالي وسنغاي ،رسالة ماجستير ، ط1 ، دار المجمع العلمي ، جدة ، 1979 ، ص 43-44 .
- محمد الغربي : بداية الحكم المغربي في السودان الغربي-معهد البحوث والدراسات الإفريقية،القاهرة .
- الشريف الإدريسي : نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تحقيق وتعليق إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية -الجزائر - 1983، ص 296 .
- سعيد مرسي احمد سعيد إسماعيل علي : تاريخ التربية والتعليم ط1 ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1982 .
- علي يعقوب : اللغة العربية وآدابها في دولة سنغاي الإسلامية مجلة علوم إنسانية ، السنة السابقة ، العدد 45 .
2010' www.ulm.nl.

منير الدين احمد : تاريخ التعليم عند المسلمين والمكانة الاجتماعية لعلمائهم ترجمة وتلخيص وتعليق ، سامي الصقار ، ط1 ، دار المريخ ، الرياض المملكة العربية السعودية 1981م-1401هـ ،

عبد القادر زبادية : الحضارة العربية والتأثير الأوروبي في إفريقيا جنوب الصحراء ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ص 62 ، 63 .

عبد القادر زبادية : ملامح الحركة التعليمية في تنبكت، خلال القرن السادس عشر ، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 7- 8 ، 1977 .ص32.

علي يعقوب : المناهج والمقررات التعليمية في الجمهورية النيجيرية ، مجلة علوم إنسانية ، السنة السابعة ، العدد 45 ، 2010 WWW.ULUM.N.org

فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 .
-Dubois,(F), Tombouctou la Mystérieuse, paris, 1897.

- فرج محمود فرج : إقليم توات خلال القرنين الثامن والتاسع عشر ، ط1 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر 2007 .
عبد الحميد بكري : النبذة في تاريخ توات وإعلامها من القرن التاسع الهجري إلى القرن الرابع عشر ، ط1 ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ، الجزائر ، 2007 .

حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ط1 ، دار الجبل بيروت ، 2001 .
كلود قوتيه : إفريقيا للإفريقيين ، ترجمة كمال يونس ، ط1 ، دار المعارف ، القاهرة ، بدون تاريخ .

ولتر ماركوف ، هارموت تيمسوفسكي : إفريقيا على ضوء العلوم التاريخية ، مجلة الثقافة الإفريقية ، الجزائر 1969 .
يحيى بوعزيز : تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن (16-20م) دار همومة ، الجزائر ، 2001 ، ص 195 .

بن فضل الله العمري : مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ط1 مركز زايد للتراث والتاريخ 2001 .

أحمد إبراهيم دياب: لمحات من التاريخ الإفريقي الحديث- دار المريخ ، الرياض ، 1970م .

- ابن خلدون: المقدمة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ، 1413هـ/1992م .

. Barth H : voyage et decouverte dans l'afrique septentrional et central pendants les années 1845-1855-Edition 1863-Paris.

⁵ . Yattara El moulood : L'islam et les voies de sa diffusion au Mali du VIIIème au XVIème siècle. P02.www. histoire-afrique.org

Jackson, Mississippi. Sankore University: Rediscover the Glory، www.muslimmuseum.org/SankoreUniversity

Constant Hamès: « Les manuscrits arabo-africains : des particularités ? », *Revue des mondes musulmans et de la Méditerranée*, p99-100 | novembre 2002, URL : <http://remmm.revues.org/index1182.html> .31 mai 2010.

Lisa Lindsay: The Influence of Islam on West Africa.
www.spice.stanford.edu.com .22/10/2010

jon.hunwik.the influence of arabic in west africa .ahistorical survez. Trans tion.
.of the historical.society of chan .v.v//.p 24-41.WWW. *books.google.com/books*

اثر المدرسة الأهلية الفرنسية على المجتمع الجزائري أواخر القرن التاسع عشر

أ.عزة الحسين

جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2- الجزائر



الملخص:

يتناول المقال بالدراسة والتحليل اثر المدرسة الأهلية الفرنسية على المجتمع الجزائري نهاية القرن التاسع عشر، وميلاد النخبة الإصلاحية، اذ تناولت في العنصر الأول كمدخل أهم المدارس الأهلية الفرنسية التي انشأتها الإدارة الاستعمارية والموجهة للأهالي وأبناء المستوطنين، والتي تخرجت منها هذه النخبة الإصلاحية التي انقسمت إلى قسمين، فئة تثقفت ثقافة فرنسية بحتة وأخرى جمعت بين الثقافتين، ذكرت نماذج منهم عبد الحليم بن سماية، مصطفى بن الخوجة، محمد بن أبي شنب، عبد القادر المجاوي، وفي الأخير تطرقت إلى علاقة هذه النخبة بالمجتمع الجزائري وذكرت قضايا مهمة من حياة المجتمع ومواقف هؤلاء النخبة منها. الكلمات المفتاحية: المدرسة، الإصلاحية، النخبة، الأهالي، الإدارة الاستعمارية.

Résumé

cet article a traité avec l'étude et l'analyse de l'impact de l'école publique française sur la société algérienne, la fin du XIXe siècle, et la naissance de la réforme d'élite, comme il traitait du premier élément en entrée les plus importantes écoles privées françaises créées par l'administration coloniale et dirigées vers les familles et les enfants des colons, qui ont obtenu leur diplôme cette élite réformatrice, qui a été divisée en deux parties, classe de la culture française pure et d'autres recueillis entre les deux cultures, a déclaré modèles dont Abdul Halim bin Smaah, Mustapha Ben Khoja, Mohammed bin Abi Shanab, Abdul Qadir Majaoui, et dans celui-ci ont abordé la relation de cette élite société algérienne et a déclaré des questions importantes de la vie La société et les attitudes de l'élite, y compris ceux.

مقدمة:

شهدت الجزائر أواخر القرن التاسع عشر ميلادي بزوغ نخبة إصلاحية، كانت نتاجا لسياسة تعليمية استعمارية تبنتها الإدارة الاستعمارية منذ 1850 بإنشاء نماذج متعددة من المدارس والمعاهد التي تنوعت أهدافها ومقرراتها، لأجل عزل التعليم العربي الحر، واستمالة الجزائريين، وهو الشيء الذي فشلت فيه الإدارة الاستعمارية، فكانت تصدر مراسيم وقوانين منظمة لهذه السياسة التعليمية، وموازية مع ذلك لم يقاطع كل الجزائريين هذه المدارس، حيث تخرج منها تلاميذ الأسر النافذة، والذين سمووا بالنخبة وهو موضوع مقالنا الذي يكتسي أهمية

كبيرة من الجانب التاريخي والاجتماعي للجزائر حيث تتمثل أهدافه العامة في محاولة تسليط الضوء على فترة عصيبة من تاريخ الجزائر والتعريف ببغض رجالات العلم الذين قدموا إسهامات للمجتمع الجزائري، وفي هذا الصدد طرحنا إشكالية مدى تأثير هذه النخبة الإصلاحية في الحياة العامة للمجتمع الجزائري، باختلاف تكوينها وأفكارها وتفرع عنها فرضيات حاولنا الإجابة عنها باعتماد مناهج البحث المعروفة بداية بجمع المعلومة ووصفها إلى تحليلها ونقدها في بعض الأحيان وقد اشرنا إلى بعض الدراسات السابقة والتي في مجملها تكلمت عن نخبة القرن العشرين منها: النخبة الوطنية الجزائرية لصاحبها عمري الطاهر، وأطروحة دكتوراه بعنوان: حركة الشبان الجزائريين والتونسيين، للجمعي خمري وغيرها.

1- أهم المدارس الفرنسية الأهلية:

قررت الإمبراطورية الفرنسية في مطلع سنة 1850 تعليم الجزائريين للتحكم في مستقبل التعليم والثقافة في الجزائر المستعمرة، حتى تستطيع إنشاء أجيال على مقاسها يكلفون بوظائف تحتاجهم لتسيير شؤون الأهالي ويتولون مناصب الإفتاء والقضاء والتدريس والترجمة، والإمامة في المساجد الرسمية والحكومية، حتى تسيطر وتهيمن، وتكرس القطيعة بين الأجيال. (حلوش ع. 2010: 50) فبدأت في إطلاق مبادرات نوعية في مجال تعليم الأهالي، حيث تم فتح مدارس ابتدائية خاصة بالمستوى الابتدائي، أطلق عليها اسم "المدارس العربية الفرنسية" وعلى إثرها تم إنشاء "المدارس الإسلامية الثلاث لتخريج أعوان القضاء الإسلامي وموظفي الشؤون الدينية، إضافة إلى إنشاء معهدين في مدينتي الجزائر وقسنطينة. (قنان ج. 2007: 42)

أ- المدارس العربية الفرنسية: بموجب مراسيم سنة 1850 تأسست هذه المدارس، وتأخر تنظيمها حتى مجيء الإمبراطورية، لأن الهدف منه كان سياسي أكثر منه تعليمي، حيث يتكلم فيه أحد الساسة الفرنسيين فيقول "إن الغرض من نشر التعليم الفرنسي في أوساط الجزائريين عن طريق المدارس المختلطة العربية الفرنسية هو القضاء على المدارس العربية الخاصة والحرّة"، غير أن هذا المشروع لم ينجح لعراقيل حالت دون ذلك، وهي الخلاف حول طريقة (poulard, m. (...). 97). تسييرها والذي جسده قرار "11 ماي 1865" الذي نص على تكليف البلديات المكتملة الوظائف بتتح أعباء الصيانة والمراقبة، ولم تبق سوى مدارس المناطق العسكرية التي كانت تسدد مصاريفها من الضرائب المفروضة على الأهالي. (أجرون ش. 2007: 575)

ب- المعاهد الفرنسية الجزائرية:

نتج عن إنشاء المدارس العربية الفرنسية ظهور فكرة تأسيس المعاهد، حتى يواصل التلاميذ الذين أتموا دراستهم الابتدائية دروسهم، لكن بالرغم من كل هذا إلا أنها بقيت مشاريع وهمية غير هادفة، حيث أطلقت تسميات متعددة عليها منها الكوليجات وهي شبيهة إلى حد ما بالثانويات، والتي جسدها المرسوم السابق المذكور

وفقا لتقرير حرره وزير الحرب الفرنسي "فايان" سنة 1857 الذي نص على ضرورة إنشاء معهد فرنسي للتعليم وجاء فيه "نشر التعليم الفرنسي بين العائلات المنتفذة والفئات العليا من المجتمع الجزائري" (حلوش ع. 2010: 56) أشار هذا التقرير إلى سعي الإدارة الفرنسية لتكريس تعليم طبقي بين الأوساط الجزائرية حيث تنشأ فئة مغايرة تخدم المصالح الاستعمارية، وفي هذا الصدد برر "فايان" فكرته بقوله: "لقد استوجبت مقتضيات نشر التعليم في الوسط القبلي، أن نبدأ بفتح أبوابه للطبقات الراقية في المجتمع العربي وعبرها سوف نصل إلى الأوساط الشعبية، سوف يأتي أولاد القادة والعائلات الكبيرة لانتهاال المعلومات التي تناسب أوضاعهم الاجتماعية." (أجرون ش. 2007: 578. بموجب المرسوم الإمبراطوري الصادر في 14 مارس 1857 تم إنشاء أول معهد عربي فرنسي في مدينة الجزائر، لاستقبال 150 تلميذ، كلهم كانوا من أبناء الضباط والموظفين "الأهالي" والعائلات المنتفذة كما أشار له التقرير، ثم التحق به بعض الجزائريين فيما بعد بلغ عددهم 69 تلميذا، وقد تم الافتتاح الرسمي للمعهد في 1858، ثم (97: poulard, m(...)) تطور عدد التلاميذ الذي وصل الى 104 تلميذ مقابل 500 تلميذ أوربي بعد مضي سنوات تخرج من هذا المعهد طلبة قليلون توجهوا إلى الخدمة في المكاتب العربية والأعمال الأخرى الإدارية، في حين أكمل بعض الطلبة دراستهم في المعاهد الفرنسية. (حلوش ع. 2010: 57) وهم فئة قليلة جدا لان الجزائريين لم يلتحقوا بهذا المعهد للظروف والأسباب المعروفة، رغم المحفزات الكبيرة التي وضعتها الإدارة المشرفة. (أجرون ش. 2007: 590)

ج- المدارس الإسلامية الحكومية:

في 30 سبتمبر 1850 صدر المرسوم الثاني والمهم في مسار السياسة التعليمية الاستعمارية بالجزائر، الذي نص على إنشاء ثلاث مدارس إسلامية حكومية ذات مستوى عالي في كل من "تلمسان، الجزائر، قسنطينة" تختص في تخريج موظفي العدالة، الفتوى، الترجمة ومعلمي اللغة العربية في المدارس الأهلية (حلوش ع. 2010: 59) ونشر الإعلان في جريدة "المبشر" لإعلام الراغبين في تسجيل أسمائهم التوجه إلى مكتب مدير المدارس والشؤون الدراسية في الحكومة العامة، تحضير لمتحان الانتقاء فيما بعد. (سعد الله أ. 2011: 386) وضعت شروط عديدة لإجراء الامتحان منها:

- أن يتراوح السن بين 16 و22 سنة.

- شهادة إنهاء الدراسة في المدارس العربية الفرنسية.

- تعهد يلتزم فيه المترشح بالعمل عشر سنوات فعلية في مهنة التدريس.

وقد حدد الطلبة المقبولين بثلاثين طالبا، عشرة منح للأهالي وعشرين للأوربيين، وهو عدد قليل جدا، وهذا يؤكد محدودية تعليم الأهالي. (سعد الله أ. 2011: 413)

على أما برامج هذه المدارس، فتمثلت في:

- القواعد النحوية والأدب، القانون والقضاء، التوحيد

كما أعطيت ثلاث ساعات أسبوعيا للعربية، لكن المستوى التعليمي ظل ضعيفا في هذه المدارس (سعد الله أ. 2011: 414) أما عن أهداف هذه المدارس فهو كالآتي:

- خلق فئة جديدة تلعب دور الوسيط بين "الأهالي" والإدارة الاستعمارية.

- الحد من التأثير الخارجي للمساجد والمدارس الكبرى (الزيتونة، القرويين). (خليفة ع. 2004: 325)

د- مدرسة تكوين المعلمين:

بمقتضى مرسوم 4 مارس 1865 تأسست مدرسة تكوين المعلمين التي عرفت بمدرسة "بوزريعة" والتي بدأت بتكوين أبناء الأوربيين ثم التحق بها بعض من الأهالي بعد إصلاحات سنة 1883. (بوضياف س. 2014: 72)

وقد صدر هذا المرسوم وفقا لتقرير تم رفعه إلى الإمبراطور من طرف وزيرى الحرية والتعليم يشيدان فيه بالتقدم الملحوظ للتعليم الابتدائي الذي انتشر وتنوع في كل ربوع الجزائر وعليه فهم يحتاجون إلى معلمين لتأطير هؤلاء التلاميذ. (قنان ج. 2007: 58)

أعلن الوالي العام ضرورة فتح هذا النوع من المدارس بقوله: "منذ زمن طويل رضي "الأهالي" المسلمون أنفسهم بعهد أطفالهم إلى مدرسيين فرنسيين ولكن نقص وخلل طرق التعليم وخاصة صعوبة توظيف مدرسين أكفاء خلق حاجزا أفقد سيطرتنا على جيش الشباب، فان مدرسة تكوين المعلمين هي الوحيدة التي يمكن أن تعطى لهم لنا...» (دبي ر. 2011: 18)

حدد سن الطلبة الذين التحقوا بهذه المدرسة ما بين السادسة عشر والثانية والعشرين ويقبل البعض منهم ممن تجاوز السن المحددة برخصة من الوالي العام شريطة النجاح في امتحان القبول وقبوله من طرف لجنة المراقبة، هؤلاء الطلبة يزاولون مدة تكوينية تفر بثلاث سنوات بالحجم الساعي المكثف، وتضم المدرسة إلى جانبها ملحقة للطلبة الخارجين الأوربيين منهم والجزائريين والتعليم فيها مجاني، تدرس خمس ساعات في الأسبوع للغة الفرنسية وثلاث ساعات للغة العربية. (قنان ج. 2007: 59)

تم تحديد عدد الطلبة المسلمين بعشرة من ثلاثين، لكن لم يتم تسجيل سوى ثلاثة فقط سنة 1865 مقابل ثلاثين فرنسي، ثم انخفض الرقم رغم محدوديته بين سنتي 1866 و1867 إلى طالب واحد واثنان سنة 1868، وهذا

راجع إلى مسابقة الانتقاء التي كانت تميل دائما للأوربيين، وتشير الأرقام إلى إحصاء (56) دفعة بين (10): (1975). fanny, c. سنوات 1883 و 1939 بلغ فيها مجموع عدد الطلبة الجزائريين 933 طالبا وقد حدد التكوين في المدرسة بستتين، ثم أصبحت ثلاث سنوات بعد إلغاء مدرسة "قسنطينة" في 1892 وإذا لم يعثر التلميذ المعلم على منصب عمل يعمل فيه يبقى سنة أخرى رابعة تحت التدريب، أما عن الدروس الخاصة تكن فلم في متناول الجميع. (سعد الله أ. 2011: 417)

2- ظهور النخبة الإصلاحية:

يعتبر القرن التاسع عشر فترة عصيبة في تاريخ المجتمع الجزائري، إذ تعددت السياسات الاستعمارية المحضفة المطبقة في حق الأهالي، بداية بالسيطرة العسكرية على الأرض، ثم محاولة ضرب المنظومة الروحية والثقافية للمجتمع، حتى يتسنى لها بسط الهيمنة الكلية، لذلك عمدت إلى القضاء على وسط وروح هذا المجتمع، وبدأت أولى سياساتها بكسر المدرسة الجزائرية، التي كانت مزدهرة أيام ما قبل الحملة العسكرية، حيث استطاعت في غضون عشرين عاما أن تهدم جهود أجيال من الجزائريين وان تهجر كل ماله علاقة بالعلم والتعليم، متبعة في ذلك سياسة القمع والتجويع والتفجير وصولا إلى تجهيل تام وكلي، ولأجل تكريس هذه السياسة تبنت مشروع المدرسة الأهلية الفرنسية التي انطلقت بحلول عام 1850 بفتح مدارس ومعاهد اقل ما يقال عنها أنها فرنسية أكثر منها جزائرية موجهة خصيصا لأبناء الأهالي الذين خدموا الإدارة الفرنسية، من موظفين وقياد وغيرهم، مدارس قاطعها اغلب الجزائريين خوفا من مناهجها ومقرراتها، والتحق بها جزء قليل من الجزائريين، تدرسوا بكل الظروف، وتخرجوا ليصبحوا موظفين في الإدارة الفرنسية، تسموا بالنخبة الإصلاحية، الذين جمعوا بين الثقافة الفرنسية وأصولهم الجزائرية والعربية، فلا هم اندمجوا في الوسط الفرنسي ولا هم حافظوا على أصولهم. كان ميلاد هذه النخبة عسيرا مقارنة بظروف مجتمع عانى القهر والتهميش والإقصاء، حيث حرم من ابسط متطلبات الحياة، وهم مجموعة من الشباب الناشئ في المدارس والكوليجات الفرنسية، استطاعوا بفضل مناصبهم ان يرتقوا فوق أقرانهم، وان يتميزوا بعض الشيء، فزادهم الغرور بسب شعورهم بامتيازهم عن إخوتهم. (بن حيبلس ش. 2009: 75) كانوا مجموعة من الشباب يتقنون اللغتين، ينتمون إلى نخبة مثقفة درست الحضارة العربية والفرنسية معا، وفي هذا الصدد يصفهم علي مراد في مذكرته حيث يقول "كان الفتيان الجزائريين مع تصريحهم بأنهم الناطقون باسم الجماعة الإسلامية يحسون في الواقع بالراحة أكثر مع المجتمع الفرنسي" (مراد ع. 2008: 53)

تكونت هذه الفئة في المدرسة الفرنسية الموجهة للأهالي منذ انطلاقتها عام 1833 حيث التحقوا بهذه المدارس الأهلية، التي درسوا فيها اللغة الفرنسية ومبادئها وبعض العلوم الأخرى، فأصبحوا بذلك طبقة متميزة تحتل

مراكز رياضية في مجالات اجتماعية واقتصادية وأحيانا سياسية، وتخرجوا بمراتب عالية كأطباء ومعلمين وصحفيين، فاكسسبوا (fanny, c.1975: 16) مكانة مرموقة في المجتمع الجزائري المسلم.

تجمع اغلب الكتابات التاريخية أن النخبة الجزائرية تعود أصولها الأولى إلى أواخر القرن التاسع عشر، وهي الفترة التي بدأت فيها المدارس الأهلية تتوج بتخريج عدد معتبر من هؤلاء التلاميذ، وقد كانت هذه النخبة بالرغم من تكوينها الفرنسي، إلا أنها تحمل ميولا نحو الإسلام والتقاليد، والدليل أنهم اشترطوا على فرنسا عدم تخليهم عن أحوالهم الشخصية كمسلمين وطالبوا بإلغاء قانون الجنسية (سناتوس كونسيلت) (بن خليف، ع. 2009: 114) تعود البدايات الأولى للنخبة الجزائرية إلى حركة الشباب الجزائري التي ظهرت عام 1892 والتي تشكلت من مجموعة من المثقفين ثقافة فرنسية بحتة، وفئة أخرى تحمل ثقافة مزدوجة بين العربية والفرنسية، والتي كانت وسيطا بين المسؤولين الفرنسيين والأهالي لأجل نقل معاناتهم والمطالبة بتحسين ظروف المعيشة ومن أشهرهم: المجاوي، بن سماية واللذين سنخصصهم بالشرح في المباحث اللاحقة، أما الذين تتقنوا ثقافة فرنسية صرفة نذكر منهم: خليل قايد والدكتور مورسلي وإبراهيم الفخار وغيرهم (خمري ج. 2003: 78) لعبت هذه النخبة أدوارا متنوعة في تاريخ الجزائر، بالرغم من تكوينهم الفرنسي لكن ظلوا يناضلون من اجل إنقاذ المجتمع الجزائري من حالة الركود والتخلف، حيث عملوا على تحويله إلى مجتمع أوربي متأثرين بالفكر الأوربي، فتعددت محاولاتهم المتكررة، إذ تقدموا بالكثير من المقترحات للإدارة الفرنسية الهادفة إلى إصلاح المجتمع الجزائري منها:

- وضع برنامج خاص لتعليم الجزائريين موضع التنفيذ.

- إصلاح المدارس الفرنسية الجزائرية.

- نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوربية لتطوير المجتمع الجزائري (مطبقاني، ح. 2011: 37)

كل هذه المقترحات نابعة من تكوينهم الفرنسي، وطريقة تفكيرهم، إذ كانوا متطلعين لتبني إخوانهم، وجرهم إلى الحياة الفرنسية، التي تعتمد على أفكار الغرب ووسائل عيشه وطريقته في العمل وثقافته وتعليمه، وبهذا شرعت هذه النخبة في التأسيس لمشروع إصلاحي وسياسي لجزائر جديدة معتمدة على مرجعية الفكر الفرنسي وأفكار الثورة الفرنسية في إطار شعار "الحرية-الإخاء-المساواة" (بوالصفصاف، ع. 1978: 47) لكن بالرغم من كل الأفكار الإصلاحية التي حملتها هذه النخبة، فقد ظلوا رهينة ميولا تم الفرنسية، لأنهم تشتتوا بين حضارتين مختلفتين، وفي هذا الصدد يقول الكاتب الفرنسي "جون جوريس" "إننا مزقنا الشبان الجزائريين بين حضارتين، وسرعان ما فقدوا الاتصال بحضارتهم، ولكنهم غير قادرين على الدخول في حضارتنا إلا بصعوبة (عمري ط. 2004: 117)

3- نماذج من النخبة:

كان من نتائج انتشار المدرسة الأهلية الفرنسية في الجزائر ظهور نخبة إصلاحية تتلمذت في هذه المدارس، تنوعت أفكارها وتوسعت مشاربها، مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية العشرين، فتنوع نشاط هذه الأخيرة سياسيا وثقافيا والذي لم تشهده الجزائر من قبل، وهذا من اجل فك العزلة التي فرضتها فرنسا على الجزائر ومحاوله إصلاح حال المجتمع من سباته وتخلفه. (عمري ط. 2004: 17)

كان اغلب هؤلاء المتنورين الجزائريين ذوي الثقافة المزدوجة يحملون وعيا سياسيا وطنيا، يتماشى مع أفكارهم وأرائهم حيث اخذوا منهاجا جديدا في المقاومة سواء بالقلم واللسان لكن في إطار السياسة والثقافة الاستعمارية، وبهذا فتحت الطريق أمامهم لخوض تجربة جديدة لكسر التخلف والجمود الذي ميز تلك الفترة (فيلاي ع. 2014: 71) استطاع هؤلاء الشباب المثقف أن يحتلوا وظائف حكومية في الإدارة الاستعمارية، نتيجة لقرهم الفكري والثقافي من التوجه العام للسياسة الاستعمارية، وتنوع اختصاصهم فانقسموا إلى أربع فئات نوجزها كالاتي:

- فئة الأطباء الدكاترة أمثال ابن العربي، وابن بريهمات ومرسلي وغيرهم...

- فئة الأساتذة امثال: بن سديرة، بن شنب، ومدرسي مدرسة بوزريعة

- فئة العدالة والطقوس الإسلامية أمثال أبو بكر عبد السلام، وابن حبيلس وابن تومي وغيرهم....

- فئة المترجمون الذين عملوا في صفوف الجيش الفرنسي. (بن قنية، ع. 1993: 70-71)

من خلال هذه الفئات التي ذكرناها نحاول أن نميز بعضا من هؤلاء النخبة الذين اشتهروا أثناء هذه الفترة، حيث عمدنا إلى اختيار بعض الأسماء كان لهم اثر وبصمة في أوساط المجتمع الجزائري كما كانوا محل احترام الإدارة الاستعمارية، نذكر منهم:

الشيخ عبد القادر المجاوي: (1848/1914)

علم من أعلام الجزائر ولد في تلمسان، وهو عبد القادر بن أبي عبد الله محمد بن عبد الكريم ابن عبد الرحمان المجاوي نسبة إلى قبيلة "مجاوة" وهو من أسرة كريمة اشتهرت بالتعليم والدين، أبوه كان قاضيا في تلمسان مدة 25 سنة، بدأ دراسته الأولى في تلمسان ثم انتقل إلى "فاس" و"طنجة" أين أكمل دراسته في "القرويين"، ثم رجع إلى الجزائر عام 1870 أين عين مدرسا ثم خطيبا بجامع سيدي رمضان. (مياسي ب. 2012: 235)

استقر في "قسنطينة" بعد عودته من المغرب وفتح بها مدرسة سنة 1870، وأصبح ينظم مع القاضي المكلي ابن باديس الجلسات العلمية وعملا مع بعضهما البعض لأجل الحفاظ على الهوية الوطنية والعربية، فاكتمس المجاوي شهرة كبيرة في قسنطينة، وأصبح مزعجا للإدارة الفرنسية. (تركي، ر. دت: 108)

كان الشيخ المجاوي احد قادة الإصلاح في الكتلة المحافظة وكان يتمتع بشعبية واحترام كبيرين من الجزائريين، شغل رتبة أستاذ في الشريعة الإسلامية واللغة العربية في المدرسة الجزائرية الفرنسية بالعاصمة

وقسنطينة، وظل في مهنة التعليم أربعين سنة كاملة اكتسب فيها معرفة واطلاعا بشؤون الأهالي فحضي باحترام شديد لذلك يعود له الفضل في أحياء النهضة الفكرية وإيقاظ روح الإصلاح بمدينة "قسنطينة" فداعت شهرته العلمية فاقبل عليه الطلاب من مختلف أنحاء الوطن، منهم من اخذ شهرة هو الآخر فيما بعد نذكر منهم: المولود ابن الموهوب، عبد الكريم باش تارزي والسعيد بن زكري، وكلهم أصبحوا نجبا في الجزائر فيما بعد، تخرجوا على يده، تعلموا شتى أنواع العلوم من علم الكلام، الاقتصاد، العلم التربوي، وأصبحوا أساتذة بامتياز. (دبوز، م. 1971: 31)

ترك تراثا علميا ملفتا للانتباه لأنه كتب في الاقتصاد والتراث وغيرها من العلوم، حتى جعل خلفه يتكلمون عليه حيث يذكر سعد الدين بن أبي شنب انه كان سريع الكتابة، كثير التأليف (الغزارة الأدبية) وهو صحيح في كلامه إذ ترك الشيخ مؤلفات جمة في مختلف العلوم منها ما طبع ومنها من لم يطبع منها:

- إرشاد المتعلمين: وهو كتاب في النحو والبلاغة، طبع في مصر

- نصيحة المريدين وهي رسالة توجيهية، طبعت ونشرت في تونس.

- شرح "شواهد ابن هشام" وهو كتاب في النحو واللغة والأدب، طبع في مصر.

- الإفادة لمن يطلب الاستفادة، وهو كتاب شمل مسائل فقهية متنوعة.

- شرح منظومة "البدع" لتلميذه "المولود ابن الموهوب" تقديرا له وإعجابا به.

ولديه مجموعة أخرى من المؤلفات، عكست ثقافته الواسعة وشهرته الكبيرة، والتي تنهاها بعده تلميذه المجتهد المصلح المولود ابن الموهوب الذي سيؤسس لحركة إصلاحية في قسنطينة كان نتاجها العلامة عبد الحميد بن باديس. (بوالصفصاف، ع. 2005: 141)

الشيخ مصطفى بن الخوجة (1865/1915)

مثقف جزائري، يحمل ثقافة مشرقية، تأثر بالشيخ محمد عبده ومؤلفاته ومقالاته، عمل محررا في جريدة المبرشر وهو صغير السن لا يتعدى سنه سبع عشرة سنة، ثم عين مدرسا في مسجد سفير بالعاصمة سنة 1895، درس التفسير والتوحيد والفقه والأدب العربي وغيرها من المواد الفقهية والتربوية (سعد الله أ. 2011: 86)

اهتم الشيخ كثيرا بأفكار محمد عبده ومذهبه في الإصلاح إذ كان يطالع كل المقالات التي تنشر في جريدتي "العروة الوثقى" و"المنار" كما تابع مقالات الشيخ رشيد رضا وقام بتدريسها وشرحها لطلبته، لكن هذه الطريقة لم تعجب الإدارة الاستعمارية فعزلته من منصبه.

قال عنه عمر راسم "الشيخ مصطفى شاعر الجزائر كثير الاطلاع ولوع بالكتب العصرية، شغوف بمحبة الشيخ محمد عبده، وهو الذي ادخل مذهب به إلى الجزائر وعرف الناس به... (سعد الله أ. 2011: 142)

كتب الشيخ مصطفى الكثير من المؤلفات ركز فيها على الجوانب الأخلاقية والاجتماعية، كما حازت المرأة الجزائرية المسلمة حيزا هاما من كتاباته نذكر منها:

-الاكتراث في حقوق الميراث.

-اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب

عمل محررا في جريدة "المبشر" كما ذكرنا سالفًا، مع المستشرقين الفرنسيين الشيء الذي اكسبه معرفة واسعة بنواياهم وكيفية تحريفهم للحقائق والإخبار، وكان ذلك في زمن الثورة الإيرانية واحتلال مصر وثورة المهدي السوداني، حينها أصبحت له ثقافة علمية واسعة في الصحافة الاستعمارية والعالم الإسلامي، وهي ظروف كانت عاملا مهما في مؤلفاته فيما بعد، كما عمل في المطابع مصححا ومحققا لبعض الكتب منها تصحيحه لتفسير الجواهر

الحسان كما ذكرنا سالفًا، كما عمل على تحقيق كتاب "الاجتهاد" للسيوطي، وفي هذا الصدد يقول عنه "ويليام مارسي" في تقرير له وهو مدير مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية الذي فتش دروس الشيخ مصطفى في المسجد اذ أشاد به واعتبره أفضل من يعرف العربية وتكلمها بطلاقة، وبلدريته واتساع أفكاره وتسامح آرائه، واعتبره من أفضل الدعاة لنشر التحرر الفكري بين المسلمين، كان ذلك بين سنتي 1905 و1906 وهي السنة الأولى التي أصبح فيها المدرسون المسلمون تحت رقابة المستشرقين الفرنسيين، مدراء المدارس الشرعية. (الصدقي م. 2009: 103-104)

له رسائل أخرى بالغة الأهمية عاجلت مختلف المواضيع الاجتماعية والأخلاقية وحتى الصحية أهمها كما ذكرنا سالفًا كتاب "الرد على من اخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض" للسيوطي وهو الشيء الذي يدل على نزعة الاجتهادية وحبه لما هو جديد ورفضه للتقليد، كما ترك مخطوطات عالج من خلالها قضايا الإصلاح في المجتمع الجزائري الشيء الذي اكسبه مكانة عالية حتى صنف في خانة الشخصيات الإصلاحية في بداية القرن العشرين، توفي رحمه الله في سنة 1905. (بوالصفا ع. 2005: 145)

*محمد بن أبي شنب (1869/1929)

هو محمد بن العربي بن محمد أبي شنب ولد في عام 1869 بالمدينة تعلم وحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية الفرنسية بمسقط رأسه، انتقل إلى الثانوية عام 1886 ثم مدرسة تكوين المعلمين في بوزريعة، تخرج منها بعد عامين أستاذا للغة الفرنسية حاملا شهادة علمية وأخرى تقنية، تحصل على تكوين عالي في هذه المدرسة بالاستعانة بأبرز الأساتذة، حيث اخذ بنصائحهم وتوجيهاتهم بعدما تمكن من اللغة الفرنسية. (مياصي ب. 2012: 241)

عمل مدرسا وأصبح مؤلفا، كان يشارك في مؤتمرات المستشرقين الذين احتراموه كثيرا واهتموا بكتاباتاته لأنه عبر بصدق عن ثقافة الشعب الجزائري بلغتهم التي يفهمونها، فكانت مسيرته حافلة بالتأليف حيث ترك مؤلفات جمّة منها: -تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب

-اللفاظ التركية والفارسية الباقية في اللهجة الجزائرية

درس البلاغة والمنطق والتوحيد على يد الشيخ عبد الحليم بن سماية، واستطاع أن يتطلع إلى لغات أخرى وتمكن منها نطقا وكتابة وهي الإيطالية والاسبانية والألمانية واللاتينية والتركية والفارسية والعبرانية(بوالصفصاف ع.2005: 147:

التحق بجامعة الجزائر سنة 1908 وارتقى إلى رتبة أستاذ محاضر، كما نال منها شهادة الدكتوراه في الأدب حول موضوع "أبي دلامة وشعره"، وقد ساهم في نشر الكثير من المخطوطات وترجمتها إلى الفرنسية منها:

-الرحلة إلى الحجاز وهو مخطوط الشيخ الحسين الورتلاني المعروف برحلة الورتلاني

- كتاب ابن مريم: السبتان في ذكر الأولياء والعلماء يتلمسان الجزائر

-طبقات علماء إفريقيا لأبي العرب وطبقات علماء إفريقيا لأبي عبد الله بن الحارث الخنشي، وطبقات علماء تونس لأبي العرب محمد التميمي وغيرها من المعاجم والكتب والمخطوطات. و تميز ابن شنب بشخصية فذة اجتمعت فيها كل الخصال الحسنة من علم نافع وصحيح ووطنية صادقة وتفكير صحيح وإيمان قوي، وافته المنية يوم 05 افريل 1929 وفي هذا الصدد قال عنه ابن باديس "لما عرفناه فقدناه.(دبوز م. 1971: 125)

*عبد الحليم بن سماية(1866/1933)

ابن مدينة الجزائر من أبوين تركيين، اتمهن التدريس وأصبح أستاذا بالمدرسة الثعالبية، تربى في مصر، فكانت له علاقة بمحمد عبده، من رجال العلم والفلسفة والأدب في الجزائر(بوالصفصاف، ع.2005: 143)أبوه علي بن

سماية من محرري جريدة المبشر، درس في مدرسة الجزائر الشرعية الفرنسية بعد إصلاحات 1877

مصلح من العلماء المصلحين القلائل الذين نشروا فكرة الإصلاح، والتجديد قبل حركة ابن باديس، تأثر بالحركة الإصلاحية السلفية في العالم الإسلامي، وخاصة فكر الشيخ محمد عبده، إذ كان يدرس لطلابه رسالة"التوحيد"(سعدالله أ. 2011: 94)

تمكن من اللغة العربية والعلوم الإسلامية كما كان يحسن الفرنسية أيضا، زار الشام وأدى فريضة الحج، ثم انتقل إلى تونس واخذ الإجازة عن احد العلماء وهو"محمد بن عيسى الجزائري، لكن وبالرغم من هذه الثقافة المزدوجة، لم يترك مؤلفات كثيرة لأنه اهتم بالتدريس أكثر من التأليف، عدا كتاب اسمه"علاقة الدين بالفلسفة" قدمه سنة 1905 في مؤتمر المستشرقين الرابع عشر بالجزائر، لكنه لم يطبع، ولقد برر بن سماية للمؤتمرين الغرض من

تأليفه لهذا الكتاب، سوى البحث عما يسعد الإنسان ومعرفة أصله وملاحمه، وختم بحثه بقوله: "أن الإسلام يمكن تلخيصه في الثلاثية المعروفة: الحرية، المساواة والأخوة (بن خليف، ع. 2009: 114)

4-المجتمع الجزائري والنخبة:

شكل المجتمع الجزائري قضايا هامة في خطاب النخبة الإصلاحية، ومن أهم هذه القضايا:

أ-التجنيد الاجباري:

نص مرسوم 17 جويلية 1908 على إحصاء الشباب الجزائري البالغ من العمر 18 سنة قصد تجنيدهم في الجيش الفرنسي، هذا الأخير أثار حفيظة أعضاء النخبة الذين قدموا في أكتوبر من نفس السنة لائحة احتجاجية للحكومة الفرنسية على هذا القرار وطالبوا بضرورة إلغائه وتعديل قانون "الاندجيننا" ورفع نسبة التمثيل في المجالس المحلية والمساواة بين الأوربيين والمسلمين. (عمري، ط. 2004: 240)

أظهرت النخبة حماسا شديدا في قضية التجنيد الإجباري، لكونها رأت فيه فرصة لتحقيق مكاسب كبيرة، الشيء الذي عمدت إليه مصالح الحكومة العامة وهو تطبيق هذا القرار بكل ثقة، وهذا ما أشارت إليه التقارير الفرنسية فيما بعد، ولعلّ الفرصة التي رأت فيها النخبة هدفا لها هو الحصول على تعويضات وحقوق سياسية وخصوصا المواطنة مع الحفاظ على الأحوال الشخصية الإسلامية، لكن البعض منهم رفض الفكرة لأنه كان يرى فيها إبادة للشباب الجزائري واستخدامه دروعا لحماية الجنود الفرنسيين. (سعد الله أ. 1998: 163)

وعلى اثر هذا الموقف تشكلت لجنة عرفت باسم "لجنة الدفاع عن مصالح المسلمين"، التي أرسلت وفدا فيما بعد إلى "باريس" في جوان 1912 بقيادة المحامي "احمد بوضربة" من العاصمة إضافة إلى بعض وجهاء واعيان العاصمة والذين قدموا عريضة احتجاج إلى الرئيس الفرنسي "بوان كاري" جاء فيه:

-المطالبة بإلغاء قانون الأهالي وجميع القوانين الاستثنائية.

-تخفيض مدة الخدمة العسكرية إلى سنتين بدل ثلاث سنوات.

-إلغاء مكافأة التجنيد الإجباري والمطالبة بالتمثيل النيابي في البرلمان الفرنسي وباقي المجالس الأخرى (خمري ج. 2003: 337)

استجاب "جورج كلمونصو" للوفد مقدما وعودا بإدخال إصلاحات جديدة على السياسة الفرنسية في الجزائر، وحصرها في النقاط الآتية:

-انتخاب الأهالي ممثلهم في المجالس العامة للعمال بدل من تعيينهم من طرف الإدارة الفرنسية.

-التخلي على سياسة الإدماج التي رأت فيها فرنسا أنها غير ممكنة.

وقد حملوا على عاتقهم مطالبة فرنسا بضرورة تنفيذ هذه المطالب بشرط عدم تخليهم عن أحوالهم الشخصية كمسلمين، كما طالبوا بإلغاء قانون السناتوس كونسيلت 1865. (عمري ط. 2004: 240)

ولعل من أبرز الشخصيات النخبوية التي رفضت التجنيد الإجباري هو الشيخ "عبد الحليم بن سماية" والذي رفضه من بدايته، وهم بالهجرة نحو المشرق العربي في حال تطبيقه، بعدما استقال من جميع وظائفه وباع مسكنه وأهدى كتبه، وفي هذا الصدد قال: "من يقبل بهذا القانون يعتبر بعد ذلك غير مسلم" ووافقه في هذا الموقف الشيخ "محمد بوقندورة" الذي بدوره رفض التجنيد الإجباري. إضافة إلى هؤلاء الصحفي "عمر راسم" الذي كان يحرر منشورات (soualeh, m. 1937: 243) معادية لهذا القانون بخط يده ويعلقها على الجدران في الأماكن العمومية

أما عن موقف الأهالي من التجنيد فالكثير من العائلات قبلته ومنحت أولادها للسلطات الاستعمارية نظير المنح والعلاوات التي كانت تتلقاها، حيث تحسنت أوضاعهم، كما أغرتهم الإدارة الفرنسية بوضعه في التقاعد الشيء الذي تهافت عليه الكثير من شباب مناطق متعددة في الجزائر. (خري ج. 2003: 337)

سعى أعضاء النخبة إلى جعل قضية التجنيد الإجباري من الموضوعات التي استعملت كثيرا لتحقيق أهدافهم، منها استغلال جرائدهم مثل "الإسلام والراشدي واللواء" التي كتبت كثيرا حول هذا الموضوع وحاولت الظهور أكثر حيث كانت تنشر أعمدة صحافتها مثل "قضية التجنيد الإجباري" و"التجنيد الأهلي" ودعموا هذه الكتابات بعقد اجتماعات وتجمعات في مناطق مختلفة منها تجمع "عنايه" الذي حضره أكثر من 900 شاب معني بهذه القضية وترأسه الشاب "الصادق دندان" الذي قال لهم "إن الأهالي مستعدون لمشاركة فرنسا في محنتها والدفاع عن حدودها وإن الأهالي على استعداد لتقديم ضريبة الدم، لكن مقابل هذا نطالب فرنسا أن تمنحنا حقوق سياسية كالتخفيف من الضرائب وإلغاء الحراسة البلدية والمسؤولية الجماعية، والقضاء على قانون الأهالي" (عمري ط. 2004: 95) لكن رغم كل هذه المحاولات من النخبة إلا أن تقارير المصالح الاستعمارية تذكر أن نشاطات النخبة كانت محدودة جدا ولم تكن لها امتداد جذري في الأوساط الأهلية. (سعد الله أ. 1998: 163)

ب- الإدماج والتجنس:

طالبت النخبة منذ البداية بالتجنيس الكامل والاندماج، ولم يشترطوا سوى عدم التخلي عن الأحوال الشخصية كمسلمين، كل هذا بهدف إيجاد نوع من التعايش بين الأهالي المسلمين والأوروبيين وإدماج المجتمع الجزائري (عمري ط. 2004: 95)

شهدت هذه الفترة فتح باب التجنيس، واعتبرته الإدارة الفرنسية باب للتمتع بالحقوق السياسية الفرنسية، وأصبح المسلم الجزائري له الحق في طلب حقوقه السياسية بسهولة كاملة خاصة عندما يتخلى عن أحواله الشخصية. (سعد الله أ. 1998: 163)

قبل جماعة النخبة مبدئيا التجنس بالجنسية الفرنسية والدخول تحت القانون الفرنسي، وكانوا ينظرون إلى الدين الذي كان حائلا دون التجنس انه قضية ضمير شخصي ليس قانونا ينظم حياة المسلمين، لكنهم اصطدموا بالموقف (souleh, m. 1937: 58) الجماعي للشعب الجزائري الراض جملة وتفصيلا للتجنيس. وبهذا الموقف الجماعي الراض لفكرة التجنيس الذي كانت تتحكم فيه الأفكار الدينية، كان من الصعب تدريب شعب بأكمله على الحياة الديمقراطية الدخيلة عليه. (بلا ح ب. 2013: 69)

ج- التعليم:

من القضايا الجوهرية التي ركز عليها النخبة هي قضية تعليم الأهالي وهو باب واسع صدرت فيه مجموعة كبيرة من القوانين والمراسيم المنظمة والمشكلة للسياسة التعليمية، في ظل جمود فكري وأنحطاط شبه كلي تعمدته السلطات الاستعمارية لأجل تجهيل الشعب والقضاء على كل محاولات التعليم الإسلامي الحر، وهو مخطط تبنته الإدارة الفرنسية منذ دخوله الجزائر الذي بني أساسا على إفراغ المجتمع الجزائري من هويته وسلخ شخصيته حتى يذوب كيانه تماما، وهذا بغلق كل السبل الرامية لتعليم الجزائريين، لغة وطنهم ودينهم، وهو ضرب المدرسة في العمق. (بوالصنصاف ع. 1998: 41)

ونتيجة لهذه السياسة المححفة في حق شعب اعزل تحطمت المدارس وحولت المساجد إلى كنائس فتمزقت وحدة المسلمين الفكرية والاجتماعية، فتشتت العلوم وهاجر العلماء وتقلصت وحدة القبائل التي كانت تربطها الثقافة العربية الإسلامية (سعد الله أ. 1998: 165)

اعتبرت جماعة النخبة مسألة التعليم من المسائل الكبرى، لذلك سخرت كل جهودهم وأعمالهم للتدريس، ومحاربة الواقع المر والمزري الذي طبعه الجهل، منهم على سبيل المثال: عبد القادر المجاوي، الذي حارب البدع والخرافات وعمل على تحريك المجتمع نحو العلم والمعرفة بفضل مؤلفاته المتنوعة في التربية والإصلاح. كما ساندته جماعة من النخبة الفرنسيين الذين رأوا أن الحضارة الإسلامية لا تمنع التقدم العلمي الإنساني، لذلك تقدموا باقتراحات عديدة نذكر منها:

- وضع برنامج خاص لتعليم الجماهير الجزائرية موضع التنفيذ.
- إصلاح المدارس الجزائري الفرنسية وتطوير مناهجها ومقرراتها.
- نشر التعليم الفرنسي والثقافة الأوربية لتطوير المجتمع الجزائري. (بن خليف ع. 2009: 114)

وقد طرحت مسألة التعليم بقوة في برامج النخبة فيما يخص تعليم الأهالي، فبرزت في كتابة العرائض، كما شملت الوفود التي لطالما تقدمت إلى الإدارة الفرنسية لأجل توضيح وتقديم المطالب أواخر القرن التاسع عشر، مثل مطالب بلقاسم بن سديرة التي تناولت إصلاح شؤون التعليم العربي وإعادة الاعتبار للقرآن الكريم، لكن بالرغم من هذه المطالب والعرائض المقدمة من طرف النخبة إلا أن التقارير الفرنسية تشير كما ذكرنا سالف أن نشاطاتها كانت محدودة ولم يكن لها أي امتداد في الأوساط الشعبية، وأنها كانت أي جماعة النخبة تبحث وتطمح لتحقيق مصالحها الذاتية بعيدا عن مصالح الأمة الجزائرية. (عمري ط. 2004: 95)

خاتمة:

من خلال دراستنا هذه للنخبة الإصلاحية التي ميزت نهاية القرن التاسع عشر نستنتج الآتي:
أولا: محاولة فرنسا الاستعمارية ذر الرماد في الأعين بإنشائها مدارس وهمية قاطعها اغلب الجزائريين.
ثانيا: ميلاد نخبة من أبناء الأعيان تدرسوا في هذه المدارس وتخرجوا منها لخدمة الإدارة الاستعمارية.
ثالثا: تنوعت مواقف هذه النخبة بتنوع مشارفها وتكوينها، إذ نجد فيها من ذابت في الحضارة الأوربية، وفيها من كانت ثقافته مشرقية حافظت على أحوالها الشخصية دون الخروج على سلطة المستعمر.
رابعا: تعددت وتنوعت مواقف النخبة في العديد من المواقف التي مست قضايا وجوانب مهمة في تاريخ المجتمع الجزائري.

خامسا: تركت هذه النخبة الكثير من الآثار العلمية وساهمت إلى حد ما في تثقيف المجتمع الجزائري ولو في حالات معزولة ومتفرقة.

قائمة المصادر والمراجع:

الكتب:

- 1- أجرون، أندري، شارل. (2007). الجزائريون المسلمون وفرنسا (1871/1919) (ج1). الجزائر: دار الرائد للكتاب.
- 2- الصديق، محمد الصالح. (2009). أعلام المغرب العربي (ط1. ج1). الجزائر: المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية.
- 3- بوالصفصاف، عبد الكريم. (2005). الفكر العربي الحديث والمعاصر. محمد عبده وعبد الحميد ابن باديس نموذجاً (ج1). الجزائر: دار الهدى.
- 4- بلاح، بشير. (2013). مواقف الحركة الإصلاحية الجزائرية من الثقافة الفرنسية (1925-1940). الجزائر: عالم المعرفة للنشر والتوزيع.
- 5- بن حبيلس، الشريف. (الجزائر كما يراها احد الأهالي). (ط1). الجزائر: دار بهاء الدين للنشر والتوزيع.
- 6- بن خليف، عبد الوهاب. (2009). تاريخ الحركة الوطنية من الاحتلال إلى الاستقلال (ط1). الجزائر: دار طليطلة.
- 7- بن قينة، عمر. (1993). صوت الجزائر في العربي الحديث (أعلام، قضايا، مواقف) الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

- 8- تركي، رايح. (دس). الشيخ عبد الحميد بن باديس فلسفته وجهوده في التربية والتعليم (1940/1900). الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- 9- حلوش، عبد القادر. (2010) سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر. (د ط) الجزائر: دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع
- 10- دبوز، محمد علي (1971). نهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة. (ج 2. ط 1). الجزائر: المطبعة العربية.
- 11- سعد الله، أبو القاسم. (1998). الحركة الوطنية الجزائرية (1930/1900) (ط 4. ج 2). لبنان: دار الغرب الاسلامي.
- 12- سعد الله، أبو القاسم. (2011). تاريخ الجزائر الثقافي. (ط خ) (ج 3). الجزائر: عالم المعرفة. للطباعة والنشر والتوزيع.
- 13- فيلاي، عبد العزيز. (2014). بحوث في تاريخ المغرب الأوسط في العصر الوسيط (ج 1). عين مليلة: دار الهدى.
- 14- مياسي، إبراهيم. (2012). مقاربات في تاريخ الجزائر (1830-1962). الجزائر: دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع.
- 15- مراد، علي. (2008). الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر. (1940/1925). الجزائر: دار الحكمة.
- 16- مطبقاني، مازن صلاح، حامد (2011). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية (1931-1939). الجزائر: عالم الأفكار.

17-Fanny, collona (1975). Instuteurs Algériens (...). Alger : (opu).

18-Poulard. Maurice (1910). L enseignement pour les Indigènes en Algérie (...). Alger : Imprimerie Administrative Gogosso.

19-Soulah Mohamed (1937). La Société Indigène de L'Afrique du Nord (p3). Alger : la typo-litho et gulecarbonel éditeur.

المقالات:

- 1- بوضياف، سميرة (2014). ملامح تكوين المعلمين والأساتذة في الفترة الاستعمارية. مجلة البحوث والعلوم الإنسانية (8)، 72.
- 2- خليف، عبد القادر. (السنة الثالثة. افريل 2004). السياسة التعليمية في الجزائر. الشهاب الجديد. (3). (مج 3)، 325 - 340

الملتقيات:

-قنان، جمال. (2007). التعليم الأهلي في عهد الاحتلال (1830-1944). أعمال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال (1830-1862). الجزائر.

رسائل الماجستير والدكتوراه:

- 1- بوالصفصاف، عبد الكريم. (1978). جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية (1936/1945). رسالة مقدمة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة في التاريخ. جامعة قسنطينة. الجزائر.
- 2- خمري، الجمعي. (2003). حركة الشبان الجزائريين والتونسيين (1900-1930). أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة منتوري قسنطينة. الجزائر.
- 3- دبي رايح (2011). السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الرد عليها (1830/1962). أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية. جامعة الجزائر. الجزائر.

4- عمري، الطاهر. (2004). النخبة الوطنية الجزائرية ومشروع المجتمع (1940/1900). مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر. جامعة منتوري قسنطينة. الجزائر

تاريخ الاستلام: 2017/08/23 - تاريخ التحكيم: 2017/10/11 - تاريخ النشر: 2017/12/30

الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة تبسة 1930-1954

أ. نصيرة برهمي

جامعة خميس مليانة - الجزائر



الملخص:

تتناول هذه الدراسة الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية بمنطقة تبسة في الفترة بين 1930 و1954، ولقد بلغت هذه الأوضاع حدا كبيرا في التدهور والتدني، وعاش سكان المنطقة الفقر المدقع، وتعرضوا إلى الأمراض والأوبئة الفتاكة، كما تفشى الجهل في أوساطهم وهذا من جراء تطبيقات قوانين السياسة الاستعمارية القائمة على مصادرة الأراضي في إطار تشجيع سياسة الاستيطان فضلا عن منع الغابات وفرض الضرائب الباهظة واستنزاف الثروات الطبيعية من خلال إقامة صناعة استخراجية خدمة للاقتصاد الفرنسي، كما قامت هذه السياسة على تجهيل الجزائريين عن طريق غلق مدارس التعليم العربي الحر وشن مختلف الضغوطات عليه وحرمان الجزائريين من التعليم الفرنسي.

الكلمات المفتاحية: تبسة، مصادرة الأراضي، السياسة الاستعمارية، الاستغلال، الجهل.

Abstract:

This study is devoted to explain the economic and social situations in the region of Tébessa between 1930 and 1954, The colonial policy based an confiscation of lands to encourage colonisation led to the deterioration of life in the region, and people lived in poverty, and illiteracy, Many fatal diseases overwhelmed the whole region, The French authority imposed taxes and exploited the natural resources to develop the French economy, the French policy was based on spreading illiteracy among the Algerians by closing free Arabic education schools and forbade Algerians from going to the French schools.

Key words Tébessa, confiscation of lands, The colonial policy, exploitation, illiteracy

مقدمة:

تدهورت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة تبسة، وازدادت حدة التردّي قبل الثورة التحريرية، ففي المجال الاقتصادي ساد القطاع الزراعي التقليدي، سعى من خلاله الفلاحين إلى تغطية حاجاتهم الغذائية، أثر على هذا القطاع السياسة الاستعمارية مثل فرض الضرائب، مصادرة الأراضي، حضر الغابات....، أما في مجال الصناعة أنشأت السلطات الاستعمارية صناعة إستخراجية تمثلت في مناجم الحديد والفوسفات في ونزة، الكويف وغيرها وهذا لاستنزاف هذه الثروات خدمة للاقتصاد الفرنسي.

وفي الميدان الاجتماعي اشتغل سكان منطقة تبسة في أنشطة الفلاحة أو كعمال في شركات منها الشركات المنجمية، وعاش التبسيون الفقر المدقع، حتى أن بعضهم اقتاتوا من الحشائش، وفي ظل غياب المرافق الصحية وانعدام وسائل الوقاية تعرضوا في الكثير من الأوقات إلى الأوبئة الفتاكة، كما انتشرت ظاهرة البطالة بالمنطقة، وعجز بعض الفلاحين عن ممارسة نشاطهم الفلاحي ونزحوا إلى المدينة، تفضي الجهل لغلق السلطات الاستعمارية المرافق التعليمية منذ بداية الاحتلال فبادر بعض أبناء تبسة إلى إقامة تعليم عربي خاص كان له وقع في خفض نسبة الأمية بالمنطقة.

طبيعة الموضوع وحدوده وأهدافه:

دراسة في التاريخ المحلي لمنطقة تبسة الواقعة شرق الجزائر، يحدها شمالا منطقة سوق أهراس، جنوبا الوادي، شرقا تونس وغربا وجنوب غربي منطقتي خنشلة وأم البواقي، وقد تم هيكلتها إداريا إلى بلدية تبسة المختلطة، بلدية مرسط المختلطة، بلدية تبسة كاملة الصلاحيات، بلدية تبسة الأهلية، ويتمثل الإطار الزمني لموضوع البحث في الفترة من 1930 إلى 1954، وهي فترة حرجة ومهمة جدا في تاريخ الجزائر حيث مرت مئة سنة على الاحتلال وتام السيطرة الفرنسية على جميع الميادين وتطبيق سياسة استعمارية قاهرة استنزفت الطاقات المادية والبشرية للأهالي فضلا عن حرمانهم من أبسط الحقوق المعيشية، أما أهداف الدراسة فتتمثل في:

- تسليط الضوء على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المنطقة في الفترة المذكورة ومدى تأثير السياسة الاستعمارية على هذين الجانبين.

- تشجيع الدراسات المحلية على أساس أنها لبنة لكتابة التاريخ الوطني، هذه الدراسات التي تعتبر مُعَيَّبة تماما في مجال الكتابات التاريخية الوطنية نظرا للصعوبات والعراقيل التي يواجهها هذا النوع من البحوث والتي ترجع في مجملها إلى شح المصادر بمختلف أصنافها.

إشكالية ومناهج الدراسة:

كيف كانت الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في منطقة تبسة في الفترة من 1930 إلى 1954؟، وإلى أي مدى ساهمت السياسة الاستعمارية والنظم الفرنسية الجائرة في تدهور هذه الأوضاع وفي معاناة الجزائريين؟، ولمعالجة هذه الإشكالية تم استخدام المنهج التاريخي التحليلي الوصفي الموضوعي من خلال وصف أوضاع أهالي المنطقة وظروف معيشتهم، وتحليل الأسباب والعوامل التي أدت إلى ذلك ومدى تداخلها مع التركيز بشكل بارز على السياسة الكولونيالية بالإضافة إلى الاعتماد على المنهج الإحصائي من خلال ذكر النسب والإحصائيات لما تم التطرق إلى صناعة الحديد والفوسفات بالمنطقة، وكذا نسب سكان بلديات المنطقة وتعداد مدارسها ومعلميها وأيضا تلاميذها وغير ذلك، ولم يتم التعرض سابقا لهذا الموضوع بشكل مفصل باستثناء إشارات واردة في دراسات قليلة جدا أولها الموسومة بالمنظمة الخاصة (مؤامرة تبسة)، ودراسة ثانية مُعَنَوَنة بنظرات فاحصة في تاريخ تبسة وجهاد أهلها، وكذا دراسة ثالثة تحت اسم دور عمال

المناجم الجزائرية في ثورة التحرير (المنطقة الحدودية الشرقية نموذجاً 1954-1962) للأستاذ الدكتور عبد الوهاب شلالي ودراسة أخيرة عنوانها اللاحثون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956-1962 للدكتور صالح عسول.

- الأوضاع الاقتصادية:

طبقت السلطات الاستعمارية منذ دخلت قواتها الجزائر سياسة عملت من خلالها على تجريد السكان من أراضيهم ومنحها للكولون في إطار ما يسمى بالاستيطان، كما سنت القوانين الرادعة ضيقت من خلالها على معيشة المدنيين، استنزفت الثروات الطبيعية لخدمة اقتصادها، مارس سكان تبسة أنشطة الفلاحة، والتي تأثرت سلباً بالسياسة الفرنسية المذكورة، ولم يستفيدوا من الثروات التي يزرع بها إقليمهم.

أ- الفلاحة:

إن أهالي تبسة ريفيون بالدرجة الأولى، وعلى ذلك ساد نشاط الزراعة¹ (أنظر التعليق رقم 01) وتربية الماشية، وكان هذا النشاط هو مصدر الرزق للسواد الأعظم من سكان المنطقة، إلا أنه تقهقر بسبب انعكاسات السياسة الاستعمارية الفرنسية، وهذا بدوره أثر سلباً على مداخيل فلاحي المنطقة وعلى ظروف معيشتهم.

غلب على الزراعة في تبسة زراعة الحبوب (القمح والشعير)، وكان الفلاح إما أن يعمل ويشغل بأرضه، حيث يقوم بعملية الحرث في موسم الخريف، ثم الحصاد صيفاً وبهذا يوفر مؤونته السنوية كما يوفر قيمة البذر للموسم القادم، وقد يكون الفلاح معوزاً تفرقه تغطية نفقات البذر، أو يكون معدماً دون أرض لأن السلطات الفرنسية قامت بمصادرتها أو أنه باعها لشدة الحاجة أو لسداد الضرائب الكثيرة، ففي هذه الحالة يضطر للعمل لدى غيره بصفته خماس (شهادة بودبوس، ي).

كانت طرق الزراعة لدى أهالي تبسة بدائية جداً ولم يعرفوا إطلاقاً الزراعة الواسعة ولا المناوبة الزراعية، وكانت عملية الحرث تتم باستعمال المحراث الخشبي التقليدي والذي يتم جره عن طريق حصانين أو بغلين، لم يستعملوا المشط والمرداس، وكانت عملية الحصاد تتم في شهري جوان وجويلية بالمنجل، وبالنسبة لعملية الدرس استعملوا البهائم وكانوا لا يزرعون فوق حاجتهم، أما فيما يخص أنواع الزراعات فضلاً عن زراعة الحبوب المذكورة سابقاً كانوا يزرعون بنسب ضئيلة البطاطس، الدُّرى، أشجار التين، التين الشوكي، الرمان، التمور، القرع والدلاع والمشمش والزيتون بنقرين وفركان، وأستخدم الزيتون للإنتاج المحلي، وتمت مبادلة الفائض بالقمح والصوف (كاستال، ب: 104، 111-112).

لأن الأرض هي مصدر رزق الجزائري ولأن هذا الأخير كان أكثر ارتباطا بما عمل الاستعمار الفرنسي بكل وسائله السياسية، العسكرية والقانونية على تكريس مشروعه الاستيطاني والقائم على حرمان الجزائريين من أراضيهم ومصادرتهم بنزع الملكية واقتلاع الفلاحين من جذورهم (عسول، ص. 2009: 09) وسن القوانين التي تهدم تدريجيا العلاقة بين الفلاح وأرضه (المدني، أ توفيق. 2010: 474)، ومن المتفق عليه أن أراضي منطقة تبسة كانت اغلب ملكيتها ملكية عرش (كاستال، ب: 102) فتضرر أصحابها كثيرا من جراء تطبيقات التشريعات الفرنسية الجائرة، حيث تعرضت أراضيهم إلى المصادرة أو القسمة، وفي ظل هذه المعطيات وبالإضافة إلى طرق وأساليب الزراعة البدائية والتقليدية² (أنظر التعليق رقم 02) الموروثة (شهادة بودبوس، ي) وصعوبة إن لم نقل استحالة حصولهم على أي نوع من القروض والتسهيلات (أجيرون، ش رويبر: 134)، وتحت وطأة ثقل الرسوم والضرائب المرتفعة الثمن كان أهالي منطقة تبسة بالكاد يحققون تغطية متطلباتهم الغذائية واكتفاءهم (شهادة بودبوس، ي) الذاتي³ (أنظر التعليق رقم 03) وفضلا عن السياسة الاستعمارية وما أفرزته من عراقيل وصعوبات في وجه الفلاحين فقد عانوا أيضا من مشاكل الطبيعة أهمها ظاهرة الجفاف والتي مثلت خطرا حقيقيا على المحاصيل والمنتوجات الزراعية والمواشي (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 11/25 إلى 1944/12/2).

لتحسين ظروف النشاط الفلاحي وتفعيل نتائجه أكثر تم تأسيس النقابة الجهوية لفلاحي بلدية تبسة المختلطة وبلدية تبسة كاملة الصلاحيات وبلدية مرسط المختلطة بتاريخ 17 فيفري 1945 من طرف بعض مناضلي الحزب الشيوعي وهم يونس كش، الزين بوقصة، مختار حشيشي، لخضر بوعكاز، عمارة بيازة (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 02/11 إلى 1945/02/17).

يُعدُّ نشاط تربية الماشية⁴ (أنظر التعليق رقم 04) من الأنشطة الأساسية في منطقة تبسة بحكم طابعها الريفي والقَبلي الغالب، تمت ممارسته في الشمال وفي الوسط (منطقة السهول الكبرى) وكذلك في الجنوب بنقرين وفركان (شهادة بودبوس، ي)، يتطلب هذا النشاط مصادر مياه كبيرة ومراعي شاسعة لتوفير حاجيات هذه الأعداد الهامة من القطعان (عسول، ص. 2009 : 22).

تقهقر هذا النشاط بتبسة نتيجة عدة عوامل منها الجفاف والذي دفع أحيانا بالفلاحين إلى الاتجاه نحو الشمال أملا في وجود مراعي لقطعانهم (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 04/14 إلى 1945/04/21)، وأحيانا أخرى أدى بهم إلى بيع مواشيتهم على حافة الطرقات بدلا من الأسواق، وكان شراؤها يتم من قبل فلاحين آخرين ميسورين نوعا ما (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 04/21 إلى 1945/04/28).

ومن عوامل التقهقر أيضا حَظَر الغابات والتي كانت تمثل مراعي لقطعان الماشية بالإضافة إلى مصادرة الأراضي المنتشرة بالغابات واستيلاء المعمرين على أغلب المراعي وتحويل قسم منها إلى أراضي زراعية وتأجير ما تبقى منها بمبالغ

مرتفعة، وفرض الضرائب على الرعاة بمجرد المرور بالغابات مما وضعهم أمام خيارين إما التوجه بقطعانهم نحو الأراضي الصحراوية أو الخضوع لهذه التشريعات الجائرة (عسول، ص. 2009 : 10-11، 24).

وفي إطار المعرفة السطحية والمحدودة بأوبئة الحيوانات وبسبب غياب تكفل المصالح البيطرية عانى مربو الماشية بتبسة من داء الحمى القلعية والتي أودت بحياة أعداد كبيرة من قطعان الأغنام والأبقار (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 11/25 إلى 1944/12/02).

وهناك من مُرَبِّي الماشية من فقد قطعانه وحتى أرضه وعجز عن ممارسة نشاطه نتيجة ثقل القوانين الاستعمارية وارتفاع تكاليف النشاط الفلاحي وقسوة نظام الضرائب فإضطر إلى العمل في إطار ما يسمى لدى أهالي تبسة بالصرميتة، بحيث يودع لديه عدد معلوم من الماشية من طرف مُرَبِّي آخر، فيقوم برعي هذه الأغنام، يعتني بها ويجز صوفها، يتابعها ويوفر لها جميع متطلباتها من علف، زريبة، يسهر عليها لاسيما في مواسم الولادة، يحافظ عليها لمدة معلومة وكل فائض عن رأس المال بعد هذه المدة يقسم بين المودع والمودع لديه مناصفة، أما إذا حدث وسُجِّل عجز وتراجع في رأس المال فيقع على عاتق المودع لديه تغطية قيمة هذه الخسارة، وقد عُمل بهذا النظام في الشرق الجزائري ولا يزال معمولا به لحد الآن لاسيما بعدما عرفت الجزائر ما يسمى بالنزوح الريفي (شهادة براهمي، ه).

كان فلاحو تبسة من النمامشة يرحلون في فترات الشتاء القاسية باتجاه الجنوب قنتيس مثلا (كاستال، ب: 87) ثم يعودون إلى أراضيهم بالمناطق الشمالية بعد الفترة الباردة، سيطرت الإدارة الفرنسية على أراضيهم الخصبة بهذه المناطق ودفعتهم إلى الاتجاه جنوبا مما شكل عزلتهم وجعلهم يواجهون العراقيل التالية: ندرة المياه، صعوبة تأقلم المواشي مع المناخ الصحراوي، صعوبة تلبية حاجياتهم العائلية اليومية، وهكذا قضت السياسة الفرنسية على نظام البدو الرحل (عسول، ص. 2009 : 23-24).

ب- الصناعة:

لم توجد بالجزائر في فترة الدراسة صناعة تحويلية ولقد اعتمدت السلطات الإستعمارية على الصناعة الاستخراجية⁵ (أنظر التعليق رقم 05) كالمعادن (عسول، ص. 2009: 25) والتي شكل قاعدتها عدة مناجم بالشرق الجزائري وأشهرها يقع بمنطقة تبسة وهي مناجم بوخضرة ووزرة للحديد، منجم الدير الشمالي للفوسفات، منجم القنقيط، منجم المسلولة، منجم خنقة الموحد للزنك، منجم عين كيسة وذيبة للفوسفات، ومنجم الكويك للفوسفات أيضا (شلاي، ع الوهاب. 2010: 42).

كان إنتاج الحديد بتبسة موجه خصيصا إلى التصدير مرتبط بالطلب الأوروبي وبالأسعار الدولية للحديد (شلاي، ع الوهاب. 2010: 42)، وقد بلغ إنتاجه وتصديره بمنجمي بوخضرة ووزرة سنة 1922 وهي سنة بداية الاستغلال 214.894 طن و 946.811 طن سنة 1925، وانخفض إلى 264.681 طن سنة 1932، واستمر في الانخفاض

إلى 78.059 طن سنة 1941 بسبب تأثيرات الحرب العالمية الثانية، ليعرف الإنتاج قفزة قوية بحيث ارتفع إلى 2056.829 طن سنة 1949 (INPED: 136).

أما بالنسبة لإنتاج الفوسفات⁶ (أنظر التعليق رقم 06) في الجزائر سيطرت عليه مؤسستان فرنسيتان كبيرتان هما المؤسسة المنجمية لمزايتة التي كانت تستغل منجم المزايتة قرب سطيف ومؤسسة فوسفات قسنطينة التي كانت تملك مناجم الكويف، وهي أهم وأغنى مناجم الفوسفات في الجزائر، قدرت نسبة الفوسفات فيها بين 60% و70%، وخلال خمسينات القرن الماضي قررت السلطات الاستعمارية الاعتماد على ثروات منطقة تبسة كقاعدة لتطوير قطب عناية الاقتصادي وكامل الجهة الشرقية للجزائر (شلاي، ع الوهاب. 2010: 27-28).

حققت الشركة الفرنسية التي تسيطر على إنتاج الفوسفات لجهة الشرق مع مطلع 1953 حوالي 177 مليون فرنك فرنسي قديم من الأرباح (عسول، ص. 2009: 25)، أما إنتاج منجم الكويف للفوسفات فقد بلغ 682.083 طن سنة 1954 أي ما يعادل 90% من نسبة إنتاج الفوسفات بالجزائر (شلاي، ع الوهاب. 2010: 36).

لِعَلْبَةِ الطابع الريفي على منطقة تبسة يُسجل غياب الصناعات⁷ (أنظر التعليق رقم 07) الخفيفة، وقد لجأ سكانها في إطار السعي لتوفير لقمة العيش إلى ممارسة بعض الصناعات ذات المدخول الهزيل مثل صناعة القطران، حيث يتم قطع أشجار العرعر وحرقتها بطريقة خاصة مع منع تسرب دخانها عبر الهواء، وهذا ما يتولد عنه مادة القطران، هذا الأخير الذي كان كثير الاستعمال لاسيما في مداواة حالات الشقيقة، علاج للخمول والجمال والماشية من داء الجرب، كما مارسوا حرف أخرى كصناعة الأواني الفخارية والطينية مثل قدور الطهي، قدور تخزين الزبدة، الطواجين، الأواني الخشبية مثل القصاع، وكذلك الصناعات النسيجية مثل صناعة البرانيس والقشايية والخيم والتي يتم نسجها من شعر الماعز وصوف الغنم، وعرفوا أيضا صناعة الأفرشة والأغطية والزراي، علما أن هذه الصناعات النسيجية في الريف كانت تنجزها أنامل المرأة النموشية أو اليحياوية (شهادة براهمي، ه)، أما في المدينة فكان يقوم بها بعض اليهود الذين كانت لهم محلات خاصة وكذلك بعض التونسيين الساكنين بتبسة (كاستال، ب: 109)، كما اضطلع اليهود بحرفة الخياطة ومارس القليل من أهل تبسة صناعة الأحذية، وكان أشهرهم حسين مخلوف والذي كان يملك ورشة صغيرة بساحة الديوانة (شهادة سواعي، ن الدين).

ج- التجارة:

رغم الغياب الكلي للصناعات ومحدودية الإنتاج الفلاحي كانت لمنطقة تبسة في الجزائر المستعمرة مبادلات تجارية مختلفة منها ما كان يتم بأسواقها المحلية، ومنها ما كان يتم خارجها كالاتي:
كانت المبادلات التجارية تتم في الأسواق اليومية المقامة في المدن والقرى وفي الأسواق الشعبية الأسبوعية مثل السوق الأسبوعي بالكويف والذي تُعرض فيه الأنعام، المواد الغذائية، الحبوب، التمور، الخضر، الفواكه والألبسة... وكذلك سوق

الماشية والحبوب بالشرية، سوق الماء الأبيض، سوق مدينة تبسة والذي تتنوع مبيعاته بين أغنام، أبقار، دجاج، أدوات فلاحية، أواني فخارية، ملح، تمر، جلود، حبوب، أفرشة، حلي... (شهادة بودبوس، ي).

سعيًا لتحقيق أرباح تجارية وللسيطرة أكثر على السوق عملت الإدارة الاستعمارية على تحديد الأسواق في اجتماعات المجالس البلدية الخاصة ببعض المناطق مثل بلدية تبسة المختلطة والمناطق المجاورة لها، بحيث يتم تحديد الأسواق الأسبوعية بالشرية، بئر العاتر، ثليجان... فضلًا عن تحديد المدة الزمنية لتسييرها بموجب جملة من القوانين والضوابط التي تحكمها، وقد وُضِعَ لعملية استغلال الأسواق دفتر شروط يحدد شروط وكيفية الدخول في المزاد العلني وتحديد المكوس على مختلف المعروضات سواء كان الإنتاج حيواني أو نباتي أو صناعات تقليدية (عسول، ص. 2009 : 28).

من المبادلات التجارية تسويق الإنتاج الحيواني بسوق الشريعة وبالأسواق المجاورة بمخشلة، تبسة المدينة، مسكيانة، عين البيضاء، ومقايضة أهالي نقرين وفركان الزيتون بالقمح والصوف وكذلك مبادلة فلاحي تبسة الحبوب بالتمر مع رُحَل الجنوب بقرية قنتيس (كاستال، ب: 111-112، 87).

ومن أوجه المبادلات التجارية الخارجية⁸ (أنظر التعليق رقم 08) ما كان يتم بين أهالي منطقة تبسة وأقطار تونس مثل قفصة، نابل، القيروان، صفاقص، توزر فكانت تبسة تستورد الزيوت، الفلافل، التوابل، التمور، الأغطية، جلود الماعز، الصابون، الألبسة الحريرية، الأحذية، البرانس وتُصدَّرُ المنتوجات النسيجية، الماشية، القمح، الفحم، الحلي، الحلفاء⁹ (أنظر التعليق رقم 09) سواء بواسطة الشركات الأوروبية أو بواسطة الأفراد¹⁰ (أنظر التعليق رقم 10)، الأواني بمختلف أنواعها (شهادة براهمي، ه، شهادة بودبوس، ي)، كما كانت تبسة تصدر المعادن الخامة، وقد ارتبط الإنتاج باتفاقات المنافسين وبالأسواق العالمية وكانت أوروبا الغربية السوق الرئيسية التي يصرّف لها الإنتاج المحلي مع منافسة كبرى للمعادن الخامة الإسبانية والسويدية، وقد أثرت على تجارة معدن الحديد جملة من العوامل منها الحرب العالمية الثانية (136 : INPED)، وللإشارة فقد سيطر اليهود في المجال التجاري خصوصا في كل ما تعلق بوكالات السيارات، الشركات التجارية الكبرى لتصدير الحبوب والصوف وكذلك البنوك (بن نبي، م. 2012: 120).

- الأوضاع الاجتماعية:

كان لانعكاسات السياسة الاستعمارية في الجزائر عموما وفي تبسة خصوصا آثار وخيمة على معيشة السكان لاسيما وأن الأغلبية الساحقة منهم تعيش من ممارسة نشاط الفلاحة والذي تضرر من جزاء مصادرة الأراضي ومنع الغابات وغيرها من القوانين فضلا عن الظروف الطبيعية القاسية مثل الجفاف، فشحت مصادر مداخيلهم ولم تكن كافية لتأمين لقمة العيش، ولم تعكف السلطات الفرنسية على تأمين مرافق صحية لهم، كما لم يكن لهم الحظ والحق في تأسيس مرافق تعليمية حتى ولو كانت بسيطة جدا.

قُدِّر عدد سكان بلدية تبسة كاملة الصلاحيات 9816 نسمة وهذا سنة 1921 (أرشيف.و.قسنطينة، ع 02، بُدَّة حول البلديات)، وتذكر تقارير الإدارة الفرنسية أن سكان بلدية تبسة المختلطة قدر عددهم بـ 100.800 نسمة سنة 1947 (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 02/01 إلى 1947/02/15)، وبلغ عدد سكان بلدية مرسط المختلطة لنفس السنة 72720 نسمة (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 01/15 إلى 1947/01/31).

لقد ارتفع عدد الجزائريين في تبسة خاصة في فترات البؤس التي توالى على المنطقة والسنوات العجاف إلى غاية 1950، في حين ظل عدد الأوروبيين فيها ثابتا، وهذا ما ذكره رئيس بلدية تبسة اوجين باتيستيني في اجتماع فيفري 1951 في إطار حملته الانتخابية (شلالي، ع الوهاب. 2016: 259).

كان السواد الأعظم لسكان منطقة تبسة ريفيون من سماتهم الترحال، وعلى ذلك تحكَّم في نوع سكناتهم العوامل الجغرافية (مياه ومناخ)، والاقتصادية والاجتماعية وللبحث عن مصادر المياه والعشب كانوا يسكنون الخيام والتي بلغ عددها 7672 خيمة (عسول، ص. 2009 : 32)، كما سكنوا أيضا مساكن مصنوعة من الطين المجفف (شلالي، ع الوهاب. 2010: 142)، وأيضا الأكواخ والتي بلغ عددها 81 كوخ وهناك من سكن المنازل وقُدِّر عددها بـ 614 منزل تقليدي و87 منزل أوروبي (عسول، ص. 2009 : 32).

وفيما يخص أنشطتهم سادت أعمال الفلاحة من زراعة وتربية الماشية، كما مارس بعض سكان تبسة الحرف وهم غالبا الفئة الحضرية (شهادة بودبوس، ي)، واشتغلوا كذلك بصناعة الفحم (شهادة براهمي، ه)، أو كعمال في تهيئة وشق الطرقات (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 02/15 إلى 1947/02/28)، أو في مشاريع توسيع خطوط السكة الحديدية (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 02/11 إلى 1945/02/17)، أو كعمال بالمناجم بحيث تسند لهم اشق الأشغال والتي بقت حركا عليهم إلى غاية تأمين المناجم (شلالي، ع الوهاب. 2010: 79-80، 83).

لم تراعي الشركات المنجمية التشريعات العمالية حيث تم تشغيل حتى الأطفال في سن 14 سنة، وعانى العمال التبسيون من التمييز الصارخ في الأجور وفي الحقوق حتى أنهم كانوا لا يستفيدون من المنح العائلية، كما أن الشركات المنجمية لم تعترف بالأمراض المهنية التي تُقعد العامل، وأحيانا تم تسريحهم بسبب الأزمات التي تتعرض لها الشركات. وإذا كانت الأجور التي يتقاضاها العمال الجزائريون هزيلة فإن الإدارة الاستعمارية زادت الطينة بلَّة لما تخلت عن سياسة تحديد الأجور، وهو ما أدى إلى نقض الاتفاقات والمعاهدات الجماعية الخاصة بالأجور، فتحول الحد الأدنى للأجر المضمون في مختلف الأشغال حسب التشريع إلى أجر عادي وشائع (شلالي، ع الوهاب. 2010: 72، 75).

أما بالنسبة للتعليم فنحن نعلم أن السلطات الاستعمارية منذ أن وطأت أقدامها الجزائر عملت على القضاء على كل مرفق أو هيكل يقدم خدمات تعليمية للجزائريين، ويدخل هذا ضمن السياسة الكولونيالية التي تهدف إلى تجهيل الجزائريين والقضاء على هويتهم العربية الإسلامية.

برز بالجزائر المستعمرة التعليم الفرنسي¹¹ (أنظر التعليق رقم 11) وهو تعليم بلغة المستعمر تنظمه وتقدمه المدارس التي تأسسها وتسيرها الإدارة الكولونيالية وفق تشريعاتها، يباشره عموما المعلمون والأساتذة الأوربيون (شهادة بودبوس، ي) ، وإذا كان هذا النوع من التعليم رفضه الجزائريون خلال السبعين سنة الأولى من الاحتلال لأنهم طالبوا بأن يكون التعليم بلغتهم وفي مدارسهم، وأن يحافظوا على تراثهم فإن هذا الرفض نُقِصَ نوعا ما مع بداية القرن العشرين، وذلك راجع حتما إلى مختلف الضرورات التي اقتضتها الحركة السياسية الوطنية (مريوش، أ. 2011: 128)، وإذا كان هذا التعليم لم يمنح له الجزائريون في فترات سابقة فإن السلطات الفرنسية وإلى غاية الفترة قبيل الثورة لم تُنَحِّهُ للجميع، بل جعلته حِكْرًا على فئة معينة والمتمثلة في أبناء المعمرين والقياد والشنايط وجميع الموالين للسياسة الفرنسية (شهادة فرصادو، ب)، ومن مدارس التعليم الفرنسي بالمنطقة مجال الدراسة نذكر المدرسة الابتدائية بالشرية (مقلاقي، ع الله. 2013: 15) ومدارس مدينة تبسة للتعليم الابتدائي والمتوسط (شهادة فرصادو، ب).

كما برز التعليم العربي الحر وهو ذلك التعليم الذي نادى به الجزائريون طوال الفترة الاستعمارية، وجعلوه في مقدمة مطالبهم الأساسية، تعليمًا باللغة العربية لغة القرآن، وهذا للحفاظ على الهوية الجزائرية من الطمس والمسح الذي سعت الإدارة الفرنسية إلى تحقيقه بمختلف الوسائل السياسية، العسكرية والقانونية.

لعبت المساجد المنتشرة عبر تراب تبسة دورا في تعليم أبناء المنطقة القرآن الكريم وبعض مبادئ اللغة العربية ومن هذه المساجد نذكر مسجد سيدي بن سعيد حيث كان يُدْرَسُ به مجموعة من الشيوخ منهم أحمد حماني السوفي، وإبته حمه حماني (شهادة بودبوس، ي)، وكذلك مسجد سيدي عبد الرحمان ومسجد سيدي علي بالزاوية بمدينة تبسة (شهادة مقراي، م الطيب)، كما لعب بعض الشيوخ بالدواوير والمداشر دورا كبيرا في تعليم الأطفال ومنهم الشيخ سي علي قصار الليل إلى جانب سي الشافعي البريكي بدوار غيلان (شهادة بودبوس، ي)، وأيضا الشيخ عبد الحفيظ رشراش بدوار أولاد خليفة بالدكان (شهادة رشراش، م الصالح).

كما يرجع الفضل في نشر التعليم العربي بالجزائر المستعمرة إلى المدارس القرآنية وهي تلك المدارس التي أسسها الأهالي وأنفقوا عليها من أموالهم الخاصة، مستقلة عن الإدارة الاستعمارية، تُسَيَّرُ وفق نظام خاص (عسول، ص. 2009: 35)، وقد اشترطت السلطات الفرنسية على كل من يرغب في فتح مدرسة قرآنية خاصة التقدم بطلبه المرفق بشهادة حسن السيرة، شهادة الجنسية، شهادة السوابق العدلية إلى المتصرف الإداري الرئيسي على مستوى البلدية، والذي بدوره إذا

وافق على الطلب يُحوّله إلى المفتش الأول لتعليم الأهالي لاستصدار الترخيص بفتح المدرسة القرآنية، والذي يصدر في شكل مقررّة يوقعها مفتش أكاديمية قسنطينة (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع61 و62).

بلغ عدد المدارس القرآنية لبلدية مرسط المختلطة 17 مدرسة سنة 1940، درّس بها 17 مدرس، وتدرس بها 261 تلميذ، في حين بلغ عدد المدارس القرآنية لبلدية تبسة المختلطة في نفس السنة 15 مدرسة تتلمذ بها 615 تلميذ على يد 21 مدرس (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع11)، تعرضت هذه المدارس لضغوطات الإدارة الاستعمارية وغالبا ما تم غلقها (عسول، ص. 2009 : 35).

من المتفق عليه أن الشيخ العربي التبسي بدأ تجربته الإصلاحية من مسجد سيدي بن سعيد بتبسة، تجاوب معه الشباب وأعجبوا بخطبه إلى درجة أن أصبح هذا المسجد الصغير غير قادر على استيعاب الأعداد الكبيرة من الشباب التبسي الذي أصبح يؤمّه، لذلك حوّل الشيخ العربي حلقاته إلى الجامع الكبير بالمدينة، وتحت ضغط الإدارة الاستعمارية انتقل الشيخ إلى منطقة سيق، ثم عاد سنة 1931 فترة تأسيس جمعية العلماء (بلقاسمي، ب.2007: 86).

تم فتح أول مدرسة للجمعية بتبسة سنة 1932، والتي تعرف لدى سكان المنطقة بمدرسة سي الحواس وتسمى كذلك لان سي الحواس والذي هو أحد أعضاء الجمعية تبرع لهم بالمقر، قدّمت هذه المدرسة خدمات تعليمية جبارة إلى غاية 1936 حيث تم فتح مدرسة التهذيب بعد مجهودات شاقة للحصول على الترخيص من قبل الإدارة الاستعمارية، هذا الهيكل التعليمي الجديد مقره بجامع الشيخ العربي التبسي حاليا، تمثل إطاره البشري في شيوخ ومدرسي مدرسة الحواس سابقا فضلا عن شيوخ آخرين، ومن الأسماء نذكر الشيخ العربي التبسي، الصادق درباسي، عيسى سلطاني، معمر عليّة، عبد الحفيظ بدري، الشاذلي المكّي، إبراهيم رواجية، المكّي فرحاتي، وقد قامت إدارة هذه المدرسة بفتح فروع تابعة لها بونزة، وأكس لبيان (الحمامات) والشريعة (شهادة فصادو، ب)، هاته الأخيرة التي أسّست بها مدرسة الحياة، ومن الذين درّسوا بها نذكر المدرس محمد العربي سواملية (أرشيف متحف المجاهد محمود قنز تبسة).

رغم وجود هذه المرافق التعليمية وجهودها الإصلاحية في نشر التعليم إلا أن منطقة تبسة سادتها ظاهرة الجهل، وهذا لقسوة ظروف المعيشة، والتي جعلت التعليم لا يكتسي صبغة أولوية بالنسبة للفرد التبسي، فربّ العائلة كان يكّد من أجل تأمين لقمة يوم صغاره وسداد الضرائب، بالإضافة أن هذه المؤسسات التعليمية لاسيما المدارس كانت تتواجد فقط بمدينة تبسة والشريعة ومرسط، أما الدواوير فكانت تفتقر إلى هذه الهياكل بالإضافة إلى ما واجهته هذه الأخيرة من عراقيل جراء السياسة الاستعمارية (شهادة فصادو، ب) فكانت غالبا تتعرض للغلق من طرف الإدارة الفرنسية تطبيقا لمرسوم 08 مارس 1938 (أجبرون، ش روبر : 142).

انعكاسات السياسة الاستعمارية:

لقد طبقت السلطات الاستعمارية سياسة من خلالها خرقت حدود الملكية، سلبت الجزائريين ممتلكاتهم (بوقرة، ز 2009: 110) وشددت الضبط على تحركاتهم، لاسيما الفلاحين ومربي الماشية (كاستال، ب: 53)، ألفت بالكثير من الشبان الجزائريين في ساحة حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل (فداش، م. 2008: 252) وأرهقتهم بفرض الضرائب المتعددة والمرتفعة والتي كان بعضها مبنيا على الشريعة الإسلامية، أما البعض الآخر كان مبنيا على نظام الضرائب الفرنسي وأنواع أخرى كان قد فرضها عليهم قانون الأهالي (سعد الله، أ القاسم. 1992 / 2: 87)، لذلك عاش سكان تبسة تحت وطأة الكوارث الاجتماعية التالية:

الفقر والجوع:

عاش أهل منطقة تبسة قبل الثورة الجزائرية أوضاع مزرية، حيث تدنت مستويات المعيشة وضرب الفقر أطنابه، وإذا كانت الفلاحة هي النشاط الغالب بالمنطقة في ذلك الوقت، فإن السياسة الاستعمارية أوهنته وخنقته بمصادرة الأراضي وحظر الغابات وفرض الضرائب المرتفعة، وكانت الفترة الممتدة بين 1930 و 1945 من أعسر الفترات على أهل تبسة فكانت سنوات حرب وقحط وجذب وأعوام الآفات الطبيعية كالجراد، وهذا ما أدى إلى إعدام والقضاء على محاصيل الفلاحين (شهادة فرصادو، ب)، فضلا عن إجبارهم على المساهمة في الحرب العالمية الثانية، وكل هذه العوامل أدت إلى دخول سكان تبسة في دائرة الفقر، وشحت المواد الغذائية في السوق، ساء التوزيع في المؤن الضرورية، وانتشرت السوق السوداء بشكل خطير إلى درجة أن أثيرت هذه المسألة على المجلس الاستشاري (شلاي، ع الوهاب. 2010: 126، 75)، عاش سكان تبسة خفاة، عرأة وتعرضوا إلى مجامعات¹² (أنظر التعليق رقم 12) متتالية، حتى أصبحت هذه الظاهرة تهدد وجودهم إلى درجة أنهم في كثير من الأوقات اقتاتوا من النباتات (شلاي، ع الوهاب. 2010: 127)، فيذكر نور الدين سواعي أنه لما توفي شقيقه سنة 1942 قامت عائلته بإعداد مأدوبة عشاء لتوزيع الصدقات وأن عدد المتسولين والذين أتوا لأخذ الصدقات قد ملاً الشارع (شهادة سواعي، ن الدين).

في نهاية شهر جانفي 1951 أشار نائب رئيس بلدية تبسة المدعو دولين بيير في كلمة ألقاها بالمدينة بمناسبة ترشحه للانتخابات التشريعية إلى تدهور أوضاع سكان تبسة وجميع الأرياف القريبة منها في شتى المجالات حيث قال: "القوانين الاجتماعية والجمهورية فيها معطلة بالأخص من قبل الجماعات المحلية، ففي تبسة لا يحصل الموظفون بالبلدية على المنح العائلية، ولا يستفيدون من العطل المدفوعة الأجر، ولا بد من الضمان الاجتماعي، والمستوصفات في بولحاف وبئر العاتر وبئر الدروج شيدت من الطين بدل الحجارة، مما تسبب في تحولها إلى أثر" وطالب ببناء مخازن للحبوب في تبسة لتجنب فساد القناطير المقنطرة من القمح بسبب تكديسها في العراء وتركها للتقلبات الجوية، أما المرشح بالومبا فعلق عنها ب: "مجاعة وبؤس يهددان المنطقة" كما سجلت الصحافة الكولونيالية هذا التدهور والتدني وقد أشارت أحد جرائدها في أوت 1954 إلى التناقض بين الأوضاع الاجتماعية للجزائريين وأوضاع المستوطنين بالقول "...المساكين الغاضبون،

المحبطون يشهدون دوما تعايش الرخاء والبؤس، الوفرة الكثيرة والفقر المدقع، فعند البعض (أي المستوطنين) السيطرة المفرطة على جميع الأملاك المادية وعند البعض الآخر الحرمان من كل شيء" (شلاي، ع الوهاب. 2016: 289).

البطالة:

من المتفق عليه هو سيادة النشاط الفلاحي بتبسة، لكن هذا النشاط تقهقر بسبب العوامل السابقة الذكر كالسياسة الاستعمارية وسوء العوامل المناخية، وأدى ذلك إلى ترك بعض الفلاحين أنشطتهم الفلاحية والنزوح نحو المدينة أملا في إيجاد عمل يُغني عن الجوع، ظهرت البطالة في أوساط أهل تبسة (شهادة فرصادو، ب)، كما أن تسريح الآلاف من المجندين من الشباب الجزائري وكذلك تسريح أعداد من الطبقة الشغيلة، بالإضافة إلى إيقاف الشركات التعدينية توظيف اليد العاملة غير المؤهلة كل هذا أدى إلى تفشي الظاهرة سابقة الذكر في المنطقة (شلاي، ع الوهاب. 2010: 126، 82، 68).

النزوح الريفي:

أثناء الحرب العالمية الثانية عملت السلطات الفرنسية على استنزاف طاقات فلاحية تبسة فعمدت إلى مصادرة مواشيهم وهذا تحت عنوان تموين الجيش الفرنسي والمساهمة في تكاليف الحرب العالمية الثانية (شهادة بودبوس، ي)، ولتقهقر ظروف أهالي أرياف تبسة وشُح إنتاجهم الفلاحي لجأت الكثير من عائلات النمامشة وأولاد يحي بن طالب وأولاد عبيد وأولاد ملول والفراشيش إلى ترك أريافهم والنزوح نحو المدينة (شهادة فرصادو، ب) وتحملوا النتائج الخطيرة لهذا التصرف، فعاشوا في بطالة وبؤس، وعانى الذين عملوا في المناجم أو في سكك الحديد والموانئ أو في مزارع المعمرين من مخاطر العمل غير المؤمن ذو الأجر المتدني والقائم على التمييز العرقي (شلاي، ع الوهاب. 2010: 126).

الأمراض:

إن مرافق الصحة أساسية لحياة الإنسان منذ أن ترى عيناه النور مما يستوجب تعددها وتدعيمها بالإطارات البشرية الكافية وتجهيزها بالعتاد اللازم، المنطقة مجال الدراسة للأسف لم تتوفر إلا على مستشفى وحيد وهو ما نسميه الآن بالمستشفى القديم الموجود بالثكنة القديمة بالإضافة إلى بعض الأطباء الحواص¹³ (أنظر التعليق رقم 13)، ومن الأسماء التي برزت في ميدان الصحة سواء كموظفين لدى الإدارة الفرنسية أو كحواص نجد الطبيب جاكوب (Jacob)، القابلة قوسي (Goucier)، الطبيب مشري وهو من أبناء المنطقة (شهادة فرصادو، ب)، الطبيب كانتار (Quintard) والطبيب ناطاف (Nataf) (أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 01/15 إلى 01/31/1947).

لم يستفد أهالي تبسة من المستشفى المذكور، لأسباب عدة منها أن ذهنية الفرد الجزائري في ذلك الوقت لا تتقبل فكرة التداوي لدى كما يقال الروامي، ومثال على ذلك أن المرأة كانت تمرض، تحبل، تلد...، لكن لا تطأ قدمها المستشفى الفرنسي، كما أن تواجد هذا الأخير بعيدا عن دواوير تبسة وانعدام وسائل النقل حال دون استفادة المدنيين

من خدماته، وغالبا ما توفي المريض وهو في الطريق إليه (شهادة بودبوس، ي)، كما حُرّم الأهالي المعوزون كذلك من التداوي لدى الأطباء الخواص وهذا لعجزهم عن تسديد أجره المعاينة (شهادة فرصادو، ب).

كان أهالي تبسة يتداوون بالطب الشعبي، يضعون الجبيرة على الرأس لإزالة الحمى أو الزكام أو الشقيقة أو ضربة الشمس، يستخدمون التجبير الشعبي في حالة الكسور، الكي بالنسبة لأمراض العظام والمفاصل، الطلي بمادة القطران لإزالة الأمراض والطفوح الجلدية، وتمتلت مواد التطبيب لديهم في البصل، الثوم، زيت الزيتون، الحلبّة الخنضل، قشور الرمان، العسل...، أما بالنسبة لقلع الأضراس كان يتم دون الذهاب إلى المستشفى ودون مراجعة طبيب أسنان خاص عن طريق خيط أو كلاليب وغالبا ما كانت هذه الأدوات غير معقمة، مما أدى إلى إصابة الأفراد بأمراض أخطر مثل الفيروس الكبدية (شهادة بودبوس، ي).

انتشرت بتبسة في فترة ما قبل الثورة عدة أمراض وأوبئة فتاكة منها الكساح، الحمى الصفراء، وهذا ما عبّر عنه أحد الأطباء الفرنسيين بقوله: "يأتي المرضى الأهالي إلى مركز العلاج في الصباح على ظهور الدواب، عاجزين عن السير، في حالة قذرة وغير مرغوب فيها" (شلاي، ع الوهاب. 2010: 132، 147)، كما عرفت المنطقة داء الطاعون¹⁴ (أنظر التعليق رقم 14)، التيفوس سنة 1942، الجرب، الخُلد، التيفوئيد، الجدري، وبسبب غياب المرافق الصحية سواء العمومية أو حتى التي تتبع القطاع الخاص فضلا عن الإقتصار فقط على التداوي بالطب الشعبي حصدت هذه الأوبئة الكثير من أبناء المنطقة (شهادة سواعي، ن الدين).

خاتمة:

في نهاية هذا البحث نصل إلى النتائج الآتية:

- فيما يخص الوضع الاقتصادي كان أهالي تبسة اغلبهم فلاحين يعيشون من نشاط الزراعة وتربية الماشية مما اقتضى تواجد نمط البدو الرحل، وإزاء السياسة الاستعمارية القاهرة، بالإضافة إلى العوامل المناخية القاسية منها الجفاف تفهقر نشاط الفلاحة لدى التبسيين، فقدّ اغلب الفلاحين أراضيهم لسبب أو لآخر، تعذر عن الكثير منهم متابعة نشاطهم لعجزهم عن تغطية تكاليفه وعن سداد الضرائب، تحول الكثير منهم من مالكين إلى خمّاسين، فضلا عن القضاء على نظام البدو الرحل باستيلاء الإدارة الفرنسية على الأراضي التي كان يرحل إليها بدو تبسة احتماء من برد الشتاء.

- عمل الاستعمار الفرنسي على أن لا تكون في الجزائر عموما وفي تبسة خصوصا صناعة تحويلية حتى لا تزعج الاستثمارات في فرنسا كما سعى بكل طاقته إلى إقامة صناعة استخراجية موجهة للتصدير مبنية على استنزاف ثروات المنطقة من حديد، زنك، فوسفات، من مناجم بوخضرة، الكوييف، ونزة، خنقة الموحد، عين كيسة وذبية، واستغلت الشركات المنجمية الفرنسية الطاقات البشرية أبشع استغلال فكان العمال يشتغلون في اشق الأعمال المنجمية وأخطرها بأجنس الأتمان.

- وبالنسبة للوضع الاجتماعي لم تكن فرص العمل كثيرة لسكان تبسة فتوزعت هذه الحظوظ بين الفلاحة، العمل بالمناجم، أشغال السكة الحديدية وشق الطرقات كعمال محرومين من أدنى الحقوق المتعلقة بالأجر أو بالضمان الاجتماعي، ونادرا ما امتهن بعض سكان تبسة الحرف، وبالكاد كان رب العائلة يؤمن لقمة يومه من جراء السياسة الاستعمارية وقوانينها الزجرية، عاش التبسيون الفقر المدقع، وتعرضوا إلى شبح المجاعة، حتى أنهم اقتاتوا من النباتات لاسيما فترة الحرب العالمية الثانية.

- لم تولي السلطات الاستعمارية أدنى اهتمام لمرفق الصحة، ولم تبدل مجهوداتها للقيام بحملات التطعيم، لذلك كان التبسيون غالبا عرضة للأوبئة الفتاكة مثل التيفوس، الطاعون، الجرب والتي أودت بالكثير من الأرواح.

- ومن جراء التضيق على الفلاحين وتشديد الخناق عليهم لاسيما من خلال مصادرة أراضيهم ومنع الغابات وإرهاقهم بالضرائب، عجز بعض المزارعين ومربي الماشية عن ممارسة نشاطهم الفلاحي، فنزحوا نحو المدينة أملا في إيجاد عمل يقتاتون منه وهذا ما فعل ظاهرة البطالة بالمنطقة.

- ولم يأخذ أبناء منطقة تبسة قسطهم من التعليم نتيجة للسياسة الكولونيالية المتبعة والتي كانت تهدف إلى تجهيل الجزائريين عن طريق غلق مدارس التعليم العربي وشن مختلف الضغوطات عليه، وكان للتعليم الحر الذي أسسه الأهالي والذي أقامته جمعية العلماء أثرا في خفض نسبة الأمية التي كانت متفشية في أوساط التبسيين.

- التعليقات والشروحات:

(1)- بالجزائر المستعمرة تمثل الزراعة عموما في القطاع الأوروبي، وهو قطاع عصري مهيم موجه نحو التصدير يمثل القاعدة الاقتصادية الأمامية للاقتصاد الاستعماري الرأس مالي، يحضى بكل العناية ووسائل الدعم، ولقد سيطر الأوروبيون على مساحة 2.320.000 هكتار وتمركزت المزارع بشمال البلاد، أما القطاع الثاني فهو قطاع تقليدي متخلف جدا يعيش منه أغلب نسبة من الجزائريين، وكانت معطيته قبل 1954 كالتالي: السكان الجزائريون حوالي 05 ملايين يوزون أراضي تقدر بـ 5.300.000 هكتار، وفي سنة 1954 كان معدل ملكية الجزائريين لا يتجاوز 14 هكتار، بينما معدل ملكية الأوروبي يصل إلى 109 هكتار، ومعدل دخل المزارع الأوروبي يعادل 770 ألف فرنك فرنسي قديم، بينما دخل الفلاح الجزائري هو 22 ألف فرنك. أنظر: الزغدي، م الحسن. 2009: 24-25.

(2)- لم يشكل ثلثا الفلاحين عموما في الجزائر المستعمرة من الناحية الاقتصادية طبقة مستقلة، بل كانوا عبارة عن تجمع من أنصاف البروليتاريين و 20 ألف فلاح فقط ممن كانوا ينتمون إلى قطاع الزراعة الحديثة، كان الدخل الفردي السنوي للمزارع يقدر بـ 22 ألف فرنك فرنسي قديم. أنظر: اجيرون، ش روبر: 129.

(3)- قبل عشرين من اندلاع الثورة الجزائرية أصبحت الجزائر عاجزة عن تحقيق الاكتفاء الذاتي، وتحولت من مصدرة للحبوب إلى مستوردة لها، وهذا راجع إلى سعي المعمرين سوى لتحقيق الربح دون مراعاة الوسيلة، وتركيز مجهوداتهم على استنزاف الثروات وتسخير الأرض، خصصوا حوالي نصف مليون هكتار من أحسن الأراضي لغراسة الكروم المنتجة لعنب الخمر، واهتموا بغراسة الحوامض لما تدره عليهم من الأرباح أضعاف ما يجني من القمح والشعير، ولقد تطور إنتاجها من 700 ألف قنطار سنة 1931 إلى 2719000 قنطار سنة 1950، واحتلت بذلك المرتبة الثانية في قائمة الصادرات بعد الخمر. الزيري، م العربي. 2007: 18.

(4)- هناك من يقول أن ماشية الغنم بالجزائر المستعمرة بلغت بين 1948 و 1954 05 ملايين رأس، في حين أورد أحمد توفيق المدني أنها قدرت بـ 08 ملايين رأس. أنظر: اجيرون، ش روبر: 129 - 130 وأيضا: المدني، أ توفيق، 2010: 479.

(5) - بلغت كميات المعادن المستخرجة في الجزائر المستعمرة سنة 1954 كالأتي: فوسفات 600.000 طن، حديد 3500.000 طن، فحم 400.000 طن. أنظر: محمد العربي الزبيري: المرجع السابق، ص 20 .

(6) - اكتشف الفوسفات في الجزائر سنة 1873 قبل تونس والمغرب بمنطقة قصر البخاري بالمدينة، وفي عام 1885 أُكتشفت مناجم شرق الجزائر، وهي أكبر المناجم، وتم تنظيم قواعد البحث عن الفوسفات واستغلاله بموجب قرار 25 مارس 1898، والذي ينص على أن استغلال الفوسفات يتم بمقتضى إجازة عن طريق مناقصة عمومية، يتميز الفوسفات الجزائري بجودته العالية حيث يحتوي على نسبة تتراوح بين 63% و 70% من المعدن، كما يتميز بتحوله الجيد عند التصنيع إلى فوسفات عالي الجودة، وهو ما شجع السلطات الفرنسية على إقامة ثلاث مناجم بدءاً من 1898 بعنابة، الدار البيضاء، وهران، أُكتشف الفوسفات في المنطقة الحدودية الشرقية بين سنوات 1891 و 1893 من قبل الاخوة برتينا في كل من بلديات الدير، الكويف، عين كيسة، وتطورت صناعة الفوسفات في الجزائر سنة 1894 إثر الشروع في الاستغلال المكثف لهضبة الدير ثم جبل الكويف وعين كيسة. أنظر: شلال، ع الوهاب. 2010: 27-28 .

(7) - يرى ابن خلدون أن العرب وعجم المغرب أبعد الناس عن الصنائع، وذلك لقدّمهم في البداوة وبعدهم عن العمران الحضري، وكانت المنتجات تُجلب لهم من أقطار أخرى، وصناعات بربر المغرب قليلة وغير مستحكمة إلا ما كان من صناعة الصوف في نسجه والجلد في خرز. أنظر: ابن خلدون: 1991، ج 02: 420.

(8) - بعد احتلال الجزائر منعت السلطات الفرنسية المبادلات التجارية مع تونس والمغرب وتراجعت عن هذا المنع سنة 1853، لكن مع فرض تعريف جمركية، وفي جويلية 1867 صدر قانون يسمح بدخول البضائع التونسية والمغربية دون حواجز، أما سنة 1890 أصبحت البضائع التونسية لا تمر للجزائر إلا بمقدار محدد، وعملت بنفس الشكل البضاعة المغربية منذ سنة 1922، في حين أن البضاعة الجزائرية تدخل تونس والمغرب دون قيد وكأنها بضاعة فرنسية. أنظر: المدني، أ توفيق. 2010: 488 .

(9) - نبات ينتشر على حوالي أربعة ملايين هكتار، يتم قطعه من قبل الأفراد ويؤتى به لمراكز التصدير، يقدر المحصول السنوي بـ 150 ألف طن ، يتم تسليمه إلى شركة استعمارية تقريبا بالكاد تستثمرها عائلة واحدة، ويتقاضى العمال الجزائريون مقابل ذلك ثمنا وضيعا، وكانت هذه الشركة تُصدّر نبات الحلفاء للمعامل الإنجليزية المختصة في صناعة أنواع الأقمشة والورق وأكثر عبارات بليغة في هذا المضمون ما قاله أحمد توفيق المدني: "حتى حلفاء النجود المحرقة القاحلة يستأثر بها الاستعمار ولا تعود بالخير إلا عليه" أنظر: المدني، أ توفيق: 2010، مج 8: 101.

(10) - تحت وطأة الجوع والفقر جازف بعض التيسيين الذين كانوا يعملون بنشاط قلع الحلفاء وعملوا على تمريرها عبر الطرقات غير المحروسة والخالية من عيون الاستعمار على ظهور الجمال لبيعها بالأسواق التونسية، عبّرت قريحة بعض النمامشة عن تلك المعاناة وعن وهن الإبل التي كان يتم إرهاقها بكثرة الحمولة التي تجاوز طاقتها، وتُنهك سيرها فنطقوا على أفواها قائلين:

يادايا وعُتُوبني فوق من العبايا وقصدوا بيّا كل الثنايا

نغرّد ملغوظة، وكى شفت الرومي وحيوطه قالوا لي السلعة محظوظة. شهادة براهمي، ه: مقابلة شخصية.

(11) - إلى غاية 1954 كانت نسبة الجزائريين الذين التحقوا بالمدرسة الفرنسية تتراوح من 05% إلى 10% فقط من مجموع المتدربين في التعليم الفرنسي. أنظر: شلال، ع الوهاب. 2010: 149.

(12) - إثر مجاعة 1867 لم يبق لأهل تبسة غذاء إلا نباتات البلوط والصنوبر والعرعر والتلاغودة، ونتيجة تناولهم نباتات سامة كثرت حالات التسمم. أنظر: شلال، ع الوهاب. 2006: 118 .

(13) - قُدّر عدد الأطباء في الجزائر سنة 1939 بـ 1033 طبيب، ليرتفع إلى 1356 طبيب سنة 1946، بينما في فرنسا كان هناك طبيب لكل 1091

نسمة وتم إحصاء توفر سرير لكل 318 فرد في الجزائر سنة 1954، ونصف الأطباء كانوا يعملون بمقاطعة الجزائر. أنظر: Mahsas, A. 2006: 25

(14) - عرف الشرق الجزائري أوبئة كثيرة سواء في الفترة العثمانية أو مع بدايات الاحتلال، مثال ذلك ظهور الطاعون بقسنطينة سنة 1835 والذي خلف 1500 وفاة في ظرف 03 أيام، فتشكلت جمعية المسبلين للتكفل بدفن الموتى، تم تجديد هذه اللجنة عدة مرات بسبب وفاة أعضائها في ظرف وجيز. أنظر: خياطي، م. 2013: 62.

02- المصادر والمراجع:

أ- الأرشيف:

- 01- أرشيف متحف المجاهد محمود قنر: شهادة عمل باسم محمد العربي سولمية موقعة من طرف مدير مدرسة الحياة.
- 02- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 11/25 إلى 1944/12/2.
- 03- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 02/11 إلى 1945/02/17.
- 04- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 04/14 إلى 1945/04/21.
- 05- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع107، تق 04/21 إلى 1945/04/28.
- 06- أرشيف.و.قسنطينة، ع02، نُبذة حول البلديات.
- 07- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 02/01 إلى 1947/02/15.
- 08- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 01/15 إلى 1947/01/31.
- 09- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع101، تق 02/15 إلى 1947/02/28.
- 10- أرشيف.و.قسنطينة، ق الإصلاحات، ع61 و62، ع11.

ب- المقابلات الشخصية:

- 01- براهيمى هنية: مقابلة شخصية معها بتاريخ 10 جوان 2016، ببيتها بحي جبل الجرف تبسة.
- 02- بودبوس يوسف: مقابلة شخصية معه بتاريخ 25 فيفري 2016، بمقر منظمة المجاهدين لولاية تبسة.
- 03- رشاش محمد الصالح: مقابلة شخصية معه بتاريخ 05 ماي 2015، ببيته تبسة.
- 04- سواعي نور الدين: مقابلة شخصية معه بتاريخ 19 أكتوبر 2015 ببيته بتبسة.
- 05- فرصادو بلقاسم: مقابلة شخصية معه بتاريخ 30 سبتمبر 2015 ببيته بتبسة.
- 06- مقراني محمد الطيب (بولحية): مقابلة شخصية معه بتاريخ 25 مارس 2016، ببيته تبسة.

ج- الكتب:

- باللغة العربية:

- 01- ابن خلدون: (1991). المقدمة. ج 02. الجزائر: موفم للنشر.
- 02- اجيرون، شارل روبير. (د.ت). تاريخ الجزائر المعاصرة. تر: عيسى عصفور، (ط2)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- 03- بلقاسمي، بوعلام. (2007). موسوعة أعلام الجزائر 1954-1962. الجزائر: منشورات م.و.د.ب.ح.و.ث.ن.
- 04- بن نبي، مالك. (2012). مذكرات شاهد للقرن. (الرواية، الجزائر): دار الوعي للنشر والتوزيع.

- 05- خياطي، مصطفى. (2013). الأوبئة والمجاعات في الجزائر. (تر: حضرية يوسف). الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
- 06- الزبيري، محمد العربي. (2007). تاريخ الجزائر المعاصر 1945 – 1962. ج1. الجزائر: وزارة الثقافة.
- 07- الزغيدى، محمد حسن. (2009). مؤتمر الصومام وتطور ثورة التحرير الوطني الجزائرية 1956 – 1962. الجزائر: دار هومة.
- 08- سعد الله، ابو القاسم. (1992). الحركة الوطنية الجزائرية. ج 2 . (ط 4). بيروت: دار الغرب الإسلامي.
- 09- شلاي، عبد الوهاب. (2016). المنظمة الخاصة (مؤامرة تبسة) دراسة تاريخية موثقة. (العلمة، الجزائر): دار البدر.
- 10- شلاي، عبد الوهاب. (2006). نظرات فاحصة في تاريخ تبسة وجهاد أهلها في القرن 19 م. عين مليلة، دار الهدى.
- 11- قداش، محفوظ: (2008) جزائر الجزائريين (تاريخ الجزائر) 1830-1954، (تر: محمد المعراجي). (روبية، الجزائر): منشورات المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار.
- 12- كاستال، بيار. (د.ت). حوز تبسة. (تر: العربي عقون)، (د.م)، (د.ن).
- 13- المدني، أحمد توفيق. (2010). كتاب الجزائر. مج 08. الجزائر: دار عالم المعرفة.
- 14- المدني، أحمد توفيق. (2010). هذه هي الجزائر. مج 08. الجزائر: دار عالم المعرفة.
- 15- مقلاتي، عبد الله. (2013). محمود الشريف قائد الولاية الأولى ووزير التسليح إبان الثورة التحريرية. الجزائر: دار العلم والمعرفة.

– باللغة الفرنسية:

I. N. P. E. D : monographie de Tébessa.01-

. Dar el Marifa:- Mahsas, Ahmed. (2006). Réalités coloniales et résistances. Alger02

د- الملتقيات:

01- مريوش، أحمد. (14 – 15 جوان 2009). موقف الجزائريين من التعليم الفرنسي بالجزائر خلال فترة

الاحتلال. أشغال الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830 – 1962، عناية.

ه- الرسائل والأطروحات الأكاديمية:

01- بوقرة، زيلوخة. (2009). سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا).

رسالة ماجستير في علم الاجتماع الديني، جامعة باتنة، الجزائر.

- 02- شلاي، عبد الوهاب. (2010). دور عمال المناجم الجزائرية في ثورة التحرير الجزائرية (المنطقة الحدودية الشرقية نموذجاً) 1954-1962. رسالة دكتورا في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة قسنطينة، الجزائر.
- 03- عسول، صالح. (2009). اللاجئون الجزائريون بتونس ودورهم في الثورة 1956 - 1962، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة باتنة، الجزائر

REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales

Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines



Directeur d'honneur
Pr. FARHATI Omer
(Directeur de l'université)

Directeur de la Revue:
Pr. TERKI Abderrahmane
(doyen de Faculté des Sciences Sociales et Humaines)

Rédacteur en chef
Dr. CHAFOU radhouane

Comité Editorial
Dr. machri soulaf
Dr. Amrani mouad
Ismahan djballi

sixième année (6) - Numéro 11 / Décembre 2017



REVUE EL-BAHITH

En Sciences Humaines et Sociales



Revue périodique académique Editée par Faculté des Sciences Sociales et Humaines

sixième année (6) -Numéro (11) / Rabih Ethani 1439- Décembre 2017